







Ad
157

وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَوْثَاءِ الزَّمَانِ

لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان
المولود في سنة ٦٠٨ ، والمتوفى في سنة ٦٨١ من الهجرة

حققه ، وعلق حواشيه ، وصنع فهرسه

محمد محي الدين عبد المجيد

مفتش العلوم الدينية والعربية
بالجامع الأزهر والمعاهد الدينية

الجزء الثالث

الناشر

مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلي باشا - القاهرة

١٩٤٨

كتاب التكملة في الفقه

في الفقه الحنابلة

الطبعة الاولى

في سنة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

جميع حق الطبع محفوظ

مطبعة السعادة بجوار محاذة مصر

(٤١٦)

الشریف المرتضى أبو القاسم علی بن الطاهر ذی المناقب أبی أحمد الحسین بن
موسی بن محمد بن إبراهیم بن موسی الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر
ابن علی بن زین العابدین بن الحسین بن علی بن أبی طالب ، رضی الله عنهم !
أبو القاسم
الشریف
المرتضى
علی بن
الطاهر

كان نقيب الطالبين ، وكان إماما في علم الكلام والأدب والشعر ، وهو
أخو الشَّريف الرضى ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى ، وله تصانيف على مذهب
الشيعة ومقالة في أصول الدين ، وله ديوان شعر كبير ، وإذا وصف الطيف أجاد
فيه ، وقد استعمله في كثير من المواضع ، وقد اختلف الناس في كتاب « نهج
البلاغة » المجموع من كلام الامام علی بن أبی طالب رضی الله عنه ، هل هو جمعه
أم جمع أخيه الرضى ؟ وقد قيل : إنه ليس من كلام علی ، وإنما الذى جمعه
ونسبه إليه هو الذى وضعه ، والله أعلم ، وله الكتاب الذى سماه « الفرر والدرر »
وهى مجالس أملاها تشتمل على فنون من معانى الأدب تكلم فيها على النحو
واللغة وغير ذلك ، وهو كتاب مُمتنع يدل على فضل كثير ، وتوسع في الاطلاع
على العلوم .

وذكره ابن بسام في أواخر كتاب « الذخيرة » فقال : كان هذا الشریف
إمام أئمة العراق ، بين الاختلاف والاتفاق ، إليه فزع علماؤها ، وعنه أخذ
عظماؤها ، صاحب مدارسها ، وجماع شاردها وآنسها ، ممن سارت أخباره ،
وعُرفت به أشعاره ، وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره ، إلى تواليفه في الدين ،
وتصانيفه في أحكام المسلمين ، مما يشهد أنه فرع تلك الأصول ، ومن أهل ذلك
البيت الجليل ، وأورد له عدة مقاطع ، فمن ذلك قوله [من الخفيف] :

ضَنَّ عَنِّي بِالنَّزْرِ إِذْ أَنَا يَقْظًا نُوْءُ وَأَعْطَى كَثِيرَهُ فِي الْمَنَامِ

والتقينا كما اشتبهينا ولا عيب سوى أن ذاك في الأحلام

وإذا كانت الملاقاة ليلاً فالليالى خيرٌ من الأيام
قلت : وهذا من قول أبي تمام الطائي [من الخفيف] :

استزارته فكرتني في المنام فأتاني في خفية واكتتمام
يا لها زورةً تلذذتِ الأَر واح فيها سرّاً من الأجسام
مجلسٌ لم يكن لنا فيه عيب غير أنا في دَعْوَةِ الأحلام
ومن شعره أيضاً [من الخفيف] :

يا خليلي من ذُؤَابَةِ قيسٍ في التصابي رياضةُ الأخلاق
عللاني بذكرهم تطرباني واسقياني دمعى بكأسٍ دِهاق^(١)
وخذا النوم من جفوني فاني قد خلعتُ الكرى على العشاق

فلما وصلت هذه الأبيات إلى البصري الشاعر قال : المرتضى قد خلع مالا
يملك على من لا يقبل

ومن شعره أيضاً [من الطويل] :

ولما تفرقنا كما شاءتِ النوى تبين ودّ خالصٍ وتودّد
كأنني وقد سارا خليطُ عشيّة أخو جنةٍ مما أقوم وأقعد^(٢)
ومعنى البيت الأول مأخوذ من قول المتنبي في مديح عضد الدولة بن بويه
من جملة قصيدته الكافية التي ودعه بها لما عاد من خدمته من شيراز إلى العراق
وقتل في الطريق ، كما هو مشروح في ترجمة المتنبي وهو [من الوافر] :

وفي الأحباب مختصٌّ بوجدٍ وآخر يدعى معه اشتراكا
إذا اشتبكت دموعٌ في خدودٍ تبين من بكى ممن تباكى
ونقلت من كتاب «جنان الجنان» ، ورياض الأذهان « الذي صنّفه القاضي

(١) في ١ « عللاني بذكرهم » (٢) أخو جنة : أي مجنون

الرشيد أبو الحسين أحمد المعروف بابن الزبير الغساني المقدم ذكره ما نسبه إلى الشريف المرتضى المذكور، وهو [من مجزوء الكامل] :

بيدني وبين عَوَاذِلِي في الحب أطرافُ الرماحِ
أنا خارجي في الهوى لا حكمَ إلا للملاح

ونسب إليه أيضاً [من المنسرح] :

مولاي يا بَدَرَ كل داجية خذ بيدي قد وقعتُ في اللَّجَجِ
حُسْنُكَ ما تنقضي عجائبه كالبحر حدث عنه بلا حَرَجِ
بحق من خطَّ عارضِيكَ وَمَنْ سَلط سلطانها على المهج
مُدَّ يديك الكريمتين معي ثم ادع لي مِنْ هَوَاكَ بالفرج
وذكر له أيضاً [من الخفيف] :

قل لمن خده من اللحظ دَامِ رق لي من جوانح فيك تَدَمِي
يا سقيم الجفون من غير سقم لا تلمني إن مت منهن سقما
أنا خاطرت في هواك بقلب ركب البحر فيك إِمَّا وإِمَّا

وحكى الخطيب أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي اللغوي أن أبا الحسن علي ابن أحمد بن علي بن سَلَّك الفالي الأديب كانت له نسخة [من] كتاب الجمهرة لابن دُرَيْد في غاية الجودة ، فدعته الحاجة إلى بيعها ، فاشتراها الشريف المرتضى أبو القاسم المذكور بستين ديناراً ، وتصفحها ، فوجد بها أبياتاً بخط بائعها أبي الحسن الفالي [المذكور] وهي [من الطويل] :

أَنِسْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبَعْتُهَا لَقَدْ طَالَ وَجَدِي بَعْدَهَا وَحْنِي
وما كان ظَنِّي أَنِّي سَأْبِعُهَا وَلَوْ خَلَدْتُني فِي السَّجُونِ دِيُونِي
ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وَصَبِيَّةٍ صَغَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شَوْوَنِي
فقلت ولم أملك سوابقَ عَبْرَةٍ مَقَالَةٍ مَكُونِ الْفُؤَادِ حَزِينِ :

وقد تخرج الحاجاتُ يا أم مالك كرائم من ربِّهن ضنينٍ

[فأرجع النسخة إليه ، وترك له الدنانير ، رحمه الله تعالى]^(١)

وهذا القالى منسوب إلى قالة — بالفاء — وهى بلدة بخوزستان قريبة من إينج^(٢) ، أقام بالبصرة مدة طويلة ، وسمع بها من أبى عمرو بن عبد الواحد الهاشمى [وأبى الحسن بن النجار]^(٣) وشيوخ ذلك الوقت ، وقدم بغداد واستوطنها وحدث بها .

وأما جده سَلَك فهو بفتح السين المهملة وتشديد اللام وفتحها وبعدها كاف ، هكذا وجدته مقيداً ، ورأيت فى موضع آخر بكسر السين وسكون اللام ، والله أعلم وملح الشريف المرتضى وفضائله كثيرة وكانت ولادته فى سنة خمس وخمسين وثلثمائة .

وتوفى يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلثين وأربعمائة ، ببغداد ، ودفن فى داره عشية ذلك النهار ، رحمه الله تعالى ! . وكانت وفاة أبى الحسن القالى المذكور فى ذى القعدة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، ليلة الجمعة ثامن الشهر المذكور ، ودفن فى مقبرة جامع المنصور ، وكان أديباً شاعراً .

روى عنه الخطيب أبو بكر صاحب تاريخ بغداد ، وأبو الحسن الطيورى ، وغيرهما ، رحمه الله تعالى !

(١) هذه الزيادة لا توجد فى ا

(٢) قال ياقوت : « إينج — بالنال معجمة مفتوحة وجيم — كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان ، وهى أجل مدن هذه الكورة ، وسلطانها يقوم بنفسه ، وهى فى وسط الجبال ، يقع بها ثلج كثير يحمل إلى الأهواز ... وقنطرة إينج من عجائب الدنيا » ه .

(٣) هذه الزيادة ساقطة من ا

(٤١٧)

أبو الحسن
على بن الحسن
الموصلى
المصرى
الشافعى
الخلعى

أبو الحسن على بن الحسن بن الحسين بن محمد القاضى ، المعروف بالخلعى ، الموصلى
الأصل ، المصرى الدار ، الشافعى ، صاحب الخلعات المنسوبة إليه

سمع أبا الحسن الخوفى وأبا محمد بن النحاس وأبا الفتح العداس وأبا سعد
المالبنى وأبا القاسم الأهوازى وغيرهم .

قال القاضى عياض اليحصبي : سألت أبا على الصدقى عنه - وكان قدلقه لما
رحل إلى البلاد الشرقية - فقال : فقيه له تواليف حسنة ، ولى القضاء ، وقضى
يوما واحداً ، واستعفى ، وانزوى بالقرافة الصغرى ، وكان مسند مصر بعد الجبال
وذكره القاضى أبو بكر بن العربى فقال : شيخ معتزل فى القرافة ، له علو
فى الرواية ، وعنده فوائد ، وقد حدث عنه الحميدى ، وكنى عنه بالقرافى

وقال غيره : ولى الخلعى قضاء فامية ، وخرَّجَ له أبو نصر أحمد بن الحسين
الشيرازى أجزاء من مسموعاته ، آخر من رواها عنه أبو رفاعة ، ونقلت منها عن
الأصمعى ، قال : كان نقش خاتم أبى عمرو بن العلاء

وإن امرأ دنياه أكبر همِّه لمستمسكٌ منها بجبلٍ غرُورٍ
فسألته عن ذلك فقال : كنت فى ضيَعَتى نصف النهار أدور فيها ، فسمعت قائلاً
يقول هذا البيت ، ونظرت فلم أر أحداً ، فكتبت به على خاتمى .

قال أبو العباس ثعلب : هذا البيت لهائى بن توبة بن سحيم بن مرة ، المعروف
بالشويعر الحنفى .

وقال الحافظ أبوطاهر السَّافى : كان أبو الحسن الخلعى إذا سُمِعَ عليه الحديث
يحتج مجالس بهذا الدعاء : اللهم ما مننت به فتممه ، وما أنعمت به فلا تسلبه ،
وما سترته فلا تهتكه ، وما علمته فاغفره .

وكانت ولادة الخلعى فى المحرم سنة خمس وأربعمائة بمصر .

وتوفى بها في ثامن عشر ذى الحجة ، يوم السبت سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة ، وقيل : في السادس والعشرين من الشهر المذكور

وتوفى أبوه في شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، رحمهما الله تعالى ! .

واخلعى — بكسر الخاء المعجمة ، وفتح اللام ، وبعدها عين مهملة — هذه النسبة إلى اخلع ، ونسب إليها أبو الحسن المذكور لأنه كان يبيع بمصر اخلع لأملاك مصر ، فاشتهر بذلك وعرف به .

وأما القرافة — بفتح القاف والراء المخففة ، وبعد الألف فاء — فهم اقرافتان كبرى وصغرى ، فالكبرى منهما ظاهر مصر ، والصغرى ظاهر القاهرة ، وبها قبر الامام الشافعى ، رضى الله عنه .

وبنو قرافة : فخذ من المعافر بن يعفر ، نزلوا هذين المسكانين ففسبا إليهم . وقامية : بالفاء ، وبعد الألف ميم مكسورة ، وبعدها ياء مشددة من تحتها ، ثم هاء ، وقد يزداد فيها الألف فيقال : أقامية ، وهى قلعة ورستاق من أعمال حلب .

(٤١٨)

أبو الحسن علي بن محمد الشابشتى الكاتب

أبو الحسن
علي بن محمد
الشابشتى
الكاتب

كان أديباً فاضلاً ، تعلق بخدمة العزيز بن المعز العيىدى صاحب مصر ، فولاه أمر خزانة كتبه ، وجعله دفتر خوان يقرأ له الكتب ويحاسبه ويناديه ، وكان حلواً للمحاورة ، لطيف المعاشرة ، وله مصنفات حسنة ، منها : كتاب «الديارات» ، ذكر فيها كل دىر بالعراق والموصل والشام والجزيرة والديار المصرية وجميع الأشعار المقتولة فى كل دىر ، وما جرى فيه ، وهو على أسلوب الديارات للخالدين وأبى الفرج الأصبهاني ، مع أن هذه الديارات قد جمع فيها تواليف

كثيرة ، وله كتاب « اليسر بعد العسر » وكتاب « مراتب الفقهاء » وكتاب « التوقيف والتخويف » وله مكاتبات ومراسلات مضمنة شعراً وحكماً ، وغير ذلك من المصنفات في الأدب وغيره .

وتوفي سنة تسعين وثلثمائة ، وقال الأمير المختار المعروف بالمسبجي : توفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وزاد غيره فقال : ليلة الثلاثاء منتصف صفر ، رحمه الله تعالى ! وكانت وفاته بمصر .

والشَّابُشْتِي - بفتح الشين المعجمة ، وبعد الألف باء موحدة مضمومة ، ثم شين معجمة ساكنة ، وبعدها ثاء مثناة من فوقها - كشفت عن هذه النسبة كثيراً فلم أعرفها ، ثم بعد سنين وجدت في كتاب التاجي تصنيف أبي إسحاق الصابئي أن الشَّابُشْتِي حاجب وشمكير بن زيار الديلمي ، قتل في سنة ست وعشرين وثلثمائة بالقرب من أصبهان .

قلت : وهذا اسم ديلمى يشبه النسبة ، وليس بنسبة ، ويحتمل أن يكون صاحب هذه الترجمة منسوباً إليه ، بأن يكون أحد أجداده فنسب إليه ، وبقي النسب على أولاده كذلك .

وهذا وشمكير هو والد الأمير قابوس الآتي ذكره .

(٤١٩)

أبو الحسن علي بن محمد بن خلف ، المعافري ، القروي ، المعروف بابن القابسي
 أبو الحسن
 علي بن محمد
 المعافري
 القروي
 كان إماماً في علم الحديث ومتوناً وأسانيده وجميع ما يتعلق به ، وكان للناس فيه اعتقاد كثير ، وصنف في الحديث كتاب « الملخص » جمع فيه ما اتصل بإسناده من حديث مالك بن أنس ، رضي الله عنه ! في كتاب الموطأ رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المصري ، وهو على صغر حجمه جيد في بابيه .

وكانت ولادة أبي الحسن المذكور في يوم الاثنين لست مضين من رجب سنة أربع وعشرين وثلثمائة، ورحل إلى المشرق يوم السبت لعشر مضين من شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، وحبج سنة ثلاث وخمسين، وسمع كتاب البخارى بمكة من أبي زيد، ورجع إلى القيروان فوصلها غداة الأربعاء أول شعبان أو ثانيه سنة سبع وخمسين، كذا قاله أبو عبد الله مالك بن وهب^(١)، وذكر الحافظ السلفى فى معجم السفر أن شخصاً قال فى مجلس القابسى وهو بالقيروان : ما أقصر المتنبي فى معنى قوله [من المتقارب] :

يُرَاد من القلب نِسِيَانُكُمْ وتَأبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَاقِلِ

فقال له : يامسكين ، أين أنت من قوله تعالى (لا تبدل خلق الله ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .

وتوفى ليلة الأربعاء ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن يوم الأربعاء وقت العصر بالقيروان ، وبات عند قبره من الناس خلق كثير ، وضربت الأخبية ، وأقبل الشعراء بالمرأى ، رحمه الله تعالى ! .

ولما طعن فى السن كان كثيراً ما ينشد قول زهير بن أبى سلمى المزنى [من الطويل] :

سَمِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ ، وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالِكَ يَسَامٍ
وَالْقَابِسَى - بفتح القاف ، وبعد الألف باء موحدة مكسورة ، ثم سين مهملة —
هذه النسبة إلى قابس ، وهى مدينة بأفريقية بالقرب من المهدية ، ولما فتحها
الأمير نعيم بن المعز بن باديس المتقدم ذكره قال ابن محمد خطيب سوسة قصيدة
طويلة أولها [من الكامل] :

ضحك الزمانُ وكان يُدعى عابساً لما فتحت بحدٍّ عزمك قابساً
أنكِحتَها عذراء ما أصدقها إلا قنأً وبواتراً وفوارساً

(١) فى ب « مالك بن وهيب » وما أثبتناه موافق لما فى ا

الله يعلم ما جئت ثمارها إلا وكان أبوك قبلك غارسا
من كان بالسمر العوالى خاطبا أضحت له بيض الحصون عرائسا

(٤٢٠)

أبو القاسم علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن محمد بن
زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي بن إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة
ابن عبد الله بن عباد بن محرز بن سعد بن خزام بن سعد بن مالك بن سعد بن
زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن
عدنان ، المعروف بابن القطاع ، السعدي ، الصقلي المولد ، المصري الدار
والوفاة ، اللغوي

هكذا وجدت هذا النسب بخطي في مسوداتي ، وما أعلم من أين نقلته ،
والمنقول من خطه ، أنه علي بن جعفر بن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسين ،
الشمري السعدي ، أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، والله أعلم .
كان أحد أئمة الأدب ، خصوصاً اللغة ، وله تصانيف نافعة ، منها كتاب
«الأفعال» أحسن فيه كل إحسان ، وهو أجود من الأفعال لابن القوطية وإن
كان ذلك قد سبقه إليه ، وله كتاب «أبنية الأسماء» جمع فيه فأوعى ، وفيه دلالة
على كثرة اطلاعه ، وله عروض حسن جيد ، وكتاب «الدرة الخطيرة» في الاختار
من [شعر] شعراء الجزيرة « وكتاب «لمح الملح» جمع فيه خلقاً من شعراء الأندلس
وكانت ولادته في العاشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة بصقلية ، وقرأ
الأدب على فضلائها كابن البر اللغوي وأمثاله ، وأجاد في النحو غاية الاجادة ،
ورحل عن صقلية لما أشرف على تملكها الفرنج ، ووصل إلى مصر في حدود سنة

خمسائة ، وبالغ أهل مصر في إكرامه وكان ينسب إلى التساهل في الرواية ،
ونظم الشعر في سنة ست وأربعين ، ومن شعره في ألثغ [من المنسرح] :
وشادين في لسانه عقدٌ حلت عقودي وأوهنت جلدِي
عابوه جهلاً بها فقلت لهم أما سمعتم بالنفث في العقدِ
وله من قصيدة [من الطويل] :
فلا تُنفِدينَّ العمر في طاب الصبا ولا تشقينَّ يوماً بسعدى ولا نُفْ
ولا تندبنَّ أطلال مية باللوى ولا تسفحنَّ ماء الشؤون على رسم
فان قُصارى المرء إدراكُ حاجةٍ وتبقى مذماتُ الأحاديث والاثم
ومن شعره في غلام اسمه حمزة [من مخلع البسيط] :

يامن رمى النار في فؤادى وأنبطَّ العين بالبكاء
اسمك تصحيفه بقلبي وفي ثناياك بُرء دأى (١)
ارددْ سلامى فانَّ نفسى لم يبق منها سوى الذماء (٢)
وارفقْ بصب أنى ذليلاً قد مزجَ اليأس بالرجاء
أنهكه في الهوى التجبُّنى فصار في رقة الهواء
وله شعر كثير .

وتوفى بمصر في صفر سنة خمس عشرة وخمسة ، رحمه الله تعالى ! .
وقد تقدم الكلام على السعدى والصقلى .

(١) تصحيفة : يريد تصحيف حمزة ، وتصحيفه حمزة ، يعنى نار الهوى

(٢) الذماء - بفتح الذال المعجمة ، بزنة السحاب - بقية النفس ، ووقع فى ا ، ب
« الذماء » بالذال مهملة ، وما أظنه إلا تحريف ما أُنبتناه

(٤٢١)

أبو محمد علي بن
أحمد بن حزم
الظاهري

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان
ابن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب
ابن أمية بن عبد شمس الأموي

وجده يزيد أول من أسلم من أجداده ، وأصله من فارس ، وجده خلف أول
من دخل الأندلس من آبائه .

ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس يوم الأربعاء قبل طلوع الشمس سلخ
شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلثمائة في الجانب الشرقى منها .

وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه ، مستنبطاً للأحكام من الكتاب
والسنة بعد أن كان شافعي المذهب ، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر ، وكان متفناً
في علوم جمّة ، عاملاً بعلمه ، زاهداً في الدنيا بعد الرياسة التي كانت له ولأبيه [من قبله]
في الوزارة وتدبير الملك ، متواضعاً ذا فضائل جمّة ، وتوالت كتب كثيرة ، وجمع من
الكتب في علوم الحديث والمصنفات والمسندات شيئاً كثيراً ، وسمع سمعاً جماً
وألف في فقه الحديث كتاباً سماه «الإيصال» ، إلى فهم الخصال الجامعة لجل
شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام والسنة والاجماع «أورد فيه أقوال
الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، رضى الله عنهم أجمعين ! في
مسائل الفقه ، والحجة لكل طائفة وعليها ، وهو كتاب كبير ، وله كتاب
«الأحكام» ، لأصول الأحكام «في غاية التقصى وإيراد الحجج» ، وكتاب «الفصل
في الملل والأهواء والنحل» وكتاب في الاجماع ومسائله على أبواب الفقه ،
وكتاب في مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض ، وكتاب «إظهار
تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل ، وبيان تناقض ما بأيديهم من ذلك
مما لا يحتمل التأويل» وهذا معنى لم يسبق إليه ، وكتاب «التقريب بحمد المنطق ،
والمدخل إليه بالألفاظ العامة والأمثلة الفقهية» فانه سلك في بيانه وإزالة

سوء الظن عنه وتكذيب المخرقين به^(١) طريقة لم يسلكها أحد قبله ، وكان شيخه في المنطق محمد بن الحسن المذحجي القرطبي المعروف بابن الكناني ، وكان أديبا شاعرا طبيبا له في الطب رسائل ، وكتب في الأدب ، ومات بعد الأربعمائة ، ذكر ذلك ابن ماكولا في كتاب «الأكمال» في باب الكناني ، نقلا عن الحافظ أبي عبد الله الحميدي ، وله كتاب صغير سماه «نقط العروس» جمع فيه كل غريبة ونادرة ، وهو مفيد جدا .

وقال ابن بشكوال في حقه : كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم [أهل] الاسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار ، أخبر ولده أبو رافع الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تأليفه نحو أربعمائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة وقال الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي : ما رأينا مثله فيما اجتمع له من الذكاء وسرعة الحفظ وكرم النفس والتدين ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، ثم قال : أنشدني لنفسه [من الوافر] :

لئن أصبحت مرتحلا بجسمى فروحي عندكم أبداً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى له سأل المعاينة الكلام
وله أيضاً في المعنى [من الوافر] :

يقول أخى شجاء رحيلُ جسمٍ ورؤحك ماله عنا رحيلُ
فقلت له : المعانين مطمئن إذا طلب المعاينة الخليلُ
ومن شعره أيضاً [من الطويل] :

وذى عدلٍ فيمن سباني حُسْنُهُ يُطيل ملامى في الهوى ويقول
أفى حُسْن وجهٍ لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسمُ أنت قتيل

(١) هكذا في ب ، ووقع في ا «المنحرفين به» وأحسب ذلك كله محرفاً عن «المخرقين به» وتقول : مخرق فلان - بوزن دحرج - أى موه وكذب

فقلتُ له أُسْرِفْتُ في اللوم ظالماً وعندي ردّ لو أردت طويلاً
ألم تر أنّي ظاهريّ وأنّي على مابداً حتى يقوم دليلٌ
وروى له الحافظ الحميدى أيضاً [من الوافر]:
أقمنا ساعة ثم ارتحلنا وما يغنى المشوق وقوف ساعة
كأنّ الشمل لم يك ذا اجتماع إذا ما شدّت البينُ اجتماعه
وقال الحميدى أيضاً: أنشدني أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، يعنى المذكور،
لعبد الملك بن جهور [من الكامل]:

إن كنتِ الأبدان بائنةً فنفوسُ أهل الظرف تأتلفُ^(١)
ياربُّ مفترّقين قد جمعتُ قَلْبَيْهِمَا الأَقْلَامُ والصُّحُفُ

وكانت بينه وبين أبي الوليد سليمان الباجي المذكور في حرف السين مناظرات
وما جريات يطول شرحها ، وكان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين ، لا يكاد يسلم
أحد من لسانه ، فنفرت عنه القلوب ، واستهدف لفقهاء وقته ، فمالؤا على بغضه ،
وردوا قوله ، وأجمعوا على تضليله ، وشنعوا عليه ، وحذروا سلاطينهم من
فتنته ، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه ، فأقصته الملوك ، وشردته عن
بلاده ، حتى انتهى إلى بادية لبلة فتوفى بها آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من
شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة ، وقيل : إنه توفى في منّة ليثم ، وهى
قرية ابن حزم المذكور ، رحمه الله تعالى !

[وكانت ولادته بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس يوم الأربعاء سلخ
شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ، قاله ابن صاعد]^(٢).

وفيه قال أبو العباس بن العريف المقدم ذكره : كان لسان ابن حزم وسيف
الحجاج بن يوسف الثقفى شقيقين ، وإنما قال ذلك لكثرة وقوعه فى الأئمة .
وكانت وفاة والده أبى عمر أحمد فى ذى القعدة سنة اثنتين وأربعمائة ، وكان

(١) فى ١ « إن كنتِ الأبدان بائنة » (٢) هذه الزيادة ساقطة من ١

وزير الدولة العاصرية ، وهو من أهل العلم والأدب والخير والبلاغة ، وقال ولده أبو محمد المذكور: أنشدني والدي الوزير في بعض وصاياه إلى رحمه الله تعالى [من الطويل] إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تسكن على حالة إلا رضيت بدونها
وذكر الحميدى فى كتاب « جذوة المقتبس » أن الوزير المذكور كان جالساً بين يدى مخدومه المنصور أبى عامر محمد بن أبى عامر فى بعض مجالسه العامة ، فرفعت إليه رقعة استعطاف لأم رجل مسجون كان المنصور اعتقله حنقا عليه لجرم استعظمه منه ، فلما قرأها اشتد غضبه ، وقال : ذكرتنى والله به ، وأخذ القلم وأراد أن يكتب « يصلب » فكتب « يطلق » ورمى الورقة إلى وزيره المذكور ، وأخذ الوزير القلم وتناول الورقة وجعل يكتب بمقتضى التوقيع إلى صاحب الشرطة ، فقال له المنصور : ما هذا الذى تكتب ؟ قال : بإطلاق فلان إلى صاحب الشرطة فحرد^(١) ، وقال : من أمرك بهذا ؟ فناوله التوقيع ، فلما رآه قال : وهمت ، والله ليصلبن ثم خط على التوقيع ، وأراد أن يكتب يصلب فكتب يطلق ، فأخذ الوزير الورقة ، وأراد أن يكتب إلى الوالى بالاطلاق ، فنظر إليه المنصور ، وغضب أشد من الأول ، وقال : من أمرك بهذا ؟ فناوله الوزير التوقيع ، فرأى خطه ، فخط عليه ، وأراد أن يكتب يصلب فكتب يطلق ، فأخذ [الوزير] التوقيع وشرع فى الكتابة إلى الوالى ، فرآه المنصور فأفكر أكثر من المرتين الأولىين ، فأراه خطه بالاطلاق ، فلما رآه عجب من ذلك ، وقال : نعم يطلق على رغى ، فمن أراد الله إطلاقه لا أقدر أنا على منعه .

وكان لأبى محمد المذكور ولد نبيه سرى فاضل يقال له أبو رافع الفضل بن أبى محمد على ، وكان فى خدمة المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية وغيرهما من بلاد الأندلس وكان المعتمد قد غضب على عمه أبى طالب عبد الجبار بن محمد بن إسماعيل بن عباد وهم بقتله لأمر رابه منه ، فاستحضر وزراءه وقال لهم : من يعرف منكم فى الخلفاء

وملوك الطوائف مَنْ قُتِلَ عَمَهُ عِنْدَ مَا هُمْ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ؟ فَتَقَدَّمَ أَبُو رَافِعٍ الْمَذْكُورُ، وَقَالَ:
مَا نَعْرِفُ أَيْدِكَ اللَّهُ إِلَّا مَنْ عَفَا عَنْ عَمِهِ بَعْدَ قِيَامِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ
عَمُ الْمُتَمُومُونَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ، فَقَبَّلَهُ الْمُعْتَمِدُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَشَكَرَهُ، ثُمَّ أَحْضَرَ عَمَهُ
وَبَسَطَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَقُتِلَ أَبُو رَافِعٍ الْمَذْكُورُ فِي وَقْعَةِ الزَّلَاقَةِ [مَعَ مَخْدُومِهِ الْمُعْتَمِدِ]
فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنتَصَفِ رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَقَدْ اسْتَوْفِيَتْ خَبَرُ هَذِهِ
الْوَاقِعَةِ فِي تَرْجُمَةِ يُوسُفَ بْنِ تَاشَفِينَ فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ
فِي هَذَا السِّكِّتَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلَبَّلَةُ — بَفَتْحِ اللَّامِينِ، وَبَيْنَهُمَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ سَاكِنَةٌ، وَفِي الْآخِرِ هَاءٌ
سَاكِنَةٌ (١) — بِلَدَةِ الْأَنْدَلُسِ.

وَمَنْتَ لَيْشَمَ — بَفَتْحِ الْمِيمِ، وَسُكُونِ النُّونِ، وَفَتْحِ التَّاءِ الْمُثَنَّى مِنْ فَوْقِهَا،
وَكُسْرِ اللَّامِ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثَنَّى مِنْ تَحْتِهَا، وَفَتْحِ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ، وَفِي آخِرِهَا مِيمٌ —
وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ لَبَّلَةِ كَانَتْ مَلِكُ ابْنِ حَزْمٍ الْمَذْكُورِ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(٤٢٢)

الحافظ أبو الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سيده، المرسي

أبو الحسن علي
ابن إسماعيل
ابن سيده
الغوى

كَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَةِ وَالْعَرَبِيَّةِ، حَافِظًا لَهَا، وَقَدْ جَمَعَ فِي ذَلِكَ جُمُوعًا، مِنْ ذَلِكَ
كِتَابُ «الْمَحْكَمِ» فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ كِتَابٌ كَبِيرٌ جَامِعٌ مُشْتَمِلٌ عَلَى أَنْوَاعِ اللُّغَةِ، وَلَهُ
كِتَابُ «الْمَخْصَصِ» فِي اللُّغَةِ أَيْضًا، وَهُوَ كَبِيرٌ، وَكِتَابُ «الْأَنِيقِ» فِي شَرْحِ
الْخَمَاسَةِ فِي سِتِّ مَجْلَدَاتٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَصْنُفَاتِ النَّافِعَةِ، وَكَانَ ضَرِيرًا، وَأَبُوهُ
ضَرِيرًا أَيْضًا (٢)، وَكَانَ أَبُوهُ قِيمًا يَعْلَمُ اللُّغَةَ، وَعَلَيْهِ اشْتَغَلَ وَلَدُهُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ، ثُمَّ عَلَى

(١) انظر الهامشة رقم ١ في ص ١٨ الآتية.

(٢) في ١ «وأبوه ضَرِيرٌ أَيْضًا» وكلاهما صواب.

أبي العلاء صاعد البغدادي المقدم ذكره ، وقرأ أيضاً على أبي عمر الطَّلَمَنْكى ، قال الطَّلَمَنْكى : دخلت مُرْسِيَةَ فَنَشِبْتُ بِي أَهْلَهَا يَسْمَعُونَ عَلَى غَرِيبِ الْمَصْنَفِ ، فقلت لهم : انظروا إلى من يقرأ لكم وأمسك أنا كتابي ، فأتوني برجل أعْمى يعرف بابن سيده ، فقرأه على من أوله إلى آخره ، فتمعجيت من حفظه ، وكان له في الشعر حظ وتصرف .

وتوفي بحضرة دَانِيَّةَ عَشِيَّةَ يَوْمِ الْاِحْدِ لَأَرْبَعِ بَقِيْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْاِخْرِ ، سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَعَمْرُهُ سِتُونَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا . وَرَأَيْتُ عَلَى ظَهْرِ مَجْلَدٍ مِنَ الْحَكَمِ بِخَطِ بَعْضِ فَضْلَاءِ الْاَنْدَلُسِ أَنَّ ابْنَ سَيِّدِهِ الْمَذْكُورَ كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ صَاحِحًا سَوِيًّا إِلَى وَقْتِ صَلَاةِ الْمَغْرَبِ ، فَدَخَلَ الْمُتَوَضَّأَ ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ وَقَدْ سَقَطَ لِسَانُهُ وَانْقَطَعَ كَلَامُهُ ، فَبَقِيَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ إِلَى الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْاِحْدِ الْمَذْكُورِ ، ثُمَّ تَوَفَّى ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى ! وَقِيلَ : سَنَةُ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ ، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ وَأَشْهُرُ . وَسَيِّدُهُ : بَكْسَرُ السَّيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، وَسَكُونُ الْيَاءِ الْمُثْنَاةِ مِنْ تَحْتِهَا ، وَفَتْحُ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، وَبَعْدَهَا هَاءٌ سَاكِنَةٌ ^(١) .

والمُرْسِيَّةُ — بضم الميم ، وسكون الراء ، وبعدها سين مهملة — هذه النسبة إلى مُرْسِيَّةَ ، وهى مدينة فى شرق الأندلس .

وَالطَّلَمَنْكى — بفتح الطاء المهملة واللام والميم ، وسكون النون ، وبعدها كاف — هذه النسبة إلى طَلَمَنْكىة ، وهى مدينة فى غرب الأندلس .

ودَانِيَّةُ — بفتح الدال المهملة ، وبعدها ألف نون مكسورة ، ثم ياء مثناة من تحتها مفتوحة ، وبعدها هاء ساكنة — وهى مدينة فى شرق الأندلس أيضاً ، والله أعلم .

(١) اشتهرت قراءة هذا الاسم بالهاء الساكنة ، ولعل أصل هذه الشهرة عبارة ابن خلكان هذه ، وأعتقد أن مراده بالهاء الساكنة التاء المربوطة ، فقد كثر ذلك فى كلامه ، وتنبه إلى ضبط دانية فى نفس هذه الصفحة وضبط طنجة فى (ص ٢١) وضبط لبلة فى (ص ١٧) السابقة

(٤٢٣)

أبو الحسن علي بن عبد الغنى ، الفهرى ، المقرى ، الضرير ، الحصرى ، القيروانى
ابن عبد الغنى
القيروانى
الحصرى
الشاعر المشهور

قال ابن بسام صاحب الذخيرة فى حقه : كان بحراً براعة ^(١) ، ورأس صناعة ، وزعيم جماعة ، طراً على جزيرة الأندلس منتصف المائة الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه من القيروان ، والأدب يومئذ بأفقنافاق السوق ، معمور الطريق ، فتهادته ملوك طوائفها تهادى الرياض بالنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار بالأنس المقيم ، على أنه كان فيما بلغنى ضيق العطن ، مشهور السن ، يتلفت إلى الهجاء ، تلفت الظمان إلى الماء ، ولكنه طوى على غره ^(٢) ، واحتمل بين زمانه وبعد قطره ، ولما خلع ملوك الطوائف بأفقنا اشتملت عليه مدينة طنجة ، وقد ضاق ذرعه ، وتراجع طبعه .

قلت : وهذا أبو الحسن ابن خالة أبى إسحاق الحصرى صاحب « زهر الآداب » وذكره ابن بشكوال فى كتاب « الصلة » والحميدى أيضاً ، وقال : كان عالماً بالقرآت وطرقها ، وأقرأ الناس القرآن الكريم بسبته وغيرها ، وله قصيدة نظمها فى قرآت نافع عدد أبياتها مائتان وتسعة ، وله ديوان شعر ، فمن قصائده السائرة القصيدة التى أولها [من المتدارك] :

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة مو غده
رقد السمار فارقه أسف للبين يردده

وهى مشهورة فلا حاجة إلى إيرادها .

وقد وازنها صاحبنا الفقيه نجم الدين موسى بن محمد بن موسى بن أحمد بن عيسى الكنانى أبو الفضائل المعروف بالقمرأوى رحمه الله تعالى بأبيات من جملتها [من المتدارك] :

(١) فى « بحر بلاغة » (٢) كذا فى ١ ، ب . وأحسبه « على غره »

قد ملّ مريضك عودُهُ ورثى لأسيرك حسدُهُ
لم يُبقَ جفّاك سوى نفسٍ زفّراتُ الشوقِ تُصعّدُهُ
هاروتُ يُعنّينُ فن السحر إلى عينيك ويُسنّده
وإذا أغمدت اللحظ فتكست فكيف وأنت تجرّده
كم سهل خدك وجه رضا والحاجبُ منك يُعقّده
ما أشركَ فيك القلبُ فكم في نار الهجر تُخلّده

ومن شعر الحصرى أيضاً [من الوافر] :

أقول له وقد حياً بكاسٍ لها من مسكٍ ريقته ختامُ
أمن خديك يُعصرُ قال كلا متى عُصرتَ من الورد المدامُ

ولما كان مقيماً بمدينة طنجة أرسل غلامه إلى المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية واسمها في بلادهم حمص ، فأبطأ عنه ، وبلغه أن المعتمد ما احتفل به ، فعمل [من مجزوء الرمل] :

نبه الركبَ الهجوعاً ولم الدهر الفجوعاً
رحمُ الجنّة قالت لغلامي لا رجوعاً
رحم الله غلامي مات في الجنّة جوعاً

وقد التزم في هذه الأبيات لزوم ما لا يلزم .

وحكى تاج العلاء أبو زيد المعروف بالنسابة ، قال : حدثني أبو أصبغ نباتة ابن الأصبغ بن زيد بن محمد الحارثي الأندلسي عن جده زيد بن محمد ، قال : بعث المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية إلى أبي العرب الزبيرى خمسمائة دينار ، وأمره أن يتجهز بها ويتوجه إليه ، وكان بجزيرة صقلية ، وهو من أهلها ، وهو أبو العرب مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي الزبيرى الصقلّي الشاعر ، وبعث مثلها إلى أبي الحسن الحصرى ، وهو بالقيروان ، فكتب إليه أبو العرب

[من البسيط] :

لا تعجبَنَّ لرأسى كيف شاب أُمى واعجب لاسودَّ عينٍ كيف لم يشب
البحر للروم لا يجرى السفينُ به إلا على غرَرٍ والبرُّ للعربِ
وكتب له الحصرى [من البسيط] :

أمرتنى برُكوب البحر أقطعهُ غيرى لك الخير فأخصصهُ بهذا الداءِ
ما أنتَ نوحٌ فتنبجنى سفينتهُ ولا المسيح أنا أمشى على الماءِ
ثم دخل الأندلس بعد ذلك ، وامتدح المعتمد وغيره .

وتوفى فى سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، بطنجة ، رحمه الله تعالى !
ومولد القمرأوى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة تقديراً ، وتوفى راجعاً إلى اليمن
فى أواخر صفر سنة إحدى وخمسين وثمانمائة ، على ساحل بحر عيذاب بموضع يقال
له رأس دوائر بين عيذاب وسواكن .

والقمرأوى - بفتح القاف ، وسكون الميم ، وبعد الراء ألف ، ثم واو - هذه
النسبة إلى قراء ، وهى ضيعة بالشام من أعمال صرخد .
والحصرى قد تقدم الكلام عليه فى حرف الهمزة

وطنجة - بفتح الطاء ، وسكون النون ، وفتح الجيم ، وبعد الجيم هاء ساكنة - ^(١)
وهى بلدة بالمغرب ، بينها وبين سبتة مرحلتان من تلك الناحية .

وأما أبو العرب الزبيرى فانه ولد بصقلية سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ،
وخرج منها لما تغلب الروم عليها سنة أربع وستين وأربعمائة قاصداً للمعتمد بن
عباد ، قال ابن الصيرفى : وبلغنى أنه فى سنة سبع وخمسمائة حتى بالأندلس ،
والله أعلم .

(١) ارجع إلى ما كتبناه فى أواخر ترجمة ابن سيده فى (ص ١٨ من هذا الجزء)

(٤٢٤)

أبو الحسن علي بن محمد بن علي ، الحضرمي ، المعروف
بأبن خرووف ، النحوي ، الأندلسي ، الأشبيلي

ابن خرووف
أبو الحسن علي
بن محمد
الأندلسي
الأشبيلي
النحوي

كان فاضلاً في علم العربية ، وله فيها مصنفات شهدت بفضله وسعة علمه ،
شرح كتاب سيبويه شرحاً جيداً ، وشرح أيضاً كتاب « الجمل » لأبي القاسم
الزجاجي ، وما أقصر فيه ، وكان قد تخرج على ابن طاهر النحوي الأندلسي
المعروف بالجدب .

وتوفي سنة عشر وسمائة ، وقيل : إنه توفي سنة تسع وسمائة ، بأشبيلية ، رحمه
الله تعالى !

والحضرمي — بفتح الحاء المهملة ، وسكون الضاد المعجمة ، وفتح الزاء ،
وبعدها ميم — هذه النسبة إلى حضر موت^(١) ، وقد تقدم الكلام عليها .
وخرووف — بفتح الخاء المعجمة — وهو غير ابن خرووف الشاعر ،
وسمّي ذلك إن شاء الله تعالى في رسالته التي كتبها إلى بهاء الدين بن شداد .

(١) قال ياقوت — بعد أن تكلم على اشتقاق هذا الاسم والأصل في التسمية به —
ما نصه : « وحضر موت : ناحية واسعة في شرق عدن ، بقرب البحر ، وحولها
رمال كثيرة تعرف بالأحفاف ... وقال ابن الفقيه : حضر موت مخلاف من اليمن
بينه وبين البحر رمال ، وبينه وبين مخلاف صداء ثلاثون فرسخاً ، وبين حضر موت
وصناء اثنان وسبعون فرسخاً » اه كلامه

(٤٢٥)

أبو الحسن علي بن عيسى بن الفرّج بن صالح الرّبعي ، النّحوي ، البغدادي
المنزل ، الشيرازي الأصل

أبو الحسن
علي بن عيسى
الرّبعي
البغدادي
النّحوي

كان عالماً إماماً في النّحو متقناً له ، شرح كتاب « الايضاح » لأبي علي
الفارسي فأجاد فيه ، اشتغل في بغداد على السيرافي ، ثم خرج إلى شيراز^(١) ، فقراً
على أبي علي الفارسي عشرين سنة ، ثم رجع إلى بغداد .

وقال أبو علي : قولوا لعلي البغدادي لو سرت من الشرق إلى الغرب لم تجد
أنّحي منك ، وقال أبو علي أيضاً لما انفصل عنه : ما بقي له شيء يحتاج أن يسأل عنه
وله عدة تأليف في النّحو ، منها شرح مختصر الجرمي ، وابتغى بالاشتغال عليه
خلق كثير ، وذكره ابن الأنباري في كتاب « طبقات الأدباء » .
وكانت ولادته سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

وتوفي ليلة السبت لعشر بقين من المحرم سنة عشرين وأربعمائة ، ببغداد ،
رحمه الله تعالى !

والرّبعي - بفتح الراء والباء الموحدة ، وبعدها عين مهملة - هذه النسبة
إلى ربيعة ، ولا أدري أهو ربيعة بن نزار أم غيره ، فقد جاءت هذه النسبة
إلى جماعة كل واحد منهم اسمه ربيعة ، والله أعلم .

(١) قال ياقوت : « شيراز - بالسكسر وآخره زاي - بلد عظيم مشهور معروف
مذكور ، وهي قصبة بلاد فارس ... وهي مما استجد عمارتها واختطاطها في الإسلام ،
قيل : أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن عقيل ابن عم الحجاج » اهـ

(٤٢٦)

أبو الحسن علي بن أبي زيد محمد بن علي ، النحوي ،
المعروف بالفصيحى ، الاسترأبادى

أبو الحسن علي
ابن محمد
الفصيحى
النحوى

أخذ النحو عن عبد القاهر الجرجانى صاحب « الجمل الصغرى » وتبحر فيه حتى صار أعرف أهل زمانه به ، وقدم بغداد ، واستوطنها ، ودرس النحو بالمدرسة النظامية ، مدة ، وكان يكتب خطأ فى غاية الصحة ، وكتب كثيراً من كتب الأدب ، وانتفع به خلق كثير ، ومن جملة من أخذ عنه ملك النحاة الحسن ابن صافى ، وقد تقدم ذكره ، وروى عنه الحافظ أبو طاهر السلكى الأصبهانى ، وقال : جالسته ببغداد ، وسألته عن أحرف من العربية ، وقال : أنشدنى لبعض النحاة [من السريعى] :

النحو شؤمٌ كله فاعلموا يذهب بالخير من البيت
خير من النحو وأصحابه ثريدة تعمل بالزيت

وتوفى يوم الأربعاء ثالث عشر ذى الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة ببغداد رحمه الله تعالى !

ولم أعرف نسبته بالفصيحى : إلى كتاب الفصيح لثعلب ، أم إلى شىء آخر ؟
والاسترأبادى - بكسر الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وكسر التاء المثناة من فوقها ، وفتح الراء ، وبعد الألف ياء موحدة مفتوحة ، وبعد الألف الثانية ذال معجمة - هذه النسبة إلى إسترأباد ، وهى بليدة من أعمال مازندران بين سارية وجرجان (١) .

(١) مازندران : هى طبرستان . وسارية - بكسر الراء وفتح الياء مخففة - إحدى كور طبرستان ، بينها وبين البحر ثلاثة فراسخ ، وبين سارية وآمل ثمانية عشر فرسخاً .

(٤٢٧)

أبو الحسن علي بن أبي الحسين عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الملك
ابن إبراهيم السلمي ، الرقي الأصل ، البغدادى المولد والدار
الملقب مذهب الدين ، المعروف بابن القصار^(١) اللغوى

مذهب الدين
ابن القصار
أبو الحسن
علي بن
عبد الرحيم
اللغوى

كان من الأدباء المشاهير ، وحصل له منه أشياء غريبة ، وقرأ الأدب على
الشريف أبي السعادات ابن الشجرى وأبي منصور بن الجوالقي ، وبرع في فنه ،
وأقرأ الناس زمانا ، ورحل إلى مصر ، واجتمع بأبي محمد بن برى ، والموفق بن الحلال
كاتب الانشاء ، وكان عارفا بديوان أبي الطيب المتنبي علماً ورواية ، وقرأه عليه
جمع كثير في العراق والشام ومصر ، وكتب بخطه الكثير من كتب الأدب
وشعر العرب ، ويقع في خطه الغلط مع كثرة ضبطه واحترازه ، وقيل : إنه لم
يكن ذكياً ، ولم يكن في النحو كما هو في اللغة ، وكانت طريقته في الخط حسنة ،
والناس يتنافسون في خطه ويغالون به ، وكان حريصاً على الفوائد وطلبها ،
ويسطرها على كتبه ، ورأيت جماعة ممن لقيه وأخذ عنه .

وكانت ولادته في سنة ثمان وخمسمائة .

وتوفي يوم السبت بعد صلاة الظهر ثالث المحرم ، سنة ست وسبعين وخمسمائة
ببغداد .

ودفن بمقابر الشونيزى^(٢) ببغداد ، رحمه الله تعالى ! يجنب قبر أبيه ، يوم
الأحد .

(١) هكذا في ب ، ووقع في ا « المعروف بابن العصار » بالعين المهملة في
مكان القاف

(٢) في ا ، ب « بمقبرة الشونيزى »

(٤٢٨)

أبو الحسن علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت ، الملقب

مذهب الدين ، المعروف بشميم ، الحلي

كان أديباً فاضلاً ، خبيراً بالنحو واللغة وأشعار العرب ، حسن الشعر ، وكان اشتغاله ببغداد على أبي محمد بن الخشاب وَمَنْ في طبقة من أدباء ذلك الوقت ، ثم سافر إلى ديار بكر والشام ومدح الأكابر وأخذ جوائزهم ، واستوطن الموصل ، وله عدة تصانيف ، وجمع من نظمه كتاباً سماه « الحماسة » رتبه على عشرة أبواب ، وضاهى به كتاب الحماسة لأبي تمام الطائي ، وكان جَمَّ الفضائل (١) إلا أنه كان بذى اللسان ، كثير الوقوع في الناس ، مُسَلِّطاً على ثلث أعراسهم ، ولا يُذِمُّتْ لأحد في الفضل شيئاً ، ذكره أبو البركات بن المستوفي في تاريخ إربل ، وفتح ذكره بأشياء نسبها إليه : من قلة الدين ، وتركه للصلوات المكتوبة ، ومعارضته للقرآن الكريم ، واستهزائه بالناس . وذكر مقاطيع من شعره ، وفي شعره تعسف ، وقال : سئل لم سمي شميماً ، فقال : أقمت مدة آكل كل يوم شيئاً من الطيب ، فإذا وضعته عند قضاء الحاجة شممته فلا أجده رائحة ، فسميت لذلك شميماً .

مذهب الدين
شميم ، أبو الحسن
علي بن الحسن
الحلي

وتوفي ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، سنة إحدى وثمانئة ، بالموصل ، ودفن بمقبرة المعافي بن عمران ، رحمه الله تعالى !
وشميم — بضم الشين المعجمة ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها ميم — وهو من الشم ، والله أعلم .

(٤٢٩)

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد

ابن عبد الغالب ، الهمداني ، المصري ، السخاوي ،

المقري ، النحوي ، الملقب علم الدين

علم الدين
أبو الحسن
علي بن محمد
الهمداني
المصري
السخاوي

كان قد اشتغل بالقاهرة على الشيخ أبي محمد القاسم الشاطبي المقري المذكور في حرف القاف ، وأتقن عليه علم القراءات والنحو واللغة ، وعلى أبي الجود غياث ابن فارس بن مكى المقري ، وسمع بالاسكندرية من السلفي وابن عوف ، وبمصر من البوصيري وابن ياسين ، ثم انتقل إلى مدينة دمشق ، وتقدم بها على علماء فنونه ، واشتهر ، وكان للناس فيه اعتقاد عظيم ، وشرح « المفصل » للزخشرى في أربع مجلدات ، وشرح القصيدة الشاطبية في القراءات ، وكان قد قرأها على ناظمها ، وله خطب وأشعار ، وكان متعينا في وقته ، ورأيته بدمشق والناس يزدهون عليه في الجامع لأجل القراءة ، ولا يصح لواحد منهم نوبة إلا بعد زمان ، ورأيته مراراً يركب بهيمة وهو يصعد إلى جبل الصالحية^(١) وحوله اثنان وثلاثة وكل واحد يقرأ ميعاده في موضع غير الآخر ، والكل في دفعة واحدة ، وهو يرد على الجميع ولم يزل مواظباً على وظيفته إلى أن توفي بدمشق ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وقد نيف على تسعين سنة ، رحمه الله تعالى ! ولما حضرته الوفاة أنشد لنفسه [من السريع] :

قالوا غدا نأتي ديار الحمى	وينزل الركب بمغناهم
وكل من كان مُطيعاً لهم	أصبح مسروراً بلقياهم
قلت : فلي ذنب فما حيلتي	بأى وجه أتلقاهم
قالوا : أليس العفو من شأنهم	لا سيما عن ترجاهم

(١) في « جبل الصالحين » محرفاً

ثم ظفرت بتاريخ مولده فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة بسخا .
والسخاوى — بفتح السين المهمة والحاء المعجمة ، وبعدها ألف — هذه
النسبة إلى سخا ، وهى بليدة بالغربية من أعمال مصر ، وقياسه سَخَوِى ، لكن
الناس أطبقوا على النسبة الأولى :

* * *

(٤٣٠)

أبو الحسن على بن هلال ، المعروف بابن البواب ، الكاتب المشهور
لم يوجد فى المتقدمين ولا المتأخرين من كَتَبَ مثله ، ولا قاربه ، وإن كان
أبو على بن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين ، وأبرزها فى
هذه الصورة ، وله بذلك فضيلة سبق ، وخطه أيضاً فى نهاية الحسن ، لكن
ابن البواب هذب طريقته ونقحها ، وكساها طلاوة وبهجة ، وقيل : إن صاحب
الخط المنسوب ليس أبا على المذكور ، وإنما هو أخوه أبو عبد الله الحسن ، وهو
مذكور فى ترجمة أخيه أبى على المذكور فى الحمدین فليَنظر هناك ، ولما شاهد
أبو عبيد البكرى الأندلسى صاحب التصانيف خط ابن مقلة أنشد [من البسيط] :
خط ابن مقلة من أروع مقلته ودَّت جوارحه لو أصبحت مقلًا^(١)

ابن البواب
أبو الحسن على
ابن هلال
الكاتب

والشكل معترفون لأبى الحسن بالتفرد ، وعلى منواله ينسجون ، وليس فيهم
من يلحق شأوه ، ولا يدعى ذلك ، مع أن فى الخلق من يدعى مالميس فيه ، ومع
هذا فما رأينا ولا سمعنا أن أحداً ادعى ذلك ، بل الجميع أقروا له بالسابقة وعدم
المشاركة ، ويقال له « ابن السرى » أيضاً ، لأن أباه كان بواباً ، والبواب ملازم
ستر الباب ، فلهذا نسب إليه .

(١) فى « ودت جوارحه » وما أثبتناه عن ب أصح

وَكَانَ شَيْخُهُ فِي الْكِتَابَةِ ابْنُ أَسَدٍ السَّكَّاتِبِ ، وَهُوَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَدِ
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَعِيدِ الْقَارِي السَّكَّاتِبِ الْبَزَازِ الْبَغْدَادِيُّ ، سَمِعَ أَبَا بَكْرَ أَحْمَدَ بْنَ سُلَيْمَانَ
النَّجَادَ وَعَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ الزُّبَيْرِ السَّكَّاتِبِ وَجَعْفَرَ الْخَلْدِيَّ وَعَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ الْحُسَيْنِ
السَّقَطِيَّ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ ، وَكَانَ صَدُوقًا ، مَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَدٍ فِي يَوْمِ
الْأَحَدِ لِلْيَلْتَيْنِ خَلْتَا مِنَ الْحَرَمِ سَنَةَ عَشْرٍ وَأَرْبَعِينَ ، وَدُفِنَ بِالشُّونِيزِيِّ .
وَتُوفِيَ ابْنُ الْبَوَابِ يَوْمَ الْخَمِيسِ ثَانِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ ،
وَقِيلَ : ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعِينَ ، بِبَغْدَادٍ ، وَدُفِنَ جِوَارَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ،
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! .

وَأَنْشَدَنِي بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بَيِّنِينَ ذَكَرْنَاهُ رَثِي بِهِمَا^(١) ابْنُ الْبَوَابِ وَهَذَا [مِنْ الْكَامِلِ] :
اسْتَشْعَرَ الْكِتَابُ فَقَدْكَ سَالِفًا وَقَضَتْ بِصَحَّةِ ذَلِكَ الْأَيَّامُ
فَلَذَاكَ سُودَتْ الدُّوَى كَأَبَّةً أَسْفًا عَلَيْكَ وَشَقَّتِ الْأَقْلَامُ
وَهَذَا مَعْنَى حَسَنِ جَدًّا .

وَسَأَلَنِي بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بِمَدِينَةِ حَلَبٍ عَنْ قَوْلِ بَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ جُمْلَةِ أَيْبَاتٍ
فِي صِفَةِ كِتَابٍ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
كِتَابٌ كَوْشَى الرُّوضَ خَطَّتْ سَطُورُهُ يَدُ ابْنِ هَلَالٍ عَنْ فَمِ ابْنِ هَلَالٍ
فَقُلْتُ لَهُ : هَذَا يَقُولُ إِنْ خَطَّهُ فِي الْحُسْنِ مِثْلَ خَطِّ ابْنِ الْبَوَابِ ، وَفِي بَلَاغَةِ
الْفَاظِ مِثْلَ رِسَائِلِ الصَّابِيِّ ، لِأَنَّهُ ابْنُ هَلَالٍ أَيْضًا ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَتِهِ ، ثُمَّ سَأَلْتُ
الْفَقِيهَ الْمَذْكُورَ عَنْ بَقِيَّةِ الْأَيْبَاتِ الَّتِي مِنْهَا هَذَا الْبَيْتُ ، فَأَنْشَدَنِيهَا ، وَهِيَ :

وَلَمَّا أَتَى مِنْكَ الْكِتَابُ الَّذِي حَوَى قَلَانِدَ سَحْرِ الْبَيَانِ حَلَالٍ
وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ مِنَ الْفَضْلِ أَهْلٍ وَقُوفِي بِرَبْعٍ لِلْأُجْبَةِ خَالٍ
أَرْقُوقُ مِنْ دَمْعِي وَأَدْمِنُ لِمَهْ وَأَسْأَلُ أَطْلَالَ تَجِيبُ سَوْأَلِي
وَهَمْتُ بِهِ حَتَّى تَوَهَّمْتُ لَفْظَهُ نَجُومَ لِيَالٍ أَمْ مُحُوطَ لَآلِي

(١) فِي « ذَكَرَ أَنْهَمَا رَثِي بِهِمَا ابْنُ الْبَوَابِ »

كتاب كوشى الروض خَطَّتْ سطورَه يد ابن هلال عن فم ابن هلال
ومما يتعلق بالكتابة أن أول من خط بالعربي إسماعيل عليه السلام، والصحيح
عند أهل العلم أنه مرامر بن مروة من أهل الأنبار، وقيل : إنه من بنى مرة، ومن
الأنبار انتشرت الكتابة في الناس، قال الأصمعي : ذكروا أن قريشاً سئلوا :
من أين لكم الكتابة ؟ فقالوا : من الحيرة، وقيل لأهل الحيرة : من أين لكم
الكتابة ؟ فقالوا : من الأنبار، وروى ابن الكلبي والهيثم بن عدي أن الناقل
لهذه الكتابة من الحيرة إلى الحجاز هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف
القرشي الأموي، وكان قدم الحيرة فعاد إلى مكة بهذه الكتابة، وقالوا : قيل
لأبي سفيان بن حرب : ممن أخذ أبوك هذه الكتابة ؟ فقال : من أسلم بن سدره
وقال : سألت أسلم : ممن أخذت هذه الكتابة ؟ فقال : من واضعها مرامر بن مروة^(١)،
فحدث هذه الكتابة قبل الاسلام بقليل، وكان لحمير كتابة تسمى المسند،
وحروفها منفصلة غير متصلة وكانوا يمنعون العامة من تعلمها، فلا يتعاطاها أحد إلا باذنهم،
فجاءت ملة الاسلام وليس بجميع اليمن من يقرأ ويكتب، وجميع كتابات الأمم
من سكان الشرق والغرب اثنتا عشرة كتابة، وهي : العربية، والحميرية،
واليونانية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، والقبطية، والبربرية،
والأندلسية، والهندية، والصينية، فخمس منها اضمحلت وبطل استعمالها وذهب
من يعرفها، وهي : الحميرية، واليونانية، والقبطية، والبربرية، والأندلسية،
وثلاث قد بقي استعمالها في بلادها وُعِدِم من يعرفها في بلاد الاسلام، وهي :
الرومية، والهندية، والصينية، وحصلت أربعة هي مستعملات في بلاد الاسلام،
وهي : العربية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية.

(١) في ١، ب هنا « مرامر بن مرة » مع اتفاقهما على « مرامر بن مروة »

في المرة الأولى

(٤٣١)

أبو الحسن علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة ،

الهكاري ، الملقب شيخ الاسلام

هو من ولد عُقْبَةَ بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، وكان كثير الخير والعبادة ، وطاف البلاد ، واجتمع بالعلماء والمشايخ ، وأخذ عنهم الحديث ، ورجع ابن أحمد إلى وطنه ، وانقطع به ، وأقبل الناس عليه ، وكان لهم فيه اعتقاد حسن ، ولقي الشيخ أبا العلاء المعري ، وسمع منه ، فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته ، فقال : هو رجل من المسلمين ، وسمعت أن بعض الأكابر قال له : أنت شيخ الاسلام ، فقال : بل أنا شيخ في الاسلام ، وخرج من أولاده وحفدته جماعة تقدموا عند الملوك ، وعلت مراتبهم ، منهم فقهاء ، ومنهم أمراء .

وكانت ولادته سنة تسع وأربعمائة

وتوفي في أول المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

والهكاري - بفتح الهاء ، وتشديد الكاف ، وبعد الألف راء - هذه النسبة إلى قبيلة من الأكراد لهم معاقل وحصون وقرى من بلاد الموصل من جهة الشرقية .

(٤٣٢)

أبو الحسن علي بن أبي بكر علي ، الهروي

الأصل ، الموصلی المولد ، السائح المشهور

أبو الحسن
علي بن علي ،
الهروي
السائح

نزيل حلب ، طاف البلاد ، وأكثر من الزيارات ، وكان يطبق الأرض بالدوران ، فانه لم يترك براً ولا بحراً ولا سهلاً ولا جبلاً من الأماكن التي يمكن

قصدها ورؤيتها إلا رآه ، ولم يصل إلى موضع إلا كتب خطه في حائطه ، ولقد شاهدت ذلك في البلاد التي رأيتها مع كثرتها ، ولما سارذ كره بذلك واشتهر به ضرب به المثل فيه ، ورأيت لبعض المعاصرين - وهو ابن شمس الخلافة جعفر المقدم ذكره - بيتين في شخص يستجدي من الناس بأوراقه وقد ذكر فيهما هذه الحالة وهما [من البسيط] :

أوراقُ كُذِّبَتْ فِي بَيْتِ كُلِّ فَتًى

على اتفاقٍ معانٍ واختلافٍ رَوَى

قد طَبَّقَ الْأَرْضَ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ

كَأَنَّهُ خَطُّ ذَاكَ السَّائِحِ الْهَرَوِيِّ

وإنما ذكرت البيتين استشهاداً بهما على ما ذكرته من كثرة زيارته وكتب خطه ، وكان مع هذا فيه فضيلة ، وله معرفة بعلم السيمياء ، وبه تقدم عند الملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين صاحب حلب ، وأقام عنده ، وكان كثير الرعاية له ، وبني له مدرسة بظاهر حلب ، وفي ناحية منها قبة ، وهو مدفون فيها ، وفي تلك المدرسة بيوت كُتِبَ على باب كل بيت [منها] ما يليق به ، ورأيت كتب على باب الميضة « بيت المال في بيت الماء » ورأيت في قبته معلقاً عند رأسه غصناً وهو حلقة خلقية^(١) ليس فيها صنعة ، وهو أعجوبة ، وقيل : إنه رآه في بعض سياحاته فاستصعبه وأوصى أن يكون عند رأسه ليعجب منه مَنْ يراه .

وله مصنفات : منها كتاب « الأشارات ، في معرفة الزيارات » وكتاب « الخطب الهروية » وغير ذلك .

ورأيت في حائط الموضع الذي يُلقَى فيه الدروس من المدرسة المذكورة بيتين مكتوبين بخط حسن ، وكأنهما كتابة رجل فاضل نزل هناك قاصداً الديار

(١) في « وهو حلقة خلقية » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في ب

المصرية ، فأحببت ذكرهما لحسنهما وهما [من الخفيف] :
 رحمَ اللهُ من دعا لأَناسٍ نزلوا ههنا يريدون مضراً
 نزلوا والحدودُ بيضٌ فلما أظفَ البينَ عدُنَ بالدمعِ حُمراً
 وتوفي في شهر رمضان في العَشرِ الأوسط ، سنة إحدى عشرة وستمائة ، في
 المدرسة المذكورة ، ودفن في القبة ، رحمه الله تعالى !
 والهروى - بفتح الهاء والراء ، وبعدها واو - هذه النسبة إلى مدينة هَرَآة ،
 وهي إحدى كراسي مملكة خراسان ، فانها مملكة عظيمة ، وكراسيها أربع :
 نيسابور ، ومرؤ ، وبلخ ، وهَرَآة ، والباقي مدن كبار ، لسكنها ما تنتهى إلى
 هذه الأربع ، وهذه هَرَآة بناها الاسكندر ذو القرنين عند مسيره إلى المشرق .

(٤٣٣)

عز الدين
 علي بن محمد
 ابن الأثير
 الجزري

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
 الشَّيبَانِي ، المعروف بابن الأثير ، الجَزَرِي ، الملقب عز الدين
 ولد بالجزيرة ، ونشأ بها ، ثم سار إلى الموصل مع والده وأخويه الآتي ذكرهما
 إن شاء الله تعالى ، وسكن الموصل ، وسمع بهما من أبي الفضل عبد الله بن أحمد الخطيب
 الطوسي وَمَنْ في طبقة ، وقدم بغداد مراراً حاجاً ورسولاً من صاحب الموصل
 وسمع بها من الشيخين أبي القاسم يعيش بن صدقة الفقيه الشافعي وأبي أحمد
 عبد الوهاب بن علي الصوفي وغيرهما ، ثم رحل إلى الشام والقدس وسمع هناك
 من جماعة ، ثم عاد إلى الموصل ، ولزم بيته منقطعاً إلى التوفر على النظر في العلم
 والتصنيف ، وكان بيته مجمع الفضل لأهل الموصل والواردين عليها ، وكان
 إماماً في حفظ الحديث ومعرفته وما يتعلق به ، وحافظاً للتواريخ المتقدمة والمتأخرة ،
 (٣ — ج ٣)

وخبيراً بأنساب العرب وآيامهم ووقائعهم وأخبارهم ، صنف في التاريخ كتاباً كبيراً سماه « الكامل » ابتداءً فيه من أول الزمان إلى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة وهو من خيار التواريخ ، واختصر كتاب « الأنساب » لأبي سعد عبد الكريم السمعاني ، واستدرك عليه فيه مواضع ، ونبه على أغلاط ، وزاد أشياء أهملها ، وهو كتاب مفيد جداً ، وأكثر ما يوجد اليوم بأيدي الناس هذا المختصر ، وهو في ثلاث مجلدات ، والأصل في ثمان ، وهو عزيز الوجود ، ولم أره سوى مرة واحدة بمدينة حلب ، ولم يصل إلى الديار المصرية سوى المختصر المذكور ، وله كتاب « أخبار الصحابة » رضوان الله عليهم في ست مجلدات كبار ، ولما وصلت إلى حلب في أواخر سنة ست وعشرين وستمائة كان عز الدين المذكور مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغرل الخادم أتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب ، وكان الطواشي كثير الاقبال عليه ، حسن الاعتقاد فيه ، مكرماً له ، فاجتمعتُ به ، فوجدته رجلاً مكماً في الفضائل وكرم الأخلاق وكثرة التواضع ، فلازمت التردد إليه ، وكان بينه وبين الوالد - رحمه الله تعالى ! - مؤانسة أكيدة ، فكان بسببها يبالغ في الرعاية والاكرام ، ثم إنه سافر إلى دمشق في أثناء سنة سبع وعشرين ، ثم عاد إلى حلب في أثناء سنة ثمان وعشرين ، فجزيت معه على عادة التردد والملازمة ، وأقام قليلاً ، ثم توجه إلى الموصل .

وكانت ولادته في رابع جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، يجزيرة ابن عمر ، وهو من أهلها ^(١) .

وتوفي في شعبان سنة ثلاثين وستمائة ، رحمه الله تعالى ! بالموصل .
وسبب ما ذكر أخويه معجد الدين أبي السعادات المبارك ، وضيياء الدين أبي الفتح نصر الله ، إن شاء الله تعالى .

والجزيرة المذكورة أكثر الناس يقولون : إنها جزيرة ابن عمر ، ولا أدري مَنْ ابن عمر ، وقيل : إنها منسوبة إلى يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين ، ثم إنني ظفرت بالصواب في ذلك ، وهو أن رجلاً من أهل برقة من أعمال الموصل بناها وهو عبد العزيز بن عمر فأضيفت إليه ، ورأيت في بعض التواريخ أنها جزيرة ابني عمر أوسٍ وكاملٍ ، ولا أدري أيضاً مَنْ هما ، ثم رأيت تاريخ ابن المستوفي في ترجمة أبي السعادات المبارك بن محمد أخى أبي الحسن المذكور أنه من جزيرة أوس وكامل ابني عمر بن أوس الثعلبي .

(٤٣٤)

أبو الحسن
على بن جبلة
العكوك
الشاعر

أبو الحسن على بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن ، المعروف بالعكوك
الشاعر المشهور

أحد فحول الشعراء المبرزين ، قال الجاحظ في حقه : كان أحسن خلق الله إنشاداً ، ما رأيت مثله بدويًا ولا حضريًا ، وكان من الموالي ، وولد أعمى ، وكان أسود أبرص ، ومن مشهور شعره قوله [من الرمل] :

بأبي من زارني مكتماً خائفاً من كل شيء جزعاً
زائراً نعم عليه حسنه كيف يخفي الليل بدرأطلعاً
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعاً
ركب الأهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعاً

[ومن قوله في الحسن بن مهمل [من البسيط] :

أعطيتني يا ولي الحق مبتدئاً عطيةً كافأت شعري ولم ترني
ما شئت برقت إلا نلت ريقه كأنما كنت بالجدوى تبادرني ^(١)
وله في أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي غرر المدائح

فمن قصائده الفائقة في أبي دلف القاسم بن عيسى القصيدة التي أولها
[من المديد] :

ذَادَ وَرَدَ الْغَى عَنْ صَدْرِهِ فَارْعَوَى وَاللَّهُ مِنْ وَطَرِهِ
يقول في مدحها :

إنما الدنيا أبو دُلف بين مغزاه ومحتضره
فاذا وَلَّى أبو دلف وَلَّتِ الدنيا على أثره
كلُّ من في الأرض من عَرَبٍ بين بادية إلى حضَرِهِ
مستعيرٌ منك مَكْرُمةً يكتسبها يوم مُقْتَحَرِهِ

وهي طويلة عددها ثمانية وخمسون بيتاً ، ولولا خوف الاطالة لأثبتها كلها^(١)
لأجل حسنها .

ولقد سئل شرف الدين بن عنين الآتي ذكره إن شاء الله تعالى - وكان من
أخبر الناس بنقد الشعر - عن هذه القصيدة وقصيدة أبي نُوَاس الموازية لها التي
أولها [من المديد] :

أيها المنتاب من عُفْرِه لستَ من ليلي ولا سَمَرِهِ
وهي من نوادر الشعر أيضاً ، فلم يفضل إحداها على الأخرى ، وقال : ما
يصلح أن يفاضل بين هاتين [القصيدتين] إلا شخصٌ يكون في درجة هذين
الشاعرين .

ورأيت لأبي العباس المبرد كلاماً في وصف قصيدة أبي نُوَاس المذكورة
فانه قال بعد ذكر القصيدة : ما أحسب شاعراً جاهلياً ولا إسلامياً بلغ هذا المبلغ
فضلاً أن يزيد عليه جزالة ونخامة

ويحكى أن العكوكَ مدح حميد بن عبد الحميد الطوسي بعدمدحه لأبي دلف

(١) في ١ « لأتيتها كلها » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في ب

بهذه القصيدة فقال له حميد : ما عسى أن تقول فينا وما أبقيت لنا بعد قولك
في أبي دلف * إنما الدنيا أبو دلف * وأنشد البيتين ، فقال : أصلح الله الأمير !
قد قلت فيك ما هو أحسن من هذا ، قال : وما هو ؟ فأنشد [من مجزوء الرمل] :
إنما الدنيا حميد وأياديه الجسامُ
فاذا ولي حميد فعلى الدنيا السلامُ

قال : فتبسم ولم يجر جواباً ، فأجمع من حضر المجلس من أهل المعرفة والعلم
بالشعر أن هذا أحسن مما قاله في أبي دلف ، فأعطاه وأحسن [إليه] جازئته .

(١) [وحكى أنه مدح المأمون بقصيدة أجاد فيها ، وتوسل بحميد الطوسي في
إيصالها إليه ، فقال له المأمون : خيره بين أن (٢) نجتمع بين قوله هذا وبين قوله فيك
وفي أبي دلف ، فان وجدنا قوله فينا خيراً منه أجزناه عشرة آلاف ، وإلا ضربناه
مائة سوط ، فخير به حميد ، فاختر الاعفاء] (١) .

وقال ابن المعتز في طبقات الشعراء : ولما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة غضب
غضباً شديداً ، وقال : اطلبوه حينما كان واثقوني به ، فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه
كان مقبياً بالجليل ، فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية ، وقد كانوا كتبوا
إلى الآفاق أن يؤخذ حيث كان ، فهرب من الجزيرة حتى توسط الشامات ،
فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيداً إلى المأمون ، فلما صار بين يديه قال له : يا ابن
اللُّخْنَاء ، أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى :

* كل من في الأرض من عَرَب *

وأنشد البيتين ، جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والافتخار به ، قال : يا أمير
المؤمنين ، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده وآتاكم
الكتاب والحُكْمَ وآتاكم ملكاً عظيماً ، وإنما ذهبتُ في قولي إلى أقران وأشكال

(١) زيادة ليست في ١

(٢) لعل أصل العبارة « بين ان نفعيه وأن نجتمع - إلخ »

القاسم بن عيسى من هذا الناس ، فقال : والله ما بقيت أحداً ، ولقد أدخلتني في الكل ، وما أستحل دمك بكلمتك هذه ، ولكني أستحل بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكا قادراً ، وهو قولك [من البسيط] :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
ومامددت مدى طرفي إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال
ذاك الله عز وجل يفعله ، أخرجوا لسانه من قفاه ، فأخرجوا لسانه من قفاه ،
فمات ، وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ببغداد .

ومولده سنة ستين ومائة ، وقيل : إنه أصابه الجدري وهو ابن سبع سنين
فذهب بصره منه ، وهذا خلاف ما قيل في الأول .

قلت : هكذا ذكر ابن المعتز هذه القصيدة ، وكذلك قال أيضاً أبو الفرج
الأصبهاني في كتاب الأغاني ، ورأيت في كتاب « البارع » في أخبار الشعراء
المولدين « تأليف أبي عبد الله بن المنجم هذين البيتين مع بيت ثالث ، وهو
لخلف بن مروان مولى علي بن ريطة ، وهو [من البسيط] :

تَزَوَّرَ سَخَطًا فَنُمِسَى الْبَيْضُ رَاضِيَةً
وتستهل فتبكي أعينُ المال
ومن مديحه لحيد [أيضاً] قوله [من الوافر] :

تَكْفَلُ سَاكِنِي الدُّنْيَا حَمِيدٌ فَقَدْ أَضْحَوْا لَهُ فِيهَا عِيَالًا
كَأَنَّ أَبَاهُ آدَمَ كَانَ أَوْصَى إِلَيْهِ أَنْ يَعُولَهُمْ فَعَالًا
وقوله [فيه] أيضاً [من السريع] :

دَجَلَةٌ تَسْقِي وَأَبُو غَانِمٍ يُطْعِمُ مَنْ تَسْقِي مِنَ النَّاسِ
فالناسُ جِسْمٌ ، وإمام الهدى رأس ، وأنت العين في الرأس

ولما مات حميد في يوم عيد الفطر سنة عشر ومائتين رثاه بقصيدة من جملتها
[من الطويل] :

فأدبنا ما أدب الناس قبلنا ولكنه لم يبق للصبر موضع
ورثاه أبو العتاهية بقوله [من الطويل] :
أبا غانم ، أما ذرأك فواسع وقبرك معمور الجوانب محم
وما ينفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم
وأخبار العكوك كثيرة ، ونقتصر منها على هذا القدر .
والعكوك — بفتح العين المهملة والكاف ، وتشديد الواو ، وبعدها كاف
ثانية — وهو السمين القصير مع صلابة ، رحمه الله تعالى ! .

وجبله : بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ، وبعدها هاء ساكنة .
وأما حميد الطوسي فإن الطبري ذكر في تاريخه تاريخ وفاته كما ذكرته هنا ،
وغالب ظني أنه توفي بقم الصلح ، لأنه كان مع المأمون لما توجه إليها للدخول على
بوران حسبما شرحته في ترجمتها في هذا التاريخ .

(٤٣٥)

أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أذينة
ابن كراز بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث
ابن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن
مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة بن لؤي بن غالب
القرشي ، السامي ، الشاعر المشهور

أبو الحسن
علي بن الجهم
الشاعر

أحد الشعراء المجيدين ، هكذا ساق الخطيب في تاريخ بغداد نسبه في
ترجمة والده الجهم ، وذكره أيضاً في ترجمة مفردة ، فقال : له ديوان شعر مشهور

وكان جيد الشعر ، عالماً بفنونه ، وله اختصاصٌ بجمع المتوكل ، وكان متديناً فاضلاً ، انتهى كلامه .

وكان - مع انحرافه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وإظهاره التسنن - مطبوعاً ، مقتدرًا على الشعر ، عذب الألفاظ ، وكان من ناقلة خراسان إلى العراق ثم نفاه المتوكل إلى خراسان في سنة اثنتين وثلاثين ، وقيل : تسع وثلاثين ومائتين ، لأنه هجا المتوكل ، وكتب إلى طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أنه إذا ورد عليه صلبه يوماً ، فوصل إلى شاذياخ نيسابور ، فحبسه طاهر ، ثم أخرجه فصلبه مجرداً نهاراً كاملاً ، فقال في ذلك [من الكامل] :

لم ينصبوا بالشاذياخ صبيحة إلا
إثنين مَسْبُوقًا ولا مجهولاً
نَصَبُوا بحمد الله ملء قلوبهم
شرفاً وملء صدورهم تبجيلاً

وهي أبيات كثيرة مشهورة فلا حاجة إلى نقلها ، ثم رجع إلى العراق ، ثم خرج إلى الشام ، وبعد ذلك ورد على المستعين كتاب من صاحب البريد بحلب أن علي بن الجهم خرج من حلب متوجهاً إلى العراق ، فخرجت عليه وعلى جماعة معه خيل من بني كلب ، فقاتلهم قتلاً شديداً ، ولحقه الناس وهو جريح بأخر رمق ، فكان مما قال [من مجزوء الرمل] :

أَزِيدَ في الليل ليلُ
أَمْ سَالَ بالصبح سَيْلُ
ذَكَرْتُ أَهْلَ دُجَيْلٍ وَأَيْنَ مِنِّي دُجَيْلُ

وكان منزله ببغداد في شارع دجيل ، وكان قد ورد الكتاب في شعبان سنة تسع وأربعين ومائتين ، وتوفي في وقته ، ولما نزع ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة فيها قد كتب ^(١) [من المنسرح] :

يَا رَحْمَةً الْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّـسَاحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا

فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا انْتَفَعُوا بِالْعِيشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا انْتَفَعَا
وكانت بينه وبين أبي تمام الطائى مودة أكيدة ، وإليه كتب أبو تمام
الآبيات التى يودعه فيها التى أولها [من الكامل] :

هى فرقة من صاحب لك ماجد فلقد أراقت كل دمع جامد^(١)
ودىوان شعره صغير ، فمنه قوله وهو معنى مليح [من الوافر] :

بَلَاءٌ لَيْسَ يَمْدِلُهُ بَلَاءُ عداوة غير ذى حسب ودين
يبيحك منه عرضاً لم يصنه ويرتع منك فى عرض مصون
وهذان البيتان قائلهما فى مروان بن أبى حفصة لما عمل فيه [من الطويل] :

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعر وهذا على بعده يدعى الشعرا
ولسكن أبى قد كان جاراً لأمه فلما ادعى الأشعار أوهنى أمرا
وهذا المعنى مأخوذ من قول كثير عزة ، وقد أنشد الفرزدق شعراً له فاستحسنه
فقال له : يا أبا صخر ، هل كانت أمك ترد البصرة ؟ فقال : لا ، ولكن كان أبى
كثيراً ما يردّها .

وله وقد حُيس أبياته المشهورة التى أولها [من الكامل] :
قالوا حُيسَتْ فقلت ليس بضائرى حَبْسِي ، وأى مهند لا يُغمد^(٢)
وهى أبيات جيدة فى [هذا] المعنى ، ولم يعمل مثلها ، ولولا طولها لذكرتها .
وله أيضاً [من البسيط] :

يا ذا الذى بعد أبى ظل مفتخراً هل أنت إلامليك جار إذ قدراً
لولا الهوى لتجارينا على قدر فان أفاق منه يوماً ما فسوف ترى
وله أشياء حسنة .

والسامى - بفتح السين المهملة ، و بعد الألف ميم - هذه النسبة إلى سامة بن لؤى
المدكور فى نسبه ، ويتصحف على كثير من الناس بالشامى ، بالشين المعجمة ، وهو غلط .

(١) فى ١ « فغدا إراقة كل دمع جامد »

(٢) فى ١ « وأى مهند لم يغمد »

وَدُجَيْل — بضم الدال المهملة ، وفتح الجيم ، وسكون الياء المثناة من تحتها [وبعدها لام] — تصغير دجلة تصغير ترخيم ، وهو نهر بأعلى بغداد ، مخرجه من دجلة ، مقابل القادسية في الجانب الغربي بين تكريت و بغداد ، وعليه مدن وقرى ، وهو غير دجيل الأهواز ، وهو أيضاً نهر عليه قرى ومدن مخرجه من جهة [نحو] أصبهان ، حفره أردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الفرس .

(٤٣٦)

أبو الحسن علي بن العباس بن جريج ، وقيل : جورجيس ، المعروف بابن الرومي مولى عبید الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ، الشاعر المشهور ابن الرومي الشاعر

صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يغوص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكامنها ، ويبرزها في أحسن صورة ، ولا يترك المعنى حتى يستوفيه إلى آخره ، ولا يبقى فيه بقية ، وكان شعره غير مرتب ، ورواه عنه المتنبى ، ثم عمله أبو بكر الصولى ، ورتبه على الحروف ، وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس من جميع النسخ ، وزاد على كل نسخة مما هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت وله القصائد المطولة والمقاطيع البديعة ، وله في الهجاء كل شيء ظريف ، وكذلك في المديح ، فمن ذلك قوله [من البسيط] :

المنعمون وما منوا على أحد يؤمّ العطاء ولو منوا لما ما نوا^(١)
كم ضنّ بالمال أقوامٌ وعندهم وفر ، وأعطى العطايا وهو يدان^(٢)
وله أيضاً ، وقال : ما سبقني أحد إلى هذا المعنى [من الكامل] :

أراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا دجّونَ نجومُ
منها معالم للهدى ومصابيح تجلو الدجى والأخريات رُجومُ

(١) منوا : تحدّثوا عن عطايهم ، وما نوا : كذبوا (٢) يدان : يستدين

ومن معانيه البديعة قوله [من السكامل] :
 وإذا امرؤ مدحَ امرأً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
 لو لم يُقدَّر فيه بعد المستقي عند الورود لما أطال رِشَاءه^(١)
 وكذلك قوله في ذم الخضاب ، قال أبو الحسين جعفر بن محمد بن علي الحمداني :
 ما سبقه أحد إليه [من الطويل] :
 إذا دام للمرء السواد وأخلقت شبَّيبته ظنَّ السوادَ خضاباً
 فكيف يظنُّ الشيخُ أن خضابه يُظنُّ سواداً أو يُخال شباباً
 وله في بعض الرؤساء ، وقد سأله حاجة فقضاها له ، وكان لا يتوقع منه خيراً
 [من الطويل] :

سألتك في أمر فجدتَ ببذلِهِ على أننى ما خلت أنك تفعلُ
 وألزمتنى بالبذل شكرًا وإنه على من الحرمان أدهى وأعزلُ
 وما خلتُ أن الدهر يشنئني بصرْفِهِ إلى أن أرى في الناس مثلك يُسألُ
 لئن سرَّني ما نلتُ منك فانه لقد ساءني إذ أنت ممن يؤملُ
 وهذه الأبيات تنسب إلى ابن وكيع التنيسي أيضاً ، وقد سبق ذكره
 واسمه الحسن ، والله أعلم .

وبالجملة فان محاسنه كثيرة ، فلا حاجة إلى الاطالة .
 وكانت ولادته يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب سنة
 إحدى وعشرين ومائتين ، ببغداد ، في الموضع المعروف بالعقيقة ودرب الخيلية
 في دار بازاء قصر عيسى بن جعفر بن المنصور ، وفي بغداد يقول وقد غاب عنها
 في بعض أسفاره [من السكامل] :

بلد صحبت بها الشيبية والصبا ولَبِسْتُ ثوبَ العيش وهو جديد

(١) الرشاء — بكسر الراء — الحبل يستقى به من البئر

فاذا تمثل في الضمير رأيتُهُ وعليه أغصانُ الشباب تَمِيدُ
وتوفى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ، وقيل :
أربع وثمانين ، وقيل : ست وسبعين ومائتين ، ببغداد ، ودفن في مقبرة باب
البستان ، وكان سبب موته - رحمه الله تعالى ! - أن الوزير أبا الحسين القاسم
ابن عبید الله بن سليمان بن وهب وزير الامام المعتضد كان يخاف من هجوه
وفلّات لسانه بالفحش ، فدس عليه ابن فراش ، فأطعمه خشكنا نجة مسمومة
وهو في مجلسه ، فلما أكلها أحس بالسم ، فقام ، فقال له الوزير : إلى أين تذهب ؟
فقال : إلى الموضع الذي بعثتني إليه ، فقال له : سلم [لى] على والدى ، فقال له :
ما طريقى على النار ، وخرج من مجلسه ، وأتى منزله ، وأقام أياما ومات ، وكان
الطبيب يتردد إليه ويمالجه بالأدوية النافعة للسم ، فزعم أنه غلط في بعض
العقاقير ، وقال إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي المعروف بنفطويه : رأيت ابن الرومى
يجود بنفسه ، فقلت له : ما حالك ؟ فأنشد [من الكامل] :

غلط الطبيبُ على غلطة مورد عجزت موارده عن الاصدار
والناس يَلْحَوْنَ الطبيبَ وإنما غلطُ الطبيب إصابة المقدار
وقال أبو عثمان الناجم الشاعر : دخلت على ابن الرومى أعوده ، فوجدته
يجود بنفسه ، فلما قمت من عنده قال لى [من الوافر] :

أبا عثمان أنت حميدُ قومك وجودك للعشيرة دون لومك
تزودُ من أخيك فما أراه يراك ولا تراه بعدَ يومك
وكان الوزير المذكور عظيم الهيبة شديد الاقدام ، سفا كاً للدماء ، وكان
الكبير والصغير منه على وجلي ، لا يعرف أحداً من أرباب الأموال إلا نقمه
وتوفى الوزير المذكور عشية الأربعاء لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة
إحدى وتسعين ومائتين ، فى خلافة المكتفى ، وعمره نيف وثلاثون سنة ، وفى
ذلك يقول عبد الله بن الحسن بن سعد [من المتقارب] :

شربنا عشية مات الوزيرُ سروراً ، ونشرب في ثلثه
فلا رحم الله تلك العظام ولا بارك الله في وارثه

وكان لهذا الوزير أخ يقال له أبو محمد الحسن ، فمات في حياة أبيه والوزير ،
فعمل أبو الحارث النوفلي ، وقيل : البسامي وهو الأصح ، وسيأتي ذكره بعد هذا
إن شاء الله تعالى ، ثم رأيت في الذيل للسمعاني في ترجمة علي بن مقلد بن
عبد الله بن كرامة البواب أن أبا الحارث النوفلي قال : كنت أبغض القاسم بن
عبيد الله لمسكروه نالني منه ، فلما مات أخوه الحسن قلت على لسان ابن بسام ،
وأنشد هذه الأبيات ، وقال السمعاني قبل هذا الكلام : قال أبو بكر الصولي النديم :
وقد رأيت أبا الحارث هذا ، وكان رجلاً صدوقاً ، وهي هذه [من مخلع البسيط] :

قل لأبي القاسم المرزاً قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابنٌ وكان زيناً وعاش ذو الشين والمعائب
حياة هذا كموت هذا فلست تخلو من المصائب

وعمل آخر في هذا المعنى أيضاً ، ولا أعرفه ، ثم وجدت هذه الأبيات له
أيضاً [من مخلع البسيط] :

قل لأبي القاسم المرزاً ونادِ يا ذا المصيبتين
مات لك ابنٌ وكان زيناً وعاش شينٌ وأى شينٍ
حياة هذا كموت هذا فالظم على الرأس باليدين

(٤٣٧)

أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام ، الشاعر
المعروف بالبسامي ، الشاعر المشهور

كانت أمه أمانة بنت حمدون النديم ، وروى عنه أبو بكر الصولي وأبو سهل
ابن زياد وغيرهما ، وكان من أعيان الشعراء ، ومحاسن الظرفاء ، لساناً مطبوعاً في
الهجاء ، لم يسلم منه أمير ولا وزير ولا صغير ولا كبير ، وهجا أباه وإخوته وسائر
أهل بيته ، فمن [ذلك] قوله في أبيه [من الخفيف] :

أبو الحسن علي
ابن محمد بن بسام
الشاعر

هَبْكَ عُمُرْتُ عَمْرَ عَشْرِينَ أَسْرًا أَتَرَى أَنِّي أَمُوتُ وَتَبْقَى
فَلَيْتَ عَشْتُ بَعْدَ مَوْتِكَ يَوْمًا لِأَشَقَّنَّ جَيْبَ مَالِكَ شَقًّا
وَلَهُ أَيْضًا [من الكامل] :

أَقْصَرْتُ عَنْ طَلَبِ الْبَطَالَةِ وَالصَّبَا لَمَّا عَلَانِي لِلْمَشِيبِ قِنَاعُ
لِلَّهِ أَيَّامُ الشَّبَابِ وَلَهُوهُ لَوْ أَنَّ أَيَّامَ الشَّبَابِ تَبَاعُ
فَدَعِ الصَّبَا يَا قَلْبُ وَاسْلُ عَنْ الْهُوَى مَا فَيْكَ بَعْدَ مَشِيبِكَ اسْتِجَاعُ
وَانْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا بَعَيْنِ مَوَدِّعٍ فَلَقَدْ دَنَا سَقَرٌ وَحَانَ ودَاعُ
وَالْحَادِثَاتُ مَوَكَّلَاتٌ بِالْفَقَى وَالنَّاسُ بَعْدَ الْحَادِثَاتِ سَمَاعُ

وله في الوزير ابن المرزبان ^(١) ، وكان قد سأله برذونا فمنعه إياه ، فقال

[من المنسرح] :

بَخَلْتُ عَنِّي بِمَقْرِفٍ عَطِيبٍ فَلَنْ تَرَانِي مَا عَشْتُ أَطْلِبُهُ
وَإِنْ تَقُلْ صَنْتُهُ فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مَصُونًا وَأَنْتَ تَرْكِبُهُ

وله في أسد بن جهور الكاتب [من الكامل] :

تَعَسَّ الزَّمَانُ لَقَدْ أَتَى بِعَجَائِبٍ وَمَا رَسُومُ الظَّرْفِ وَالْأَدَابِ
وَأَتَى بِكِتَابٍ لَوْ انْبَسَطَتْ يَدِي فِيهِمْ رَدَدْتَهُمْ إِلَى الْكِتَابِ ^(٢)

(١) في « الوزير المرزبان »

(٢) الكتاب الأولي جمع كاتب . والكتاب في آخر البيت : مكان يتعلم فيه الصبيان

أو ماترى أسد بن جهور قد غدا متشبهاً بأجلة الكتاب
وله أيضاً قوله [من الوافر] :

وكانت بالصُّرّة لنا ليالٍ سرقناهن من رَيْبِ الزّمان^(١)
جعلناهنّ تاريخ الليالى وعُنُوات المسرة والأمانى
وكان أبوهُ محمد بن نصر رجلاً مترفاً في نهاية السرور وحسن الزى ، ظاهر
المروءة ، متخصصاً في هيئته ومطعمه وملبسه وتجميل داره

ويحكى أن الوزير القاسم بن عبيد الله المذكور قبله دخل على المعتضد يوماً
وهو يلعب بالشطرنج وينشد قول ابن بسام هذا [من مخلع البسيط] :

حَيَاةُ هَذَا كَمُوتِ هَذَا فَلَسْتُ تَخْلُو مِنَ الْمَصَائِبِ

وقد تقدم ذكر الأبيات الثلاثة ، ثم رفع المعتضد رأسه ، فنظر إلى الوزير
فاستحيا منه ، فقال له : يا قاسم ، اقطع لسان ابن بسام عنك ، فخرج مبادراً
لقطع لسانه ، فبلغ ذلك المعتضد ، فاستدعاه ، وقال له : لا تعرض إليه بسوء ،
بل اقطعه بالبر والشغل ، فولاه البريد والجسر بمحمد قنسرين والعواصم من
أرض الشام

وتوفي ابن بسام المذكور في صفر سنة ائنتين ، وقيل : ثلاث ، وثلاثمائة ،
رحمه الله تعالى ! عن نيف وسبعين سنة

وجده نصر بن منصور ممدوح أبي تمام
والعواصم : كورة متسعة بالشام قصبتها أنطاكية ، وذكرها المعرى بقوله
[من الطويل] :

مَتَى سَأَلْتُ بَغْدَادُ عَنِّي وَأَهْلَهَا فَأَنَّى عَنْ أَهْلِ الْعَوَاصِمِ سَأَلْتُ

(١) الصرّة — بفتح الصاد — أحد نهريْن ببغداد ، يأخذ أحدهما من نهر
عيسى عند بلدة يقال لها المحول ، وهو المشهور ، ولم يعرف ياقوت غيره .

وإنما قال هذا لأن بلاده معرفة النعمان من جملة العواصم
 وذكر الطبري في تاريخه أن هرون الرشيد عزل الثغور كلها عن بلاد الجزيرة
 وقُدْسَ بنين ، وجعلها حيزاً واحداً ، ومميت العواصم ، وذلك في سنة سبعين ومائة
 ولما هدم المتوكل على الله قبر الحسين بن علي بن أبي طالب - رضى الله
 عنهما - في سنة ست وثلاثين ومائتين عمل البسامي [من الكامل] :
 تالله إن كانت أُمِّيَّة قد أتت قَتَلَ ابن بنت نبيها مظلوماً
 فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لَعْمُكَ قبره مهدوما
 أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رَمِيماً
 وكان المتوكل كثير التحامل على علي وولديه الحسن والحسين ، رضى الله عنهم
 أجمعين ! فهدم هذا المسكان بأصوله ودوره وجميع ما يتعلق به ، وأمر أن يُبذَرَ
 ويسقى موضع قبره ، ومنع الناس من إتيانه ، هكذا قال أرباب التواريخ ،
 والله أعلم .

ولابن بسام المذور من التصانيف « أخبار عمر بن أبي ربيعة » ولم يستقص
 أحد في بابيه أبلغ منه ، وكتاب « أخبار الأحوص » وكتاب « مناقضات
 الشعراء » وكتاب « ديوان رسائله » وغير ذلك .

(٤٣٨)

أبو القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هاني بن
 ابن محمد زيد بن عبيد بن مالك بن صريط بن سرح بن زرار بن عمرو بن الحرث بن صبح
 التنوخي أسد وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحلف بن قضاعة ، التنوخي ، الأنطاكي
 كان عالماً بأصول المعتزلة والنجوم ، قال الثعالبي في حقه : « هو من أعيان
 أهل العلم والأدب ، وأفراد السكرم ، وحسن الشيم ، وكان كما قرأته في فصل

للساحب بن عباد: إن أردت فاني سُبُحة ناسك ، وإن أحببت فاني تفاحة فاتك ،
أو اقترحت فاني مدرعة راهب ، أو آثرت فاني نخبة شارب ، وكان تقلد قضاء
البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صُرف عنه ورد حضرة سيف الدولة
ابن حمدان زائراً ومادحاً ، فأكرم مشواه ، وأحسن قرآه ، وكتب في معناه إلى
الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، وكان الوزير المهلبى
وغيره من رؤساء العراق يميلون إليه ، ويتعصبون له ، ويعدون له ريحانة الندماء ،
وتاريخ الظرفاء^(١) ، وكان في جملة الفقهاء والقضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ،
ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة ، والتبسط في القصف
والخلاعة ، وهم : القاضى أبو بكر بن قريعة ، وابن معروف ، والتنوخى المذكور ،
وغيرهم ، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها ، وكذلك كان المهلبى ، فاذا تكامل
الأنس ، وطاب المجلس ، ولد السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذ ، وهبوا ثوب
الوقار للعقار ، وتقلبوا في أعطاف العيش ، بين الخفة والطيش ، ووضع في يد
كل واحد منهم طاس ذهب من ألف مثقال ، مملوءاً شرباً بقطر بلبا أو عكبريا ،
فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها حتى تشرب أكثره ، ويرش بها بعضهم بعضا ،
ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ، ومخائق المنشور والبرم ، فاذا أصبحوا
عادوا كعادتهم في التوقر والتحفظ بأبهة القضاء ، وحشمة المشايخ الكبراء ،
وأورد من شعره قوله [من المتقارب] :

وراح من الشمس مخلوقةً بدت لك في قدح من نهار

هواء ولكنه جامد وماء ولكنه غير جار

كأن المدير لها باليمن إذا مال للسقى أو باليسار

تدرع ثوبا من اليا سمين له فردكم من الجنة نار

وأورد له قوله أيضا [من مجزوء الرمل] :

(١) كذا في الأصول كلها وفي اليتيمة ، وأنا أحسبه «ونارنج الظرفاء»

بأبي حُسْنِكَ لو أشبهه منك صنيعُ

أنت بدرٌ ماله في فَلَكِ الوصل طلوعُ

وأورد له أيضا [من الطويل] :

رِضَاكَ شَبَابٌ لَا يَلِيهِ مَشِيبٌ وسخَطُكَ دَاءٌ لَيْسَ فِيهِ طَبِيبٌ

كَأَنَّكَ مِنْ كُلِّ النَّفُوسِ مَرْكَبٌ فَأَنْتَ إِلَى كُلِّ النَّفُوسِ حَبِيبٌ

وذكر له شيئا كثيرا غير هذا .

وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب » : وقد عارض أبو القاسم التنوخي المذكور أبا بكر بن دريد في مقصودته ، وذكر منها أبياتا ، ومدح فيها تنوخ وقومه من قضاة .

وقال غيره : حكى أبو محمد الحسن بن عسكر الصوفي الواسطي ، قال : كنت ببغداد في سنة إحدى وعشرين وخمسمائة جالسا على دكة باب أبرز للفرجة إذ جاء ثلاث نسوة فجلسن إلى جانبي ، فأنشدت متمثلا [من المتقارب] .

هواء ولكنه جامد وماء ولكنه غير جار

وسكت ، فقالت إحداهن : هل تحفظ لهذا البيت تماما ؟ فقلت : ما أحفظ سواه ، فقالت : إن أنشدك أحدٌ تمامه وما قبله ماذا تعطيه ؟ فقلت : ليس لي شيء أعطيه ، ولكنني أقبل فاه ، فأنشدتني الأبيات المذكورة ، وزادت بعد البيت الأول :

إذا ما تأملتها وهي فيه تأملت نورا محيطا بنار

فهذا النهاية في الأبيضا وهذا النهاية في الاحمرار

فحفظت الأبيات منها ، فقالت لي : أين الوعد ؟ تعني التقبيل ، أرادت مداعبتني بذلك ^(١) .

(١) في « أرادت مداعبتة بذلك »

وقال الخطيب : إنه ولد بأنطاكية يوم الأحد لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وقدم بغداد ، وتفقها بها على مذهب الامام أبي حنيفة ، رضى الله عنه ! وسمع الحديث ، [وكان معتزليا]^(١) .
وتوفى بالبصرة يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول ، سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى ! .

ودفن من الغد فى تربة اشترى له ، بشارع البريد ، وسيأتي ذكر ولده الحسن فى حرف الميم ، إن شاء الله تعالى ، وكل واحد منهما له ديوان شعر .

(٤٣٩)

أبو الحسن على
ابن عبد الله
الناشىء
الأصغر ،
الشاعر

أبو الحسن على بن عبد الله بن وصيف ، المعروف بالناشىء الأصغر ،
الحلأء ، الشاعر ، المشهور

وهو من الشعراء المحسنين ، وله فى أهل البيت قصائد كثيرة ، وكان متكلماً ، بارعاً ، أخذ علم الكلام عن أبى سهل إسماعيل بن على بن نوبخت المتكلم ، وكان من كبار الشيعة ، وله تصانيف كثيرة ، وكان جده وصيف مملوكاً وأبوه عبد الله عطارا .

والحلأء — بفتح الحاء المهملة ، وتشديد اللام ألف — وإنما قيل له ذلك لأنه كان يعمل حلية من النحاس .

قال أبو بكر الخوارزمي : أنشدنى أبو الحسن الناشىء لنفسه بحلب ، وهو مليح جداً [من الطويل] :

* إذا أنا عاتبت الملوك فأنما أخطُ بأقلامى على الماء أحرفا

(١) هذه العبارة لاتوجد فى ١

وهبه ارعوى بعد العتاب، ألم تكن مودته طبعاً فصارت تكلفاً
ومضى إلى الكوفة في سنة خمس وعشرين وثلثمائة ، وأملى شعره بجامعها ،
وكان المتنبي وهو صبي يحضر مجلسه بها .

وكتب من إملائه لنفسه من قصيدة [من الوافر] :

كأن سنان ذابله ضميرٌ فليس عن القلوب له ذهاب

وصارمه لبعثته كنجمٍ مقاصدُها من الخلق الرقابُ

ونظم المتنبي هذا، وقال [من الوافر] :

كأن الهام في الهيجا عيونٌ وقد طُبعت سيوفك من رقاد

وقد صُغت الأسنة من همومٍ فما يخطرن إلا في فؤاد

وكان قد قصد حضرة سيف الدولة بن حمدان بجلب ، ولما عزم على
مفارقتها ، وقد غمره باحسانه ، كتب إليه يودعه [من الطويل] :

أودع لا أنى أودع طائعا

وأعطى بكرهى الدهر ما كنت مانعا

وأرجع لألقى سوى الوجد صاحبا لنفسى إن ألفت بالنفس راجعا

تحملت عنا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائعا

رعاك الذى يرعى بسيفك دينه ولقأك روض العيش أخضرَ يانعا

ومن شعره أيضا ، عزاها إليه الشعالي ، ثم عزاها إلى أبي محمد بن المنجم

[من المتقارب] :

إذا لم تنل هممَ الأكرمين وسعيهمُ وادعاً فاغترب

فكم دعةً أتعبت أهلها وكم راحة فتعبت من تعب

وله أيضا [من الكامل] :

إني ليهجرني الصديقُ تجنباً فأريه أن لهجره أسباباً
وأخاف إن عاتبتهُ أغريته فأرى له ترك العتاب عتاباً
وإذا بليتُ بجاهل متغافل يدعو الحال من الأمور صواباً
أوليته مني السكوت ، وربما كان السكوت عن الجواب جواباً
وفي أشعاره مقاصد جميلة .

وتوفى سنة ست وستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! وقيل : إنه توفى يوم
الأربعاء لخمس خلون من صفر سنة خمس وستين ، ببغداد .
ومولده في سنة إحدى وسبعين ومائتين ، والله أعلم .

(٤٤٠)

أبو القاسم علي بن إسحاق بن خلف ، البغدادى ، المعروف بالزاهى ، الشاعر المشهور
ابن إسحاق
البغدادى
الزاهى ،
الشاعر
كان وصافاً محسناً ، كثير الملح ، ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، فقال :
إنه حسن الشعر في التشبيهات وغيرها ، وأحسب شعره قليلاً ، وأشار إلى أنه
كان قَطَّاناً ، وكانت دكانه في قطعة الربيع .

وذكره عميد الدولة أبو سعيد بن عبد الرحيم في طبقات الشعراء ، فقال :
ولد يوم الاثنين لعشر ليال بقين من صفر سنة ثمانى عشرة وثلثمائة ، وتوفى يوم
الأربعاء لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، ببغداد ،
ودفن في مقابر قریش ، وشعره في أربعة أجزاء ، وأكثر شعره في أهل البيت ،
ومدح سيف الدولة ، والوزير المهلبى ، وغيرهما من رؤساء وقته ، وقال في جميع
الفنون ، وذكر له [من الوافر] :

صدودك في الهوى هَتَكَ استنارى وعاونه البكاء على اشتهاى

ولم أخلع عندارى فيك إلا لما عاينتُ من حسن العذار
وكم أبصرت من حسن ، ولكن عليك لشقوتى وقع اختيارى
وللزاهى المذكور فى تشبيهه البنفسج [من البسيط]:

ولا زورديّة أوفت بزرقها بين الرياض على زرق اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار فى أطراف كبريت^(١)
وله أيضاً [من الكامل]:

ومدامة لضيائها فى كأسها نورٌ على فلّك الأنامل بازغ^(٢)
رقت وغاب عن الزجاجة لطفها فكأنما الأبريق منها فارغ
ومن محاسن شعره [من الطويل]:

وبيض بألحاظ العيون كأنما هززن سيوفا واستلنلن خناجرا
تصدّين لى يوما بمنعرج اللوى فغادرن قلبى بالتصـبير غادرا
سفرن بدوراً وانتقبن أهلة ومسن غصونا والتفتن جاذرا
وأطلعن فى الأجياد بالدر أنجما جعلن لحبات القلوب ضرائرا

وهذا التقسيم عجيب ، وقد استعمله جماعة من الشعراء ، لكنهم ما أتوا به
على هذه الصورة ، فانه أبدع فيه ، وهو مثل قول المتنبي [من الوافر]:

بدت قرأ ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنّت غزالا
وذكر الثعالبي لبعض شعراء عصره على هذا الأسلوب فى وصف مغنٍ

[من الوافر]:

فديتك يأتى الناس ظرفاً وأصلحهم لمتخذ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائلة تسائل عنك قلنا لهافى وصفك العجب العجيبا
دناظيبا وغنى عند ليبيـا ولاح شقائقا ومشى قضيبا

(١) فى ١ « كأنها فوق طاقات »

(٢) فى ١ « نور على ملك الأنامل لبازغ »

وللزاہی [من الرمل] :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ عَذَارَى قَرْ عَرْضَ الْقَلْبِ لِأَسْبَابِ التَّلَفِ
عَلِمَ الشَّعْرَ الَّذِي عَاجَلَهُ أَنَّهُ جَارٌ عَلَيْهِ فَوْقَ
وَلَوْلَا خَوْفُ الْإِطَالَةِ لَذَكَرْتُ لَهُ نَظَائِرُ.

والزاہی : بفتح الزاء ، وكسر الهاء بعد الألف ، قال السمعاني : هذه النسبة إلى قرية من قرى نيسابور ^(١) نسب إليها جماعة ، ثم قال : وأما أبو الحسن علي بن إسحاق بن خلف البغدادي المعروف بالزاہی فلا أدري ينسب إلى هذه القرية أم لا ، غير أنه بغدادي ، وكان حسن الشعر ، والله أعلم .

(٤٤١)

أبو الحسن علي
ابن يحيى المنجم

أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم

كان نديم المتوكل على الله ، ومن خواصه ، وجلسائه المتقدمين عنده ، ثم انتقل إلى مَنْ بعده من الخلفاء ، ولم يزل مكينا عندهم ، حظيًّا لديهم ، يجلس بين

(١) قال ابن الأثير في مختصر أنساب السمعاني : « الزاہی بفتح الزاى وكسر الهاء - هذه النسبة إلى قرية زاه ، من قرى نيسابور ينسب إليها محمد بن إسحاق ابن شيرويه الزاهد الزاہی ، سمع العباس بن منصور وأقرانه ، وتوفي سابع ربيع الآخر سنة ثمانين وثلثمائة . وأما أبو الحسن علي بن إسحاق بن خلف الشاعر البغدادي المعروف بالزاہی ، فلا أدري نسب إلى هذه القرية أم لا ، غير أنه بغدادي ، وكان حسن الشعر ، روى عنه محمد بن عبيد الله بن حمدان النصيبي ، وتوفي بعد سنة ستين وثلثمائة ، ببغداد » اهـ وفي هذه العبارة - وهى التى نقلها المؤلف ههنا - أنه كنى الزاہی الشاعر بأبي الحسن ، والذي تقدم فى صدر ترجمته هنا أن كنيته أبو القاسم ، ولعل له كنيتين . وذكر ياقوت أن محمد بن إسحاق بن شيرويه توفي فى سنة ثمان وثلثين وثلثمائة ، وفيها خلاف فى وفاة الزاہی ، فهذه ثلاثة أشياء .

يدى أسرّتهم ، ويفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ، ولم يزل عندهم في المنزلة العلية ، وكان قبل اتصاله بالخلفاء يلوذ بمحمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي ثم اتصل بالفتح بن خاقان ، وعمل له خزانة كتب أكثرها حكمة ، واستكتب له شيئاً عظيماً يزيد على ما كان في خزائنه أضعافاً مضاعفة مما لا تشتمل عليه خزائنه وكان راوية للأشعار والأخبار حاذقاً في صنعة الغناء ، أخذ عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، وشاهده ، وصنف عدة كتب منها كتاب « الشعراء القدماء والاسلاميين » وكتاب « أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي » وكتاب في الطبخ ، وغير ذلك وكان شاعراً محسناً ، فمن شعره قوله في الطيف [من المديد] :

بأبي والله من طرَقاً كابتسام البرق إذ برقاً^(١)
زادني شوقاً برؤيته وحشا قلبي به حرَقاً
من لقلب هائم كلفٍ كلما سكنته خفَقاً
زارني طيفُ الحبيب فما

زاد أن أغري بي الأرقاً

وله أشعار حسنة ، وعاش إلى أن خدم المعتمد على الله وتوفي في أواخر أيامه ، وذلك في سنة خمس وسبعين ومائتين بسر من رأى ، رحمه الله تعالى ! وخلف جماعة من الأولاد ، وكلهم نجباء [علماء أدباء]^(٢) ندما ، وسيأتي ذكر بعضهم في مواضعهم من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(١) في « كابتسام الصبح إذ خفقا »

(٢) هاتان الكلمتان لا توجدان في ١

(٤٤٢)

أبو الحسن علي بن أبي عبد الله هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور
المنجم ، الشاعر المشهور
أبو الحسن علي
ابن هرون
المنجم ، الشاعر

ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء ، وله مع صاحب
ابن عباد مجالس ، وفي تشريفه يقول صاحب [من الكامل] :

لبني المنجم فطنةٌ لهيئةٌ ومحاسن عجميةٌ عربيّةٌ
مازلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى عُرِفَتْ بشدة العصبية
ولأبي الحسن المذكور أشعار نادرة ، ومما يتغنى به من شعره قوله [من الكامل] :

بينى وبينك فى الهوى أسباب وإلى الحبسة ترجع الأنساب
بينى وبين الدهر فيك عتاب سيطول إن لم يمحه الإعتاب
يا غائباً بكتابه ووصاله هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجا لتقطعت نفسٌ عليك شعارها الأوصاب
لا يأس من روح الإله فرجما يصل القطوع ويحضر الغياب^(١)

وكتب إلى ابن الخوارزمي وقد وثقت رجله من عثرة لحقته [من الخفيف] :

كيف نال العثارُ من لم يزل منه مُقيلاً فى كل خطب جسيم
أو ترقى الردى إلى قدم لم تخطُ إلا إلى مقام كريم
وأشعاره ونوادره كثيرة

وله من التصانيف كتاب « شهر رمضان » عمله للامام الراضى ، وكتاب
« النيروز والمهرجان » وكتاب « الرد على الخليل » فى العروض ، وكتاب ابتداء
فيه بنسب أهله ، عمله للوزير المهلبى ولم يتمه ، وكتاب « رسالة فى الفرق بين
إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلى فى الغناء » وكتاب « اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به

(١) فى ١ « لا تأس من روح الإله ».

اللقيط » وهو يعارض كتاب أبي الفرج الأصبهاني الذي سماه « الفرق والمعيان، بين الأوغاد والأحرار ».

وهو ولد صاحب كتاب « البارع، في اختيار شعر المحدثين » وسيأتي ذكره في حرف الهاء إن شاء الله تعالى .
وهو حفيد أبي الحسن المذكور قبله .

وكانت ولادته لتسع خلون من صفر سنة ست ، وقيل : سنة سبع وسبعين ومائتين .

وتوفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! وكان يخضب إلى أن توفي .

(٤٤٣)

أبو الفتح على بن محمد الكاتب البسقي الشاعر المشهور

أبو الفتح على
ابن محمد البسقي
الشاعر

صاحب الطريقة الأنيقة ، والتجنيس الأنيس البديع التأسيس ، فمن ألفاظه البديعة قوله : من أصلح فاسده ، أرغم حاسده . من أطاع غضبه ، أضاع أدبه . عادات السادات ، سادات العادات . من سعادة جدك ، وقوفك عندك . الرشوة رشاء الحاجات . أجهل الناس من كان للأخوان مذلا ، وعلى السلطان مذلا . الفهم شعاع العقل . المنية تضحك من الأمنية . حد العفاف ، الرضا بالكفاف . ما خرق الرقيق ، ترقيع .

ومن نادر شعره قوله [من البسيط] :

إن هزاً قلامه يوما ليعملها أنساك كل كمي هز عامله^(١)

(١) في « أنساك كل كمي هز ذابله »

وإن أقر على رق أنامله^١ أقر بالرق كتاب الأنامل له
وله أيضاً قوله [من المتقارب] :
وقد يلبس المرء خز الثياب ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسى خدّه حمرة^٢ وعلتها ورم في الريه
وله أيضاً [من البسيط] :

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم بما تحدث من ماض ومن آت
فلا تعدّ لحديث ، إن طبعهم مؤكل بمعاداة المعادات
وله [من المتقارب] :

تحمل أخاك على مابه فما في استقامته مطمع^٣
وأنى له خلق واحد وفيه طبائعه الأربع
(١) [وللبسقي حين تغير عليه السلطان ، وهو معنى بديع [من الكامل] :
قل للأمر أدام ربي عزّه وأنا له من فضله مكنونه
إني جنيت ولم يزل أهل النهى يهبون للخدام ما يجنونه
ولقد جمعت من العيون فنونها فاجمع من العنوا الكريم فنونه
من كان يرجو عفوه هو فوقه عن ذنبه فليعف عن دونه
وله أيضاً [من الوافر] :

إذا أحسست في لفظي فتوراً وحفظي والبلاغة والبيان
فلا ترتب بفهمي إن لفظي على مقدار إمتاع الزمان
هكذا قاله في زهر الآداب ، والله أعلم (١)

وشعره كثير في التجنيس وغيره

وتوفي سنة أربع مائة ، وقيل : سنة إحدى وأربع مائة ، ببخارا ، رحمه الله تعالى 1

وقد تقدم الكلام على البسقي في ترجمة الخطابي ، ورأيت في أول ديوانه أنه أبو الفتح علي بن محمد بن الحسين بن يوسف بن محمد بن عبد العزيز ، والله أعلم .

(٤٤٤)

أبو الحسن علي بن محمد التهامي ، الشاعر المشهور

أبو الحسن علي
ابن محمد التهامي
الشاعر

قال ابن بسام الأندلسي في كتاب «الذخيرة» : كان مشتهراً بالاحسان ، ذربَ اللسان ، مَخْلَى بينه وبين ضروب البيان ، يدل شعره على فوز القِدْح ، دلالة برد النسيم على الصبح ، ويُعْرَب عن مكانه من العلوم ، إعراب الدمع عن سراهلوى المكتوم .

قلت : وله ديوان شعر صغيراً كثره نُخِبَ .

ومن لطيف نظمه قوله من جملة قصيدة طويلة ، مدح بها الوزير أبا القاسم ابن المغربي ، المقدم ذكره في حرف الحاء [من السريع] :

قلت نخلِي ونغورُ الربا مبتسمات ونغورُ الملاح

أيهما أحلى ترى منظراً فقال : لا أعلم ، كلُّ أفاح

ومثل هذا ما ينسب إلى ابن سناء الملك ، الآتي ذكره ، وهو [من الخفيف] :

فتحيرت أحسب النغر عقداً لسلمي وأحسب العقد ثغراً

فلنمت الجميع قطعاً لشكى وكذا فعل كل من يتحرى

وله في المديح ، وقد بالغ فيه [من الكامل] :

أعطى وأكثر فاستقل هباته فاستحييت الأنواء وهي هوامل

فاسمُ السحاب لديه وهو كنهور آلُ ، وأسماء البحور جداول
وله مريثة في ولده ، وكان قد مات صغيراً ، وهى فى غاية الحسن ، ولم
يمنعنى الاتيان بها ، إلا أن الناس يقولون : إنها محدودة ، فتركتها ، لكن من
جملتها بيتان فى الحساد ، ومعناها غريب فأثبتهما [من الكامل] :

إنى لأرحم حاسدىَّ لحر ما ضمت صدورهم من الأوغار
نظروا صنيع الله بى فعيونهم فى جنة ، وقلوبهم فى نار
ومنها فى ذم الدنيا :

طبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الإقضاء والأكدار
ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب فى الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فأنما تبنى الرجاء على شفير هار^(١)
ومنها أيضاً :

جاورت أعدائى وجاور ربه شتآن بين جواره وجوارى
وتلثبُ الأحشاء شيبَ مفرقى هذا الشعاع شواظُ تلك النار
ومعنى البيت الأخير مأخوذ من قول أبى نصر سعيد بن الشاه ، وهو
[من الخفيف] :

قالت اسودَّ عارضاك بشعرٍ وبه تقبح الوجوه الحسانُ
قلت أشعلت فى فؤادى ناراً فعلى وجنتى منها دخان^(٢)

وله من جملة قصيدة طويلة [من الكامل] :

كم قلت إياك الحجاز فانه ضريت جاذره بصيد أسوده
وأردت صيدها الحجاز فلم يسأ عدك القضاء فصرت بعض صيوده^(٣)

(١) فى « شفير حار » محرفا

(٢) فى ا « فعلى وجنتى منه دخان » والنار مؤنثة

(٣) فى ا « وأردت من صيد الحجاز » وما أثبتناه أحسن

ومن شعره المشهور [من المنسرح] :

بين كريمين مجلسٌ واسعٌ والودُّ حال يقربُ الشاسع

والبيت إن ضاق عن ثمانية متسعٌ بالوداد للتاسع

وله بيت بديع من جملة قصيدة ، وهو [من الكامل] :

وإذا جفك الدهر وهو أبو الورى طرا فلا تعتب على أولاده

وكان التهامي المذكور قد وصل إلى الديار المصرية مستخفياً ، ومعه كتب

كثيرة من حسن بن مفرج بن دغفل البدوي ، وهو متوجه إلى بني قرة ، فظفروا

به ، فقال : أنا من بني تميم ، فلما انكشفت حاله عرف أنه التهامي الشاعر ،

فاعتقل في خزانة البنود ، وهو سجن بالقاهرة ، وذلك لأربع بقين من شهر ربيع

الآخر سنة ست عشرة وأربعمائة ، ثم قتل سرا في سجنه ، في تاسع جمادى

الأولى من السنة المذكورة ، رحمه الله تعالى ! وكان أصفر اللون ، هكذا نقلته من

بعض تواريخ المصريين ، وهو مرتب على الأيام ، قد كتب مؤلفه كل يوم وما

جرى فيه من الحوادث ، رأيت منه مجلداً واحداً ، ولا أعلم كم عدد مجلداته ،

وبعد موته رآه بعض أصحابه في النوم ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ،

فقال : بأى الأعمال ؟ قال : بقولى فى مريئة ولد لى صغير [من الكامل] :

جاورت أعدائى وجاور ربه شتان بين جواره وجوارى

والتهامى — بكسر التاء المثناة من فوقها ، [وفتح الهاء] (١) وبعد الألف ميم — هذه

النسبة إلى تهامة ، وهى تطلق على مكة ، حرسها الله تعالى ! ولذلك قيل للنبي صلى الله

عليه وسلم : تهامى ، لأنه منها ، وتطلق أيضاً على جبال تهامة وبلادها ، وهى

خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ، ولا أعلم هل نسب هذا الشاعر إليها أم

إلى مكة ، والله أعلم .

(٤٤٥)

أبو الحسن على بن أحمد بن نُوبختَ الشاعر
 كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان قليل الحظ من الدنيا ، لم يزل رقيق الحال
 ضعيف المقدرة ، وتوفي بمصر في شعبان سنة ست عشرة وأربعمائة ، وهو على حاله
 من الضرورة وشدة الفاقة ، رحمه الله تعالى ! وكفنه ولي الدولة أبو محمد أحمد بن علي
 المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر ، وهذا ابن خيران كان متولى كتب
 السجلات عن الظاهر بن الحاكم صاحب مصر ، وله ديوان شعر أيضاً صغير الحجم
 ومن شعره البيتان المشهوران وهما [من البسيط] :

سعى إليك بني الواشى فلم ترني أهلاً لتكذيب ما ألقى من الخبر
 ولو سعى بك عندي في الدُّكرى طيفُ الخيال لبعثُ النوم بالسهر
 (١) [قلت : ويقرب من هذا المعنى قول أبي عبد الله الحسين بن اليمى الشاعر
 المشهور صاحب الرسالة المشهورة من جملة أبيات ، وهو قوله [من الكامل] :
 أنبتت أنك قد أتتك قوارصُ عنى ثنتك على الضمير الواجد
 عملت رُقى الواشين فيك وإنها عندي لتضربُ في حديدٍ باردٍ
 والأصل في هذا كله قول عبد الله بن الدمينه (٢) الخنعمى الشاعر المشهور في
 قصيدته البائية المشهورة ، وهو قوله [من الطويل] :

وكوني على الواشين لداء شعبةً كما أنا للواشى الدُّشغوبُ (١)
 ونوبخت : بضم النون ، وسكون الواو ، وفتح الباء الموحدة ، وسكون الخاء
 المعجمة ، وبعدها تاء مثناة من فوقها .

وإنما ذكرت ابن خيران في هذه الترجمة ، ولم أفرد له ترجمة ، لأنى لم أقف
 على تاريخ وفاته ، وقد التزمت في هذا الكتاب ذكر أرباب الوفيات ، ثم إنى

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ا

(٢) في ب « عبيد الله بن الدمينه »

وجدت في كتاب « طبقات الشعراء » تأليف الوزير أبي سعيد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الملقب عميد الدولة ترجمة ولي الدولة ابن خيران المذكور ، وذكر له شعرا وقال : وكان شابا حسن الوجه ، ورد الخبر بوفاته في شهر رمضان من سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكان وقوفى على هذا الفصل في أواخر سنة أربع وسبعين وستائة ، بالقاهرة ، رحمه الله تعالى !

(٤٤٦)

أبو الحسن علي بن عبد الواحد الفقيه البغدادي ، المعروف بصريع الدلاء

قتيل الغواشي ^(١) ، ذى الرقاعتين ، الشاعر المعروف

أصريع الدلاء
أبو الحسن علي
بن عبد الواحد
الأندلسي
الشاعر

ذكره الرشيد أبو الحسن أحمد بن الزبير المذكور في حرف الهمزة في كتاب « الجنان » ، فقال : كان يسلك في شعره مسلك أبي الرقعمق ، وله قصيدة في المجون ختمها بيت لولم يكن له في الجذ سواه لبلغ به درجة الفضل وأحرز معه السبق وهو [من الرجز] :
من فاته العلم وأخطاه الغنى فذاك والكلب على حال سوا

وقدم مصر سنة اثنى عشرة وأربعمائة ، ومدح الظاهر لاعزاز دين الله ، انتهى كلام ابن الزبير .

ورأيت في نسخة ديوان شعره أنه أبو الحسن محمد بن عبد الواحد القصار البصري ، والله أعلم بالصواب .

وكانت وفاته في سابع رجب سنة اثنى عشرة وأربعمائة ، فجأة ، من شرقة لحقته عند الشريف البطحائي ^(٢) ، وغالب ظني أنه توفي بمصر لأنني نقلت تاريخ وفاته من التاريخ الذي ذكرته في ترجمة التهامي ، ومبناه على الحوادث السكائنة بمصر يوما فيوما ، ويؤيد ذلك أن ابن الزبير قد ذكر أنه قدم مصر في سنة اثنى عشرة

(١) في نسخة عند ب « قتل الغواني » (٢) في نسخة عند ب « البطاخي »

وأربعمائة ، وهى السنة التى توفى فيها ، والله أعلم بالصواب .

وفيه قال أبو العلاء المعرى [من الوافر] :

دعيت بصارع فتداركتُهُ مبالغةً فردَّ إلى فعليل

كان طلب إليه شرا بوا ما يليق به ، فسير إليه قليل نفقة ، واعتذر بهذه الأبيات

(٤٤٧)

الرئيس أبو منصور على بن الحسن بن على بن الفضل الكاتب

المعروف بصردر الشاعر المشهور

أبو منصور على
ابن الحسن
صردر، الشاعر

أحد نجباء شعراء عصره ، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى ، وعلى
شعره طلاوة رائقة ، وبهجة فائقة ، وله ديوان شعر صغير ، وما ألفت قوله من
جملة قصيدة [من الوافر] :

نسائل عن ثماماتٍ بحزوى وبان الرملِ يعلم ما عينا

فقد كشف الغطاء فما نبالى أصرحنا بذكرك أم كنينا

ولو أنى أنادى يا سلميى لقالوا ما أردت سوى لبينا

ألا لله طيفٌ منك يسقى بكسات الكرى زورا ومينا

مطيطته طوال الليل جفى فكيف شكاك إليك وجى وأينا

فأمسينا كأننا ما افترقنا وأصبحنا كأننا ما التقينا

وقوله فى الشيب [من الكامل] :

لم أبك أن رحل الشباب ، وإنما أبكى لأن يتقارب الميعاد

شعر الفتى أوراقه ، فاذا ذوى جفت على آثاره الأعواد

وله فى جارية سوداء ، وهو معنى حسن [من السريع] :

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صفة فيها

ما انكسَفَ البدرُ على تِمَّةٍ ونوره إلا ليحكيها
لأجلها الأزمانُ أوقانُها مؤرخات بلياليها

وإنما قيل له «صردر» لأن أباه كان يلقب «صربع» لشحه ، فلما نبغ ولده
المذكور وأجاد في الشعر قيل له : صردر ، وقد هجاه بعض شعراء وقته وهو الشريف
أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضى الشاعر ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى
[من المتقارب] :

لئن لقبَ الناسُ قَدماً أباك وسمَّوه من شحه صرَّ بعراً
فأنك تنثر ما صرَّه عقوقاً له وتسميه شعراً

ولعمري ما أنصفه هذا الهاجى ، فان شعره نادر ، وإنما العدو لا يبالي ما يقول
وكانت وفاة صردر فى سنة خمس وستين وأربعمائة ، وكان سبب موته أنه
تردَّى فى حفرة حفرت للأسد فى قرية بطريق خراسان .

وكانت ولادته قبل الأربعمائة

وسياتى ذكره فى ترجمة الوزير فخر الدولة بن جهر ، واسمه محمد ، وله هناك
شعر بديع .

(٤٤٨)

أبو الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب ،
الباخرزى ، الشاعر المشهور

أبو الحسن
على بن الحسن
الباخرزى
الشاعر

كان أوحده عصره فى فضله وذهنه ، والسابق إلى حيازة القصب فى نظم
ونثره ، وكان فى شبابه مشتغلاً بالفقه على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه
فاختص بملازمة درس الشيخ أبى محمد الجوينى والد إمام الحرمين ، ثم شرع فى فن
الكتابة ، واختلف إلى ديوان الرسائل ، وارتفعت به الأحوال ، وانخفضت ،

ورأى من الدهر العجائب سرفاً وحضراً ، وغلب أدبه على فقهه ، فاشتهر بالأدب
وعمل الشعر ، وسمع الحديث ، وصنف كتاب «دُمِيَّة الْقَصْرِ ، وعصرة أهل العصر»
وهو ذيل يتيمة الدهر التي للشعابي ، وجمع فيها خلقاً كثيراً ، وقد وضع على هذا
الكتاب أبو الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً سماه «وشاح الدمية» وهو كالذيل
له ، هكذا سماه السمعاني في الذيل ، وقال العماد في الخريدة : هو شرف الدين
أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي ، والله أعلم ، وذكر أشياء من شعره ، فمن ذلك
[من السريع] :

يا خالق الخلق حملت الورى لما طغى الماء على جارية
وعبدك الآن طغى ماؤه فى الصلب فاحمله على الجارية
رجعنا إلى الباخرزى

وديان شعره مجلد كبير ، والغالب عليه الجودة ، فمن معانيه الغريبة قوله
[من الطويل] :

وإني لأشكو لَسَعَ أصدائك التى عقاربها فى وجنتيك تحومُ
وأبكى لدر الثغر منك ولى أب فكيف يديم الضحك وهو يقيم
ومن قوله فى شدة البرد [من الكامل] :

كم مؤمن قرصته أظفار الشتاء فغداً لسكان الجحيم حسوداً
وترى طيور الماء فى وكُناتِها تختار حرَّ النار والسفوداً
وإذ رميت بفضل كأسك فى الهوى عادت عليك من العقيق عقوداً
يا صاحب العودين لا تهملها حرك لنا عوداً وحرقت عوداً
وله من جملة أبيات [من البسيط] :

يا فالق الصبح من لالاء غرته وجاعل الليل من أصدائه سَكَناً
بصورة الوثن استعبدتني ، وبها ففتنتني ، وقدما هجت لى شَجَناً

لا غرو أن أحرقت نار الهوى كبدي فالنار حق على من يعبد الوثناً
 وقتل البخارزي في مجلس الأُنس بباخرز ، في ذى القعدة سنة سبع وستين
 وأربعمائة ، وذهب دمه هدرًا !
 وباخرز — بفتح الباء الموحدة ، وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة ، ثم راء
 ساكنة ، وبعدها زاء — وهى ناحية من نواحى نيسابور ، تشتمل على قرى
 ومزارع ، خرج منها جماعة من الفضلاء وغيرهم ^(١)

(٤٤٩)

جمال الملك
 أبو القاسم
 على بن أفلح
 العبسي ،
 الشاعر

جمال الملك أبو القاسم على بن أفلح ، العبسي ، الشاعر المشهور
 شاعر ظريف ، حسن المديح ، كثير الهجاء ، مدح الخلفاء ، فمن دونهم من
 أرباب المراتب ، وجاب البلاد ، ولقى رؤساءها وأكابرها ، رأيت ديوانه فى مجلد
 وسط ، وقد جمعه بنفسه ، وعمل له خطبة ، وقفاه ، وذكر عدد ما فى كل قافية
 من بيت ، واعتنى بأمره ، وهذبه ، نقلت منه قوله يخاطب محبوبه [من الكامل]:
 يا جاهلا قدر المحبة ساءنى ما ضاع من كلنى ومن تبرى بحى
 سيميان عندك مغرم بك هائم وخلى قلب فيك غير قريح
 لو كنت أعلم أن طبعك هكذا لم أعص يوم نصحت فيك نصيحى
 ما كان فى عزى السؤل وإنما ألزمتني بكثرة التقييح

(١) قال ياقوت : « باخرز - بفتح الخاء ، وسكون الراء ، وزاي - كورة ذات
 قرى كبيرة ، وأصلها « باد هرزه » لأنها مهب الرياح ، وهى باللغة البهلوية ، تشتمل
 على مائة وثمان وستين قرية ، قصبتها مالين ... خرج منها جماعة كثيرة من أهل
 الأدب والفقهاء والشعر ، منهم على بن الحسن البخارزي صاحب كتاب دمية القصر ،
 وأبوه ، كان أديبا فاضلا ، وهى بين نيسابور وهرارة » اهـ

وله في غلام ناقص الجمال [من الوافر] :
وما عشقي له وحشا لأنني كرهت الحسن واخترت القبيحا
ولكن غرت أن أهوى مليحاً وكل الناس يهون المليح
ولابن المعتز في هذا المعنى أيضاً قوله في ناقص الجمال [من السريع] :

قلبي ميال إلى ذاودا ليس يرى شيئاً فيأباه
يهم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فيهواه
وله في غلام أعرج أي لابن أفلح المذكور [من الخفيف] :
بأبي من رأيتنه يتثنى فهو من لينه يحلُّ ويعقد
حسدوه على الجمال فقالوا أعرج والمليح ما زال يحسد
هو غصن والحسن في الغصن الناعم ما كان مائلاً يتأوَّد
وله في بعض الرؤساء ، وقد وصل إلى بابه ، فمنعه البواب من الدخول ،
[من السريع] :

حمدت بوابك إذ ردني وذمةٌ غيري على رده
لأنه قلدني نعمة تستوجب الاغراق في حمده
أراحني من قبح مقلِّك لي وكبرك الزائد في حسده
وله نوادر كثيرة .

وتوفي يوم الخميس ، ثاني شعبان سنة خمس ، وقيل : ست ، وقيل : سبع
وثلاثين وخمسمائة ، وعمره أربع وستون سنة ، وثلاثة أشهر ، وأربعة عشر يوماً ،
وكانت وفاته ببغداد ، ودفن بالجانب الغربي بمقابر قریش ، رحمه الله تعالى ! .
وأفلح : بفتح الهمزة ، وسكون الفاء ، وفتح اللام ، وبعدها حاء مهملة .
والعبسى — بفتح العين المهملة ، وسكون الباء الموحدة ، وبعدها سين

مهملة — هذه النسبة إلى عَبَسٍ ، وهو اسم لعدة قبائل ، ولا أعلم إلى أيها نسب المذكور ، وهو يتصحف بالعنسي مثل الأول ، لكن بدل الباء نون ، وهي قبيلة أيضا .

(٤٥٠)

أبو الحسن علي بن أبي الوفاء سعد بن أبي الحسن علي بن عبد الواحد
ابن عبد القاهر بن أحمد بن مُسَهَّر ، الموصلی ، الملقب مهذب الدين
كان شاعراً بارعاً رئيساً مقدماً ، تنقل في أكثر ولايات الموصل ، ومسح
الخلفاء والملوك والأمراء ، ورأيت ديوان شعره في مجلدين ، وذكر في ديوانه أنه
ولد بمدينة آمد ، ومن محاسن شعره قوله في صفة فهد [من البسيط] :

مهذب الدين
أبو الحسن علي
ابن سعد
الموصلی ،
الشاعر

[وكل أهرت بادی السخط مطرح السحيا جهم الحيا سىء الخلق]^(١)
والشمس مذ لقبوها بالغزاة أعطته الرشا حسداً من لونها اليق
ونقطته حياء كي يسالمها على المنيا نعا جُ الرمل بالحدق
هذا ولم يبرز مع سلم جانبه يوما لناظره إلا على فرق
^(١) [ومن هذه القصيدة في صفة الخيل :

سود حوافرها بيض جحافلها صبغ تولد بين الصبح والغسق
من طول ماوطئت ظهر الدجاخية وطول ما كرت من منهل الفلق
وهي قصيدة بديعة ، وأولها :

هي الموارد بين السحر والحدق فرد دنان المنيا مورد الأنق

وأطيب العيش ما تجنيه من تعب
وأعذب الشرب ما يصفو من الرنق
يادار دركٍ إخلاف الغمام على
مر النسيم بجارى الغيث مُنبثق
وإن عدتكَ عوادي المزن فانتجعي

بأروض الأرض من أحفان ذى حرق^(١)

وهذه الأبيات مأخوذة من أبيات الأمير أبي عبد الله محمد بن أحمد السراج
الصورى ، وكان معاصره ، وهى من جملة قصيدة [من البسيط] :

شَنُّ البرائِثِ فى فيه وفى يَدِهِ ما فى الصَّوَارِمِ والعَسَّالَةِ الذَّبَلِ
تنافس الليل فيه والنهار معا فقمَّصَاهُ بجلباب من المقل
والشمسُ مندَدَعَوْهَا بالغزالِلم تَبَرُّزْ لناظره إلا على وَجَلِ
ومن شعر ابن مُسَيرٍ أيضا بيتان كتبهما إلى بعض الرؤساء [من المتقارب] :
ولما اشتكتِ اشتكى كل ما على الأرض واعتلَّ شَرْقٌ وغَرْبُ
لأنك قلبٌ لجِسمِ الزمانِ وما صَحَّ جسمٌ إذا اعتلَّ قلبُ
وذكره العماد السكاتب فى الخريدة ، وبالغ فى الثناء عليه ، ثم قال :

أنشدنى العلم الشيبانى له هذه القصيدة [من المديد] :

حسرت عن يومنا النوبُ واكتسَى نوَّارُهُ العُشْبُ
واستقامت فى بحرَّتِها بالأمانى السبعة الشهبُ
يا خليلي أينَ مُصْطَبَحُ فيه للذات مصْطَحَبُ
وتغور الزهر ضاحكة ودموع القطر تنسكب
ولنا فى كل جارحة من غنا أطياره طَرَبُ

(١) إلى هنا ينتهى الساقط من ا (٢) من هنا سقط أيضا من ا

اسقنيها بنت دَسْكَرَة وهي أُم حِينَ تَنْتَسِبُ
خَنْدَرِيسُ دُونَ مَدَّتْهَا جاءت الأَزْمَانُ وَالْحَقْبُ
طَافَ يَجْلُوهَا لَنَا رَشَاءُ قَصُرَتْ عَنْ لَحْظَةِ الْقُضْبِ
أَوْقَدَتْهَا نَارُ وَجْنَتِهِ فَهَمَى فِي كَهْفَيْهِ تَلْهَبُ
وَلَهَا مِنْ ذَاتِهَا طَرَبُ فَلِهَذَا يَرْقُصُ الْحَبِيبُ

ثم قال بعد ذلك : وكان قد حكى لى كمال الدين بن السهروردي قال : كان ابن مسهر إذا أعجبه معنى لشاعر أو بيت عمل عليه قصيدة وادعاه لنفسه ، واجتمع هو والأبيوردي مرة — وهو لا يعرف ابن مسهر — فخرى حديث ابن مسهر وأنه سرق بيت الأبيوردي ، فقال ابن مسهر : بل الأبيوردي سرق شعري .

وقال في الخريدة أيضاً في حقه في أول ترجمته : عاش إلى زماننا هذا ، ورأيت شيخاً أناف على التسعين لما كنت بالموصل سنة اثنتين وأربعين وخمسة ، ثم وصفه على جاري عاداته ، ثم قال : وابن مسهر مُسَهَّرُ المعاصرين حسداً ، ومميت القاصرين عن شأوه كذا ، ثم قال في أثناء الترجمة ^(١) : ومن غريب الاتفاق ما حكاه السمعاني عن أبي الفتح عبد الرحمن بن أبي الغنائم محمد بن أحمد بن علي بن عبد الغفار المعروف بابن الاخوة البيوع الأديب الكاتب ، أنه رأى في منامه منشداً ينشد [من الطويل] :

وأعجبُ من صبري القُلُوصُ التي سَرَتْ بهودجك المزموم أنى استقلتِ
وأطبقُ أحناء الضلوع على جَوَى جميعِ وصبرِ مستحيلِ مُشَقَّتِ

قال أبو الفتح المذكور : فلما انتهت جعلت دأبي السؤال عن قائل هذين البيتين مدة ، فلم أجد مخبراً عنهما ، ومضى على ذلك عدة سنين ، ثم اتفق نزول أبي الحسن على بن مسهر المذكور في ضيافتي ، فتجاذبنا في بعض الليالي ذكر المنامات ، فذكرت له [حال] ^(٢) المنام الذي رأيت ، وأنشدته البيتين المذكورين ، فقال : أقسم بالله أنهما من شعري من قصيدة ، وأنشدني منها :

(١) إلى هنا نهاية الساقط من ١ (٢) هذه الكلمة في ١ وحدها

إذا ما لسانُ الدمعِ نَمَّ على الهوى فليس بسرٍّ ما الضلوعُ أَجَنَّتْ
فوالله ما أدرى عشيّةً ودَّعَتْ أَنَا حَتَّ حَمَامَاتُ اللَّوَى أَمْ تَغَنَّتْ
[وأعجب من صبرى القلوصُ التي سَرَتْ بهُودَجِكَ المزمومُ أنى استَقَلَّتْ] ^(١)
أَعَاتَبُ فِيكَ اليَعْمَلَاتِ عَلَى النَّوَى وأسألُ عنكَ الرِّيحَ مِنْ حَيْثُ هَبَّتْ
وَأَطْبِقُ أَحْنَاءَ الضُّلُوعِ عَلَى جَوَى جميعَ وصيرِ مستحيلِ مُشْتَتِ
قال : فعجبنا من هذا الاتفاق ، ثم تذاكرنا بقية ليلتنا بأنواع الأدب .

^(١) [ومن شعره أيضاً ، وهو ما أورده له فى الخريدة من قصيدة [من الكامل] :
الوجد ما قد هيجَ الطللات منى ، وأذكرنى سَحَامُ البان
أنا والحمام حيث تَنْدُبُ شَجُوهَا فوق الأراكة سحرةً سِيَّان
فأنا المعنى بالقُدود أَمَاهَا شَرَّخُ الشَّبابِ وَهْنٌ بِالْأَغْصَانِ
ومنها :

فأفخرُ فأنك من سُلَالَةِ معشر عقدوا عمامتهم على التيجان
كل الأنام بَنُوبٍ لَكِنَّا بِالْفَضْلِ يُعْرِفُ قِيَمَةَ الْإِنْسَانِ ^(١)
وتوفى فى أواخر صفر سنة ثلاث وأربعين وخمسة ، رحمه الله تعالى ، وقال
العماد السكاتب فى الخريدة : سنة ست وأربعين .
ومُسَمَّرٌ : بضم الميم ، وسكون السين المهملة ، وكسر الهاء ، وبعدهاء ، وهو اسم علم .

(٤٥١)

أبو الحسن على بن رُسْتَمِ بن هَرْدُوز ، المعروف بابن الساعانى ، الملقب
بهاء الدين ، الشاعر المشهور
شاعر مبرز فى حَلَبَةِ المتأخرين ، له ديوان شعر يدخل فى مجلدين ، أجاد
فيه كل الاجادة ، وديوان آخر لطيف سماه « مقطعات النيل » نقلت منه
[من الكامل] :

بهاء الدين
أبو الحسن
على بن رستم
ابن الساعانى
الشاعر

(١) ما بين المعنوفين لا يوجد فى ا

لله يومٌ في سَيُوطٍ وَلَيْلَةٌ صَرَفُ الزمان بأختها لا يغلط
بتناوَعُرُ الليل في غُلُوَانِه وله بنور البدر فرع أشمطُ
والطَّلُ في سلكِ الغصون كلؤلؤ رطب يُصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرأ والغدير صحيفة والريح يكتب والغمام ينقُطُ
وهذا تقسيم بديع ، ونقلت منه أيضاً [من الكامل] :

ولقد نزلتُ بروضة حَزْنِيَّةٍ رَتَعَتْ نواظرنا بها والأنفُسُ (١)
فظلَّاتٌ عَجَبٌ حيثُ يخلف صاحبي

والمسك من نفحاتها يتنفس
ما الجو إلا عَنـْبَرٌ والدَّوْحُ إلا جوهر والروض إلا سُندُسُ
سفرت شقائقها فهمُ الأَقْحُوا ن بلمتها فَرَّنا إليه النرجسُ
فكأن ذاخذٌ وذا ثغريحاً وله وذا أبدأ عيون تحرُّسُ
وله كل معنى مليح

أخبرني ولده بالقاهرة أن أباه توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر
رمضان سنة أربع وستمائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وعمره إحدى وخمسون
سنة وستة أشهر واثنا عشر يوماً ، ورأيت بخط بعض المشايخ وقد وافق في تاريخ
الوفاة لكنه قال : عاش ثمانيا وأربعين سنة وسبعة أشهر واثني عشر يوماً ، وأنه ولد
بدمشق ، رحمه الله تعالى ! والله أعلم بالصواب .

ورُسم : بضم الراء ، وسكون السين المهملة ، وضم التاء المثناة من فوقها .
وهَرْدُوزُ : بفتح الهاء ، وسكون الراء ، وضم الدال ، وسكون الواو ، وبعدها زاء
وسَيُوطُ : بضم السين المهملة والياء المثناة من تحتها ، وسكون الواو ، وبعدها
طاء مهملة - وهي بلدة بصعيد مصر ، ومنهم من يقول سَيُوطُ بزيادة همزة مضمومة
وسكون السين

(١) حزنية : منسوبة إلى الحزن ، وهو : ما ارتفع من الأرض ، ووقع في «حزنية»

(٤٥٢)

أبو الفضائل علي بن أبي المظفر يوسف بن أحمد بن محمد بن عبيد الله بن الحسين بن أبو الفضائل
أحمد بن جعفر ، الآمدى الأصل ، الواسطى المولد والدار
علي بن يوسف
الآمدى

الواسطى
القاضى

هو من بيت معروف بواسط بالصلاح والرواية والعدالة ، قدم بغداد وأقام بها
مدة ، متفقاً على مذهب الامام الشافعى رضى الله عنه على الشيخ أبى طالب
المبارك بن المبارك صاحب ابن اخل ، ثم من بعده على أبى القاسم يعيش بن
صدقة الفراتى ، وأعاد له درسه بالمدرسة الثقتية بباب الأزج ، وكان حسن الكلام
فى المناظرة ، وسمع الحديث من جماعة كثيرة ببلده وببغداد ، وتولى القضاء
بواسط فى أواخر صفر سنة أربع وثمانية ، وصار إليها فى شهر ربيع الأول من
السنة المذكورة ، وأضيف إليه أيضاً الاشراف بالأعمال الواسطية ، وكان له
معرفة بالحساب ، وله أشعار رائقة ، فمن ذلك الأبيات السائرة ، وهى
[من الكامل] :

واهالهُ ذَكَرَ الحمى فتأوَّها ودَعَا به داعى الصِّبا فتَوَلَّها
هاجَتْ بَارِبلَه البِلايلُ فانثنت أشجَّاهُ تثنى عن الحلم النهى
فشكا جوى ، وبكى أسمى ، وتنبه السَّـ ووجد القديم ولم يزل متنبها
قالوا وَهَى جلدًا ولو علق الهوى بيلم يومًا تأوَّه أو وَهَى
لا تَكْرهُوه على السلوِّ فطائعا حَمَل الغرام فكيف يسلمو مكرها
يا عُمْتُبَ لا عُمْتُبَ عليك فساخى ورِصلي فقد بلغ السقام المنتهى
علمت أن الجذع ميل غصونه لما خطرت عليه فى حَمَلِ البها
ومنعت غنج اللحظ غزلان النِّقا فلذلك أحسن ما يرى عين المَهْمَا

لولا دلائك لم أبت متقسم العزيمات مسلوب الرقاد متيها
 لى أربع شهداء فى صدق الولا دَمْعٌ وحزن مفرط قد دلها^(١)
 وبلا بل تعنادنى لو أنها فى يَدْبَل يوماً لأصبح كالشها
 لام العواذل فى هَوَاكَ وما ارعوى ونهاهُ عنك اللأتمون وما انتهى
 قالوا اشتهاك وقد رآك مليحة عجباً وأى مليحة لاتشتهى
 أنا أعشقُ العشاق فيك ولا أرى مثلى ولالك فى الملاحه مشبها
 وله غيرها أشعار رقيقة

قلت : هكنا وجدت هذه الأبيات منسوبة إليه ، ولا أتحقق صحتها ، ثم
 وجدت بخطى فى مسوداتى أن توفى ابن الأمدى الشاعر سنة إحدى وخمسين
 وخمسمائة ، وكان فى طبقة الغزى والأرجانى ، ولم أقف على اسمه ونسبه حتى أعلم
 من هو ، لكنه قال^(٢) : وكان من أهل النيل [يعنى] البليدة التى فى العراق ، وكان
 قد زاد على تسعين سنة ، فيحتمل أن تكون له هذه الأبيات المذكورة فى هذه
 الترجمة ، ويحتمل أن تكون لهذا الثانى المجهول الاسم والنسب ، والله أعلم ، لكن
 يترجح الأول لأنه^(٣) كان قاضى واسط فهو الفقيه ، وهذا الشاعر .

(١) وقع فى ا ، ب ، ح ، ن « دمع وحزن مفرط وتدلها » وكتب مصحح ب
 على هامش النسخة ما نصه « قوله وتدلها ، هكنا فى بعض النسخ ، ولا يخفى ما فيه ،
 وفى بعض آخر « قد دلها » وهى — وإن استقامت من حيث العربية — إلا أن عدد
 الشهود الأربعة ينقص ، فتأمل » اهـ .

(٢) قوله « لكنه قال » عنى بذلك نفسه فيما وجدته بخطه فى مسوداته ، تأمل
 اهـ من هامش ب .

(٣) قوله « لكنه يترجح الأول ، لأنه إلخ » مقتضى التعليل المذكور أن الذى
 يترجح هو الثانى ، لا الأول ، تأمل . اهـ من هامش ب .

وكانت ولادته بواسط في الخامس والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وخمسين وخمسة .

وتوفي ليلة الاثنين ثالث شهر ربيع الأول سنة ثمان وستمائة ، بواسط ، وصلى عليه يوم الاثنين ، ودفن عند أبيه وأهله بظاهر البلد ، رحمه الله تعالى ! وقد تقدم الكلام على الأمدي ، وأن نسبته إلى آمد .

(٤٥٣)

عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه بن فناخسرو ، الديلمي صاحب بلاد فارس ، وقد تقدم تمام نسبه في ترجمة أخيه معز الدولة في حرف الهمزة .

عماد الدولة
أبو الحسن
علي بن بويه
الديلمي

وعماد الدولة المذكور أول من ملك من بني بويه ، وكان أبوه صيادا ، وليست له معيشة إلا من صيد السمك ، وكانوا ثلاثة إخوة : عماد الدولة أكبرهم ، ثم ركن الدولة الحسن وهو والد عضد الدولة ، وقد تقدم ذكره في حرف الحاء ، ثم معز الدولة ، والجميع ملكوا ، وكان عماد الدولة سبب سعادتهم التامة ، وانتشار صيتهم ، واستولوا على البلاد ، وملكوا العراقيين والأهواز وفارس ، وساسوا أمور الرعية أحسن سياسة ، ثم لما ملك عضد الدولة بن ركن الدولة اتسعت مملكته ، وزادت على ما كان لأسلافه ، ولولا خوف الاطالة لذكرت طرفا من [أخبار] ^(١) سبب تملك عماد الدولة المذكور وكيفية أمره من أول الحال .

وذكر أبو محمد هرون بن العباس المأموني في تاريخه أن عماد الدولة المذكور اتفقت له أسباب عجيبة كانت سببا لثبات ملكه : منها أنه لما فتح شيراز في أول ملكه اجتمع أصحابه وطلبوه بالأموال ، ولم يكن معه ما يرضيهم به ، وأشرف أمره على

(١) هذه الكلمة لا توجد في ا

الانحلال ، فاعتم لذلك ، فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس
قد خلا فيه للفكر والتدبير إذ رأى حَيَّة قد خرجت من موضع من سقف ذلك
المجلس ودخلت إلى موضع آخر منه ، فخاف أن تسقط عليه ، فدعا الفراشين
وأمرهم بإحضار سُلم ، وأن تخرج الحية ، فلما صعدوا ، وبحشوا عن الحية وجدوا
ذلك السقف يُفضى إلى غرفة بين سقفين ، فعرفوه ذلك ، فأمرهم [بفتحها] (١) ففتحت
فوجد فيها عدة صناديق من المال والمصاغات (٢) قدر خمسمائة ألف دينار ، فحمل
المال إلى بين يديه ، فسُرَّ به ، وأنفق في رجاله ، وعاد أمره بعد أن كان قد
أشفى على الانحرام ، ثم إنه قطع ثياباً وسأل عن خياط حاذق ، فوصف له خياط
كان لصاحب البلد قبله ، فأمر بإحضاره ، وكان أطروشاً فوقع له أنه قد سعى به
إليه في ودیعة كانت عنده لصاحبه ، وأنه طلبه لهذا السبب ، فلما خاطبه حلف
أنه ليس عنده إلا اثنا عشر صندوقاً لا يدرى ما فيها ، فعجب عماد الدولة من
جوابه ، ووجه معه مَنْ حملها ، فوجد فيها أموالاً وثياباً بجملة عظيمة ، فكانت
هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته ، ثم تمكنت حالته ، واستقرت قواعده
وكانت وفاته يوم الأحد لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة
ثمان وثلاثين ، وقيل : تسع وثلاثين وثلثمائة ، بشيراز ، ودفن في دار المملكة وأقام
في المملكة ست عشرة سنة ، وعاش سبعة وخمسين سنة ولم يعقب ، رحمه الله تعالى !
وأثاه في مرضه أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم بلاد فارس إلى عضد
الدولة بن ركن الدولة ، فتسلمها ، والله أعلم .

* * *

(١) لا توجد هذه الكلمة في ١ (٢) في ١ « والبضاعات »

(٤٥٤)

سيف الدولة أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد تقدم تمة
نسبه في ترجمة أخيه ناصر الدولة الحسن ، فلا حاجة إلى إعادته
سيف الدولة
علي بن عبد الله
ابن حمدان

قال أبو منصور الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر: كان بنو حمدان ملوكاً أوجههم
للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسباحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة
مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلاذتهم ، وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ،
وقبله الآمال ، ومحط الرجال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم
يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم
الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ، ما ينفق لديها ، وكان أديبا شاعرا
محبا لجيد الشعر شديد الاهتزاز له ، وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد
الفياض الكاتب وأبي الحسن علي بن محمد الشمشاطي قد اختار من مدائح
الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف بيت .

ومن محاسن شعر سيف الدولة في وصف قوس قزح وقد أبدع فيه كل الابداع
وقيل : إن هذه الأبيات لأبي الصقر القبيصي ، والأول ذكره الثعالبي في كتاب
يتيمة الدهر [من الطويل] :

وساقٍ صَبِيحٍ لِلصَّبُوحِ دَعْوَتُهُ فقام وفي أجفانه سِنَّةُ الغُمُضِ
يطوف بكاساتِ العقارِ كأنَّجُمَ فمن بين مُنْقَضِ عَلَيْنَا وَمَنْفُضِ
وقد نَشَرَتْ أَيْدَى الْجَنُوبِ مَطَارِفًا على الجودِ كَنَّاؤُا الحَواشِي عَلَى الْأَرْضِ
يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَصْفَرِ على أَحْمَرٍ فِي أَخْضَرٍ تَحْتَ مُبْيَضِ
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ أَقْبَلَتْ فِي غَلَاثِلِ مُصَبَّغَةٍ ، وَالْبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضِ

وهذا من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة ، والبيت

الآخر قد أخذ معناه أبوعلی الفرج بن محمد بن الاخوة المؤدّب البغدادی ، فقال
فی فرس أدهم مُحَجَّل [من الخفيف] :

لَيْسَ الصَّبْحُ وَالذُّجْنَةُ بُرْدِي — فَارْخِي بُرْدًا وَقَلَّصَ بُرْدًا
وقيل : إنها لعبد الصمد بن المعدّل .

وكانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم فى غاية الجمال ، فحسدها
بقية الخطايا لقر بها منه ومحلها من قلبه ، وعَزَمَ عَلَى إيقاع مكروه بها من سم
أو غيره ، فبلغه الخبر وخاف عليها ، فنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً ، وقال
[من الخفيف] :

رَاقِبَتْنِي الْعَيُونُ فَيَكُ فَاشْفَقْتُ وَلَمْ أَخْلُ قَطُّ مِنْ إِشْفَاقِ
وَرَأَيْتُ الْعَدُوَّ يَحْسُدُنِي فَيَكُ مَجْدًا بِأَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ
فَتَمَنَيْتُ أَنْ تَكُونِي بَعِيدًا وَالَّذِى بَيْنَنَا مِنَ الْوَدِّ بَاقِ
رُبَّ هَجْرٍ يَكُونُ مِنْ خَوْفِ هَجْرٍ وَفِرَاقٍ يَكُونُ خَوْفَ فِرَاقِ
وَرَأَيْتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ بَعَيْنَهَا فِى دِيْوَانِ عَبْدِ الْحَسَنِ الصُّورِيِّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ
لِمَنْ هِىَ مِنْهُمَا .

ومن شعره أيضاً [من مجزوء الوافر] :

أَقْبَلَهُ عَلَى جَزَعٍ كَشَرِبِ الطَّائِرِ الْفَرِيعِ
رَأَى مَاءَ فَاطِمَةَ وَخَافَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ
وَصَادَفَ خَلْسَةَ فَدَنَّا وَلَمْ يَلْتَذَّ بِالْجُرْعِ

ويحكى أن ابن عمه أبا فراس المقدّم ذكره فى حرف الحاء كان يوماً بين يديه
فى نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة : أيكم يميز قولى ، وليس له إلا سيدى ،
يعنى أبا فراس [من مجزوء الخفيف] :

لَكَ جَسْمِي تُعَلِّمُهُ فِدْمِي لِمَ تُحِلُّهُ ؟ (١)

(١) فى نسخة عند ب * لك قلبى تحله *

فارتجل أبو فراس ، وقال : [من مجزوء الخفيف] :
قال إن كنت مالكا فلي الأمر كله
فاستحسنه وأعطاه ضيعة بأعمال منبج المدينة المعروفة تغل ألف دينار
في كل سنة .

ومن شعر سيف الدولة أيضاً قوله [من الطويل] :
تجنى على الذنب والذنب ذنبه وعاتبني ظمأ وفي شقير العتب
إذا برم المولى بخدمة عبده تجنى له ذنباً وإن لم يكن ذنب (١)
وأعرض لما صار قلبي بكفه فهلا جفاني حين كان لي القلب
وأنشدني الفقير أيدمر الصوفي المسحى إبراهيم لنفسه دوبيت في معنى
البيت الثالث :

قوم نقضوا عهودنا بالشعب من غير جناية ولا من ذنب
صدوا وتعبوا وقد همت بهم هلا هجروا وكان قلبي قلبي
ويحكى أن سيف الدولة كان يوماً بمجلسه والشعراء ينشدونه ، فتقدم أعرابي
رث الهيئة وأنشد وهو [حينئذ] بمدينة حلب [من المنسرح] :
أنت على وهذه حلب قد نفذ الزاد وانتهى الطلب
بهذه تفخر البلاد وبال أمير تزهى على الورى العرب
وعبدك الدهر قد أضرب بنا إليك من جور عبدك الهرب
فقال سيف الدولة : أحسنت والله ، وأمر له بمائتي دينار .

وقال أبو القاسم عثمان بن محمد العراقي قاضي عين زربة (٢) : حضرت مجلس
الأمير سيف الدولة بحلب ، وقد وافاه القاضي أبو نصر محمد بن محمد النيسابوري ،
فطرح من كمه كيساً فارغاً ودرجاً فيه شعر استأذنه في إنشاده ، فاذن له ، فأنشد
قصيدة أولها [من الطويل] :

حباًؤك معتاداً وأمرك نافذ وعبدك محتاج إلى ألف درهم

(١) في « إذا أبرم المولى » وليس بشيء (٢) بلد من نواحي المصيصة
(٦ — ٣)

فلما فرغ من إنشاده ضحك سيف الدولة ضحكا شديداً ، وأمر له بألف دينار ، فجعلت في الكيس الفارغ الذي كان معه .

وكان أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم المعروفان بالخالدين الشاعرين المشهورين ، وأبو بكر أكبرهما ، وقد وصلا إلى حضرة سيف الدولة ومدّحاه ، فأنزلهما ، وقام بواجب حقهما ، وبعث لهما مرة وصيفاً ووصيفة ومع كل واحد منهما بدرة وتخت ثياب من عمل مصر ، فقال أحدهما من قصيدة طويلة [من الكامل] :

لَمْ يَفِدْ شُكْرَكَ فِي الْخَلَائِقِ مَطْلَقاً إِلَّا وَمَا لَكَ فِي النِّوَالِ حَبِيسُ

خَوَّلْتَنَا شِمْساً وَبَدراً أَشْرَقَتْ بِهِمَا لَدَيْنَا الظَّامَةُ الْخَنْدِيسُ

رَشَأُ أَتَانَا وَهُوَ حُسْنُ يَوْسُفَ وَغَزَالَةٌ هِيَ بِهِجَةٌ بَلْقِيسُ

هَذَا وَلَمْ تَنْفَعْ بِذَلِكَ وَهَذِهِ حَتَّى بَعَثْتَ الْمَالَ وَهُوَ نَفِيسُ

أَتَتِ الْوَصِيفَةُ وَهِيَ تَحْمِلُ بَدْرَةَ وَأَتَى عَلَى ظَهْرِ الْوَصِيفِ الْكَيْسُ

وَحَبَوْتَنَا مِمَّا أَجَادَتْ حَوْكُهُ مِصْرٌ وَزَادَتْ حُسْنُهُ تَنْفِيسُ

فغدانا من جودك المأكول والمشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظة « المنكوح » فليست مما يخاطب

الملوك بها .

وأخبار سيف الدولة كثيرة مع الشعراء ، خصوصاً مع المتنبي والسري الرفاء والناعي والبيغاء والوأواء وتلك الطبقة ، وفي تعدادهم طول .

وكانت ولادته يوم الأحد سابع عشر ذي الحجة سنة ثلاث وثلثمائة ،

وقيل : سنة إحدى وثلثمائة . وتوفي يوم الجمعة ثالث ساعة ، وقيل : رابع ساعة ،

لخمس بقين من صفر سنة ست وخمسين وثلثمائة ، بحلب ، ونقل إلى مياً فارقين ،

ودفن في تربة أمه ، وهي داخل البلد ، وكان مرضه عسر البول .

وكان قد جمع من نفص الغبار الذي يجتمع عليه في غزواته شيئاً وعمله لينة

بقدر الكف ، وأوصى أن يوضع خده عليها في لحده ، فنفذت وصيته في ذلك .
وملك حلب في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، انتزعها من يد أحمد بن سعيد
الكلابي صاحب الاخشيد ، ورأيت في تاريخ حلب أن أول من ولى حلب
من بني حمدان الحسين بن سعيد ، وهو أخو أبي فراس بن حمدان ، وأنه تسلمها في
رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، وكان شجاعا موصوفا ، وفيه يقول ابن المنجم
[من الكامل] :

وإذا رأوه مقبلا قالوا ألا إن المنايا تحت راية ذاك

وتوفي يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثمان
وثلاثين وثلثمائة بالموصل ، ودفن بالمسجد الذي بناه في الدير الأعلى ، وكنت أظن
أن دير سعيد الذي بظاهر الموصل منسوب إلى أبيه ^(١) حتى رأيت في كتب الديرة
منسوبا إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان الأموي .

وكان سيف الدولة قبل ذلك مالك واسط وتلك النواحي ، وتقلبت به الأحوال
وانتقل إلى الشام ، وملك دمشق أيضاً وكثيراً من بلاد الشام والجزيرة ، وغزواته
مع الروم مشهورة ، وللمتنبي في أكثر الوقائع قصائد ، رحمه الله تعالى ! .

وملك بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة ، وطالت
مدته أيضاً في المملكة ، ثم عرض له قولنج أشقى منه على التلف ، وفي اليوم
الثالث من عافيته واقع جارية ، فلما فرغ منها سقط عنها وقد جف شقه الأيمن ،
فدخل عليه طبيب ، فأمر أن يسجر عنده الند والعنبر ، فأفاق قليلا ، فقال له
الطبيب : أرني مجسك ، فناوله يده اليسرى ، فقال : أريد اليمنى ، فقال :
ما تركت لي اليمنى يمينا ، وكان قد حلف وغدر ، وتوفي ليلة الأحد لخمس بقين من
شهر رمضان سنة إحدى وثمانين وثلثمائة وعمره أربعون سنة وستة أشهر وعشرة أيام .

(١) في « منسوب إليه » وليس بذلك

وتولى بعده ولده أبو الفضائل سعد ، ولم أقف على تاريخ وفاته ، وبموته انقرض ملك سيف الدولة .

وتوفي أبو على بن الأخوة المذكور يوم الجمعة رابع عشر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وخمسمائة ، وكان شاعراً مجيداً .

(٤٥٥)

أبو هاشم على ، الملقب الظاهر لاعزاز دين الله ، ابن الحاكم بن العزيز ابن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله صاحب مصر ، وقد تقدم ذكر جماعة من أهل بيته

الظاهر
أبو هاشم على
ابن الحاكم
العبيدي
صاحب مصر

كانت ولايته بعد فقد أبيه بمدة ، لأن أباه فقد في السابع والعشرين من شوال سنة إحدى عشرة وأربعمائة كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، وكان الناس يَرْجُونَ ظهوره ، ويتبعون آثاره ، إلى أن تحققوا عدمه ، فأقاموا ولده المذكور في يوم النحر من السنة المذكورة ، وكانت مملكته الديار المصرية وإفريقية وبلاد الشام ، فقصده صالح بن مرداس الكلابي مدينة حلب وحاصرها ، وفيها مرتضى الدولة بن لؤلؤ الجراحى غلام أبي الفضائل بن شريف بن سيف الدولة الحمداني نيابة عن الظاهر المذكور ، فانتزعها منه ، واستولى على ما يليها ، وتغلب حسان بن مفرج بن دغفل البدوي صاحب الرملة على أكثر بلاد الشام ، وتضعفت دولة الظاهر وجرت أمور وأسباب يطول شرحها ، واستوزر نجيب الدولة أبا القاسم على بن أحمد الجرجرائي ، وكان أقطع اليدين من المرفقين ، قطعها الحاكم والد الظاهر في شهر ربيع الآخرة سنة أربع وأربعمائة على باب القصر البحري بالقاهرة المحروسة ، وحمل إلى داره ، وكان يتولى بعض الدواوين ، فظهرت عليه

خيانة قطع بسببها ، ثم بعد ذلك ولى ديوان النفقات سنة تسع وأربعمائة ، ثم وَزَرَ للظاهر سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ، وهذا كله بعد أن تنقل فى الخدم بالأرياف والصعيد ، ولما استوزر كان يكتب عنه العلامة القاضى أبوعبدالله القضاعى صاحب كتاب الشهاب ، وسياقى ذكره إن شاء الله تعالى ، وكانت علامته « الحمد لله شكراً لنعمته » واستعمل [فى وزارته ^(١)] العفاف والأمانة الزائدة والاحتراز والتحفظ وفى ذلك يقول جاسوس الفلك [من مجزوء الكامل] :

يا أحمقا اسمع وقل ودع الرقاعة والتحامق
أأقت نفسك فى الثقا تِ وَهَبْكَ فيما قلت صادق
فمن الأمانة والتقى قُطِعَتْ يداك من المرافق

وهو منسوب إلى جرّجرايا — بفتح الجيمين بينهما راء ساكنة ثم راء مفتوحة وبين الألفين ياء مثناة من تحتها — وهى قرية من أرض العراق . وكانت ولادة الظاهر يوم الأربعاء عاشر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالقاهرة .

وتوفى آخر ليلة الأحد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، رحمه الله ! وسمعت أنه توفى ببستان الدكة ، وكان بالمقس فى الموضع المعروف بالدكة . وتوفى وزيره الجرّجراي سنة ست وثلاثين وأربعمائة فى سابع شهر رمضان ، وكانت مدة وزارته للظاهر وولده المستنصر سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوما .

(١) لا توجد هذه الكلمة فى (١)

(٤٥٦)

سديد الملك
أبو الحسن علي
ابن مقلد ، ابن
منقذ ، الكنانى

أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى ، الملقب سديد الملك صاحب قلعة شيزر ، وكان شجاعاً مقداماً^(١) قوى النفس كريماً ، وهو أول من ملك قلعة شيزر من بنى منقذ ، لأنه كان نازلاً بجوار القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بنى منقذ ، وكانت القلعة بيد الروم ، فحدثه نفسه بأخذها ، فنازلها وتسلمها بالأمان فى رجب سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، ولم تزل فى يده ويد أولاده إلى أن جاءت الزلزلة فى سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة فهدمتها وقتلت كل من فيها من بنى منقذ وغيرهم تحت الهدم ، وشغرت ، فجاء نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فى بقية السنة وأخذها

وذكر بهاء الدين بن شداد فى كتاب سيرة صلاح الدين أنه جاءت زلزلة بحلب ، وأخرت كثيراً من البلاد ، وذلك فى ثمانى عشر شوال سنة خمس وستين وخمسمائة ، وهذه غير تلك ، فلا يظن الواقف عليه أن هذا غلط ، بل هما زلزلتان ، والأول ذكره ابن الجوزى فى شذور العقود وغيره أيضاً .

وكان سديد الملك المذكور مقصوداً ، وخرج من بيته جماعة نجباء أمراء فضلاء كرماء ، ومدحه جماعة من الشعراء كابن الخياط والخفاجى وغيرهما ، وكان له شعر جيد أيضاً ، فنه قوله وقد غضب على مملوك له وضر به [من البسيط] :

أسطو عليه وقلبي لو تمكّن من كفى غلّهما غيظاً إلى عنقى

وأستعير إذا عاقبته حنقاً وأين ذلُّ الهوى من عزة الحنق^(٢)

وكان موصوفاً بقوة الفطنة ، وينقل عنه حكاية عجيبة ، وهى أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه شيزر وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن صالح بن مرداس ، فجرى أمر خاف سديد الملك المذكور على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام

(١) فى اب « مقدما » (٢) فى ا « وعزة الحنق » وما أثبتناه أحسن

وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمار ، فأقام عنده ، فتقدم محمود بن صالح إلى كاتبه أبي نصر محمد بن الحسين بن علي بن النحاس الحلبي أن يكتب إلى سيد الملك كتاباً يتشوقه ويستعطفه ويستدعيه إليه ، وفهم الكاتب أنه يقصده شراً ، وكان صديقاً لسيد الملك ، فكتب الكتاب كما أمر إلى أن بلغ إلى « إن شاء الله تعالى » فشدد النون وفتحها ، فلما وصل الكتاب إلى سيد الملك عرضه على ابن عمار صاحب طرابلس ومن في مجلسه من خواصه ، فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظمو ما فيه من رغبة محمود فيه وإيثاره لقربه ، فقال سيد الملك : إني أرى في الكتاب مالا ترون ، ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال ، وكتب في جملة الكتاب « أنا الخادم المقر بالانعام » وكسر الهمزة من أنا ، وشدد النون ، فلما وصل الكتاب إلى محمود ووقف عليه الكاتب سر بما فيه وقال لأصدقائه : قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على سيد الملك ، وقد أجاب بما طيب نفسي ، وكان الكاتب قد قصد قول الله تعالى (إن الملائكة يأترون بك لقتلوك) فأجاب سيد الملك بقوله تعالى (إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها) فكانت هذه معدودة من تيقظه وفهمه ، هكذا ساق هذه الحكاية أسامة في مجموعه إلى الرشيد بن الزبير في ترجمة ابن النحاس .

وكانت وفاته في سنة خمس وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !
وقد تقدم ذكر حفيده أسامة بن مرشد بن علي المذكور في حرف الهمزة ، وسيأتي ذكر والده في حرف الميم ، إن شاء الله تعالى .
وذكرهم العمد الأصهباني في الخريدة ، وبالغ في الثناء عليهم ، وذكر أيضاً في كتاب « السيل والذيل » أنه توفي تحت الهدم لما هدمت الزلزلة حصن شيزر يوم الاثنين ثالث رجب سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، والله أعلم .

(٤٥٧)

أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي ، القائم باليمن

أبو الحسن
علي بن محمد
الصليحي

كان والده محمد قاضياً باليمن ، سُني المذهب ، وكان أهله وجماعته يطيعونه ، وكان الداعي عامر بن عبد الله الرواحي يلاطفه ، ويركب إليه ، لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه ، فلم يزل عامر المذكور حتى استمال قلب ولده علي المذكور وهو يومئذ دون البلوغ ولاحت له فيه مخايل النجابة ، وقيل : كانت عنده حلية علي الصليحي في كتاب الصور ، وهو من الذخائر القديمة ، فأوقفه منه علي تنقل حاله وشرف مآله ، وأطلععه على ذلك سرا من أبيه وأهله ، ثم مات عامر عن قرب ، وأوصى له بكتبه وعلومه ، ورسخ في ذهن علي من كلامه مارسخ ، فعكف على الدرس وكان ذكياً فلم يبلغ الحلم حتى تضلع من معارفه التي بلغ بها وبالجد السعيد غاية الأمل البعيد ، فكان فقيهاً في مذهب الإمامية ، مستبصراً في علم التأويل ، ثم إنه صار يحج بالناس دليلاً على طريق السراة والطائف خمس عشرة سنة ، وكان الناس يقولون له : بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ، ويكون لك شأن ، فيسركه ذلك وينسركه على قائله ، مع كونه أمراً قد شاع وكثر في أفواه الناس من الخاصة والعامة ، ولما كان في سنة تسع وعشرين وأربعمائة ثار في رأس مشار ، وهو أعلى ذروة في جبال اليمن ، وكان معه ستون رجلاً قد حالفهم بمكة في موسم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة على الموت والقيام بالدعوة ، وما منهم إلا مَنْ هو من قومه وعشائره في ممتعة وعدد كثير ، ولم يكن في رأس الجبل المذكور بناء ، بل كان قلةً منيعة عالية ، فلما ملسكها لم ينتصف نهار ذلك اليوم الذي ملسكها في ليلته إلا وقد أحاط به عشرون ألف ضارب سيف وحصروه ، وشتموه ، وسفها رأيه وقالوا له : إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك بالجوع ، فقال لهم : لم أفعل هذا إلا خوفاً علينا وعليكم أن يملكه غيرنا ، فان تركتموني أحرسه لكم وإلا نزلت

إليكم ، فانصرفوا عنه ، ولم يرض عليه أشهر حتى بناه وحصنه وأتقنه ، واستفحل أمر الصليحي شيئاً فشيئاً ، وكان يدعو للمستنصر صاحب مصر في الخفية ويخاف من نجاح صاحب تهامة ويلاطفه ويستكين لأمره ، وفي الباطن يعمل الحيلة في قتله ، ولم يزل حتى قتله بالسهم مع جارية جميلة أهداها إليه ، وذلك في سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ، بالكدراء ، وفي سنة ثلاث وخمسين كتب الصليحي إلى المستنصر يستأذنه في إظهار الدعوة ، فأذن له ، فطوى البلاد طياً ، وفتح الحصون والتهاشم ، ولم تخرج سنة خمس وخمسين إلا وقد ملك اليمن كله سهله ووعره وبره وبحره ، وهذا أمر لم يعهد مثله في جاهلية ولا في إسلام ، حتى قال يوماً وهو يخطب الناس في جامع الجند : وفي مثل هذا اليوم نخطب على منبر عدن ، ولم يكن ملكها بعد ، فقال بعض من حضر مستهزئاً : سبوح قدوس ، فأمر بالحوطة عليه ، وخطب الصليحي في مثل ذلك اليوم على منبر عدن ، فقام ذلك الانسان وتغالى في القول وأخذ البيعة ودخل في المذهب

ومن سنة خمس وخمسين استقر حاله في صنعاء ، وأخذ معه ملوك اليمن الذين أزال ملكهم ، وأسكنهم معه ، وولى في الحصون غيرهم ، واختط بمدينة صنعاء عدة قصور ، وحلف أن لا يولى تهامة إلا لمن وزن مائة ألف دينار ، فوزنت له زوجته أسماء عن أخيها أسعد بن شهاب ، فولاه ، فقال لها : يا مولاتنا أتى لك هذا ؟ فقالت : (هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فتبسم وعلم أنه من خزانته ، فقبضه ، وقال : (هذه بضاعتنا ردت إلينا) ، فقالت : (ونمير أهلنا ونحفظ أخانا) .

ولما كان في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة عزم الصليحي على الحج ، فأخذ معه الملوك الذين كان يخاف [منهم] أن يشوروا عليه ، واستصحب زوجته أسماء بنت شهاب ، واستخلف مكانه ولده الملك المسكرم أحمد ، وهو ولدها أيضاً ،

وتوجه في ألفى فارس فيهم من آل الصليحي مائة وستون شخصاً ، حتى إذا كان بالمهجم ، ونزل في ظاهرها بضیعة ، يقال لها : الدهيم ، وبئر أم معبد ، وخيمنت عساكره والملوك الذين معه من حوله ، لم يشعر الناس حتى قيل : قد قتل الصليحي ، فاندعر الناس ، وكشفوا عن الخبر ، فكان سعيد الأحول ابن نجاح المذكور الذي قتلته الجارية بالسهم قد استتر في زبيد ، وكان أخوه جياش في دهلك ، فسير إليه وأعلمه أن الصليحي متوجه إلى مكة ، فتحضر حتى تقطع عليه الطريق وقتله ، فحضر جياش إلى زبيد ، وخرج هو وأخوه سعيد ، ومعهما سبعون رجلاً بلا مركوب ولا سلاح ، بل مع كل واحد جريدة في رأسها مسمار حديد ، وتركوا جادة الطريق ، وسلكوا طريق الساحل ، وكان بينهم وبين المهجم مسيرة ثلاثة أيام للمُجد .

وكان الصليحي : قد سمع بخروجهم ، فسير خمسة آلاف حربة من الحبشة الذين في ركابه لقتالهم ، فاختلفوا في الطريق ، فوصل سعيد ومن معه إلى طرف الخيم ، وقد أخذ منهم التعب والحفاة ، وقلة المادة ، فظن الناس أنهم من جملة عبيد العسكر ، ولم يشعر بهم إلا عبد الله أخو علي الصليحي ، فقال لأخيه : يا مولانا اركب ، فهذا والله الأحول سعيد بن نجاح ، وركب عبد الله ، فقال الصليحي لأخيه : إني لا أموت إلا بالدهيم ، وبئر أم معبد ، معتقداً أنها أم معبد التي نزل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة ، فقال له رجل من أصحابه : قاتل عن نفسك ، فهذه والله الدهيم وبئر أم معبد ، فلما سمع الصليحي ذلك لحقه زعم اليأس من الحياة ، وبال ، ولم يبرح من مكانه حتى قطع رأسه بسيفه ، وقتل أخوه معه ، وسأر الصليحيين ، وذلك في الثاني عشر من ذي القعدة سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة .

ثم إن سعيداً أرسل إلى خمسة آلاف التي أرسلها الصليحي لقتالهم ،

وقال لهم : إن الصليحي قد قتل ، وأنا رجل منكم ، وقد أخذت ثأر أبي ،
فقدموا عليه وأطاعوه ، واستعان بهم على قتال عسكر الصليحي ، فاستظهر عليهم
قتلاً وأسرًا ونهبًا ، ثم رفع رأس الصليحي على عود المظلة ، وقرأ القارىء :
(قل اللهم مالك الملك ، تؤتي الملك من تشاء) الآية ، ورجع إلى زبيد ، وقد
حاز من الغنائم ملكاً عقيماً ، ودخلها في السادس عشر ، من ذى القعدة ، من
السنة ، وملك بلاد تهامة .

ولم يزل على ذلك حتى قتل في سنة إحدى وثمانين وأربعمائة بتدبير الحرّة ،
وهي امرأة من الصليحيين ، وخبر ذلك يطول .

ولما قتل الصليحي ، وقد رفع رأسه على عود المظلة كما تقدم ذكره ، عمل
في ذلك القاضي العثماني [من الكامل] :

بكرت مظلمته عليه فلم ترُحْ إلا على الملك الأجل سعيدها
ما كان أقبح وجهه في ظلها ما كان أحسن رأسه في عودها
سود الأراقم قابلت أسد الشرى وارحمنا الأسودها من سودها
ولعل الصليحي شعر جيد ، فمن ذلك قوله [من الكامل] :

أنكحتُ بيض الهند سمر رماحهم فرؤوسهم عرض النشار نثار
وكذا العلاء لا يستباح نكاحها إلا بجيث تطلق الأنعامُ
وذكره العباد في الخريدة ، فقال : ومن شعره ، وقيل : لغيره على لسانه ،
[من الكامل] :

وألذ من قرع المثاني عنده في الحرب أَلجمُ يا غلامُ وأسرج
خيل بأقصى حضرموت مجالها وصهيلها بين العراق ومنبج^(١)
والصليحي — بضم الصاد المهملة ، وفتح اللام ، وسكون الياء المثناة من

(١) في خيل بأقصى حضرموت أشدها وزئيرها بين العراق ومنبج

تحتها ، وبعدها جاء مهمة — لا أعرف هذه النسبة إلى أى شيء هي ، والظاهر أنها إلى رجل ، فقد جاء في الأسماء الأعلام صليح ، ونسبوا إليه أيضاً .
وأما الأماكن المذكورة : فكلها من بلاد اليمن ، ولم أتحقق ضبطها ، فكتبتها على الصورة التي وجدتتها .
وأكثر هذه الترجمة نقلتها من أخبار اليمن ، للفقيه عمارة اليمني الشاعر ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

(٤٥٨)

أبو الحسن علي بن السلار ، المنعوت بالملك العادل ، سيف الدين

الملك العادل

ورأيت في مكان آخر أنه أبو منصور علي بن إسحاق ، عرف بابن السلار ،

سيف الدين
أبو الحسن علي

وزير الظافر العبيدي ، صاحب مصر .

ابن السلار

ورأيت في بعض تواريخ المصريين : أنه كان كرديا ، وززاريا ، وكان تربية القصر بالقاهرة ، وتقلبت به الأحوال في الولايات بالصعيد وغيره ، إلى أن تولى الوزارة للظافر المذكور في رجب سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة .

ثم وجدت في مكان آخر أن الظافر المذكور استوزر نجم الدين أبا الفتح سليم بن محمد بن مصال في أول ولايته .

وكان ابن مصال من أكابر أمراء الدولة ، ثم تغلب عليه العادل بن السلار وعدى ابن مصال إلى الجيزة ليلة الثلاثاء رابع عشر شهر شعبان سنة أربع وأربعين وخمسمائة عند ما سمع بوصول ابن السلار من ولاية الاسكندرية طالبا للوزارة ، ودخل ابن السلار القاهرة في الخامس عشر من الشهر المذكور وتولى تدبير الأمور ونعت بالعادل أمير الجيوش ، وحشد ابن مصال جماعة من المغاربة وغيرهم ، وجرّد

العادل العساكر للقائه ، فكسره بدلاص من الوجه القبلى ، وأخذ رأسه ودخل به القاهرة على رمح يوم الخميس الثالث والعشرين من ذى القعدة من السنة المذكورة واستمر العادل إلى أن قتل ، وهذا القول أصح من الأول ، والله أعلم
وكان ابن مصال من أهل لك — بضم اللام وتشديد الكاف — وهى بليدة عند برقة من أعمالها ، وكان هو وأبوه يتعاطيان البيزرة والبيطرة ، وبذلك تقدماء ، وكانت وزارة ابن مصال نحواً من خمسين يوماً .

وكان ابن السلار شهماً مقداماً مثلاً إلى أرباب العقل والصلاح ، عمر بالقاهرة مساجد ، ورأيت بظاهر مدينة بلبيس مسجداً منسوباً إليه ، وكان ظاهر التسنن شافعى المذهب ، ولما وصل الحافظ أبوطاهر أحمد السلفى رحمه الله تعالى إلى نعر الاسكندرية المحروس وأقام به ثم صار العادل المذكور واليابه احتفل به وزاد فى إكرامه وعمر له هناك مدرسة فوض تدريسها إليه ، وهى معروفة به إلى الآن ، ولم أر بالاسكندرية مدرسة للشافعيين سواها .

وكان مع هذه الأوصاف ذاسيرة جائرة وسطوة قاطعة يؤاخذ الناس بالصغائر والمحقرات .

ومما يحكى عنه أنه قبل وزارته بزمان — وهو يومئذ من آحاد الأجناد — دخل يوماً على الموفق أبى الكرم بن معصوم التنيسى ، وكان مستوفى الديوان ، فشكا إليه حاله من غرامة لزمته ، بسبب تفريطه فى شىء من لوازم الولاية بالغبية ، فلما أطال عليه الكلام قال له أبو الكرم : والله إن كلامك ما يدخل فى أذنى ، ففقد عليه ذلك ، فلما ترقى إلى درجة الوزارة طلبه ، فخاف منه ، واستتر مدة ، فنادى عليه فى البلد ، وهدر دم من يخفيه^(١) ، فأخرجه الذى خبأه عنده ، فخرج فى زى امرأة بازار وخف ، فعرف ، فأخذ وحمل إلى العادل ، فأمر بإحضار لوح من خشب ومسمار طويل ، فألقى على جنبه وطرح اللوح تحت أذنه ، ثم ضرب المسمار فى الأذن

(١) الفصيح أن يقال « وأهدر دم من يخفيه »

الأخرى ، فصار كلما صرخ يقول له : دخل كلامي في أذنك بعد أم لا ؟ ولم يزل كذلك حتى نفذ المسمار من الأذن التي على اللوح ، ثم عطف المسمار على اللوح ، ويقال : إنه شققه بعد ذلك ^(١) .

وكان قد وصل من أفريقية إلى الديار المصرية أبو الفضل عباس بن أبي الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وهو صبي ومعه أمه واسمها بلارة ، فتزوجها العادل المذكور ، وأقامت عنده زماناً ، ورزق عباس ولداً سماه نصرأفكان عند جدته في دار العادل والعادل يخنوع عليه ويعزه ، ثم إن العادل جهز عباساً إلى جهة الشام بسبب الجهاد ، وكان معه أسامة بن منقذ المذكور في حرف الحمزة فلما وصل إلى بلبيس وهو مقدم الجيش الذي سار في صحبته تذاكرا طيب الديار المصرية وحسنها ، وماهى عليه ، وكونه يفارقها ويتوجه للقاء العدو ويقاسى النكال فأشار عليه أسامة على ما قيل بقتل العادل ، ويستقل هو بالوزارة ويستريح من النكال ، وتقرر بينهما أن ولده نصرأف يباشر ذلك إذا رقد العادل فإنه معه في الدار ولا ينكر عليه ذلك .

وحاصل الأمر أن نصرأف قتله على فراشه يوم الخميس سادس المحرم سنة ثمان وأربعين وخمسة ، بدار الوزارة بالقاهرة المحروسة ، رحمه الله تعالى ! وتفصيل الواقعة يطول . وقيل : إنه قتل يوم السبت ، حادى عشر المحرم ، من السنة المذكورة .

وكان والده في صحبة سقمان بن أرتق ، صاحب القدس ، فلما أخذ الأفضل أمير الجيوش القدس من سقمان كما هو مذكور في ترجمة أبيه أرتق ، وجد فيه طائفة من عسكر سقمان ، فضمهم الأفضل إليه .

وكان في جملةهم السلار ، والد العادل المذكور ، فأخذه الأفضل إليه ، وتقدم عنده ، وسماه « سيف الدولة » وأكرم ولده هذا ، وجعل في صبيان

(١) في ١ « ويقال إنه شققه بعد ذلك »

الحجر ، ومعنى صبيان الحجر عندهم : أن يكون لكل واحد منهم فرس وعدة ،
فاذا قيل له عن شغل ما يحتاج أن يتوقف فيه ، وذلك على مثال الداوية
والاسبطار ، فاذا تميز صبي من هؤلاء بعقل وشجاعة قدم للإمارة ، فترجع
العدل بهذه الصفات وزاد عليها بالحزم والهيبة ، وترك الخالطة ، فأمره الحافظ ،
وولاه الاسكندرية ، وكان يعرف برأس البغل ، ثم تقدم .
وهذا نصر بن عباس هو الذى قتل الظافر إسماعيل بن الحافظ ، صاحب
مصر ، وقد ذكرته فى ترجمته .

(٤٥٩)

الملك الأفضل
نور الدين
أبو الحسن على
ابن يوسف بن
أيوب

أبو الحسن على ، الملقب الملك الأفضل ، نور الدين ، ابن السلطان
صلاح الدين يوسف بن أيوب
سمع بالاسكندرية من الإمام أبي الطاهر إسماعيل بن مكى بن عوف
الزهرى ، وبمصر من العلامة أبي محمد عبد الله بن برى النحوى ، وأجاز له
أبو الحسين أحمد بن حمزة بن على السامى ، وأبو عبد الله محمد بن على بن صدقة
الحرانى ، وغيرهما من الشاميين ، وأجاز له أبو القاسم هبة الله بن على بن مسعود
وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن حامد وغيرهما من المصريين .

وكان يكتب خطاً حسناً ، واجتمعت فيه فضائل ، وكان أكبر أولاد أبيه
وإليه كانت ولاية عهده ، فلما توفى بدمشق كما سيأتى فى ترجمته — وكان الملك
الأفضل فى صحبته — استقل بمملكة دمشق ، واستقل أخوه الملك العزيز
عماد الدين عثمان بالديار المصرية كما سبق فى ترجمته ، وبقي الملك الظاهر أخوها

بجلب ، ثم إن الملك الأفضل جرت له مع أخيه وقائع في أسباب يطول شرحها .
 وآخر الأمر أن العزيز والملك العادل عمه حاصرا دمشق ، وأخذها من
 الأفضل ، وأعطياه صَرَّخَدَ ، فمضى إليها وأقام بها قليلا ، فمات العزيز بمصر ،
 وتولى ولده الملك المنصور مجد ، وكان صغيراً ، فطلب الملك الأفضل من صَرَّخَدَ
 ليكون أتابكه ، وكان طلبه ليلة الأربعاء ، التاسع والعشرين من صفر سنة خمس
 وتسعين وخمسمائة ، عقيب موت أخيه العزيز عثمان ، ومشى في ركاب المنصور
 مجد بن عبد العزيز .

ثم إن الملك العادل قصد الديار المصرية ، وأخذها ، ودفع للأفضل عدة بلاد
 بالشرق ، فمضى إليها ، فلم يحصل له سوى سميساط ، فأقام بها ، ولم يزل بها إلى
 أن مات .

وما أحسن كلام القاضي الفاضل ، من جملة كتاب ، كتبه في أثناء هذه
 الوقائع : « أما هذا البيت فان الآباء منه اتفقوا فملسكوا ، والأبناء اختلفوا
 فهلسكوا ، فاذا غرب نجم فما في الحيلة تشريقه ^(١) ، وإذا بدا خرقُ ثوبٍ فما يليه
 إلا تمزيقه ، وهيهات أن يُسَدَّ على قدر طريقه ، وقد قُدِّرَ طروقه ، وإذا كان الله
 مع خصم [على خصم] ^(٢) ، فمن كان الله معه فمن يطيعه ؟ » .

وكان الأفضل فيه فضيلة ومعرفة وكتابة ونباهة ، وكان يحب العلماء ويعظم
 حرمتهم ، وله شعر .

فمن المنسوب إليه أنه كتب إلى الامام الناصر ، يشكو من عمه العادل ،
 وأخيه العزيز لما أخذوا منه دمشق [من البسيط] :

مولاي إن أبا بكر وصاحبه	عثمان قد غصباً بالسيف حق على
وهو الذي كان قد ولاد والده	عليهما فاستقام الأمر حين ولي
فخالفاه وحلاً عقد بيعته	والأمر بينهما والنص فيه جلي

فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي من الأول
فجاءه جواب الامام الناصر ، وفي أوله [من الكامل] :
وإني كئيباً بك يا ابن يوسف معلناً بالود يخبر أن أصلك طاهر
غصباً علياً حقّه إذ لم يكن بعد النبي له يثيرب ناصر
فابشر فإن غداً عليه حسابهم واصبر فناصرك الامام الناصر
وكانت ولادته يوم عيد الفطر وقت العصر سنة ست ، وقيل : خمس وستين
وخمسمائة بالقاهرة ، ووالده يومئذ وزير المصريين .

وتوفي في صفر سنة اثنتين وعشرين وستمئة فجأة بسميساط ، رحمه الله تعالى !
ونقل إلى حلب ، ودفن في تربته بظاهر حلب بالقرب من مشهد الهروي .
وسميساط - بضم السين المهملة ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وفتح السين الثانية ، وبعد الألف طاء مهملة - وهي قلعة في بر الشام على الفرات
في ناحية بلاد الروم بين قلعة الروم وملطية .

(٤٦٠)

أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات
ابن محمد بن
وزير المقتدر بالله بن المعتض بالله ، وزرّكه ثلاث دفعات ، فالأولى منهم لثمان خلون الفرات ، الوزير
من شهر ربيع الأول ، وقيل : لسبع بقين منه ، سنة ست وتسعين ومائتين ، ولم يزل
وزيره إلى أن قبض عليه لأربع خلون من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ونكبه
فنهب داره وأمواله ، واستغل من أملاكه إلى أن عاد إلى الوزارة الثانية سبعة آلاف
ألف دينار ، وذكروا عنه أنه كتب إلى الأعراب أن يكبسوا بغداد ، والله أعلم ،
ثم عاد إلى الوزارة يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة سنة أربع وثلثمائة ، وخلع
(٧ — ج ٣)

عليه سبع خلع ، وحمل إليه ثلثمائة ألف درهم لغلمانه وخمسون بغلا ثقله وعشرون خادماً وغير ذلك من الآلات ، وزاد في ذلك اليوم في ثمن الشمع في كل من قيراط ذهب لكثرة استعماله إياه ، وكان ذلك النهار شديد الحر ، فسقى في ذلك اليوم وتلك الليلة في داره أربعون ألف رطل من الثلج ، ولم يزل على وزارته إلى أن قبض عليه يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ، ثم عاد إلى الوزارة يوم الخميس لسبع ليال بقين من ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وكان يوم خرج من الحبس مغتاضاً ، فصادر الناس ، وأطلق يد ابنه الحسن فقتل حامد بن العباس الوزير الذي كان قبل أبيه ، وسفك الدماء ، ولم يزل على وزارته ^(١) إلى أن قبض عليه لتسع ليال خلون من ربيع الآخر سنة اثنتي عشر وثلثمائة ، وقيل : قبض عليه يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأول .

وكان يملك أموالاً كثيرة تزيد على عشرة آلاف ألف دينار ، وكان يستغل من ضياعه في كل سنة ألفي ألف دينار ، وينفقها ، قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : مدحته بقصيدة ، فحصل لي في ذلك اليوم ستمائة دينار .

وكان كاتباً كافياً خبيراً ، قال الامام المعتضد بالله لعبيد الله بن سليمان : قد دفعت إلى ملك مختل وبلاد خراب ، ومال قليل وأريد [أن] أعرف ارتفاع الدنيا لتجري النفقات عليه ، فطلب ذلك عبيد الله من جماعة من الكتاب ، فاستمهلهوا شهراً ، وكان أبو الحسن بن الفرات وأخوه العباس محبوسين منكوبين ، فأعلمنا بذلك ، فعملناه في يومين وأنفذه ، فلم عبيد الله أن ذلك لا يخفى عن المعتضد ، فكلمه فيهما ، ووصفهما ، فاصطنعهما .

وكانت في دار أبي الحسن بن الفرات حجرة شراب يوجه الناس على اختلاف طبقاتهم إليها غلمانهم يأخذون منها الأشربة والنقاع والجلاب إلى دورهم .

(١) في « ولم يزل وزيره »

وكان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء أكثرهم مائة دينار في الشهر ، وأقلهم خمسة دراهم ، وما بين ذلك .
قال الصولي : ومن فضائله التي لم يسبق إليها أنه كان إذا رُفعت إليه قصة فيها سعاية خرج من عنده غلام فنادى : أين فلان بن فلان الساعي ؟ فلما عرف الناس ذلك من عادته امتنعوا عن السعاية بأحد ، واغتاض يوما من رجل فقال : اضربوه مائة سوط ، ثم أرسل آخر فقال : اضربوه خمسين ، ثم أرسل آخر فقال : لا تضربوه^(١) ، وأعطوه عشرين دينارا ، فكفاه مامر به المسكين من الخوف .
قال الصولي : قام من مرضه - وقد اجتمعت الكتب والرقاع عنده - فنظر في ألف كتاب ، ووقع على ألف رقعة ، فقلنا : بالله لا يسمع بهذا أحد ، خوفا من العين عليه .

قال الصولي : ورأيت من أدبه أنه دعا خاتم الخليفة ليختم به كتابا ، فلما رآه قام على رجله تعظيما للخلافة ، قال : ورأيت به جالسا للمظالم ، فتقدم إليه خصمان في دكاكين بالكرخ ، فقال لأحدهما : رفعت إلى قصة في سنة اثنتين وثمانين ومائتين في هذه الدكاكين ، ثم قال : سنك يقصر عن هذا ، فقال له : ذاك كان أبي ، قال : نعم وقَّعتُ له على قصة رفعها .

وكان إذا مشى الناس بين يديه غضب وقال : أنا لا أكلف هذا غلماي فكيف أكلف أحراراً لا إحسان لي عليهم .

وقتل نازوك صاحب الشرطة أبا الحسن بن الفرات المذكور وابنه الحسن يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر ، سنة اثنى عشرة وثلثمائة .

وكان مولده لسبع بقين من ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وكان عمر ابنه الحسن يوم قتل ثلاثاً وثلثين سنة .

في ١ « لا ، اضربوه وأعطوه » وليس بشيء

قال صاحب أبو القاسم بن عباد المقدم ذكره : أنشدني أبو الحسن بن أبي بكر العلاف — وهو المشهور بكثرة الأكل — قصائد أبيه أبي بكر في الهر وقال : إنما كُنِي بالهر عن المحسن بن أبي الحسن بن الفرات أيام محنتهم ، لأنه لم يجسر أن يذكره ويرثيه .

قلت : وقد سبق ذكر المراثية في ترجمة أبي بكر العلاف .
ومن غريب الأخبار أن زوجة المحسن أرادت أن تَخْنِنَ ابنها بعد قتل أبيه فرأت المحسن في منامها ، فدكرت له تعذر النفقة ، فقال لها : إن لي عند فلان عشرة آلاف دينار أودعته إياها ، فانتبهت ، فأخبرت أهلها ، فسألوا الرجل ، فاعترف وحمل المال عن آخره .

وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات أخو أبي الحسن المذكوراً كَتَبَ أهل زمانه ، وأضبطهم للعلوم والأدب ، وللبحتري فيه القصيدة المشهورة التي أولها [من الخفيف] :

بتُّ أبدي وجداً وأكتمُ وجداً خيال قد بات لي منك يهدى
وتوفى أبو العباس المذكور ليلة السبت منتصف شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين .

وأما أخوه أبو الخطاب جعفر بن محمد فانه عرضت عليه الوزارة ، فأبأها ، وتولاها ابنه أبو الفتح الفضل بن جعفر ، وكان كاتباً مجوداً ، وهو المعروف بابن حنزابة ، وهي أمه ، وكانت جارية رومية ، قلده المقتدر بالله الوزارة يوم الاثنين ليلتين بقيتا من ربيع الآخر سنة عشرين وثلثمائة ، وقيل : خلع عليه في أول شهر ربيع الآخر سنة عشرين وثلثمائة ، والله أعلم ، ولم يزل وزيره إلى أن قتل المقتدر لأربع بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة ، وتولى الخلافة أخوه القاهر بالله ، فاستتر أبو الفتح ابن حنزابة ، فولَّى القاهرُ أبا علي محمد بن علي بن مقله الكاتب الوزارة ، ثم تولى أبو الفتح الدواوين في أيام القاهر أيضاً ، وخلع القاهر ومُعمِل عيناها في يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة .

وولى الخلافة الراضى بالله ابن المقتدر بالله المقدم ذكره ، فقلد أبا الفتح ابن حنزابه الشام ، فتوجه إليها ، ثم إن الراضى بالله ولاء الوزارة ، وهو يومئذ مقيم بحلب ، وعقد له الأمر فيها يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان من سنة خمس وعشرين [وثلاثمائة] ^(١) ، وكوتب بالمسير إلى الحضرة ، فوصل إلى بغداد يوم الخميس لست خلون من شوال من السنة ، فأقام ببغداد قليلا ، فرأى الأمور مضطربة ، وقد استولى الأمير أبو بكر محمد بن رائق على الحضرة ، فتحدث أبو الفتح مع ابن رائق فى أنه يعود إلى الشام ، وأطمعه فى حمل الأموال إليه من مصر والشام ، فعاد إليها فى الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وعشرين ، فأدركه أجله بغزة ، وقيل : بالرملة ، وجاءت السكتب إلى الحضرة بموته فى يوم الأحد ثمان خلون من جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ، وكان مولده فى ليلة السبت لسبع ليال بقين من شعبان سنة تسع وسبعين ومائتين ^(٢) ، وكانت السكتب تصدر باسمه فى الشام .

وأما ابنه أبو الفضل جعفر بن الفضل فقد سبق ذكره فى حرف الجيم من هذا الكتاب ، وتاريخ وفاته ومولده ، رحمهم الله تعالى أجمعين ! .
والفرات : بضم الفاء ، وبعد الراء ألف ، وبعدها تاء مشناة من فوقها .
ونازوك : بالنون ، وبعد الألف زاء مضمومة ، وبعد الواو كاف .

وهذا الذى ذكرته فى هذه الترجمة نقلته من عدة مواضع : منها كتاب « أخبار الوزراء » تأليف الصاحب ابن عباد ، وكتاب « عيون السير » تأليف محمد بن عبد الملك الهمداني ^(٣) ، وكتاب « الوزراء » تأليف أبى عبد الله محمد بن أحمد الفارسى ، وما منهم أحد تعرض إلى قضية عبد الله بن المعتز .

وترجمة ابن الفرat المذكور تترتب على قضية ابن المعتز فلا بد من ذكر شيء

(١) زيادة فى ب وحدها (٢) فى ١ « سنة تسع وعشرين ومائتين » محرفا

(٣) فى ١ « الهمداني »

من أحوالها ، وأصح التواريخ نقلاً تاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، فنذكر
مقاله في حوادث سنة ست وتسعين ومائتين : إن القواد والكتاب اجتمعوا على
خلع الخليفة المقتدر ، وتناظروا فيمن يجعلونه موضعه ، فاجتمع رأيهم على عبد الله
ابن المعتز ، وناظروه في ذلك ، فأجابهم إليه على أنه لا يكون في ذلك سفك دم
ولا حرب ، فأخبروه أن الأمر يسلم إليه عفواً ، وأن جميع مَنْ وراءهم من الجند
والقواد والكتاب قد رَضُوا ، فبايعهم على ذلك ، وكان الرأس في ذلك محمد بن
داود بن الجراح وأبا المثنى أحمد بن يعقوب القاضي ، وواطأ محمد بن داود جماعة
من القواد على الفتك بالمقتدر والعباس بن الحسن .

قلت : وكان وزير المقتدر يومئذ — قال الطبري : وكان العباس بن الحسن
على ذلك قد واطأ جماعة من القواد على خلع المقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتز ،
فلما رأى أمره مستوثقاً له مع المقتدر على ما يُحِبُّ بداله فيما كان عزم عليه من
ذاك ، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه ، يعني الوزير المذكور ، قال الطبري : وكان
الذي تولى قتله الحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتسكين ، وذلك يوم السبت
لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول ، ولما كان من غد هذا اليوم ،
وذلك يوم الأحد ، خلع المقتدر الكتاب والقواد وقضاة بغداد ، وبايعوا عبد الله
ابن المعتز ، ولقبوه بالراضي بالله ، وكان الذي يأخذ البيعة له على القواد ويلى
استحلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش ، وفي هذا اليوم
كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوة إلى
انتصاف النهار ، وفي هذا اليوم انفضت الجوع التي كان قد جمعها محمد بن داود
لبيعة ابن المعتز عنه ، وذلك أن الخادم الذي يدعى مؤنساً حمل غلماناً من غلمان
الدار في الشدوات — قلت : وهي عندهم المراكب — قال : فصاعد بها وهم فيها
في دجلة ، فلما جاوزوا الدار التي فيها ابن المعتز ومحمد بن داود صاحوا بهم
ورشقوهم بالنشاب ، ففترقوا وهرب من كان في الدار من الجند والقواد والكتاب
وهرب ابن المعتز ، ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتز بالمقتدر ، فاعتذروا إليه

بأنه منع من المصير إليه ، واستخفى بعضهم ، فطلبوا وأخذوا وقتلوا وانتهبت العامة دور ابن داود ، وأخذ ابن المعتز فيمن أخذ ، انتهى ما ذكره الطبرى فى ذلك .

فذكر ما قاله غيره ، جمعته من مواضع متفرقة ، حاصله أن عبد الله بن المعتز رتب للوزارة فى ذلك اليوم محمد بن داود المذكور ، وللقضاء أبا المنفى المذكور ، فلما انتقض أمره وأخذ ابن المعتز استرا بن داود ، وكان من فضلاء أهل عصره وله عدة تصانيف منها كتاب « الورقة فى أخبار الشعراء » وكتاب « الوزراء » وغير ذلك ، ثم ظهر لمؤنس الخادم المذكور ، وخافه أبو الحسن على بن الفرات المذكور ، فأشار على مؤنس بقتله ، فقتل وأخرج وطرح فى سقاية عند المأمونية ، فحمل إلى منزله ، وكان قتله فى شهر ربيع الآخر من السنة ، ومولده فى سنة ثلاث وأربعين ومائتين فى الليلة التى توفى فيها إبراهيم بن العباس الصولى المقدم ذكره .

ولما عاد أمر المقتدر إلى ما كان عليه وقد قتل وزيره العباس بن الحسن فى التاريخ الذى ذكره الطبرى استوزر أبا الحسن على بن الفرات المذكور ، فأول ما ظهر للناس من محاسنه أنه حمل إليه من دار ابن المعتز صندوقان عظيمان ، فقال : أعلمتم ما فيهما ؟ قيل : نعم ، جرائد بأسماء من يالعه ، فقال : لا تفتحوها ، ودعابنار فطرح الصندوقين فيها ، فلما احترقا قال : لو فتحتهما قرأت ما فيهما فسدت نيات الناس بأجمعهم علينا ، واستشعروا منا ، ومع ما فعلناه قد هدأت القلوب وسكنت النفوس .

ومما يتعلق بهذه الترجمة أن القاهر بالله لما خلع وسمحت عيناه كما ذكرناه آل به الحال إلى أن خرج إلى جامع المنصور ببغداد ، فعرف الناس بنفسه ، وسألهم التصديق عليه ، فقام إليه ابن أبى موسى الهاشمى فأعطاه ألف درهم ، وفى ذلك عبرة لأولى الأبواب .

وقد سبق ذكر عبد الله بن المعتز في ترجمته ، لكن هذه الحاجة دعت إلى إعادتها ههنا .

ونقلت من كتاب « الأعيان والأمثال » تأليف الرئيس أبي الحسن هلال ابن المحسن بن أبي إسحاق إبراهيم الصابي : وحدث القاضي أبو الحسين^(١) عبيد الله بن عباس أن رجلاً اتصلت عطلمته ، وانقطعت مادته ، فزور كتاباً من أبي الحسن بن الفرات إلى أبي زنبور المارداني عامل مصر في معناه يتضمن الوصاة به والتأكيد في الاقبال عليه والاحسان إليه ، وخرج إلى مصر ، فلقيه به ، فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله ، فراعاه مراعاة قريبة ، ووصله بصلة قليلة ، واحتبس به عنده على وعد وعده به ، وكتب إلى أبي الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه ، وأنفذه بعينه إليه ، واستتبته فيه ، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور ، فوجد فيه ذكر الرجل ، وأنه من ذوى الحرمات والحقوق الواجبة عليه ، وما يقال في ذلك مما قد استوفى الخطاب فيه ، وعرضه على كتابه ، وعرفهم الصورة فيه ، وعجب إليهم منها ، ومما أقدم عليه الرجل ، وقال لهم : ما الرأي في أمر هذا الرجل عندهم ؟ فقال بعضهم : تأديبه أو حبسه ، وقال آخر : قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا ولئلا يقتدى به غيره فيما هو أكثر من هذا ، وقال أجملهم محضراً : يكشف لأبي زنبور قصته ويرسم له طرده وحرمانه ، فقال ابن الفرات : ما أبعدهم من الحرية والخيرية وأنفر طباعكم عنها ! رجل توّسل بنا ، وتحمل المشقة إلى مصر في تأميل الصلاح بجهانا ، واستمداد صنع الله عز وجل بالانتساب إلينا ، ويكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضراً تكذيب ظنه وتخيب سعيه ، والله لا كان هذا أبداً ، ثم إنه أخذ القلم من دواته ووقع على الكتاب المزور « هذا كتابي ، ولست أعلم لم أنكرت أمره ، واعترضتك شبهة فيه ، وليس كل من خدّ منّا وأوجب حقاً علينا تعرفه ، وهذا رجل خدمني في أيام نكبتني ، وما أعتقده

(١) في « وحدث للقاضي أبي الحسين » محرراً

في قضاء حقه أكثر مما كلفتك في أمره من القيام به ، فأحسن نفقده ، ووفر ريفه ،
وصرفه فيما يعود عليه نفعه ، ويصل إلينا فيما تحقق ظنه وتبين موقعه » وردّه إلى
أبي زنبور من يومه ، فلما مضت على ذلك مدة طويلة دخل على أبي الحسن بن
الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة ، وأقبل يدعوه ، ويثنى عليه ، ويبكى ،
ويقبل الأرض ، فقال له ابن الفرات : من أنت بارك الله فيك ؟ ! وكانت هذه
كلمته ، فقال : صاحب الكتاب المزور إلى أبي زنبور الذي صححه كرم الوزير
وتفضله ، فعّل الله به وصنع ، فضحك ابن الفرات وقال : كم وصل إليك منه ؟
قال : وصل إلى من ماله وتقسط قسطه على عماله ومعامله وعمل صرفني فيه
عشرون ألف دينار ، فقال ابن الفرات : الحمد لله ، الزمنا ، فانا نعرضك لما
يزداد به صلاح حالك ، ثم اختبره فوجده كاتباً شديداً ، فاستخدمه وأكسبه
الاجزى ، رحمه الله تعالى ورضى عنه !

(٤٦١)

أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن
عبد الأعلى ، الصدفي ، المصري ، المنجم المشهور
صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس ، وهو زيج كبير رأيته في
أربع مجلدات ، بسط القول والعمل فيه وما أقصر في تحريره ، ولم أرفي الأزياج
على كثرتها أطول منه ، وذكر أن الذي أمره بعمله وابتدأه له العزيز أبو الحاكم
صاحب مصر [وسياتي ذكره في حرف النون إن شاء الله تعالى] ^(١) كان مختصاً
بعلم النجوم ، متصرفاً في سائر العلوم ، بارعاً في الشعر ، وعلى إصلاحه كزيج يحيى
ابن منصور تعويل أهل مصر في تقويم الكواكب ، وعدله القاضي [أبو عبد الله] ^(١)

محمد بن النعمان في جمادى الأولى سنة ثمانين وثلثمائة ، وخلف ولداً مختلفاً^(١) باع كتبه وجميع تصنيفاته بالأرطال في الصابونيين ، وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسمير للمواليد وعمل فيها ما لا نظير له ، وكان يقف للسكواكب ، قال الأمير المختار المعروف بالمسبحي : أخبرني أبو الحسن المنجم الطبراني : أنه طلع معه إلى جبل المقطم وقد وقف للزهرة ، فنزع ثوبه وعمامته ، ولبس ثوباً نساوياً أحمر ومقنعة حمراء تقنع بها ، وأخرج عوداً فضرب به ، والبخور بين يديه ، فكان عجباً من العجب .

قال الأمير المختار في تاريخ مصر : كان ابن يونس المذكور ، أبله ، مغفلاً ، يعتمد على طرطور طويل ، ويجعل رداءه فوق العمامة ، وكان طويلاً ، وإذا ركب ضحك منه الناس لشهرته وسوء حاله ، ورثاة ثيابه ، وكان له مع هذه الهيئة إصابة بديعة غريبة في النجامة لا يشاركه فيها غيره ، وكان أحد الشهود ، وكان متفناً في علوم كثيرة ، وكان يضرب بالعود على جهة التأديب ، وله شعر [حسن] فمنه قوله [من الطويل] :

أَحْمَلُ نَشْرَ الرِّيحِ عِنْدَ هُبُوبِهِ رِسَالَةَ مَشْتَاقٍ لَوَجْهِ حَبِيبِهِ
بِنَفْسِي مَنْ تَحْيَا النُّفُوسُ بِقُرْبِهِ وَمَنْ طَابَتْ الدُّنْيَا بِهِ وَبَطْمِيهِ
لَمَعْرَى لَقَدْ عَطَلْتُ كَأْسِي بَعْدَهُ وَغَيَّبْتُهَا عَنِ لَطُولِ مَغْيَبِهِ
وَجَدَدَ وَجْدِي طَائِفَ مِنْهُ فِي الْكُرَى سَرَى مَوْهِنًا فِي خَفِيَةِ مَنْ رَقِيهِ
وله شعر كثير .

وقد تقدم ذكر والده في حرف العين ، وسيأتي ذكر جده في حرف الياء إن شاء الله تعالى .

ويحكى أن الحاكم العبيدي صاحب مصر قال وقد جرى في مجلسه ذكر ابن يونس وتفغله : دخل عندي يوماً ومداسه في يده ، فقبل الأرض وجلس والمداس إلى جانبه ، وأنا أراه وأراها ، وهو بالقرب مني ، فلما أراد الانصراف

(١) في ١ ، ب « مختلفاً » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لنسخة عند ب

قبل الأرض وقدم المداس ولبسه وانصرف ، وإنما ذكر هذا في معرض غفلته وقلة اكتراثه .

وقال المسبّحى : كانت وفاته بكرة يوم الاثنين لثلاث خلون من شوال سنة تسع وتسعين وثلثمائة فجأة ، رحمه الله تعالى ! وصلى عليه في الجامع بمصر القاضى مالك بن سعيد بن أحمد بن محمد بن سليمان بن ثواب ، ودفن بداره بالفرائين .

(٤٦٢)

الفقيه أبو محمد عمارة بن أبي الحسن على بن ريدان بن أحمد ، الحكيم ، النجفي ،
الملقب بنجم الدين ، الشاعر المشهور

نجم الدين
أبو محمد عمارة
ابن على . النجفي
الفقيه ، الشاعر

نقلت من بعض تواليفه أنه من قحطآن ، ثم من الحكم بن سعد العشيرة المذحجى ، وأن وطنه من تهامة باليمن من مدينة يقال لها مرطان من وادى وساع وبُعْدُهَا من مكة في مهب الجنوب أحد عشر يوماً ، وبها مولده ومرّ به ، وأنه بلغ الحلم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، ورحل إلى زبيد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، وأقام بها ، واشتغل بالفقه في بعض مدارسها مدة أربع سنين ، وأنه حج سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، وسيره قاسم بن هاشم بن فليسة صاحب مكة شرفها الله تعالى رسولا إلى الديار المصرية ، فدخلها في شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة ، وصاحبها يومئذ الفائز بن الظافر ، والوزير الصالح ابن رزّيك المذكور في حرف الطاء ، وأنشدهما في تلك الدفعة قصيدته الميمية ، وهى [من البسيط] :

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النعم
لا أجد الحق عندى للركاب يد تمت للجم في هارتبة الخطم
قرّ بن بعد مزار العز من نظرى حتى رأيت إمام العصر من أئم

ورُحِن من كعبة البطحاء والحرم
 فهل ذَرَى البيتُ أُنَى بعد فُرْقته
 حيث الخلافة مضروبٌ سرَّادقها
 وللإمامة أنوارٌ مقدَّسة
 وللنبوة آيات تنصُّ لنا
 وللمكارم أعلامٌ تعلمنا
 وللعلا السنُّ تُشَنِّي محامدُها
 وراية الشرفِ البذخ ترفعُها
 أقسمتُ بالفائز المعصوم معتقداً
 لقد حَيَّ الدينَ والدنيا وأهلها
 اللابس الفخر لم تنسج غلائلهُ
 وجُوده أوجدَ الأيام ما اقترحت
 قد ملكته العوَالى رِقَّ مملكة
 أرى مقاماً عظيم الشأن أوهمنى
 يوم من العمر لم يخطر على أُملى
 ليمت الكواكب تدنولى فأنظمها
 ترى الوزارة فيه وهى باذلة
 عواطف علمتنا أن بينهما
 خليفة ووزير مدَّة عدلها
 زيادة النيل نقص عند فيضهما

وفداً إلى كعبة المعروف والكرم
 ما سِرْتُ من حَرَمٍ إلَّا إلى حَرَمٍ
 بين النقيضين من عفو ومن نقم
 تجلو البغيضين من ظُلم ومن ظُلم
 على الحقيقين من حكم ومن حكم^(١)
 مدح الجزيلين من بأس ومن كرم
 على الحميد من فعل ومن شيم
 يدُ الرفيعين من مجدٍ ومن همم
 فوز النجاة وأجر البر فى القسم
 وزيرُه الصالح الفراج للغم
 إلَّا يد الصانعين السيف والقلم
 وجوده أعدمَ الشاكين للعدم
 تُعيرُ أنفَ الثريا عزَّة الشَّمَم
 فى يَقْظَى أنها من جملة الحلم
 ولا ترقَّتْ إليه رغبة الهمم
 عقود مدح فما أرضى لكم كلِّى
 عند الخلافة نصحاً غير متهم
 قرابة من جميل الرأى لا الرَّحِم
 ظلاً على مفرقِ الاسلام والأمم
 فما عسى يتعاطى ها طُلُ الديم^(٢)

فاستحسننا قصيدته، وأجزل لاصلته، وأقام إلى شوال من سنة خمسین فی أرغد عیش
 وأعز جانب، ثم فارق مصر فی هذا التاريخ، وتوجه إلى مكة، ومنها إلى زبید فی

صفر سنة إحدى وخمسين ، ثم حج من عامه ، فأعاده قاسم صاحب مكة المذکور
في رسالة إلى مصر مرة ثانية ، فاستوطنها ولم يفارقها بعد ذلك .

ورأيت في كتابه الذي جعله تاريخ اليمن أنه فارق بلاده في شعبان سنة اثنتين
 وخمسين ، وكان فقيها شافعي المذهب ، شديد التعصب للسنة ، أديباً ماهراً شاعراً
مجيداً محادثاً متمعاً ، فأحسن الصالح وبنوه وأهله إليه كل الاحسان ، وصحبوه مع
 اختلاف العقيدة لحسن صحبته ، وله في الصالح وولده مدائح كثيرة ، وقد تقدم طرف
 من خبره في ترجمة شاور السعدی والصالح ، ومارثاه به ، وكانت بينه وبين الكامل
 ابن شاور صحبة متأكدة قبل وزارة أبيه ، فلما وزر استحال عليه ، فكتب إليه
 [من الطويل] :

إذا لم يُسألك الزمانُ فخاربِ	وباعدْ إذا لم تنفع بالأقاربِ
ولا تحقر كيدَ الضعيف فرما	تموت الأفاعى من سموم العقاربِ
فقد هدمَ قدماً عرشَ بلقيسَ هدمه	وخرَّبَ فأرَّ قبلَ ذا سدِّ مأربِ
إذا كان رأسُ المالِ عمرَكَ فاحترز	عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك	يكرُّ علينا جيشُه بالعجائب
وما راعنى غدرُ الشباب لأنى	أنستُ بهذا الخلقِ من كل صاحب
وغدرُ الفتى في عهده ووفائه	وغدرُ المواضى في نُبوِّ المضارب

منها :

إذا كان هذا الدرُّ معدنه فى	فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجلاً أصبَحَتْ فى مآدب	لديكم ، وحالى وحدها فى نوادب
تأخرتُ لما قدَّمَتْهُمُ علاَمَ كم	على ، وتأتى الأسدُ سبقَ الثعالب
ترى أين كانوا فى مواطنى التى	غدوت لكم فيهن أكرم نائب
ليالى أتلو ذكركم فى مجالس	حديث الورى فيها بغز الحواجب

وزالت دولة المصريين وهو فى البلاد .

ولما ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى [الديار المصرية] ^(١) مدحه ومدح جماعة من أهل بيته ، ويتضمن ديوانه جميع ذلك ، وكتب إلى صلاح الدين قصيدة متضمنة شرح حاله وضرورته ، وسماها « شكاية المتظلم ، ونكاية التآلم » وهي بديعة ، ورثي أصحاب القصر عند زوال ملكهم بقصيدة لامية طويلة أجاد فيها ، وغالب شعره جيد .

ثم إنه شرع في أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب المصريين وإعادة دولتهم ، فأحسن بهم السلطان صلاح الدين ، وكانوا ثمانية من الأعيان ومن جملةهم الفقيه المذكور ، وشتمهم يوم السبت ثلثي شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسة ، بالقاهرة ، رحمهم الله تعالى ! وكان قبضهم يوم الأحد السادس والعشرين من شعبان السنة .

وله تواليف منها كتاب « أخبار المين » وفيه فوائد ، ومنها « النكت العصرية » ، في أخبار الوزراء المصرية « وغير ذلك .

وقال العماد الأصمباني في كتاب الخريدة : إنه ضُلب في جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير عليه ، يعني السلطان صلاح الدين ، ومكاتبة الفرنج واستدعائهم إليه ، حتى يجلسوا ولد العاضد ، وكانوا أدخلوا معهم رجلا من الأجناد ليس من أهل مصر ، فحضر عند صلاح الدين ، وأخبره بما جرى ، فأحضرهم ، فلم ينكروا الأمر ولم يروه منكرا ، فقطع الطريق على ثمر عماره ، وأعيض بخرا به عن العارة ووقعت اتفاقات عجيبة ، فمن جملة ما أنه نسب إليه بيت من قصيدة ذكروا أنه يقول فيها [من البسيط] :

قد كان أول هذا الدين من رجل سعى إلى أن دَعَوْه سيد الأمم
ويجوز أن يكون هذا البيت معمولا عليه ، فأفتى فقهاء مصر بقتله ، وحرصوا السلطان على المثلثة بمثله ، ومنها أنه كان في النوبة التي لا تقال عثرتها ، ولا يحترم الأديب فيها ، ولو أنه في سماء النظم والنثر نثرتها ، ومنها أنه كان قد هجا أميراً

فعد ذلك من كبائره ، وجرى عليه الرَّدَى في جرائره ، ثم قال في آخر ترجمته :
والعجب من عمارة أنه تأبى في ذلك المقام عن الانتماء إلى القوم ، وغطى القدر
على بصره حتى أراد أن يتعصب لهم ويعيد دولتهم ، فهلك ، وإنما قال العما هذا
لأجل الأبيات التي كتبها الصالح بن رُزَيْك يرغبه في التشيع ، وهي في الورقة
التي قرأتها (١) .

والمذحجى — بفتح الميم ، وسكون الذال المعجمة ، وكسر الحاء المهملة ،
وبعدها جيم — هذه النسبة إلى مَذْحِج ، واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب ،
وإنما قيل له مذحج لأنه ولد على أكمة حمراء باليمن يقال لها مذحج ، فسمى بها ،
وقيل غير ذلك ، والله أعلم .

(٤٦٣)

أبو الخطاب
عمر بن
أبي ربيعة
القرشى
الحزومى
الشاعر

أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر
ابن مخزوم بن يقظة بن مرة ، القرشى ، الحزومى ، الشاعر المشهور
لم يكن فى قریش (٢) أشعر منه ، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع والمجون
والخلاعة ، وله فى ذلك حكايات مشهورة ، وكان يتغزل فى شعره بالثريا ابنة على
ابن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف الأموية ،
وقال السهيلي فى الروض الأنف : هى الثريا ابنة عبد الله ، ولم يذكر عليها ، ثم قال :
وقتيمة بنت النضر جدتها ، لأنها كانت تحت الحارث بن أمية ، وعبد الله ولدها
هو والد الثريا ، وهذه قتيمة هى التى أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم عقيب وقعة
بدر الأبيات القافية ، وكان قد قتل أباه النضر بن الحارث بن علقمة بن كعدة بن
عبد مناف بن عبد الدار بن قصى القرشى العبدرى ، وقيل : كان أخاها ، ومن

(١) فى ١ « التى هى قرىبها » (٢) فى ١ « لم يكن من قریش »

جملة الأبيات [من الكامل] :

أحمد ولأنت نَجْلُ نَجِيبَةٍ من قومها والنحل فحل مُعْرَقُ
ما كان ضَرْكُ لَوْ مَنَذَتْ وَرَبِّمَا مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْحَنْقُ
فَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مِنْ تَرَكْتُ وَسِيلَةً وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عَتَقَ يُعَتَّقُ

فقال عليه الصلاة والسلام « لو سمعت شعرها قبل أن أقتله لما قتلتها ». وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسره في يوم بدر ، فلما رجع إلى المدينة أمر على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقيل : المقداد بن الأسود ، بقتله ، فقتله صبراً بين يديه بالصفراء ، وهى مكان بين المدينة وبدر .

وكانت الثريا موصوفةً بالجمال ، فتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، رضى الله عنه ! ونقلها إلى مصر ، فقال عمر المذكور فى زواجها يضرب المثل فى الثريا وسهيل النجمين المعروفين [من الخفيف] :

أَيُّهَا الْمُنَكِّحُ الثَّرِيَا سُهَيْلًا عَمَرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ
هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي

وهذه الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغريض المغنى المشهور صاحب معبد، واسمه عبد الملك ، وكنيته أبو زيد ، وسمى الغريض باسم الطَّمْع ، ويقال فيه الغريض والاغريض ، وإنما سمي به لنقاء لونه ، وقيل : إنما سمي به لطراوته .

ومن شعر عمر المذكور [من الخفيف] :

حَيَّ طَيْفًا مِنَ الْأَحِبَّةِ زَارَا بَعْدَ مَا صَرَّعَ الْكَرَى السَّمَارَا
طَارِقًا فِي الْمَنَامِ تَحْتَ دُجَى اللَّيْلِ ضَنِينًا بِأَنْ يَزُورَ نَهَارَا
قَلْتُ مَا بَالُنَا جُفِينَا وَكُنَّا قَبْلَ ذَاكَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارَا
قَالَ إِنَّا كَلَّا عَهْدَتَ وَلَكِنْ شَغَلَ الْخَلَى أَهْلَهُ أَنْ يِعَارَا

وكانت ولادته فى الليلة التى قُتِلَ فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ! وهى ليلة الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة .

وغزا في البحر فأحرقوا السفينة فاحترق في حدود سنة ثلاث وتسعين للهجرة وعمره سبعون سنة ، رحمه الله تعالى ! .

وقال الهيثم بن عدى : مات سنة ثلاث وتسعين للهجرة ، وعمره ثمانون سنة ، والله أعلم .

وقتل والده عبدالله في سنة ثمان وسبعين للهجرة بسجستان^(١) .

وكان الحسن البصرى رضى الله عنه إذا جرى ذكر ولادة عمر بن أبى ربيعة في الليلة التى قتل فيها عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : أى حق رفع ؟ وأى باطل وضع ؟ .

وكان جده أبوربيعة يلقب ذا الرحين ، واسمه عمر ، وقيل : حذيفة ، وقيل : اسمه كنيته .

وكان أبوه عبد الله أخا أبى جهل بن هشام الخزومى لأمه ، وأمه اسماء بنت خزيمة ، من بنى مخزوم ، وقيل : من بنى نهمشل ، وهما ابنا عم ، يجمعهما المغيرة ابن عبد الله .

ويَقْطَعُ : بفتح الياء المثناة من تحتها والقاف والظاء المعجمة .

(١) سجستان — بكسر أول وثانيه وسين أخرى مهملة وتاء مشناة من فوق وآخره نون — وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة ، ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية ، وأن اسم مدينتها زربج ، وبينها وبين هراة عشرة أيام ثمانون فرسخا ، وهي جنوبى هراة ، وأرضها كلها رملة سبخة ، والريح فيها لا تسكن أبدا ، ولا تزال شديدة ، تدوير رحيمهم ، وطحنهم كله على تلك الرحى . ١ هـ من معجم ياقوت

(٤٦٣)

أبو زيد عمر
ابن شبة النخيري
البصري
الأخباري

ابن رابطة ، النخيري ، البصري

كان صاحب أخبار ونوادر ورواية واطلاع كثير ، وصنف تاريخ البصرة ،
روى القراءة عن جبلة بن مالك عن المفضل عن عاصم بن أبي النجود ، وسمع
الحروف من محبوب بن أبي الحسن ، وروى عن عبد الوهاب الثقفي وعمرو بن علي ،
وروى القراءة عنه عبد الله بن سليمان وعبد الله بن عمرو الوراق وأحمد بن فرج ،
وسمع منه أبو محمد بن الجارود ، وسئل عنه أبو حاتم الرازي فقال : صدوق ، وروى
عنه الحافظ محمد بن ماجة صاحب السنن وغيره ، وقد تقدم ذكره في ترجمة العباس
ابن الأحنف .

وكانت ولادته يوم الأحد مستهل رجب سنة ثلاث وسبعين ومائة .
وتوفي يوم الاثنين لست بقين ، وقيل : يوم الخميس لأربع بقين ، من جمادى
الآخرة سنة اثنتين ، وقيل : ثلاث وستين ومائتين ، بسر من رأى ، رحمه الله تعالى .
وشبهه : بفتح الشين ، وتشديد الباء الموحدة .

والنخيري — بضم النون ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها
راء — هذه النسبة إلى نخير بن عامر بن صعصعة ، وهى قبيلة كبيرة ينسب إليها
جماعة من العلماء وغيرهم .

(٤٦٤)

أبو القاسم عمر بن أبي علي الحسين بن عبد الله بن أحمد، الخرقى، الفقيه الحنبلى
كان من أعيان الفقهاء الحنابلة، وصنف فى مذهبهم كتباً كثيرة من جملتها
المختصر الذى يشتغل به أكثر المبتدئين من أصحابهم، وكان قد أودعها فى بغداد
لما عزم على السفر إلى دمشق لما ظهر بها - أعنى بغداد - من سب السلف،
فاحترقت فى غيبته.

أبو القاسم
عمر
ابن الحسين
الخرقى، الحنبلى

وتوفى بدمشق فى سنة أربع وثلاثين وثلثمائة.

وكان والده أيضاً من الأعيان، روى عن جماعة، رحمهم الله أجمعين !
والخرقى - بكسر الخاء المعجمة، وفتح الراء، وبعدها قاف - هذه النسبة
إلى بيع الخرق والثياب.

(٤٦٥)

أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زُرارة بن مسعود بن معاوية بن منبه بن غالب
ابن وقش بن قاسم بن موهبة بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان
ابن بكيل بن جشم بن مالك، وهو الخارق^(١)، بن عبد الله بن كثير بن مالك
ابن جشم بن حاشد^(٢)، بن جشم بن خيوان^(٣) بن نوف بن همدان^(٤) هكذا ساق
نسبه هشام بن الكلبي فى جمهرة النسب، الهمدانى، السكونى، الفقيه، القاضى
كان صالحاً عابداً، كبير القدر، روى عن عطاء ومجاهد، وروى عنه وكيع
وأهل العراق، وكان ولده ذر كثير البركة، شديد التوفى على طاعته، ولما حضرته
الوفاة دخل عليه أبوه عمر المذكور وهو يجود بنفسه، فقال: يا بنى، إنه ما علينا

أبو ذر
عمر بن ذر
الهمدانى
السكونى

(١) فى نسخة عندنا « وهو الخارف » (٢) فى ب « حاسد » بالسین المهملة
(٣) فى ب « حيوان » بالحاء المهملة (٤) فى ب « هذيان »

من موتك غَضَاضَةً ، ولا بنا إلى أحد سوى الله [من] حاجه ، فلما قَضَى صلى عليه ودفنه ، ووقف على قبره ، وقال : أما والله يا ذر لقد شغلنا البكاء لك عن البكاء عليك ، لأننا ما ندرى ما قلت ولا ما قيل لك ، اللهم إني قد وهبتُ له ما قَصَّر فيه مما افترضت عليه من حق ، فهب لي ما قصر فيه مما افترضت عليه من حقك واجعل ثوابي عليه له ، وزدني من فضلك إني إليك من الراغبين ، وقيل له : كيف كان برُّ ابنك بك ؟ فقال : ما مشيت قط بنهار وهو معي إلا مشى خلفي ، ولا لبيل إلا مشى أمامي ، ولا رَقِي سطحاً وأنا تحته ، ويحكى عنه في ذلك أشياء كثيرة ، وكان عمر المذكور يُعَدُّ من المرجئة .

وتوفي سنة ست ، وقيل : خمس وخمسين ومائة ، رحمه الله تعالى .
وذَرَّ : بفتح الذال المعجمة ، وتشديد الراء .
والهمداني : بفتح الهاء ، وسكون الميم ، وفتح الدال المهملة ، وقد تقدم الكلام عليها ، وإنما قيدتها لئلا تتصحف بالهمداني .
وزرارة : بضم الزاء ، وفتح الراء ين بينهما ألف .
وكان أبوه ذر فقيهاً أيضاً ، والله أعلم .

(٤٦٦)

أبو القاسم عمر بن ثابت الثماني ، الضرير ، النحوي

أبو القاسم
عمر بن ثابت
الثماني
النحوي

كان قديماً بعلم النحو ، عارفاً بقوانينه ، شرح كتاب «اللمع» لابن جنى شرحاً تاماً حسناً أجاد فيه ، وانتفع بالاشتغال عليه جمعٌ كبير ، وكان نحوياً فاضلاً ، أخذ النحو عن أبي الفتح بن رجب ، وأخذ عنه الشريف أبو المعمر يحيى بن محمد ابن طباطبا العلوي الحسيني ، وشرح كتاب «اللمع» في التصريف لابن جنى

أيضاً ، وكان هو وأبو القاسم بن برهان متعارضين يقرئان الناس بالكركخ ببغداد ، فكان خواص الناس يقرءون على ابن برهان ، والعوام يقرءون على الثمانيني .
وتوفي في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! .
والثمانيني : بفتح الثاء المثلثة والميم ، وبعد الألف نون مكسورة ، ثم ياء مثناة من تحتها ، ثم نون أخرى — هذه النسبة إلى ثمانين ، وهي قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند جبل الجودي ^(١) . وهي أول قرية بنيت بعد الطوفان ، وسميت بعدد الجماعة الذين خرجوا من السفينة مع نوح عليه السلام ، فانهم كانوا ثمانين [وبنى كل واحد منهم بيتاً ، فسميت القرية ثمانين] ^(٢) وقد خرج من هذه القرية جماعة .

وتوفي الشريف ابن طباطبأ المذكور في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

(٤٦٧)

أبو القاسم عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة ، المعروف بابن

الجزري ، الجزري ، الفقيه الشافعي

ابن الجزري
أبو القاسم
عمر بن محمد
الجزري
الشافعي

إمام جزيرة ابن عمر وفقهائها ومفتيها ، تفقه أولاً بالجزيرة على الشيخ أبي الغنائم محمد بن الفرج بن منصور بن إبراهيم بن الحسن السلمي الفارقي نزيل جزيرة ابن عمر ، ثم رحل إلى بغداد ، واشتغل [بها] على السكيا الهراسي وحجة الاسلام أبي حامد الغزالي ، وسمع عليه وعلى أخيه أحمد ، وصاحب الشاشي صاحب كتاب « المستظهرى » وأدرك جماعة من العلماء ، واستفاد منهم ، ورجع إلى الجزيرة ، ودرس بها ، وقُصِدَ

(٢) زيادة عن ب

(١) في ١ « الجبل الجودي »

من البلاد للاشتغال عليه و بطريقته ، وصنف كتاباً شرح فيه إشكالات كتاب
المهذب للشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغريب ألفاظه ، وأسماء رجاله ، سماه
« الأسامي والعلل » ، من كتاب المهذب « وهو مختصر ، وكان من العلم والدين في
محل رفيع ، وكان أحفظ مَنْ بقي في الدنيا على ما يقال لمذهب الشافعي رضي الله
عنه ! وكان الغالب عليه المذهب ، وانتفع به خلق كثير ، وكان ينعت بزين
الدين جمال الاسلام .

ومولده في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة
وتوفي في ثاني شهر ربيع الأول ، وقيل : الآخر ، سنة ستين وخمسمائة
بالجزيرة ، رحمه الله تعالى !

وما خلف مثله ، وله تلاميذ كثيرون .
وتوفي شيخه أبو الغنائم الفارقي المذكور سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة رحمه الله
تعالى ! وعليه اشتغل الفقيه عيسى بن محمد الهكاري [الآتي ذكره إن شاء الله
تعالى بالجزيرة] ^(١)

والبزري — بفتح الباء الموحدة ، وسكون الزاء ، وبعدها راء — هذه
النسبة إلى عمل البزُر وبيعته ، والبزُر في تلك البلاد اسم للدُّهن المستخرج من
حب السكتان ، وبه يُستَصْبَحُونَ ^(٢) .

(٢) يستصبحون : يستضيئون ليلاً

(١) زيادة في ب وحدها

(٤٦٨)

أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمرو ، واسمه عبد الله ، البكري ، الملقب
شهاب الدين ، السهروردي ، وقد تقدم تنمة نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله
عنه في ترجمة عمه الشيخ أبي النجيب عبد القاهر ، فأغنى عن إعادته
كان فقيها شافعي المذهب شيخا صالحا ورعا كثيرا الاجتهاد في العبادة والرياضة
وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلة ، ولم يكن في آخر عمره
في عصره مثله ، وصحب عمه أبا النجيب ، وعنه أخذ التصوف والوعظ ، والشيخ
أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي ، وانحدر إلى البصرة إلى الشيخ أبي محمد بن
عبد [الله] ^(١) ، ورأى غيرهم من الشيوخ ، وحصل طرفا صالحا من الفقه والخلاف ،
وقرأ الأدب ، وعقد مجلس الوعظ سنين ، وكان شيخ الشيوخ ببغداد ، وكان له
مجلس وعظ ، وعلى وعظه قبول كثير ، وله نفس مبارك ، حكى لي من حضر مجلسه
أنه أشد يوما [في المجلس] ^(٢) على الكرسي [من الكامل] :

لا تَسْقِنِي وَحْدِي فَمَا عَوَّدْتَنِي أَنِّي أَشْخُّ بِهَا عَلَى جُلَاسِي
أَنْتَ الْكَرِيمُ وَلَا يَلِيقُ تَكْرَمَا أَنْ يَعْبِرَ النَّدْمَاءُ دَوْرَ الْكَاسِ

فتواجد الناس لذلك ، وقطعت شعور كثيرة وتاب جمع كثير ، وله تواليف
حسنة منها كتاب « عوارف المعارف » وهو أشهرها ، وله شعر فنه [من مخرج البسيط] :

تَصَرَّمْتُ وَخَشَّةَ اللَّيَالِي وَأَقْبَلْتُ دَوْلَةَ الْوَصَالِ
وَصَارَ بِالْوَصْلِ لِي حَسُودًا مَنْ كَانَ فِي هَجْرِكُمْ رَنِي لِي
وَحَقِّكُمْ بَعْدَ أَنْ حَصَلْتُمْ بِسُكُلِ مَا فَاتَ لَا أَبَالِي
أَحْيَيْتُمُونِي وَكُنْتُ مَيِّتًا وَبَعْتُمُونِي بِغَيْرِ غَالِي
تَقَاصَرْتُ عَنْكُمْ قُلُوبٌ فِيَالِهَ مُورِدًا حَلَالِي ^(٢)
عَلَى مَا لِلْوَرَى حَرَام وَحَبِكُمْ فِي الْحَشَا حَلَالِي
تَشَرَّبْتُ أَعْظَمَى هَوَاكُم فَمَا لَغَيْرِ الْهَوَى وَمَالِي

(١) سقطت هذه الكلمة من ١ (٢) في ١ « خلاي »

فما على عادِم أجابا وعنده أعين الزلال

ورأيت جماعة ممن حضر مجلسه وقعدوا في خلوته وتسليكه كجاري عادة الصوفية ، فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها مما يجدونه من الأحوال الخارقة ، وكان قد وصل رسولا إلى إربل من جهة الديوان العزيز ، وعقد بها مجلس وعظ ، ولم يتفق لي رؤيته لصغر السن ، وكان كثير الحج ، وربما جاور في بعض حججه ، وكان أرباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صورة فتاوى يسألونه عن شيء من أحوالهم ، سمعت أن بعضهم كتب إليه « ياسيدي إن تركت العمل أخذت إلى البطالة ، وإن عملت داخلني العجب ، فأيهما أولى ؟ » فكتب جوابه : « اعمل واستغفر الله تعالى من العجب » وله من هذا شيء كثير وذكر في كتابه عوارف المعارف أبياتا لطيفة منها [من البسيط] :

أشُم منك نسِما لست أعرفه أظن لَمِماءَ جرَّتْ فيك أذِلالا
وفيه أيضاً [من الخفيف] :

إن تأملتكم فكلي عيون أو تذكرتكم فكلي قلوب

وذكر غير هذا أشياء لا حاجة إلى التّطويل بذكرها ، وكان قد صحب عمه أبا النجيب المذكور زمانا ، وعليه تخرج .

ومولده بسهرورد في أواخر رجب ، أو أوائل شعبان ، والشك منه ^(١) في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

وتوفي في مستهل المحرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ودفن من الغد بالوردية .

(١) في « والشك فيه » محرفا عما أثبتناه موافقا لما في ب

(٤٦٩)

ذو النسيين
أبو الخطاب
عمر بن الحسن
الأندلسي
البلنسي
الحافظ

أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد الجميل بن فرح بن خلف بن قُومس بن
مَزَلَال بن مَلَّال بن بدر بن أحمد بن دَحِيَّة بن خليفة بن فروة ، الكلبي ،
المعروف بندي النسبين ، الأندلسي ، البلنسي ، الحافظ

نقلت نسبه على هذه الصورة من خطه ، وكان قد قيَّده وضبطه كما هو ههنا .
الجميل : بضم الجيم ، وفتح الميم ، وتشديد الياء المثناة من تحتها ، وبعدها لام
وهو تصغير جميل .

وفرّح : بفتح الفاء ، وسكون الراء ، وبعدها حاء مهملة
وقومس : بضم القاف وفتحها ، وسكون الواو ، وكسر الميم ، وبعدها سين
مهملة .

ومزلال : بفتح الميم ، وسكون الزاء ، وبعء اللام ألف لام .
وملال : بفتح الميم ، وتشديد اللام ألف ، وبعدها لام .
ودحية : بكسر الدال المهملة وفتحها ، وسكون الحاء المهملة ، وبعدها ياء مثناة
من تحتها ، وهو دحية الكلبي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والباقي معروف لا حاجة إلى ضبطه

كان يذكر أن أمه أمة الرحمن بنت أبي عبد الله بن أبي البسام موسى بن
عبد الله بن الحسين بن جعفر بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ! فلهذا كان يكتب بخطه
« ذو النسبين دحية والحسين رضي الله عنهما » وكان يكتب أيضاً « سببط
أبي البسام » إشارة إلى ذلك .

وكان أبو الخطاب المذكور من أعيان العلماء ، ومشاهير الفضلاء ، مُتَقِنًا لعلم

الحديث النبوى وما يتعلق به ، عارفاً بالنحو واللغة وأيام العرب وأشعارها ، واشتغل بطلب الحديث فى أكثر بلاد الأندلس الإسلامية ، ولقى بها علماءها ومشايخها ، ثم رحل منها إلى بر العُدوة ودخل مراکش واجتمع بفضلائها ، ثم ارتحل إلى أفريقية ، ومنها إلى الديار المصرية ثم إلى الشام والشرق والعراق ، وسمع ببغداد من بعض أصحاب ابن الحصين ، وسمع بواسط من أبى الفتح محمد بن أحمد ابن الميدانى ، ودخل إلى عراق العجم وخراسان وما والاها ومازندران^(١) ، كل ذلك فى طلب الحديث والاجتماع بأئمة والأخذ عنهم ، وهو فى تلك الحال يؤخذ عنه ، ويستفاد منه ، وسمع بأصبهان من أبى جعفر الصيدلانى ، وبنيسابور من منصور بن عبد المنعم الفراوى ، وقدم مدينة إربل فى سنة أربع وثمانئة ، وهو متوجه إلى خراسان ، فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله تعالى مولعا بعمل مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، عظيم الاحتفال به ، كما هو مذكور فى ترجمته فى حرف الكاف من هذا الكتاب ، فعمل له كتابا سماه « كتاب التنوير فى مولد السراج المنير » وقرأه عليه بنفسه ، وسمعناه على الملك المعظم فى ستة مجالس فى جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وثمانئة ، وكان الحافظ أبوالخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة أولها [من مشطور الرجز] :

لولا الوشاة وهم أعداؤنا ما وهموا

وقد ذكرت فيما تقدم فى ترجمة الأسعد بن ممتاى فى حرف الهمزة حديث هذه القصيدة ، فليتأمل هناك ، ولما عمل هذا الكتاب دفع له الملك المعظم المذكور ألف دينار ، وله عدة تصانيف .

وكانت ولادته فى مستهل ذى القعدة سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وتوفى يوم الثلاثاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وثمانئة ، بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى ! .

(١) مازندران : اسم لولاية طبرستان

أخبرني بذلك ولده [وأخبرني بعض أصحابنا الموثوق بقولهم أنه سأل ولده المذكور عن مولد أبيه ، فقال : في ذى القعدة من سنة ثمان وأربعين ^(١)] وأخبرني ابن أخيه قال : سمعت عمي أبا الخطاب غير مرة يقول : ولدت في مستهل ذى القعدة سنة ست وأربعين وخمسمائة ، والله أعلم

والبكَنْسِي - بفتح الباء الموحدة واللام ، وسكون النون ، وبعدها سين مهملة - هذه النسبة إلى بكَنْسِيَة ، وهي مدينة في شرق الأندلس .

وكان أخوه أبو عمرو عثمان بن الحسن أسنً من أخيه أبي الخطاب ، وكان حافظاً للغة العرب ، قياً بها .

وعزل الملك الكامل أبا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة ، ورَتَّب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور ، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم ، وله رسائل استعمل فيها حَوْشِي اللغة .

(٤٧٠)

أبو علي
عمر بن محمد
الشلوبيني
الأندلسي
النحوي

أبو علي عمر بن محمد بن عبد الله ، الأزدي ، المعروف بالشَّلَوْبِينِي ، الأندلسي ، الاشبيلي ، النحوي

كان إماماً في علم النحو ، مستحضراً له غاية الاستحضار ، وقد رأيت جماعة من أصحابه وكلهم فضلاء ، وكل واحد منهم يقول : ما يتقاصر الشيخ أبو علي الشلوبيني عن الشيخ أبي علي الفارسي ، ويغالون فيه مغالاة زائدة ، وقالوا : فيه مع هذه الفضيلة غفلة وصورة بَلَه في الصورة الظاهرة ، حتى قالوا : إنه كان يوماً على جانب نهر وبيده كراريس فوق وقع منها كراصة في الماء ، وبعدت عنه ، فلم تصل يده إليها ليأخذها فأخذ كراصة أخرى وجذبها بها فتلفت الأخرى بالماء ، وكان له مثل هذه

الأسباب الدالة على البله ، وشرح المقدمة العُزُولية شرحين كبيراً وصغيراً ، وله كتاب في النحو سماه «التوطئة» وكانت إقامته بـاشبيلية ، وأخبره متواصلة إلينا وتلامذته واردة في كل وقت ، وبالجملة فانه على ما يقال كان خاتمة أئمة النحو .

وكانت ولادته بـاشبيلية ، سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

وتوفي آخرَ الربيعين ، وقيل : في صفر سنة خمس وأربعين وستمائة بـاشبيلية ، رحمه الله تعالى ! .

والشَّلَوُ بنِي : بفتح الشين المثناة واللام ، وسكون الواو ، وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون — هذه النسبة إلى الشلوين ، وهو بلغة الأندلس الأبيض الأشقر ، هكذا ذكروا ، والله أعلم

(٤٧١)

أبو حفص عمر بن أبي بكر محمد بن معمر بن أحمد بن يحيى بن حسان المؤدب ، المعروف بابن طبرزد ، المحدث المشهور ، البغدادي ، الملقب موفق الدين ، من أهل الجانب الغربي ببغداد ، من ساكني محلة دارالقرز ولهذا عرف بالدارقزي

ابن طبرزد
موفق الدين
أبو حفص عمر
ابن محمد ، المحدث
البغدادي

(١) كان أخوه الأكبر أبو البقاء قد أسمعه الكثير من الحديث ، ثم استقل بإفادة نفسه ، وعمر حتى حدث سنين ، وحفظ الأصول إلى وقت الحاجة إليها ، وكانت بخط أخيه أبي البقاء المذكور إلا القليل ، وكان سماعه من أبي القاسم هبة الله ابن عبد الواحد بن الحسين وأبي المواهب أحمد بن محمد بن ملوك الوراق وأبي الحسن ابن الراعوني وأبي غالب بن البناء وأبي القاسم هبة الله بن عبد الشروطي وأبي القاسم هبة الله بن أحمد الحريري والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري وأبي منصور بن زريق وإسماعيل بن أحمد السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي

(١) سقط من هنا إلى أثناء السطر السابع في ص ١٣٥ ، من أوحدها

وخلق كثير يطول ذكرهم ، وكان سماعه صحيحا على تخليط فيه ، وسافر في آخر عمره إلى الشام ، وحدث في طريقه بابل والموصل وحرّان وحلب ودمشق وغيرها وعاد إلى بغداد ، وحدث بها ، وتفرد بالرواية عن جماعة منهم الفقيه أبو الحسن علي بن عبيد الله بن الراعوني وابن ملوك المذكور وأبو القاسم الشروطي المذكور وأبو غالب محمد بن أحمد بن قريش وأبو البركات بن حامل بن حاش وأبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء وأبو القاسم هبة الله بن الحسين وغيرهم ، وجمع له ابن المديني مشيخة في جزأين وبعض ثالث فيها ثلاثة وثمانون شيئا ^(١) وكان عالي الاسناد في سماع الحديث ، طاف البلاد ، وأفاد أهلها ، وألقى الأصغر بالأكابر وطبق الأرض بالسماعات والإجازات ، وامتدت له الحياة فخلاله العصر ، وكان فيه صلاح وخير .

ومولده في ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة .

وتوفي في عصر يوم الثلاثاء ، تاسع رجب سنة سبع وستمائة ببغداد ، ودفن من الغد بباب حرب ، رحمه الله تعالى ! .

وطبر زذ : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة ، وسكون الراء ، وفتح الزاء ، وبعدها ذال معجمة — وهو اسم لنوع من السكر .

(١) إلى هنا ينتهي الساقط من (١)

(٤٧٢)

أبو حفص ، وأبو القاسم ، عمر بن أبي الحسن على بن المرشد بن على ،
الحموى الأصل ، المصرى المولد والدار والوفاة ، المعروف بابن الفارض ،
المنعوت بالشرف

أبو حفص
الشرف عمر بن
على ابن الفارض
الحموى المصرى

له ديوان شعر لطيف ، وأسلوبه فيه رائع ظريف ، ينحو منحى طريقة الفقراء
وله قصيدة مقدار ستائة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم ، وما أطف قوله من جملة
قصيدة طويلة [من البسيط] :

أهلاً بما لم أكن أهلاً بموقعه قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج
وله من قصيدة أخرى [من الكامل] :

لم أخل من حسد عليك فلا تضع سهري بتشجيع الخيال المرجف^(١)
واسأل نجوم الليل هل زار الكرى جفنى ؟ وكيف يزور من لم يعرف ؟
ومنها :

وعلى تفنن واصفيه بحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
وله دوبيت وموالياً والغاز ، وسمعت أنه كان رجلاً صالحاً كثير الخير ،
على قدم التجرد ، جاور بمكة - زادها الله تعالى شرفاً ١ - زماناً .
وكان حسن الصحبة ، محمود العشرة ، أخبرنى بعض أصحابه أنه ترنم يوماً
وهو فى خلوة ببيت الحريرى ، صاحب المقامات [من مجزوء الرجز] :

من ذا الذى ماساء قط ومن له الحسنى فقط
قال : فسمع قائلاً ولم يرَ شخصه قد أنشد :
محمد الهادى الذى عليه جبريل هبط

(١) فى « بتشجيع الخيال » محرفاً .

وأنشدني له جماعة من أصحابه مَوْالِيًا في غلام صنعتته الجزارة ، وهو كيس ،
ولم أَرَهُ في ديوانه :

قلتمو لجزار عشقتو كم تشرخني قتلتنى قال ذا شغلى تو بخرني
وملّ إلى وبس رجلى يرنخني يريد ذبحى فينفخنى ليسلخنى
وقد كتبتّه على اصطلاحهم ، فأنهم لا يراعون فيه الإعراب والضبط ، بل
يجوزون فيه اللحن ، بل غالبه ملحون ، فلا يؤاخذ من يقف عليه .

وكان يقول : عملت في النوم بيتين ، وهما [من مجزوء الكامل] :

وحياة أشواقى إليك وحرمة الصبر الجميل

لأبصرت عيني سواك ولا صبرت إلى خليل^(١)

وكانت ولادته في الرابع ، من ذى القعدة ، سنة ست وسبعين وخمسمائة ،
بالقاهرة .

وتوفى بها يوم الثلاثاء الثانى من جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ،
ودفن من الغد بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى .

والفارض : بفتح الفاء ، و بعد الألف راء ، وبعدها ضاد معجمة — وهو
الذى يكتب الفروض للنساء على الرجال .

(١) المحفوظ « ما استحسنيت عيني سواك »

(٤٧٣)

الملك المظفر
صاحب حمّة
تقى الدين
أبو سعيد عمر
الأيوبي

الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب
صاحب حمّة ، وهو ابن أخى السلطان صلاح الدين ، رحمه الله تعالى !
وقد تقدم ذكر أبيه فى حرف الشين

كان شجاعاً مقداماً ، منصوراً فى الحروب ، مؤيداً فى الوقائع ، ومواقفه
مشهورة مع الفرنج .

وكانت له آثار فى المصافات دلت عليها التواريخ ، وله فى أبواب البر
كلُّ حسنة ، منها : مدرسة منازل العزالتى بمصر ، يقال : إنها كانت دارسكنه ،
فوقف عليها وفقاً كثيراً ، وجعلها مدرسة .

وكانت الفيوم وبلادها إقطاعاً له ، وله بها مدرستان : شافعية ، ومالكية ،
وعليهما وقفٌ جيد أيضاً ، وبنى بمدينة الرها مدرسة لما كان صاحب البلاد
الشرقية ، وكان كثير الإحسان إلى العلماء والفقراء وأرباب الخير .

وناب عن عمه صلاح الدين فى الديار المصرية فى بعض غيبتاته عنها ، فان الملك
العاقل كان نائباً عن أخيه السلطان صلاح الدين فى الديار المصرية ، فلما حاصر الكرك
فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة فى رجب طلب أخاه من مصر بالعساكر ، وسير
إليها تقى الدين فى العشر الأوسط من شعبان من السنة نائباً عنه ، ثم استدعاه إليه
بالشام ، ورُتّب بالديار المصرية ولده الملك العزيز عثمان المقدم ذكره ، ومعه
الملك العاقل ، فشق ذلك على تقى الدين ، وعزم على دخوله بلاد المغرب ليفتحها ،
فقبّح أصحابه عليه ذلك ، فامتلأ قول عمه صلاح الدين ، وحضر إلى خدمته .
وخرج السلطان ، فالتقى بمرج الصفر^(١) ، واجتمعاه هناك فى الثالث والعشرين
من شعبان سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، وفرح به ، وأعطاه حمّة ، فتوجه إليها

(١) مرج الصفر - بضم الصاد وتشديد الفاء مفتوحة - موضع بين دمشق
والجولان ، صحراء ، كانت بها وقعة مشهورة فى أيام بنى مروان ،

وَتَوَجَّهَ إِلَى قَلْعَةِ مَنَازَ كَرَدَ مِنْ نَوَاحِي خِلَاطٍ ^(١) لِيَأْخُذَهَا ، فَحَاصَرَهَا مَدَّةً ، وَتَوَفَّى عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، تَاسِعَ عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، سَنَةِ سَبْعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَقِيلَ : بَلْ تَوَفَّى مَا بَيْنَ خِلَاطٍ وَمَيْمَنَ فَارِقِينَ ، وَنُقِلَ إِلَى حِمَاةٍ ، وَدُفِنَ بِهَا .
وَرَتَّبَ مَكَانَهُ وَلَدَهُ الْمَنْصُورَ ، نَاصِرُ الدَّوْلَةِ أَبُو الْمَعَالَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، وَمَاتَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي وَالْعِشْرِينَ ، مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ ، سَنَةِ سَبْعٍ عَشْرَةَ وَسَمِائَةٍ ، بِحِمَاةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى !

(٤٧٥)

أَبُو إِسْحَاقَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّعِيِّ ،
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ
السَّيِّعِيِّ
الْهَمْدَانِيُّ
الْكُوفِيُّ

أَبُو إِسْحَاقَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّيِّعِيِّ ،
الْهَمْدَانِيُّ ، الْكُوفِيُّ
مِنْ أَعْيَانِ التَّائِبِينَ ، رَأَى عَلِيًّا وَابْنَ عَبَّاسٍ وَابْنَ عَمْرِو وَغَيْرَهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ! وَرَوَى عَنْهُ الْأَعْمَشُ ، وَشُعْبَةُ ، وَالثَّوْرِيُّ ، وَغَيْرُهُمْ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ! وَكَانَ كَثِيرَ الرِّوَايَةِ .
وُلِدَ لِثَلَاثِ سِنِينَ بَقِيْنَ مِنْ خِلَافَةِ عُثْمَانَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ! .
وَتَوَفَّى سَنَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ : ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ ، وَقِيلَ : تِسْعٍ
وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ ، وَالْمَدَائِنِيُّ : مَاتَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَالسَّيِّعِيُّ — بَفَتْحِ السِّينِ الْمَهْمَلَةِ ، وَكُسْرِ الْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ
الْمُثَنَّى مِنْ تَحْتِهَا ، وَبَعْدَهَا عَيْنُ مَهْمَلَةٍ — هَذِهِ النِّسْبَةُ إِلَى سَبِّعٍ ، وَهُوَ : بَطْنُ
مِنْ هَمْدَانَ ، وَتَقْدِمُ الْكَلَامِ عَلَى هَمْدَانَ

(١) خِلَاطٌ — بِكُسْرِ الْحَاءِ ، بَزَنَةِ كِتَابٍ — قِصَّةٌ أَرْمِينِيَّةُ الْوَسْطَى ، فِيهَا الْقَوَائِدُ
الكثيرة والمياه الغزيرة ، ويبردها في الشتاء يضرب المثل ، ولها البحيرة التي ليس
لها في الدنيا نظير . ١٠ هـ من معجم ياقوت .

وكان أبو إسحاق المذكور يقول : رَفَعَنِي أَبِي حَتَّى رَأَيْتَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَخْطُبُ ، وَهُوَ أَبْيَضُ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ .

(٤٧٦)

أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدِ بْنِ بَابٍ ، الْمُتَكَلِّمُ ، الزَّاهِدُ ، الْمَشْهُورُ ، مَوْلَى

أَبُو عَثْمَانَ عَمْرُو
ابن عبيد المتكلم
الزاهد

بَنِي عَقِيلٍ آلَ عِرَادَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ مَالِكٍ

كَانَ جَدُّهُ بَابٌ مِنْ سَبْئِ كَابِلٍ مِنْ جِبَالِ السَّنَدِ ، وَكَانَ أَبُوهُ يَخْلِفُ أَصْحَابَ الشَّرْطِ بِالْبَصْرَةِ ، فَكَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا عَمْرًا مَعَ أَبِيهِ ، قَالُوا : هَذَا خَيْرُ النَّاسِ ابْنِ شَرِّ النَّاسِ ، فَيَقُولُ أَبُوهُ : صَدَقْتُمْ ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ وَأَنَا آزَرُ ، وَقِيلَ لِأَبِيهِ عُبَيْدٍ : إِنْ ابْنُكَ يَخْتَلِفُ إِلَى الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ [خَيْرًا] ^(١) فَقَالَ : وَأَيُّ خَيْرٍ يَكُونُ مِنْ ابْنِي وَقَدْ أَصَبْتُ أُمَّهُ مِنْ غُلُولٍ وَأَنَا أَبُوهُ ؟ ! وَكَانَ عَمْرُو شَيْخَ الْمُعْتَزَلَةِ فِي وَقْتِهِ ، وَسَيِّئَاتِي فِي تَرْجُمَةِ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ سَبَّبَ اعْتِزَالَهُ ، وَلَمْ يَسْمُوا الْمُعْتَزَلَةَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَكَانَ آدَمَ مَرْبُوعًا يَبِينُ عَيْنِيهِ أَثَرُ السَّجُودِ . وَسُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْهُ ، فَقَالَ لِلسَّائِلِ : لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ رَجُلٍ كَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَدْبَتَهُ ، وَكَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ رَبَّتَهُ ، إِنْ قَامَ بِأَمْرِ قَعْدَبِهِ ، وَإِنْ قَعَدَ بِأَمْرِ قَامَ بِهِ ، وَإِنْ أَمَرَ بِشَيْءٍ كَمَا أَنْزَلَ النَّاسُ لَهُ ، وَإِنْ نَهَى عَنْ شَيْءٍ كَانَ أَتْرُكُ النَّاسِ لَهُ ، مَا رَأَيْتَ ظَاهِرًا أَشْبَهَ بِبَاطِنٍ مِنْهُ ، وَلَا بَاطِنًا أَشْبَهَ بِظَاهِرٍ مِنْهُ .

^(١) [وَلَمَّا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ أُرْسِلَ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ — وَهُوَ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ — أَنْ يُوفِدَ إِلَيْهِ وَفْدًا ، فَأُرْسِلَ إِلَى جَمَاعَةٍ يَأْمُرُهُمْ بِذَلِكَ ، وَأُرْسِلَ إِلَى عَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ ، فَاِمْتَنَعَ ، فَأَعَادَ سُؤَالَهُ ، فَقَالَ :

(١) هذه الكلمة لا توجد في المعنى لا يتم بدونها

(٢) من هنا إلى نهاية السطر السادس في ص ١٣١ ساقط من ا

إن أول ما يسألني عنه سيرتك ، فما تراني قائلًا ؟ قال : فكيف عنه .

قلت : هذا عبدُ الله بن عمر هو الذي حفر نهر البصرة ، المعروف بنهر ابن عمر المشهور في مكانه ، وهو : عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي الحكي ، حبسه مروان بن محمد المنبوز بالحجاز آخر ملوك بني أمية ، مع إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، المعروف بالإمام ، بحران ، وقتلهما في سنة نيف وثلاثين ومائة ^(١) .

ودخل عمرو يوما على أبي جعفر المنصور في خلافته ، وكان صاحبه وصديقه قبل الخلافة ، وله معه مجالس وأخبار ، فقر به وأجلسه ، ثم قال له : عظمي ، فوعظه بمواعظ ، منها : إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك ، فاحذر ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده . فلما أراد النهوض ، قال : قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، قال : لا حاجة لي فيها ، قال : والله تأخذها ، قال : لا والله لا آخذها . وكان المهدي ولد المنصور حاضراً ، فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت عمرو إلى المنصور ، وقال : من هذا الفتي ؟ قال : هو ولي العهد ابني المهدي ، فقال : أما والله لقد ألبسته لباساً ما هو من لباس الأبرار ، وسميته باسم ما استحقه ، ومهدت له أمراً أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ، ثم التفت عمرو إلى المهدي فقال : نعم يا ابن أخي ، إذا حلف أبوك أحسنه عمك ^(٢) ، لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك ، فقال له المنصور : هل من حاجة ؟ قال : لا تبعث إلي حتى آتيك ، قال : إذا لا تلقاني ، قال : هي حاجتي ، ومضى ، فأتبعه المنصور طرفه ، وقال :

(١) إلى هنا نهاية الساقط من ا

(٢) أحسنه : أوقعه في الحنث ، وفي ب « حنثه عمك »

كلكم يمشى رؤيد كلكم يطلب صيد

غير عمرو بن عبيد

(١) [ولما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب — رضى الله تعالى عنهم! — على أبي جعفر المنصور وقدم البصرة ثم خرج منها ، وبلغ المنصور خبره ، أقبل مسرعاً في سنة اثنتين وأربعين ومائة ، وبها عمرو بن عبيد ، فقال له أصحابه : نخرج للقائه ، فأبى ، فعاودوه وغلبوه على رأيه ، حتى خرج إليه ، فقال له : يا أبا عثمان ، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا ، قال : أفأقتصر على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم ، فانصرف ولم يدخلها] (١).

ولعمرو المذكور رسائل وخطب ، وكتاب التفسير عن الحسن البصرى ، وكتاب الرد على القدرية ، وكلام كثير في العدل والتوحيد ، وغير ذلك .
ولما حضرته الوفاة قال لصاحبه : نزل بي الموت ولم أتاهب له ، ثم قال : اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لى أمران فى أحدهما رضاك وفى الآخر هوى لى إلا اخترت رضاك على هوى ، فاغفر لى .

وكانت ولادته فى سنة ثمانين للهجرة .

وتوفى سنة أربع وأربعين ومائة ، وقيل : اثنتين ، وقيل : ثلاث ، وقيل : ثمان ، وهو راجع إلى مكة بموضع يقال له مَرَّان ، ورثاه المنصور بقوله [من الكامل] :

صلى الإله عليك من متوسدٍ قبراً مررتُ به على مَرَّانِ
قبراً تضمّن مؤمناً متحنّفاً صدق الإله ودان بالعرفان
لو أن هذا الدهر أبقي صالحاً أبقي لنا عمرًا أبا عثمان

ولم يسمع بخليفة يرى من دونه سواه ، رضى الله عنه !

ومَرَّانُ — بفتح الميم ، وتشديد الراء ، وبعد الألف نون — موضع بين مكة والبصرة على ليلتين من مكة ، وبه دفن أيضاً تميم بن مر الذى ينسب إليه بنو تميم القبيلة الكبيرة المشهورة .

واسم جده باب : بباءين موحدتين بينهما ألف ، وإنما قيدته لأنه يتصحف بناب .

(٤٧٧)

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الملقب سيبويه ، مولى بني الحارث بن كعب ، وقيل : آل الربيع بن زياد الحارثي

سيبويه شيخ
النحاة أبو بشر
عمرو بن عثمان

كان أعلم المتقدمين والمتأخرين بالنحو ، ولم يوضع فيه مثل كتابه ، وذكره الجاحظ يوماً فقال : لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله ، وجميع كتب الناس عليه عيال ، وقال الجاحظ : أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم ففكرت في شيء أهديه له ، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه ، فلما وصلت إليه قلت له : لم أجد شيئاً أهديه لك مثل هذا الكتاب ، وقد اشتريته من ميراث الفراء ، فقال : والله ما أهديت لى شيئاً أحب إلى منه ، ورأيت في بعض التواريخ أن الجاحظ لما وصل إلى ابن الزيات بكتاب سيبويه أعلمه به قبل إحضاره ، فقال له ابن الزيات : أوظننت أن خزانتنا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفراء ، ومقابلة الكسائي ، وتهذيب عمرو بن بحر الجاحظ ، يعني نفسه ، فقال ابن الزيات : هذه أجل نسخة توجد وأعزها ، فأحضرها إليه ، فسرها ، ووقعت منه أجمل موقع ^(١) .

وأخذ سيبويه النحو عن الخليل بن أحمد المتقدم ذكره ، وعن عيسى بن عمر ، ويونس بن حبيب ، وغيرهم ، وأخذ اللغة عن أبي الخطاب المعروف بالأخفش الأكبر وغيره .

وقال ابن النطاح : كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه ، فقال الخليل :

(١) في ١ « أجمل موضع »

مرحباً بزاز لا يَمَلُّ ، قال أبو عمرو الخزومي ، وكان كثير المجالسة للخليل : ما سمعت
الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه .

وكان قد ورد إلى بغداد من البصرة والكسائي يومئذ يعلم الأمين بن هرون
الرشيد ، فجمع بينهما ، وتناظرا ، وجرى مجلس يطول شرحه ، وزعم الكسائي
أن العرب تقول : كنت أظن الزنبور أشدَّ لسعاً من النحلة فإذا هو إياها ، فقال
سيبويه : ليس المثل كذا ، بل فإذا هوهي ، وتشاجرا طويلا ، واتفقا على مراجعة
عربي خالص لا يشوب كلامه شيء من كلام أهل الحضرة^(١) ، وكان الأمين شديد
العناية بالكسائي ، لكونه معاهمه ، فاستدعى عربيا ، وسأله فقال كما قال سيبويه ،
فقال له : نريد أن تقول كما قال الكسائي ، فقال : إن لساني لا يطاوعني على ذلك
فانه ما يسبق إلا إلى الصواب ، فقررنا معه أن شخصا يقول : قال سيبويه كذا ،
وقال الكسائي كذا ، فالصواب مع من منهما ؟ فيقول العربي : مع الكسائي ،
فقال هذا يمكن ، ثم عقد لهما المجلس ، واجتمع أئمة هذا الشأن ، وحضر العربي ،
وقيل له ذلك ، فقال : الصواب مع الكسائي ، وهو كلام العرب ، فعلم سيبويه
أنهم تحاملوا عليه ، وتصبوا للكسائي ، فخرج من بغداد ، وقد حمل في نفسه لما
جرى عليه ، وقصد بلاد فارس ، فتوفي بقرية من قرى شيراز يقال لها البيضاء في سنة
ثمانين ومائة ، وقيل : سنة سبع وسبعين ، وعمره نيف وأربعون سنة ، وقال ابن
قانع : بل توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة ، وقيل : ثمان وثمانين ، وقال
الحافظ أبو الفرج بن الجوزي : توفي سنة أربع وتسعين ومائة ، وعمره اثنتان وثلاثون
سنة ، وإنه توفي بمدينة ساوة ، وذكر الخطيب في تاريخ بغداد عن ابن دريد أنه
قال : مات سيبويه بشيراز ، وقبره بها ، والله أعلم ، وقيل : إن ولادته كانت بالبيضاء

(١) في ١ « من كلام أهل الحضرة » وأظن أصله « أهل الحاضرة »

المذكورة، لا وفاته، قال أبو سعيد الطوال : رأيت على قبر سيبويه هذه الأبيات مكتوبة ، وهي لسليمان بن يزيد العدوي [من الكامل] :

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ونأى المزار فاسلموك وأقشعوا
تركوك أو حش ما تكون بقفرة لم يؤنسوك ، وكربة لم يدفعوا ؟
وقضى القضاء وصرّت صاحب حفرة عنك الأحبة أعرضوا وتصدّعوا
وقال معاوية بن بكر العليعي ، وقد ذكر عنده سيبويه : رأيت ، وكان حديث السن ، وكنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل بن أحمد ، وقد سمعته يتكلم وينظر في النحو ، وكانت في لسانه حُبسة ، ونظرت في كتابه فقلمه أبلغ من لسانه .

وقال أبو زيد الأنصاري^(١) : كان سيبويه غلاما يأتى مجلسي وله ذؤابتان ، فإذا سمعته يقول « حدثني من أثق بعريته » فأنما يعني ، وكان سيبويه كثيرا ما ينشد [من الطويل] :

إذا بلّ من داء به ظن أنه نجبا ، وبه الداء الذى هو قاتله
وسيبويه - بكسر السين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح الباء الموحدة والواو ، وسكون الياء الثانية ، وبعدها هاء ساكنة — ولا يقال بالياء البتة ، وهو لقب فارسي معناه بالعربية رائحة التفاح ، هكذا يضبط أهل العربية هذا الاسم ونظائره مثل نفطويه وعمرويه وغيرهما ، والعجم يقولون « سيبويه » بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الياء المثناة من تحتها ، لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة « ويه » لأنها للندبة ، وقال إبراهيم الحربي : سمى سيبويه لأن وجنتيه كأنهما تفاحتان ، وكان في غاية الجمال ، رحمه الله تعالى !

(١) في ١ ، ب « أبو زيد الأنصاري » محرفا

(٤٧٨)

أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين ،
 التميمي ، المازني ، البصري ، ورأيت بخطي في مَسْوَدَاتِي : هو أبو
 عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث
 ابن جلهم بن إزعاقي بن مازن بن مالك بن عمرو بن
 تميم ، ويقال : جلهم بن حجر بن خزاعي ،
 واسمه العريان ، أحد القراء السبعة

أبو عمرو بن
 العلاء ، أحد
 القراء السبعة

كان أعلم الناس بالقرآن الكريم والعربية والشعر ، وهو في النحو في الطبقة
 الرابعة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ! .

قال الأصمعي : قال أبو عمرو بن العلاء : لقد علمت من النحو ما لم يعلمه إلا عمش
 وما لو كتب لما استطاع أن يحمله .

وَقَالَ أَيْضًا : سألت أبا عمرو عن ألف مسألة ، فأجابني فيها بألف حجة .
 وكان أبو عمرو رأسًا في حياة الحسن البصري ، مقدمًا في عصره .

وقال أبو عبيدة : كان أبو عمرو أعلم الناس بالأدب والعربية والقرآن
 والشعر ، وكانت كتبه التي كتب عن العرب الفصحاء قد ملأت بيتا له إلى
 قريب من السقف ، ثم إنه تَقَرَّرَ أَيُّ تنسك فأخرجها كلها ، فلما رجع إلى علمه
 الأول لم يكن عنده إلا ما حفظه بقلبه ، وكانت عامة أخباره عن أعراب قد
 أدركوا الجاهلية .

قال الأصمعي : جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج ، فلم أسمع به يحنج
 بيت إسلامي ، قال : وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق [من البسيط] :
 ما زلتُ أغلقُ أبوابا وأفنحها حتى أتيت أبا عمرو بن عَمَّار
 والصحيح أن كنيته اسمه ، وقيل : اسمه زَبَّان ، وقيل غير ذلك ، وليس بصحيح ،

وهو من خزاعي بن مازن ، وحكى في نسبه في بعض الروايات أنه أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبيد الله بن الحصين بن الحارث بن جلهم بن خزاعي بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم ، ويقال : جلهم بن حجر بن خزاعي ، والله أعلم .
وحكى أبو عمرو قال : طلب الحجاج بن يوسف الثقفي أبي ، فخرج منه هاربا إلى اليمن ، فأنا لنسير بصحراء باليمن إذ لحقنا لاحق ينشد [من الخفيف]:
رُبَّمَا تَكْرَهُ النفوس من الأمر له فَرَجَةً كَحَلِّ الْعَقَالِ
قال : فقال أبي : ما الخبر ؟ قال : مات الحجاج ، قال أبو عمرو : فأنا بقوله « له فَرَجَةً » أشدُّ سرورا مني بموت الحجاج ، قال : فقال أبي : اصْرِفْ رُكَابَنَا إِلَى البصرة ، قال أبو عبيدة : قلت لأبي عمرو : كم سنك يومئذ ؟ قال : كنت قد خنقت بضعا وعشرين سنة .

يقال فَرَجَةٌ بالفتح بين الأمرين وبالضم بين الجبلين
وذكر في كتاب « طبقات النحاة » قال : حدث الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « في الجنين غرة عبد أو أمة » لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد بُغْرَةً معنى لقال « في الجنين عبد أو أمة » ولكنه عَنَى البياض ، ولا يُقْبَلُ في الدية إلا غلام أبيض أو جارية بيضاء ، لا يقبل فيها أسود ولا سوداء ، وهذا غريب ، ولا أعلم هل يوافق مذهب أحد من الأئمة المجتهدين أم لا ، ولغرابته نقلته .

وذكر في هذا الكتاب أيضاً قال الأصمعي : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قولهم « أرهبتته ورهبتته » فقال : ليسا بسواء ، فقلت : رهبتته فَرَقْتُهُ ، وأرهبتته أدخلت الفرق في قلبه ، قال أبو عمرو : ذهب مَنْ يَعْرِفُ هذا منذ ثلاثين سنة وقال ابن مناذر^(١) : سألت أبا عمرو بن العلاء : حتى متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة تحسن به .

وقال أبو عمرو : حدثنا قتادة السدوسي قال : لما كُتِبَ المصحف عرض

(١) في ١ « ابن مناذر » بالمدال مهملة

على عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال: إن فيه لحناً ولتقيمته العرب بألسنتها ،
وكان أبو عمرو إذا دخل شهر رمضان لم ينشد بيت شعر حتى ينقضى
وكان له في كل يوم فلّسان يشتري بأحدهما كوزاً جديداً يشرب فيه يومه
ثم يتركه لأهله ، ويشترى بالآخر ریحاناً فيشمه يومه فإذا أمسى قال لجاريته :
جفّفيه ودقيه في الأشنان .

وروى يونس بن حبيب النحوى قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول :
ما زدت في شعر العرب قط إلا بيتاً واحداً ، وهو [من البسيط] :
وَأَنْكَرْتُ نِسِيَّ وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرْتُ مِنْ الْخَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبُ وَالصَّلَاحُ
وهذا البيت يوجد في جملة أبيات للأعشى ، وهي أبيات مشهورة .
وقال أبو عبيدة : دخل أبو عمرو بن العلاء على سليمان بن علي ، وهو عم السفاح ،
فسأله عن شيء ، فصدقه ، فلم يعجبه ما قاله ، فوجد أبو عمرو في نفسه وخرج ،
وهو يقول [من المتقارب] :

أَنْفَتُ مِنَ الذَّلِّ عِنْدَ الْمُلُوكِ وَإِنْ أَكْرَمُونِي وَإِنْ قَرَّبُوا
إِذَا مَا صَدَقْتَهُمْ خَفْتَهُمْ وَيَرْضَوْنَ مِنِّي بَأْسَ يُكْذِبُوا

وحكى على بن محمد بن سليمان النوفلى قال : سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن
العلاء : خبرنى عما وضعت مما سمعته عر بيةً ، يدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقال :
لا ، فقلت : فكيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب ؟ وهو حجة ؟ قال : أعمل على
الأكثر ، وأسمى ما خالفتى لغات .
وأخبار أبي عمرو كثيرة .

وكانت ولادته سنة سبعين ، وقيل : ثمان وستين ، وقيل : خمس وستين
للهجرة ، بمكة .

وتوفى سنة أربع وخمسين ، وقيل : تسع وخمسين ، وقيل : سبع وخمسين ،
وقيل : ست وخمسين ومائة بالكوفة ، وكان قد خرج إلى الشام يجتدى عبد الوهاب بن

إبراهيم الامام والى دمشق ، فلما عاد إلى السكوفة توفي بها ، وقال ابن قتيبة : مات في طريق الشام ، ونسبوه في ذلك إلى الغلط ، فقد ذكر بعض الرواة أنه رأى قبر أبي عمرو بالسكوفة مكتوبا عليه « هذا قبر أبي عمرو بن العلاء » .

ولما حضرته الوفاة كان يُغشى عليه ويفيق ، فأفاق من غشية له ، فاذا ابنه بشر يبكي ، فقال : ما يبكيك وقد أتت على أربع وثمانون سنة ؟ رحمه الله تعالى !

ورثاه عبد الله بن المقفع بقوله [من الطويل] :

رُزْنَا أبا عمرو ولا حى مثله فله ريب الحادثات بمن وقع^(١)

فان تلك قد فارقتنا وتركنا ذوى خلّة ما في انسداد لها طمع

فقد جرّ نفعا فقدنا لك أننا أمنا على كل الرزايا من الجزع

وقد قيل : إنما رثى بها يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان

الحارثي السكوفي الشاعر المشهور ، وهو ابن خال السفاح أول خلفاء بني العباس ،

وقيل : بل رثى بها عبد الكريم بن أبي العوجاء^(٢) ، والأول أشهر ، والله أعلم ،

وقيل : إن هذه الأبيات لمحمد بن عبد الله بن المقفع ، والله أعلم .

وأقول : إن هذه المرثية إن كانت في أبي عمرو المذكور فما يمكن أن تكون

لعبد الله . لأنه مات قبل موت أبي عمرو ، وإن كانت لمحمد فيمكن ذلك ،

ولكنها مشهورة في أبي عمرو المذكور

وإنما أتيت بأبي عمرو في هذا الحرف ، وهذه كنية لا اسم ، للعذر الذي

تقدم في حرف الباء في ترجمة أبي بكر بن عبد الرحمن ، فليُنظر هناك .

وأما عبد الوهاب المذكور فهو ابن إبراهيم المعروف بالامام المذكور في ترجمة

أبيه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رضى الله عنه ! وكان عبد الوهاب

يتولى الشام من جهة عمه المنصور ، وكان المنصور يخافه ، فلما حضرت المنصور

الوفاة وهو بباب مكة عند بئر ميمون كما هو مشهور قال لحاجبه الربيع بن يونس

(١) في ١ « بمن وجع » محرفا

(٢) في ١ « بن أبي الصوجاء »

المقدم ذكره : ما أخاف إلا صاحب الشام عبد الوهاب بن إبراهيم الامام ، ثم رفع يديه إلى السماء وقال : اللهم اكْفِنِي عبدَ الوهاب ، قال الربيع : ولما مات المنصور ودلَّيته في القبر وعرضت عليه الحجارة سمعت هاتفا يهتف من القبر : مات عبد الوهاب ، وأجيبَت الدعوة ، قال الربيع : فهالني ذلك الصوت ، وجيء بالخبر من بعد سادسة أو سابعة ب وفاة عبد الوهاب ، هكذا ذكره ابن بدرون في شرح قصيدة ابن عبدون التي أولها [من البسيط] :

* الدهر يَفْجَعُ بعد العين بالآثر *

بعد قوله فيها :

وَرَوَّعَتْ كل مأمون ومؤمن وأسلمت كل منصور ومنتصر

(٤٧٩)

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، السكناني ، الليثي ،
المعروف بالجاحظ ، البصري ، العالم المشهور

أبو عثمان عمرو
ابن بحر الجاحظ

صاحبُ التصانيف في كل فن ، له مقالة في أصول الدين ، وإليه تنسب
الفرقة المعروفة بالجاحظية من المعتزلة ، وكان تلميذ أبي إسحاق إبراهيم بن سيار
البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور ، وهو خال يموت بن المزرع الآتي ذكره
في حرف الياء إن شاء الله تعالى ، ومن أحسن تصانيفه وأمتعها كتاب
« الحيوان » فلقد جمع فيه كل غريبة ، وكذلك كتاب « البيان والتبيين »
وهي كثيرة جداً

وكان مع فضائله مشوه الخلق ، وإنما قيل له « الجاحظ » لأن عينيه كانتا
جاحظتين ، والجحوظ : النتوء ، وكان يقال له أيضاً « الحدق » لذلك ، ومن جملة

أخبره أنه قال : ذُكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده ، فلما آنى استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم وصرفتي ، فخرجت من عنده فلقيت محمد بن إبراهيم وهو يريد الانصراف إلى مدينة السلام ، فعرض علي الخروج معه والانحدار في حرّ أخته وكنا بسرّ من رأى ، فركبنا في الحراقة ، فلما انتهينا إلى فم نهر القاطول نصب سنارة وأمر بالغناء ، فاندفعت عوادة فغنت [من الخفيف] :

كلّ يوم قطيعةٌ وعتابٌ ينقضي دهرنا ونحن غصّابٌ
ليت شعري أنا خُصِصْتُ بهذا دون ذا الخلق أم كذا الأحباب
وسكنت ، فأمر الطنبورية ، فغنت [من مجزوء الكامل] :

وآرحتنا للعاشقين ما إن أرى لهم معينا
كم بهجرُون ويُصرَمون ويُقطَعون فيصبرونا

قال : فقالت لها العوادة : فيصنعون ماذا ؟ قالت : هكذا يصنعون ، وضربت بيدها إلى الستارة فهتكتها وبرزت كأنها فلقة قمر ، فألقت نفسها في الماء ، وعلى رأس محمد غلام يضاهيها في الجمال ، وبيده مذبة ، فألقى الموضع ونظر إليها وهي تمر بين الماء ، وأنشد [من مجزوء الكامل] :

أنت التي غرقتني بعد القضا لو تعلمينا

وألقي نفسه في أثرها ، فأدار الملاح الحراقة ، فاذا بهما معتنقان ثم غاصا فلم يريا ، فاستعظم محمد ذلك ، وهاله أمرهما ^(١) ، ثم قال : يا عمرو ، لتحدثني حديثا يسليني عن فعل هذين ، وإلا ألحقك بهما ، قال : فحضرني حديث يزيد بن الملك ، وقد قعد للمظالم يوما ، وعرضت عليه القصص ، فمرت به قصة فيها : « إن رأى أمير المؤمنين أن يخرج إلى جاريته فلانة حتى تغنيني ثلاثه أصوات فعل » ، فاغتاپ يزيد من ذلك ، وأمر من يخرج إليه ويأتيه برأسه ، ثم أتبع الرسول

رسولا آخر يأمره أن يدخل إليه الرجل ، فأدخله ، فلما وقف بين يديه قال له :
ما الذى حملك على ماصنعت ؟ قال : الثقة بحملك ، والاتكال على عفوك ، فأمره
بالجلوس حتى لم يبق أحد من بنى أمية إلا خرج [ثم أمر] ^(١) فأخرجت الجارية ومعها
عودها ، فقال لها الفتى غنى [من الطويل] :

أَفَاطِمَ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ صِرْمِي فَأَجْمَلِي
فَغْنَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : قُلْ ، فَقَالَ : غَنَى [من البسيط] :

تَأَلَّقَ الْبَرْقُ نَجْدِيًّا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَيُّهَا الْبَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ
فَغْنَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : قُلْ ، فَقَالَ : يَامَوْلَايَ تَأْمُرُنِي بِرُطْلِ شَرَابٍ ، فَأَمَرَ [له] ^(١)
به ، فما استقم شربه حتى وثب وصعد على أعلى قبة ليزيد ، فرمى نفسه على
دماغه ، فمات ، فقال يزيد : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، أَرَأَاهُ الْآخِمْ
الْجَاهِلُ ظَنُّنِي أَخْرَجَ إِلَيْهِ جَارِيَتِي وَأَرَدَهَا إِلَى مَلِكِي ، يَا غُلَامَانِ خَذُوهَا
بِيَدِهَا وَاحْمِلُوهَا إِلَى أَهْلِهَا إِنْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ ، وَإِلَّا فَبِيعُوهَا وَتَصَدَّقُوا عَنْهُ بِمَنْهَا ، فَانْطَلَقُوا
بِهَا إِلَى أَهْلِهَا ، فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ الدَّارَ نَظَرَتْ إِلَى حُفْرَةٍ فِي وَسْطِ دَارِ يَزِيدٍ قَدْ أَعْدَتْ
لِلْمَطَرِ فَجَذِبَتْ نَفْسَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَأَنْشَدَتْ [من السريع] :

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلْيَمُتْ هَكَذَا لِأَخِيرٍ فِي عِشْقٍ بَلَا مَوْتَ
فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فِي الْحُفْرَةِ عَلَى دِمَاجِهَا فَمَاتَتْ ، فَسَرَّيْ عَنْ مُحَمَّدٍ ، وَأَجْزَلَ صَلَاتِي
وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ السَّيْرَافِيُّ : حَضَرْنَا مَجْلِسَ الْأَسْتَاذِ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ الْعَمِيدِ
الْوَزِيرِ الْآتِي ذَكَرَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، فَجَرَى ذِكْرُ الْجَا حِظِّ ، فَغَضَّ مِنْهُ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ
وَأَزْرَى بِهِ ، وَسَكَتَ الْوَزِيرُ عَنْهُ ، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ قُلْتُ لَهُ : سَكَتَ أَيُّهَا الْأَسْتَاذُ
عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فِي قَوْلِهِ مَعَ عَادَتِكَ فِي الرَّدِّ عَلَى أَمْثَالِهِ ، فَقَالَ : لَمْ أَجِدْ فِي مُقَابَلَتِهِ
أَبْلَغَ مِنْ تَرْكِهِ عَلَى جِهَلِهِ ، وَلَوْ وَاقَفْتُهُ وَبَيَّنْتُ لَهُ لِنَظَرٍ فِي كِتَابِهِ وَصَارَ بِذَلِكَ
إِنْسَانًا ، يَا أَبَا الْقَاسِمِ ، فَكَتَبُ الْجَا حِظِّ تَعْلَمُ الْعَقْلَ أَوَّلًا وَالْأَدَبَ ثَانِيًا ، وَلَمْ
أَسْتَصْلِحْهُ لِذَلِكَ .

وكان الجاحظ في أواخر عمره قد أصابه الفالج ، فكان يَطْلَى نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الأيسر لوقْرُض بالمقاريض لما أحس به من خدره وشدة برده

وكان يقول في مرضه : اصطلحت على جسدي الأضداد ، إن أكلت باردا أخذ برجلي ، وإن أكلت حارا أخذ برأسي ، وكان يقول : أنا من جانبي الأيسر مفلوج فلو قرّض بالمقاريض ما علمت به ، ومن جانبي الأيمن مُنْقَرَسٌ فلو مر به الدباب لألّمت ، وبني حصاة لا ينسرح لي البول معها ، وأشد ما على ست وتسعون سنة ، وكان ينشد [من الوافر] :

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ كما قد كنت أيام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوبٌ دَرِيسٌ كالجديد من الثياب

وحكى بعض البرامكة قال : كنت تقلدت السند ، فأقمت بها ماشاء الله تعالى ، ثم اتصل بي أني صُرِفَتْ عنها ، وكنت كسبت بها ثلاثين ألف دينار ، فخشيت أن يفجأني الصارف فيسمع بمكان المال فيقطع فيه ، فصعته عشرة آلاف إهليلجة في كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل ، ولم يمكث الصارف أن أتى ، فركبت البحر وانحدرت إلى البصرة ، فخبّرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج ، فأجبت أن أراه قبل وفاته ، فصرت إليه ، فأفضيت إلى باب دار لطيف ، فقرعته فخرجت إلى خادم صفراء فقالت : من أنت ؟ قلت : رجل غريب ، وأحب أن أسر بالنظر إلى الشيخ ، فبلغته الخادم ماقلت ، فسمعه يقول : قولي له وما تصنع بشق مائل ، ولعاب سائل ، ولون حائل ، فقلت للجارية : لا بد من الوصول إليه ، فلما بلغته قال : هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلي فقال : أحب أن أراه قبل موته فأقول : قد رأيت الجاحظ ، ثم أذن لي ، فدخلت وسلمت عليه ، فردّ أجميلا ، وقال : مَنْ تكون أعزك الله ؟ فانتسبت له ، فقال : رحم الله تعالى أسلافك وآباءك

السمحاء الأجواد ! فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ، ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقياً لهم ورعياً ، فدعوت له ، وقلت : أنا أسألك أن تنشدني شيئاً من شعرك ، فأنشدني [من الطويل] :

لئن قدّمتُ قبلي رجالٌ فطالما مشيتُ على رِسلي فكنْتُ المقدِّماً
ولكنَّ هذا الدهرُ تأتَّى صُرُوفُهُ فُتُبرِمُ منقوضاً وتَنقُضُ مُبرِماً
ثم نهضت ، فلما قاربت الدهليز قال : يافتي أرايت مفلوجاً ينفعه الاهليلج ؟
قلت : لا ، قال : فان الاهليلج الذي معك ينفعني ، فابعث لي منه ، فقلت :
نعم ، وخرجت متعجباً من وقوعه على خبري مع كتمانى له ، وبعثت له مائة إهليلجة
وقال أبو الحسن البرمكي : أنشدني الجاحظ [من المتقارب] :

وكان لنا أصدقاء مَضَوْا تَفَانُوا جميعاً وما خلدُوا
تَسَاقَوْا جميعاً كؤُسَ المنونِ فمات الصديقُ ومات العدو

وكانت وفاة الجاحظ في شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين ، بالبصرة ،
وقد نيفَ على تسعين سنة ، رحمه الله تعالى !

وَبَحْرُ : بفتح الباء الموحدة ، وسكون الحاء المهملة ، وبعدها راء .

وَمَحْبُوبٌ : بفتح الميم ، وسكون الحاء المهملة ، وضم الباء الموحدة ، وسكون
الواو ، وبعدها باء موحدة .

والجاحظ : بفتح الجيم ، وبعد الألف حاء مهملة مكسورة ، وبعدها
ظاء معجمة .

والكِتَانِي : بكسر الكاف ، وفتح النون ، وبعد الألف نون ثانية .

والليثي - بفتح اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها ثاء مثناة -
هذه النسبة إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة .

(٤٨٠)

عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، الكاتب ، وكنيته أبو الفضل
أبو الفضل عمرو بن مسعدة الكاتب
أحد وزراء المأمون ، ذكر الخطيب في تاريخ بغداد أنه ابن عم إبراهيم بن مسعدة الكاتب
العباس الصولي الشاعر ، وقد تقدم ذكره ، وكان كاتباً بليغاً ، جزل العبارة
وجيزها ، سديد المقاصد والمعاني ، ولما كان الفضل بن سهل أخو الحسن بن
سهل وزير المأمون لم يكن لأحد معه كلام ، لاستيلائه على المأمون ، فلما قتل
سلم عليه الوزراء بعد ذلك ، وهم : أحمد بن أبي خالد الأحول ، وعمرو بن مسعدة
الذكور ، وأبو عباد .

وكان المأمون قد أمره أن يكتب لشخص كتاباً إلى بعض العمال بالوصية
عليه والاعتناء بأمره ، فكتب له « كتابي إليك كتاب واثق بمن كتب إليه ،
معني بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية موصله ، والسلام » وقيل : إن
هذا من كلام الحسن بن وهب ، والأول أصح وأشهر .

وقال عمرو بن مسعدة المذكور : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي
فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في روايتهم ، فرمى بها إلى ، وقال : أجب عنها
فكتبت « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بيده على ظهري ، وقال :
أي وزير في جلدك ؟

وله كل معنى بديع .

وتوفي في سنة سبع عشرة ومائتين ، بموضع يقال له أذنة^(١) ، وذكر الجهشيارى
في كتاب « الوزراء » أنه توفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس عشرة ومائتين ، والله أعلم
ولما مات رفعت إلى المأمون رقعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ،

(١) أذنة - بفتحات ، وتكسر الدال أيضاً - بلد من الثغور قرب المصيصة

فوقع في ظهرها « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف ، وأحسن لهم النظر فيما ترك » .

وذكر المسعودي في كتاب « مروج الذهب » أنه لما مات عرض لماله ولم يعرض لمال وزير غيره .

ومسعدة : بفتح الميم ، وسكون السين المهملة ، وفتح العين والذال المهملتين .

وأذنة — بفتح الهمزة ، والذال المعجمة ، والنون — وهي بليدة بساحل الشام عند طرسوس ، بنى حصنها سنة أربع وأربعين ومائة .

وبعد انتهائي إلى هذا الموضع ظفرت له برسالة بديعة كتبها إلى بعض الرؤساء وقد تزوجت أمه فساءه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها وذهب عنه ما كان يحده ، فأثرت الإتيان بها لحسنها ، وهي « الحمد لله الذي كشف عنا [ستر] الخيرة ، وهذا لنا لستر العورة ، وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومنع من عضل الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استنز الالنفوس الأبية ، عن الحمية حمية الجاهلية ، ثم عرض لجزيل الأجر من استسلم لواقع قضائه ، وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهناك الذي شرح للتقوى صدرك ، ووسع في البلوى صبرك ، وألهمك من التسليم لشيئته ، والرضا بقضيته ، ما وفقك له من قضاء الواجب في أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل الله تعالى جده ما تجرعه من أنف ، وكظمته من أسف ، معدوداً فيما يعظم به أجرك ، ويجزل عليه ذخرك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها ، المنتظر من ارتماضك بدقتها ، فتستوفي بها المصيبة ، وتستكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدى ما استشعره من الصبر على عرسها ، بما يستكسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من أسرة فرشها ، أعواد نعشها ، وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، مُعَرِّى من نقمة ، وما يوليه بعد قبضها من منحة ، مبرأ من محنة ، فأحكام الله تعالى جده وتقدست أسماؤه جارية على غير

مراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار لعباده المؤمنين ، ما هو خير لهم في العاجلة ، وأبقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها إليه ، وقدمها عليه ، ما هو أنفع لها وأولى بها ، وجعل القبر كفؤا لها ، والسلام »

وقيل : إن هذه الرسالة لأبي الفضل بن العميد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى .
ولقد أذكرتني هذه الرسالة بيتين للصاحب بن عباد في شخص زوج أمه ،
وهما [من المتقارب] :

عدلت لتزويجه أمه فقال : فعلت حلالا يجوز
فقلت : صدقت ، حلالا فعلت ولكن سمحت بصدع العجز
وكتب عمرو [المذكور] إلى بعض أصحابه في حق شخص يعز عليه « أما بعد
فموصول كتابي إليك سالم ، والسلام » .

وأراد قول الشاعر [من الطويل] :
يُديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم
أى : يحل مني هذا الحل .

وأشدد محمد بن داود بن الجراح لحمد البيدق النصيبي في عمرو بن مسعدة
وقد اشتكى [من البسيط] :

قالوا أبو الفضل معتل فقلت لهم : نفسي الفداء له من كل محذور
يا ليت علمته بي ثم أن له أجر العليل وأنى غير مأجور
وكان بين عمرو بن مسعدة المذكور وبين إبراهيم بن العباس الصولي المقدم
ذكره مودة ، فحصل لإبراهيم ضائقة بسبب البطالة في بعض الأوقات ، فبعث له
عمرو مالا ، فكتب إليه إبراهيم [من الطويل] :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي أيا دى لم تُمنن وإن هي جلت
ففى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلتي من حيث يخفى مكانها فكانت قدنى عينيه حتى تجلت

وقال أحمد بن يوسف الكاتب المقدم ذكره : دخلت على المأمون ، وهو يمسك كتاباً بيده ، وقد أطل النظر فيه زماناً ، وأنا ملتفت إليه ، فقال : يا أحمد ، أراك متفكراً فيما تراه مني ، فقلت : نعم ، وفي الله أمير المؤمنين من المكاره وأعاذه من المخاوف ! قال : فانه لا مكروه فيه ، ولا كنني قرأت كلاماً وجدته نظير ما سمعته من الرشيد يقوله في البلاغة ، كان يقول : البلاغة التباعد عن الإطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على [الكثير من] المعنى ، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على المبالغة في هذا المعنى ، حتى قرأت هذا الكتاب ، ورمى به إلي ، وقال : هذا كتاب من عمرو بن مسعدة إلى ، قال : فقرأته فاذا فيه « كتابي إلى أمير المؤمنين ومن قبلي من قواده وسائر أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما تكون عليه طاعة جندي تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفأة تراخت أعطياتهم ، واختلت لذلك أحوالهم ، والتأثت معه أمورهم » فلما قرأته قال : إن استحسناني إياه بعثني أن أمرت للجندي قبله بعطائهم لسبعة أشهر ، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته .

(٤٨١)

عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، المعروف بابن بانه ،

مولى يوسف بن عمر الثقفي

ابن بانه

عمرو بن محمد

الثقفي

أحد المغنين المشهورين المجيدين في طبقة المتقدمين منهم ، ذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب « الأغاني » وقال : كان أبوه صاحب ديوان ، ووجهاً من وجوه الكتاب ، وكان مغنياً مجيداً شاعراً صالح الشعر ، وله كتاب في الأغاني ،

وكان تيّها معجباً بنفسه ، وهو معدود في ندماء الخلفاء ومغنيهم ، على ما كان به من الوضّح

وتوفي سنة ثمان وسبعين ومائتين ، بسرّ من رأى ، رحمه الله تعالى !
وكان خصيصاً بالمتوكل على الله ، آنسابه ، أخذ الغناء عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وغيره ، وله صنعة في الغناء تدل على حذقه ، وكان منزله ببغداد^(١) ، ويتردد إلى سرّ من رأى في بعض الأحيان .

وبانة - بفتح الباء الموحدة ، وبعد الألف نون مفتوحة ، ثم هاء ساكنة - وهو اسم أمه ، وهى بانة بنت روح كاتب سلامة الوصيف ، وكان ينسب إليها ، وقد تقدم في ترجمة طاهر بن الحسين ذكر بيتين من شعره يهجو بهما .

(٤٨٢)

أبوسعده العلاء بن الحسين بن وهب بن الموصليّ ، الكاتب ،
البغدادى ، منشئ دار الخلافة ، الملقب أمين الدولة
كان نصرانياً أسلم على يد الامام المقتدى بالله ، وحسن إسلامه ، وله الرسائل
الرائقة ، والأشعار الجميدة ، وكل منهما مدون ، وكان كثير الفضل ، وخدم بديوان
الإنشاء للامام القائم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .
وتوفي بمد أن كفّ بصره في تاسع عشر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين
وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

وتوفي ابن أخته تاج الرؤساء أبو نصر هبة الله بن صاحب الخير الحسن
ابن على الكاتب - وكان فاضلاً له معرفة بالأدب والبلاغة واخط الحسن ، وكان
ذا رسائل جيدة ، وهى مدونة أيضاً ومشهورة - فى عشية الاثنين حادى عشر

(١) فى ا « وكان منزله ببغداد » وهى أحسن

أمين الدولة
أبوسعده العلاء
ابن الحسين
ابن الموصلي
الكاتب

جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، ببغداد ، ودفن بباب أبرز ، وكان مرضه خمسة أيام ، وعمره سبعون سنة ، رحمه الله تعالى ! وكان قد أسلم مع خاله المذكور ، وكان إسلامهما فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة .
والموصلايا — بضم الميم ، وسكون الواو ، وفتح الصاد المهملة ، وبعد اللام ألف ياء مثناة من تحتها ، وبعدها ألف — وهو من أسماء النصارى .

(٤٨٣)

أبو الفرج العلاء بن على بن محمد بن على بن أحمد بن عبد الله
الواسطى ، المعروف بابن السوادى ، الكاتب الشاعر

ابن السوادى
أبو الفرج
العلاء بن على
الواسطى
الكاتب
الشاعر

كان شاعراً فاضلاً ظريفاً خليعاً مطبوعاً من بيت كبير فى بلده مشهور بالكتابة والنباهة والتميز ، وله شعر حسن فمنه قوله [من الكامل] :

أشكو إليك ومن صدودك أشتكى وأظن من شغفى بأنك منصفى
وأصد عنك مخافة من إن يرى منك الصدود فيشتقى من يشتقى
وهو مأخوذ من قول بعضهم [من الكامل] :

أخفى هواك عن العذول تجلياً كى لا يرى جزعى عليك فيشتقى
وكنت قد وقفت على هذا البيت قبل وقوفى على بيتى ابن السوادى ،
فأعجبني المعنى ، فنظمته فى دوييت ، وهو :

يا غصن نقا قوامه مياذ أيام رضاك كلها أعياد
مأ كتم حزنى عند ماتم جرنى إلا حذراً أن تشمت الحساد

وقال عماد الدين الكاتب فى كتاب الخريدة : أنشدنى لنفسه [من الطويل] :
يمينا بما ضم المصلى وما حوت رحاب منى إنى إليك مشوق

وهي ثلاثة أبيات اقتصرت، منها على هذا لأنه أحسنها
وكان أبو القاسم هبة الله بن الفضل المعروف بابن القطان الآتي ذكره في حرف
الهاء إن شاء الله تعالى قد هجا قاضي القضاة الزينبي بقصيدته الكافية التي أولها
[من مجزوء الخفيف]:

يا أخى الشرط أملكُ لستُ للشَّلبِ أتركُ

وهي طويلة عدد أبياتها مائة وثمانية عشر بيتاً، وتناقلتها الرواة، وسارت
عنه، فبلغ ذلك الزينبي المذكور، فأحضر ابن الفضل وصفه وحبسه مدة، ثم
أفرج عنه، فاتفق أن حضر ابن السوادى المذكور إلى بغداد من واسط عقيب
هذه الواقعة، ومدح^(١) الزينبي المذكور بقصيدة، فتأخرت عنه الجائزة، وتردد إلى
مجلسه كثيراً فما أجدى عليه، فاجتمع بابن الفضل المذكور وشرح له حاله،
وقال: أنا على عزم الانحدار إلى واسط، فاذا وصلت إلى بلدى هجوت الزينبي،
وكان للزينبي صاحب يقال له أبو الفتح فكتب إليه ابن الفضل^(٢) أبياتاً من جملتها
[من المديد]:

يا أبا الفتح الهجاء إذا جاش صدرٌ فهو متسعُ
وقوافى الشعر واثبةٌ ولها الشيطانُ متبعُ
فاحذروا كفات منحدر مالكم فى صفعه طمع

فاتصلت الأبيات بالزينبي، فأرسل إلى ابن السوادى جائزة وطيب قلبه
وكانت ولادة ابن السوادى بواسط سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، منتصف
شهر ربيع الأول ليلة الأربعاء.

وتوفى سنة ست وخمسين وخمسمائة، بواسط.

والسوادى — بفتح السين المهملة والواو، وبعد الألف دال مهملة — هذه
النسبة إلى سواد العراق، وإنما قيل له السواد لأن العرب لما رأت خضرة الأشجار

(٢) فى ١، ب «أبو الفضل»

(١) فى ١ «ويعمد الزينبي»

قالت : ما هذا السواد ؟ فبقي الاسم عليه ، والله أعلم .

(٤٨٤)

أبو الفضل
عياض بن
موسى اليحصبي
السبتي القاضي

القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى
ابن عياض بن محمد بن موسى بن عياض ، اليحصبي ، السبتي
كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم
وصنف التصانيف المفيدة منها كتاب «الاكمال» ، في شرح كتاب مسلم « كل به
«المعلم» ، في شرح كتاب مسلم « للمازري ، ومنها «مشارك الأنوار» وهو كتاب
مفيد جدا في تفسير غريب الحديث المختص بالصحاح الثلاثة وهي : الموطأ ،
والبخاري ، ومسلم ، وشرح حديث أم زرع شرحا مستوفى ، وله كتاب سماه
« التنبيهات » جمع فيه غرائب وفوائد ، وبالجملة فكل تواليفه بديعة ،
ذكره أبو القاسم بن بشكوال في كتاب «الصلة» فقال : دخل الأندلس طالبا العلم ،
فأخذ بقرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيرا ، وكان له عناية كثيرة به ،
والاهتمام بجمعه وتقييمه ، وهو من أهل اليقين في العلم والذكاء والفطنة ^(١) والفهم ،
واستقضى ببلده — يعني مدينة سبتة — مدة طويلة ثم حدث سيرته فيها ، ثم نقل
منها إلى قضاء غرناطة ، فلم تطل مدته فيها ، انتهى كلامه .

وللقاضي عياض شعر حسن ، فمنه ما رواه عنه ولده أبو عبد الله محمد قاضي
دانية قال : أنشدني لنفسه في خامات زرع بينها شقائق النعمان هبت عليها ريح
[من السريع] :

انظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

الخامة : القصبة الرطبة من الزرع .
وأنشد أيضاً لأبيه [من البسيط] :
الله يعلم أنى منذ لم أركم كطائر خانة ريش الجناحين
فلو قدرت ركبت البحر نحوكم لأن بعدكم عنى جنى حيني
ورأيت لابن العريف رسالة كتبها إليه فأحببت ذكرها ، ثم أضربت عنها
لطولها .

(١) [وذكره العماد في الخريدة فقال : كبير الشأن ، غزير البيان ، وذكر له
البيتين في الزرع الذى بينه شقائق النعمان ، ثم قال بعد ذلك : وله في لزوم ما لا يلزم
[من المتقارب] :

إذا ما نشرت بساط انبساط فعنه فديتك فاطو المزاح
فان المزاح على ما حكاه أولو العلم قبلى عن العلم زاح
ومدحه أبو الحسن بن هرون المالقى بقوله [من الكامل] :
ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الرء عيناً فى اسمه كي يكتموه فانه معلوم
لولاه ما ناحت أباطح سبتة والروض حول فنائها معدوم
وذكره ابن الأبار فى أصحاب أبى على الغسانى ، وقال : من أهل سبتة ،
وأصله من بسطة ، يكنى أبا الفضل ، أحد الأئمة الحفاظ الفقهاء المحدثين الأدباء ،
وتوالياه وأشعاره شاهدة بذلك ، كتب إليه أبو على فى جماعة جيلة ، ولقى أيضاً
آخرين مثلهم ، وشيوخه يقاربون المائة (١) .

وكان مولد القاضى عياض بمدينة سبتة فى النصف من شعبان سنة ست
وسبعين وأربعمائة .

وتوفى بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة ، وقيل : فى شهر رمضان

سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! ودفن بباب إيلان داخل المدينة وتولى القضاء بغرناطة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

وتوفي ولده المذكور سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

وعياض : بكسر العين المهملة ، وفتح الياء المثناة من تحتها ، وبعد الألف ضاد معجمة .

واليحْصِي -- بفتح الياء المثناة من تحتها ، وسكون الحاء المهملة ، وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرهما ، وبعدها ياء موحدة — هذه النسبة إلى يحصب بن مالك قبيلة من حمير .

وسبته : مدينة مشهورة بالمغرب ، وكذلك غرناطة بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح النون وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء — وهى مدينة بالأندلس .

(٤٨٥)

أبو عمرو عيسى بن عمر الثقفى ، النحوى ، البصرى ، قيل : كان مولى خالد بن الوليد رضى الله عنه ! ونزل فى تقيف فنسب إليهم
ابن عمر الثقفى
النحوى

كان صاحب تقدير فى كلامه ، واستعمال الغريب فيه ، وفى قراءته ، وكانت بينه وبين أبى عمرو بن العلاء صحبة ، ولهما مسائل ومجالس ، وأخذ القراءة عراً عن عبد الله بن أبى إسحاق ، وروى الحروف عن عبد الله بن كثير وابن حنبل^(١) ، وسمع الحسن البصرى ، وله اختيار^(٢) فى القراءة على قياس العربية ، وروى القراءات عنه أحمد بن موسى اللؤلؤى وهرون بن موسى النحوى والأصمعى والخليل بن أحمد وسهل بن يوسف وعبيد بن عقيل [وشجاع بن أبى نصر]^(٣) وأخذ سيبويه عنه النحو ، وله الكتاب الذى سماه « الجامع » فى النحو ، ويقال :

(٢) فى « وله أخبار » محرفاً

(١) فى « وابن حنبل »

(٣) سقط هذا الاسم من

إن سيديويه أخذ هذا الكتاب^(١) وبسطه وحشي عليه من كلام الخليل وغيره ،
ولما كمل بالبحث والتحشية نسب إليه ، وهو كتاب سيديويه المشهور ، والذي يدل
على صحة هذا القول أن سيديويه لما فارق عيسى بن عمر المذكور ولازم الخليل
ابن أحمد سأل الخليل عن مصنفات عيسى ، فقال له سيديويه : صنف نيفاً وسبعين
مصنفاً في النحو ، وإن بعض أهل اليسار جمعها وأتت عنده عليها آفة فذهبت ولم
يبق منها في الوجود سوى كتابين : أحدهما اسمه الإكمال ، وهو بأرض فارس عند
فلان ، والآخر الجامع وهو هذا الكتاب الذي أشتغل فيه وأسألك عن غوامضه ،
فأطرق الخليل ساعة ثم رفع رأسه وقال : رحم الله عيسى ! وأنشد [من الرمل] :

ذهبَ النحوُ جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامعٌ وهما للناس شمسٌ وقمر

فأشار بالإكمال إلى الغائب وبالجامع إلى الحاضر ، وكان الخليل قد أخذ
عنه أيضاً ، ويقال : إن أبا الأسود الدؤلي لم يضع في النحو إلا باب الفاعل
والمفعول فقط ، وإن عيسى بن عمر وضع كتاباً على الأكثر وبوبه وهذبه وسمي
ماشد عن الأكثر لغات ، وكان يطعن على العرب ويخطئ المشاهير منهم ، مثل
الناطقة في بعض أشعاره وغيره ، وروى الأصمعي قال : قال عيسى بن عمر لأبي
عمرو بن العلاء : أنا أفصح من معد بن عدنان ، فقال له أبو عمرو : لقد تعديت ،
فكيف تنشد هذا البيت [من الكامل] :

قد كن يخبان الوجوه تستراً فاليوم حين بدأن للنظار
أو « بدين للنظار » فقال عيسى : بدأن ، فقال له أبو عمرو : أخطأت ،

يقال : بدا يبدو ، إذا ظهر ، وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء ، والصواب « حين بدؤن »
لنظار » وإنما قصد أبو عمرو تغليظه ، لأنه لا يقال في هذا الموضع « بدأن »
ولا « بدئن » بل « بدؤن » .

(١) في ١ « أخذ عن هذا الكتاب »

ومن جملة تعبيره في الكلام ما حكاه الجوهري في الصحاح قال : سقط عيسى
ابن عمر عن حماره ، واجتمع عليه الناس ، فقال : ما لكم تكاثراً كنتم على
تكاثركم على ذى جنّة ، افرقعوا عني ، معناه : ما لكم تجمعتم على تجمعكم على
مجنون انكشفوا عني .

ورأيت في بعض المجاميع أنه كان به ضيق النفس ، فأدركه يوماً وهو في
السوق ، فوقع ، ودار الناس حوله يقولون : مصرّوع ، فبين قارىء ومعوذ من
الجان ، فلما أفلق من غشيته نظر إلى ازدحامهم فقال هذه المقالة ، فقال بعض
الحاضرين : إن جنيته تتكلم بالهندية .

ويروى أن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين كان قد ضربه بالسياط ،
وهو يقول : والله إن كانت إلا أثياباً في أسيفاط قبضها عشاروك ، وله من هذا
النوع شيء كثير .

وتوفى سنة تسع وأربعين ومائة ، رحمه الله تعالى !
وقيل : إن الذي ضربه كان يوسف بن عمر أمير العراقيين ، وسيأتي ذكره
في حرف الياء إن شاء الله تعالى ، وكان سبب ضربه إياه أنه لما تولى العراقيين بعد
خالد بن عبد الله القسري تتبع أصحابه ، وكان بعض جلسائه قد أودع عند عيسى
ابن عمر المذكور وديعة فتمنى الخبز إلى يوسف ، فكتب إلى نائبه بالبصرة
يأمره أن يحمل إليه عيسى بن عمر مقيداً ، فدعاه ودعا حداً ، وأمره بتقييده :
فلما قيده قال له الوالي : لا بأس عليك ، إنما أراذك الأمير لتأديب ولده ، قال ،
فما بال القيد إذاً ؟ فبقيت هذه الكلمة مثلاً بالبصرة ، فلما وصل إلى يوسف
سأله عن الوديعة ، فأنكر ، فأمر بضربه ، فلما أخذه السوط جزع فقال هذه المقالة
المقدم ذكرها .

(٤٨٦)

أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يلكبخت بن عيسى

ابن يَوْمَارِيلَى ، الْجَزُولَى ، اليزدكتنى

أبو موسى

عيسى بن

عبد العزيز

الجزولى

اليزدكتنى

كان إماما فى علم النحو ، كثير الاطلاع على دقائقه وغريبه وشاذه ، وصنف فيه المقدمة التى سماها بالقانون ، ولقد أتى فيها بالعجائب ، وهى فى غاية الایجاز مع الاشتغال على شىء كثير من النحو ، ولم يسبق إلى مثلها ، واعتنى بها جماعة من الفضلاء فشرحوها ، ومنهم من وضع لها أمثلة ، ومع هذا كله فلا تفهم حقيقتها ، وأكثر النحاة ممن لم يكن قد أخذوها عن مؤلف يعترفون بقصور أفهامهم عن إدراك مراده منها ، فانها كلها رموز وإشارات ، ولقد سمعت من بعض أئمة العربية المشار إليه فى وقته وهو يقول : أنا ما أعرف هذه المقدمة ، وما يلزم من كونى ما أعرفها أن لا أعرف النحو ، وبالجملة فانه أبدع فيها ، وسمعت أن له أمالى فى النحو ، ولكنها لم تشتهر ، ورأيت له مختصر الفسر لابن جنى فى شرح ديوان المتنبي ، ويقال : إنه كان يدرى شيئا من المنطق ، ودخل الديار المصرية ، وقرأ على الشيخ أبى محمد بن برى المقدم ذكره ، وقد نقل عنه شيئا فى المقدمة المذكورة ، وذكر بعض المتأخرين فى تصنيفه أنه كان قرأ «الجل» على ابن برى ، وسأله عن مسائل على أبواب الكتاب ، فأجابه ابن برى عنها ، وجرى فيها بحث بين الطلبة حصل منه فوائد علقها الجزولى مفردة ، فجاءت كالمقدمة فيها كلام غامض وعقود لطيفة وإشارات إلى أصول صناعة النحو غريبة ، فنقلها الناس عنه ، واستفادوها منه ، ثم قال هذا المصنف : وبلغنى أنه كان إذا سئل عنها : هل هى من تصنيفك ؟ قال : لا ، لأنه كان متورعا ، ولما كانت من نتائج خواطر الجماعة عند البحث ومن كلام شيخه ابن برى لم يسعه أن يقول : هى من تصنيفى ، وإن كانت منسوبة إليه ، لأنه هو الذى انفرد بترتيبها ، ثم رجع الجزولى إلى بلاد المغرب بعد أن حج ، وأقام بمدينة بجاية مدة ، والناس يشتغلون عليه ، وانتفع به خلق كثير ، ورأيت جماعة من أصحابه .

وتوفي سنة عشر وستمائة ، بمدينة مراكش ، رحمه الله تعالى ! هكذا سمعت
 جماعة يذكرون تاريخ وفاته ، ثم وقفت على ترجمته ، وقدرتها أبو عبد الله بن
 الأبار القضاة فقال : في سنة ست أو سبع وستمائة مات الجزولي .
 ويَلْبَحَتْ — بفتح الياء المثناة من تحتها ، واللام ، وسكون اللام الثانية ،
 وفتح الباء الموحدة ، وسكون الخاء المعجمة ، وبعدها تاء مثناة من فوقها —
 وهو اسم بربري .

ويُومَرِي — بضم الياء المثناة من تحتها ، وسكون الواو ، وفتح الميم ،
 وبعد الألف راء مكسورة ، ثم ياء ساكنة مثناة من تحتها ، وبعدها لام ،
 ثم ياء — وهو اسم بربري أيضاً .

والجَزُولِي — بضم الجيم والزاء ، وسكون الواو ، وبعدها لام — هذه
 النسبة إلى جزولة ، ويقال لها أيضاً كزولة — بالكاف — وهي بطن من البربر
 واليزدكتي — بفتح الياء المثناة من تحتها ، وسكون الزاء ، وفتح الدال
 المهملة ، وسكون الكاف ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعدها نون — هذه
 النسبة إلى فخذ من جزولة .

ورأيت بخطي في مسوداتي أنه تولى الخطابة بجامع مراكش وأن قبيلة
 جزولة من الرحالة تكون بصحراء بلاد السوس في المغرب الأقصى ، وكان إماماً
 في القراآت والنحو واللغة ، وكان يتصدّر في الجامع للاقراء ، وأنه شرح مقدمته
 في مجلد كبير أتى فيه بفرائب وفوائد ، وذكر بعض أصحابه أنه حضر عنده ليقرا
 عليه قراءة أبي عمرو فقال بعض الحاضرين : أتريد أن تقرأ على الشيخ النحو ؟
 قال : فقلت : لا ، فسألني آخر كذلك ، فقلت : لا ، فألشد الشيخ وقال : قل لهم
 [من مجزوء الخفيف] :

لست للنحو جئتكم
 لا ولا فيه أرغب
 خلّ زيدا لشأنه
 أيما شاء يذهب

أنا مالى ولا مرمى أبد الدهر يضرب

وكانت وفاته بهكونة من أعمال مرا كش ، والله أعلم .

(٤٨٧)

أبو القاسم
الفائز ابن
الظافر
البيدي

أبو القاسم عيسى ، الملقب بالفائز ، بن الظافر بن الحافظ بن محمد بن

المستنصر بن الظاهر بن الحاكم بن العزيز بن المعز

ابن المنصور بن القائم بن المهدي

وقد تقدم ذكر والده وجماعة من أهل بيته ، وكيف قتل نصر بن عباس

أباه حسبما شرح هناك ، وهذا نصر بن عباس هو الذى قتل العادل بن السلار ،

وقد رفعت هناك نسبه (١) ، فمن أراد معرفته فليتنظر هناك .

ولما كان صبيحة ليلة قُتل فيها الظافر أقبل عباس إلى القصر على جارى

عادته فى الخدمة ، وأظهر عدم الاطلاع على قضيته ، وطَلَبَ الاجتماع به ، ولم يكن

أهل القصر قد علموا بقتله بعد ، فانه خرج من عندهم فى خفية كذا كرتهم ، وما علم

أحد بخروجه ، فدخل الخدم إلى موضعه ليستأذنوا لعباس ، فلم يجذوه ، فدخلوا

إلى قاعة الحرم فقيل : إنه لم يبت ههنا ، وحاصل الأمر أنهم تطلبوه فى جميع

مطائه فى القصر فلم يبقوا له على خبر ، فتحققوا عدمه ، فأخرج عباس المذكور

أخوكى الظافر — وهما جبريل ويوسف وهو أبو العاضد المقدم ذكره فى جملة من

اسمه عبد الله — وقال لهما : أنتم قتلتما إمامنا ، وما نعرف حاله إلا منكما ، فأصرا

على الانكار ، وكانا صادقين فى ذلك ، فقتلها فى الوقت ، لينفى عن نفسه وابنه

التهمة ، ثم استدعى ولده الفائز المذكور وتقدير عمره خمس سنين ، وقيل : سنتان ،

(١) فى ١ « وقد رفعت هناك فى نسبه »

فحمله على كتفه ووقف في صحن الدار ، وأمر أن تدخل الأمراء ، فدخلوا ، فقال لهم : هذا ولد مولانا كم وقد قتلَ عمَّاهُ أباه ، وقد قتلتَهما [به] كما ترون ، والواجبُ إخلاصُ الطاعة لهذا الطفل ، فقالوا بأجمعهم : سمعنا وأطعنا ، وصاحوا بصيحة واحدة اضطرب منها الطفل ، وبال على كتف عباس ، وسَمَوْهُ الفاتر ، وسيره إلى أمه ، واختل من تلك الصيحة ، فصار يُضْرَع في كل وقت ويختلج ، وخرج عباس إلى داره ، ودبر الأمور ، وانفرد بالتصرف ، ولم يبق على يده يد ، وأما أهل القصر فانهم اطلعوا على باطن الأمر ، وأخذوا في إعمال الحيلة في قتل عباس وأبنيه نصر ، وكاتبوا الصالح بن رُزَيْك الأرمي المذكور في حرف الطاء ، وكان إذ ذاك والي منية ابن خصيب بالصعيد ، وسأله الانتصار لهم ولمولاهم والخروج على عباس ، وقطعوا شعورهم وسيروها في طي الكتاب وسوّدوا الكتاب ، فلما وقف الصالح عليه أطلع من حوله من الأجناد عليه ، وتحدث معهم في المعنى ، فأجابوا إلى الخروج معه ، واستمال جمعاً من العرب ، وساروا قاصدين القاهرة وقد لبسوا السواد ، فلما قاربوها خرج إليهم جميع من بها من الأمراء والأجناد والسودان ، وتركوا عباساً وحده ، فخرج عباس في ساعته من القاهرة هارباً ، ومعه شيء من ماله ، وخرج معه ولده نصر قاتل الظافر ، وأسامةُ بن مُنْقذ المذكور في حرف الهمزة ، فقد قيل : إنه الذي أشار عليهما بقتل الظافر [وشرح ذلك يطول] وقد تقدم في ترجمة العادل بن السلار ذكره أيضاً وأنه الذي أشار بقتله ، والله العالم بالخفيات ، وكان معهم جماعة يسيرة من أتباعهم ، وقصدوا طريق الشام على أيلة ، وذلك في رابع عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وخمسةائة ، وأما الصالح بن رُزَيْك فإنه دخل القاهرة بغير قتال ، وما قدم شيئاً على النزول بدار عباس المعروفة بدار المأمون بن البطائحي وهي اليوم مدرسة للطائفة الحنفية ، وتعرف بالسيوفية ، واستحضر الخادم الصغير الذي كان مع الظافر ساعة قتله ، وسأله عن الموضع الذي دفن فيه ، فعرفه به ،

وقلع البلاطة التي كانت عليه ، وأخرج الظافر ومن معه من المقولين وحملوا ، وقُطعت لهم الشعور وانتشر البكاء والنواح في البلد ، ومشى الصالح واخلى قدام الجنائز إلى موضع الدفن ، وهو تربة آبائه ، وهي معروفة في قصرهم ، وتسكف الصالح بالصغير ، ودبر أحواله ، وأما عباس فان أخت الظافر كاتبت فرنج عسقلان بسببه وشرطت لهم مالا جزيلا إذا أمسكوه ، فخرجوا عليه ، وصادفوه ، فتواقعوا وقتلوا عباساً وأخذوا ماله وولده ، وانهزم بعض أصحابه إلى الشام ، وفيهم ابن منقذ ، فسلموا ، وسيرت الفرنج نصر بن عباس إلى القاهرة تحت الحوطة في قفص حديد ، فلما وصل تسلم رسولهم ما شرطوا لهم من المال ، فأخذوا نصرا المذكور [وضربوه بالسياط] ومثلوا به ، وصلبوه بعد ذلك على باب زويلة ، ثم أنزلوه يوم عاشوراء من سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وأحرقوه ، هذه خلاصة الواقعة ، وإن كان فيها طول .

وكان دخول نصر بن عباس إلى القصر بالقاهرة في السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسين وخمسمائة ، وأخرج من القصر يوم الاثنين سادس عشر شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة ، وكان قد قطعت يده اليمنى ، وقرضوا جسمه بالمقاريض ، والله أعلم ، وقيل : كان ذلك اليوم يوم الجمعة ثامن الشهر المذكور .

ولم تطل مدة الفائز في ولايته ، وكانت ولادته يوم الجمعة لتسع بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة وتولى في تاريخ وفاة والده ، وهو المذكور في ترجمته في حرف الهمزة ، واسمه إسماعيل ، وتوفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! وتولى بعده العاضد ، وقد سبق ذكره ، وهو آخرهم .

(٤٨٨)

الملك المعظم شرف الدين عيسى ، ابن الملك العادل سيف الدين
أبى بكر بن أيوب ، صاحب دمشق

الملك المعظم
شرف الدين
عيسى بن
العادل الأيوبي

كان على الهمة ، حازماً ، شجاعاً ، مهيباً ، فاضلاً ، جامعاً شمل أرباب الفضائل
محباً لهم ، وكان حنفى المذهب ، متعصباً لمذهبه ، وله فيه مشاركة حسنة ، ولم يكن
فى بنى أيوب حنفى سواء ، وتبعه أولاده ، وكان قد حج إلى بيت الله الحرام فى
سنة إحدى عشرة وستمائة ، سار من الكرك على الهجن فى حادى عشر ذى القعدة
فى جماعة من خواصه ، وسلك طريق العلا وتبوك ، وفى هذه السنة أخذ المعظم صرخد
من ابن قراجا ، وأعطاه مملوكه عز الدين أيبك المعروف بصاحب صرخد ، ولم
يزل بها إلى أن أخذها منه الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل فى
سنة أربع وأربعين وستمائة ، وحمله إلى القاهرة ، واعتقله بدار الطواشى صواب ،
وكان المعظم يحب الأدب [كثيراً] ومدحه جماعة من الشعراء المجيدين فأحسنوا
فى مدحه ، وكانت له رغبة فى فن الأدب ، وسمعت أشعاراً منسوبة إليه ولم أستبثها
فلم أثبت منها شيئاً ، وقيل : إنه كان قد شرط لكل من يحفظ « الفصل »
للزخشرى مائة دينار وخلعة ، فحفظه لهذا السبب جماعة ، ورأيت بعضهم بدمشق ،
والناس يقولون : إنه كان سبب حفظهم لهذا ، وقيل : إنه لما توفى كان قد انتهى
بعضهم إلى أواخره وبعضهم إلى أثنائه وهم على قدر أوقات شروعهم فيه ، ولم
أسمع بمثل هذه المنقبة لغيره .

وكانت مملكته متسعة من حدود بلاد حمص إلى العريش يدخل فى ذلك
بلاد الساحل الإسلامية منها وبلاد الغور وفلسطين والقدس والكرك والشوبك
وصرخد وغير ذلك .

وكانت ولادته فى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ، وذكر أبو المظفر يوسف

سبط ابن الجوزى فى تاريخه « مرآة الزمان » أن المعظم ولد فى سنة ست وسبعين وخمسمائة بالقاهرة .

وولد أخوه الأشرف موسى قبله ليلة واحدة .

وتوفى المعظم ليلة مستهل ذى الحجة سنة أربع وعشرين وستمائة ، والله أعلم بالصواب .

وقال غيره : بل توفى يوم الجمعة ثامن ساعة من نهار سلخ ذى القعدة سنة أربع وعشرين وستمائة ، بدمشق ، ودفن بقلعتها ، ثم نقل إلى جبل الصالحية ، ودفن فى مدرسته هناك ، بها قبور جماعة من إخوته وأهل بيته تعرف بالمعظمية ، وكان نقله ليلة الثلاثاء مستهل المحرم سنة سبع وعشرين .

وكان كثيراً ما ينشد هذا المقطوع [من الكامل] :

ومورِدِ الوجَنَاتِ أغيدَ خَالِهِ بالحسن من فرطِ الملاحَةِ عَمَهُ

كحلِ العيونَ وكان فى أجفَانِهِ كُحِلْتُ فقلْتُ سَقَى الحُسامَ وَسَمَهُ

وهذا ينظر إلى قول عبد الجبار بن حمديس ، الصقلى ، المقدم ذكره [من الكامل] :

زادتْ على كحلِ العيونِ تَكَحُّلاً وَيُسَمُّ نصلِ السيفِ وهو قَتولُ^(١)

رحمه الله تعالى ! فلقد كان من النجباء الأذكياء

أخبرنى جماعة عن شرف الدين بن عنين بأمور كانت تجرى بينهما تدل على حسن الادراك ، وإصابة القصد .

منها : أنه كان ابن عنين قد مرض ، فكتب إليه [من الكامل] :

انظر إلى بعينِ مولى لم يزل يولى الندى وتلأفَ قبل تَلَأَفِ

أنا كالأذى أحتاج ما يحتاجه قاغنىم نوابى والثناء الوافى

(١) فى « ا » ويسم نصل الهم وهو قتل »

فجاء بنفسه إليه يعوده ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار ، فقال : هذه الصلة ، وأنا العائد ، وهذه لو وقعت لأ كابر النحاة ومن هو في ممارسته طول عمره لاستعظم منه ، لا سيما مثل هذا الملك ، وأشياء كثيرة غير هذه يطول شرحها . وكان المقصود ذكر أنموذج منها ليستدل به على الباقي .

وتولى موضعه : ولده الملك الناصر صلاح الدين داود ، وتوفي في السابع والعشرين من جمادى الأولى ، سنة ست وخمسين وستمائة ، في قرية يقال لها البويضاء ، على باب دمشق ، ودفن عند والده . وكانت ولادته يوم السبت ، سابع عشر جمادى الأولى ، سنة ثلاث وستمائة ، بدمشق .

وتوفي عز الدين أيبك ، صاحب صرخند المذكور ، في أوائل جمادى الأولى من سنة ست وأربعين وستمائة في موضع اعتقاله بالقاهرة . ودفن خارج باب النصر في مدرسة شمس الدولة ، وحضرت الصلاة عليه ودفنه . ثم نقل إلى تربته في مدرسته التي أنشأها ظاهر دمشق على الشرف الأعلى مظلة على الميدان الأخضر الكبير .

(٤٨٩)

ضياء الدين
أبو محمد
عيسى بن محمد
الهكاري
الفقيه

الفقيه أبو محمد عيسى بن محمد بن عيسى بن محمد بن أحمد بن يوسف
ابن القاسم بن عيسى بن محمد بن القاسم بن محمد بن الحسن بن زيد
ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه !

هكذا أُملي على نسبه ولد وولد أخيه ، ويقال له « الهكاري » ، الملقب :
ضياء الدين .

كان أحد الأمراء بالدولة الصلاحية ، كبير القدر ، وافر الحرمة ، معولا
عليه في الآراء والمشورات .

وكان في مبدأ أمره يشتغل بالفقه بالمدرسة الزجاجة بمدينة حلب ، فاتصل
بالأمير أسد الدين شيركوه ، عم السلطان صلاح الدين ، المقدم ذكره ، وصار
إمامه يصلى به الفرائض الخمس .

ولما توجه الأمير أسد الدين إلى الديار المصرية ، وتولى الوزارة بها - كما
سبق شرحه - كان في صحبته .

ولما توفي أسد الدين اتفق الفقيه عيسى المذكور ، والطواشي بهاء الدين
قراقوش ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، على ترتيب السلطان صلاح الدين
موضعه في الوزارة ، ودققا في الحيلة في ذلك حتى بلغا المقصود ، وشرح ذلك
يطول ، فلما تولى صلاح الدين رأى له ذلك ، واعتمد عليه ، ولم يكن يخرج
عن رأيه ، وكان كثير الإدلال عليه ، يخاطبه بما لا يقدر عليه غيره من الكلام ،
وكان واسطة خير للناس ، نفع بجباهه خلقا كثيرا .

ولم يزل على مكانته وتوفّر حرمة إلى أن توفي يوم الثلاثاء عند طلوع
الشمس ، التاسع من ذى القعدة ، سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، بالخير ، بمنزلة

الخروبة ، ثم نقل إلى القدس ، ودفن بظاهرها ، رحمه الله تعالى ١

وكان يلبس زى الأجناد ، ويعتم بعمائم الفقهاء ، فيجتمع بين اللباسين .

ورأيت أخاه الأمير مجد الدين أباحفص عمر أيضا على هذه الصفة .

والخروبة — بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد الراء وضمها ، وسكون الواو ، وفتح

الباء الموحدة ، وبعدها هاء ساكنة — موضع بالقرب من عكا .

وكانت ولادة أخيه مجد الدين عمر في رجب ، سنة ستين وخمسمائة . وتوفي

في الثالث والعشرين من ذى الحجة ، سنة ست وثلاثين وستمائة ، بالقاهرة ،

ودفن بسفح المقطم ، وحضرت الصلاة عليه ، رحمه الله تعالى !

(٤٩٠)

أبو المنصور عيسى بن مودود بن على بن عبد الملك بن شُعَيْب ،

الملقب بفخر الدين ، صاحب تكريت ، وهومن أتراك الشام

وكان فيه فضائل ، وله ديوان شعر حسن ، ورسائل مطبوعة ، ودو بيت

رقيق ، فمن شعره قوله [من الطويل] :

فخر الدين

أبو المنصور

عيسى بن

مودود صاحب

تكريت

وما ذات طَوْقٍ في فروع أراكَة َ هَارِثَة ٌ تحت الدجى وصدُوحُ

ترامت بها أيدي النوى وتمكّنت بها فرقة من أهلها وزُوحُ

فلحت بزوراء العراق وزغبها بعُصفانَ ثاوٍ منهم وطلّيحُ

نحنُ إليهم كلما ذرَّ شارقُ وتسجّع في جنح الدجى وتنوحُ

إذا ذكرتهم هيّجت ذا بلابل وكادت بمكتوم الغرام تبّوحُ^(١)

بأبرح من وجدي لذكركم متى تألقَ برقٌ أو تنسمَ ريحُ

(١) في « وكانت بمكتوم الغرام تبوح » وما هنا عن ب أحسن

ومن رسائله على هذا الأسلوب ، قوله « ماشوارد أنعام ، بسباب فلوات ،
لم يسمها أخص دارج ، ولم يلبج فيها جان من مارج ، منحتها أنفاس المهجير ،
لوافح زفرات السعير ، فارجحت من الأين ، وأرهقت مدانة الحين ، فأتت
العمق ، بعد ثلاث تستبق ، وقد أذنفها اللغوب ، وكادت أن تعلق بها شعوب ،
فالفت الماء أزرق سلسالا يعثر بصفحاته النسيم ، ويعطفه ذوائب التسليم ،
غير أن لا سبيل لها إلى مقراته ، ولا وصول إلى موارده ونهلاته :

ترنو إليه جاذر بعيونها إذ حاولت مضض الجواد عظيما
بأشد من ظمئى إلى لقيا كم من حيث آنس قلبي التسليما
فالرغبة^(١) والابتهاال إلى فارض الفرض ، ورب السكون والنبض ، أن يحقق
الأمانى ، ويبدل النأى بالتداني ، إنه مسميع الدعاء .
ومن دو بيتاته قوله :

القبض لديك فى الهوى والبسط يا من أملى عذاره المخط
قالوا رشأ قلت مه لا تخطوا من أين لسا كن الفيا فى قرط
وله فى النظم والنثر شئ كثير ولطيف

ومولده بمدينة كحاة ، وقتله إخوته سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله
تعالى ! بقلعة تكريت . وكان له أخ اسمه الياس ، وهو الذى سلم تكريت إلى
الإمام الناصر فى شوال سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، وسيأتى فى ترجمة مظفر
الدين كوكبورى صاحب إربل أن تكريت كانت لأبيه زين الدين ، وكان له
غلام من أهل حمص اسمه « تبر » ويقال « طبر » أيضاً بالناء والطاء ، فولاه
قلعة العمادية ، وكانت أيضاً له ، ثم نقله إلى قلعة تكريت ، فلما كبر زين الدين
وعزم على الانتقال إلى إربل كما شرحته فى ترجمة ولده مظفر الدين سلم البلاد

(١) فى « فالرغبة والابتهاال »

التي كانت له إلى قطب الدين ، فعصى تبر في تكريت ، وسير إلى قطب الدين مودود ، صاحب الموصل ، يقول له : أنت ماقيم بتكريت ^(١) ، ولا بذلك فيها من نائب ، وأنا ذلك النائب ، فلم يقدر على مشاقته خوفاً أن يسلمها إلى الخليفة ، وسكت عنه ، وأقره على حاله ^(٢) .

ولما امتنع تبر من التسليم كان زين الدين يقول : سَوَدَ اللهُ وجهك يا تبر كما سودت وجهي مع قطب الدين ، ولم يزل تبر بها إلى أن مات ، ولم يكن له سوى بنت ، فتزوجها ابن أخيه ، وهو عيسى بن مودود ، صاحب هذه الترجمة وملك تكريت .

ثم إنه أحب مطربة فتزوجها ، وأولدها ولدين : شمس الدين ، وفخر الدين ، وتوصلت المطربة وزوجت الشمس بابنة حسن بن فقجة ، أمير التركان ، وطلبت منه خمسين فارساً تكون عندهم في تكريت لتحفظها .

فلما علم إخوته بذلك ، وكانوا اثني عشر رجلاً ، وثبوا على أخيهم عيسى المذكور ، فقتلوه خنقاً ، وملسكوا تكريت .

ثم وقع بينهم الاختلال ، فباعها المقدم منهم للإمام الناصر لدين الله والله أعلم .

وتكريت — بكسر التاء المثناة من فوقها ، وسكون الكاف ، وكسر الراء ، وسكون الياء المثناة من تحتها — وهي بلدة كبيرة لها قلعة حصينة على دجلة فوق بغداد بنحو ثلاثين فرسخاً ، وهي في بر الموصل ، وسميت تكريت بتكريت بنت وائل أخت بكر بن وائل ، وبني قلعتهما سابور بن أردشير بن بابك ، وهو ثاني ملوك الفرس

(١) في أ « إنه ما يقيم بتكريت »

(٢) في أ « وأمره على حاله » محرفاً عما أثبتناه موافقاً لما في ب

(٤٩١)

حسام الدين
أبو يحيى
عيسى بن سنجر
الإربلي
الحاجري
الشاعر

أبو يحيى وأبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن خمارتكين بن طاشتكن الإربلي ، المعروف بالحاجري ، الملقب حسام الدين هو جندي من أولاد الأجناد ، وله ديوان شعر تغلب عليه الرقة ، وفيه معان جيدة وهو مشتمل على الشعر والدوبيت والمواليا ، وقد أحسن في الكل مع أنه قل من يجيد في مجموع هذه الثلاثة ، بل من غلب عليه واحد منها قصر في الباقي ، وله أيضاً « كان وكان »^(١) واتفقت له فيها مقاصد حسان ، وكان صاحب ، وأنشدني كثيراً من شعره ، فمن ذلك قوله ، وهو معنى جيد [من الكامل] :

ما زال يحلف لي بكل ألية أن لا يزال مدى الزمان مصاحب
لما جفا نزل العذار بخده فتعجبوا لسواد وجه الكاذب
وأنشدني لنفسه أيضاً [من مجزوء الخفيف] :

لك خال من فوق عر ش شقيق قد استوى
بعث الصدغ مرسلأ يأمر الناس بالهوى

وأنشدني لنفسه أيضاً أبياتاً في صفة الخال [من الكامل] :

لم يحو هذا الخد خلا أسوداً إلا لبنت شقائق النعمان
وله في الخال أيضاً ، وهو معنى لطيف [من الكامل] :

ومهمف من شعره وجبينه أمسى الورى في ظلمة وضياء
لا تنكروا الخال الذي في خده كل الشقيق بنقطة سوداء

ومثل هذا قول ابن وكيع التنيسي المقدم ذكره واسمه الحسن [من الكامل] :

إن الشقيق رأى محاسن وجهه فأراد أن يحكيه في أحواله
فأفاد حمرة لونه من خده وأفاد لون سواده من خاله

(١) « كان وكان » ضرب من ضروب الشعر

ومن شعره أيضاً [من الطويل] :

يقولون لما خط لامُ عذاره سلا كلُّ قلب كان منه سلبا
لقد كنت أهوى ورد خديه زائراً فكيف إذا ما الأس جاء مقبلا
وأنشدني أيضاً أكثر دوبيتاته ، فمن ذلك قوله ، وقال لي : ما يعجبني فيما
عملته مثل هذا الدوبيت ، وهو آخر شيء عملته إلى الآن ، وهو :

حيّاً وسقى الحمى سحاب هامى ما كان ألدّ عامه من عام
يا علوة ما ذكرت أيامكم إلا وتظلمت على الأيام
وكان لي أخ يسمى ضياء الدين عيسى بينه وبين الحاجري المذكور مودة
أ كيدة ، فكتب إليه من الموصل في صدر كتاب ، وكان الأخ بابل ، وذلك
في سنة تسع عشرة وستائة [من البسيط] :

الله يعلم ما أبقي سوى رمق منى فراقك يا من قرُّ به الأملُ
فأبعث كتابك واستودعه تعزيةً فربما متُّ شوقاً قبل ما يصلُ
ومع شهرة ديوانه وكثرة وجوده بأيدي الناس لا حاجة إلى الاطالة في إيراد
أكثر من هذا .

وكنت خرجت من إربل في أواخر شهر رمضان سنة ست وعشرين وستائة
وهو معتقل بقلعتها لأمر يطول شرحه ، بعد أن كان قد حبس في قلعة خفتيد كان
ثم نقل منها ، وله في ذلك أشعار ، فمن ذلك قوله في أبيات أولها [من الكامل] :

قيد أ كابدُهُ وسجنٌ ضيقُ ياربُّ شابٍّ من الهموم المفرقُ
ومنها [من الكامل] :

يا برق إن جئت الديار بابل وعلا عليك من التداني رَوْنُقُ
بلغت تحية نازح حسراته أبداً بأذيال الصبا تتعلّق

قل يا حبيب لك الفداء أسيركم من كل مشتاق إليكم أشوق
والله ما سرت الصبا نجيدي إلا وكدت بدمع عيني أغرق
كيف السبيل إلى اللقاء ودونه شماء شاهقة وباب مغلق
وله وهو في السجن أيضاً [من البسيط] :

أحبا بنا أي داع بالبعد دعا وأي خطب دهانا منه تفريق
لا كان دهر رمانا بالفراق فقد أضحى له في صميم القلب تمزيق
كانت تضيق بي الدنيا بغيتكم فكيف سجن ومن عاداته الضيق
ثم بلغني أنه بعد ذلك خرج من الاعتقال ، واتصل بخدمة الملك المعظم
مظفر الدين صاحب إربل ، رحمه الله تعالى ! وتقدم عنده ، وغير لباسه ، وتزيا
بزي الصوفية ، فلما توفي مظفر الدين في التاريخ الآتي ذكره في ترجمته
إن شاء الله تعالى سافر عن إربل ، ثم عاد إليها ، وقد صارت في مملكة أمير
المؤمنين المستنصر بالله ونائبه بها الأمير شمس الدين أبو الفضائل باتكين ، فأقام
مدة مديدة ، وكان وراءه من يقصده ، فاتفق أن خرج يوما من بيته قبل الظهر ،
فوثب عليه شخص وضر به بسكين فأخرج حشوته ، فكتب في تلك الحال
إلى باتكين المذكور وهو يكابد الموت [من الكامل] :

أشكوك يا ملك البسيطة حالة لم تبق رعباً في عضوا ساكنا
إن تستبح إبلى لقيطة معشر ممن أومل غير جأشك مازنا^(١)
ومن العجائب كيف يمشي خائفا من كان في حرم الخلافة آمنا
ثم توفي بعد ذلك من يومه ، في يوم الخميس ثاني شوال سنة اثنتين وثلاثين
وسمائه ، ودفن بمقبرة باب الميدان ، رحمه الله تعالى ! وتقدير عمره خمسون سنة :

(١) يشير إلى قول شاعر الحماسة :

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا

و باتسكين المذكور كان أرمنى الجنس ، وهو مملوك أم الخليفة الإمام الناصر لدين الله ، ولما أخذ التتر إربل فى الدفعة الأولى فى أواخر سنة أربع وثلاثين وستمائة رجع إلى بغداد ، ومات بها ، يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شوال سنة أربعين وستمائة ، ودفن بالشونيزية .

والحاجرى — بفتح الحاء المهملة ، وبعد الألف جيم مكسورة ، وبعدها راء — هذه النسبة إلى حاجر ، وكانت بليدة بالحجاز لم يبق منها سوى الآثار ، ولم يكن الحاجرى منها ، بل لكونه استعملها فى شعره كثيرا نسب إليها ، وهو إربلى الأصل والمولد والمنشأ ، ولما غلبت عليه هذه النسبة وعرف بها واشتهرت بحيث صارت كالعلم عليه عمل فى ذلك دو بيت ، وهو :

لو كنت كفيت من هواك البينا ما بات يحاكى دمع عيني عينا
لولاك لما ذكرت نجداً بفعى من أين أنا وحاجر من أيننا
وذكر ذلك فى أبيات لطيفة أولها [من مجزوء الخفيف] :

أى طرف أحيور للغزال الأسير

وآخرها

أى هذا الأريلى هام فيك الحويجى

وفى مدينة إربل محلة يقال لها قرية جبيريل بالتصغير ذكر أبو البركات بن المستوفى فى تاريخ إربل أنها منسوبة إلى جده جبريل المذكور .
وخمارتكين : بضم الخاء المعجمة .

وطاش تكين : بفتح الطاء المهملة ، وسكون الشين المثناة .
والباقي معروف .

وخفتيد كان — بضم الخاء المعجمة ، وسكون الفاء ، وكسر التاء المثناة من فوقها ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها دال مهملة وكاف ، وبعد الألف بون — وهى قلعة حصينة مشهورة فى بلد إربل ، ويقال لها خفتيد كان صارم الدين

وهي غير خفتيد كان أبي علي .

(٤٩٢)

طُوَيْسُ المغنى

طويس المغنى

قال أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني» : اسمه عيسى بن عبد الله وكنيته أبو عبد المنعم ، وغيرها المحثثون فقالوا : عبد النعيم ، وهو مولى بني مخزوم وطويس : لقب عليه .

وقال ابن قتيبة في كتاب «المعارف» في فضل عامر بن عبد الله الصحابي رضي الله عنه : ومن موالى آل كرز طويس مولى أروى بنت كرز ، وهي أم عثمان بن عفان رضي الله عنه ! واسمه عبد الملك ، ويكنى أبا عبد المنعم^(١) .

وقال الجوهري في كتاب الصحاح : اسمه طائوس ، ولما تخنث جعلوه طويساً ويسمى بعبد النعيم .

وقد وقع هذا الاختلاف في اسمه كما تراه ، وقيل : إن الأصح أنه عيسى لتطابق جماعة من العلماء عليه .

وكان طويس المذكور من المبرزين في الغناء ، المجيدين فيه ، ومن يضرب به [فيه] الأمثال ، وإياه عنى الشاعر بقوله في مدح معبد المغنى [من الطويل] :

تَغْنَى طُوَيْسٌ وَالسُّرَيْجِيُّ بَعْدَهُ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبْقِ إِلَّا لِمُعَبَدٍ

وقد ذكر في كتاب «الأغاني» ترجمته ، وأطال الحديث في أمره ، وهو الذي يضرب به المثل في الشؤم ، فيقال : أشأم من طويس ، وإنما قيل له ذلك لأنه ولد في اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفطم في اليوم

(١) في « ويكنى عبد النعيم »

الذى مات فيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وَخِنَ في اليوم الذى قتل فيه عمر
ابن الخطاب رضى الله عنه ، وقيل : بل بلغ الحلم في ذلك اليوم ، وتزوج في اليوم
الذى قتل فيه عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وولد له مولود في اليوم الذى قتل
فيه على بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقيل : بل في اليوم الذى مات فيه الحسن بن
على رضى الله عنهما ، فلذلك تشاءموا به .

وهذا من عجائب الاتفاقات .

وكان مفرطاً في طوله ، مضطرباً في خلقه ، أحول العين ، وكان يسكن المدينة ،
ثم انتقل عنها إلى السَّوَيْدَاء ، وهى على مرحلتين من المدينة في طريق الشام ،
فلم يزل بها حتى توفى سنة اثنتين وتسعين ، رحمه الله تعالى ! وهو ابن اثنتين
وثمانين سنة ، وقيل : إنه مات بالمدينة ، والله أعلم !

وذكر ياقوت الحموى في كتابه المشترك أن قبر طوَيْس الخنث في سقيا
الجزل ، وما ذكر أين هى (١)

وطويس — بضم الطاء المهملة ، وفتح الواو ، وسكون الياء المثناة من
تحتها ، وبعدها سين مهملة — وهى تصغير طائوس بعد حذف الزيادات ، هكذا
قاله الجوهري ، وله ذكر في كتاب الأوائل تأليف أبى هلال العسكري ،
والله أعلم .

(١) قال ياقوت « وسقيا الجزل موضع آخر مات فيه طويس الخنث المغنى .

قال يعقوب : سقيا الجزل من بلاد عنبرة قريب من وادى القرى » اهـ

(٤٩٣)

سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ،

صاحب الموصل

سيف الدين

غازي بن زنكي

صاحب الموصل

وقد تقدم ذكر والده في حرف الزاء ، وأنه قتل على حصار قلعة جعبر ، فلما قتل وكان معه ألب أرسلان بن السلطان محمود ، المعروف بالخفاجي ، السلجوقي المذكور في ترجمة عماد الدين زنكي - اجتمع أكابر الدولة ، وفيهم الوزير جمال الدين محمد الأصبهاني ، المعروف بالجواد ، والقاضي كمال الدين أبو الفضل محمد الشهرزوري ، وسيأتي ذكرهما إن شاء الله تعالى ، وقصدوا خيمة ألب أرسلان المذكور ، وقالوا له : كان عماد الدين زنكي غلامك ، ونحن غلمانك ، والبلاد لك ، وصمّموا الناس بهذا الكلام^(١).

ثم إن العسكر افترق فرقتين : فطائفة منهم توجهت^(٢) صحبة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، إلى الشام ، والطائفة الثانية سارت مع ألب أرسلان ، وعساكر الموصل وديار ربيعة ، إلى الموصل ، فلما انتهوا إلى سنجار تخيل ألب أرسلان منهم الغدر ، فتركهم وهرب فلقه بعض العساكر وردوه ، فلما وصلوا إلى الموصل وصلهم سيف الدين غازي المذكور ، وكان مقبلاً بشهرزور ، لأنها كانت إقطاعه من جهة السلطان مسعود السلجوقي ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، فلما استقر بالموصل قبض على ألب أرسلان المذكور ، وسيره إلى بعض القلاع ، وملك الموصل ، وما كان لأبيه من ديار ربيعة ، وترتبت أحواله ، وأخذ أخوه نور الدين محمود ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، حلب وما والاها من بلاد الشام ، ولم تكن دمشق يومئذ لهم ، وكان غازي المذكور منظوياً على خير وصلاح ، ويجب العلم وأهله ،

(١) في « وطمّنوا الناس بهذا الكلام » والوجه في العربية « طمأنوا »

(٢) في « فطائفة منهم توجهوا - إلخ »

وبنى بالموصل مدرسته المعروفة بالعتيقة ، ولم تطل مدته في المملكة حتى توفي في آخر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسة ، وقد قارب من العمر أربعين سنة ، ودفن في مدرسته المذكورة ، رحمه الله تعالى ! وتولى بعده أخوه قطب الدين مودود ، وسيأتي ذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

(٤٩٤)

سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود بن عماد الدين
 زَنْكِي بن آق سنقر ، صاحب الموصل
 سيف الدين
 غازى بن
 مودود صاحب
 الموصل

وهو ابن أخى المذكور قبله ، تقلد المملكة بعد وفاة أبيه مودود ، وهو والد سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر ، ولما توفي والده في التاريخ الآتى ذكره في ترجمته بلغ الخبير نور الدين وهو بتلّ باشر ، فسار من ليلته طالباً بلاد الموصل فوصل إلى الرقة في المحرم سنة ست وستين وخمسة ، وملكها ، وسار منها إلى نصيبين فملكها في بقية الشهر ، وأخذ سنجر في شهر ربيع الآخر منها ، ثم قصد الموصل وقصد أن لا يقاتلها ، فعبر بعسكره من مخاضة بلد وهي بليدة بقرب الموصل وسار حتى خيم قبالة الموصل ، وراسل ابن أخيه سيف الدين المذكور وعرفه صحة قصده ، فصالحه ، ودخل الموصل في ثالث عشر جمادى الأولى ، وأقر صاحبها فيها وزوجه ابنته وأعطى أخاه عماد الدين زَنْكِي المذكور في ترجمة جده عماد الدين زَنْكِي سنجر ، وخرج من الموصل ، وعاد إلى الشام ودخل حلب في شعبان من السنة المذكورة ، ولما مات نور الدين وملك صلاح الدين دمشق ونزل على حلب يحاصر هاسير سيف الدين المذكور جيشاً مقدّمه أخوه عز الدين مسعود الآتى ذكره إن شاء الله تعالى ، والنقوا عند قرون حماة ، وسيأتي تفصيل ذلك هناك ، فلما انكسر عز الدين مسعود تجهز سيف الدين

بنفسه ، وخرج إلى لقاءه ، وتصافيا على تل السلطان ، وهي قرية بين حلب وحماة ، وذلك في بكرة الخميس عاشر شوال سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، قال العماد الأصهباني في « البرق الشامي » وابن شداد في سيرة صلاح الدين : إنه انكسرت ميسرة صلاح الدين بمظفر الدين بن زين الدين ، فانه كان في ميمنة سيف الدين ثم حمل صلاح الدين بنفسه ، فانهزم جيش سيف الدين ، وعاد إلى حلب ، ثم رحل إلى الموصل ، ومظفر الدين المذكور هو صاحب إربل ، وورجته في حرف الكاف ، وأقام غازي في المملكة عشر سنين وشهوراً ، وأصابه مرض مزمن وتوفي يوم الأحد ثالث صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! وتولى بعده أخوه عز الدين مسعود ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وكان مرضه السل ، و طال به ، وعاش مقدار ثلاثين سنة .

(٤٩٥)

أبو الفتح غازي ، ويكنى أبا منصور أيضاً ، ابن السلطان

صلاح الدين يوسف بن أيوب ، الملقب الملك

الظاهر غياث الدين ، صاحب حلب

الملك الظاهر

غياث الدين

أبو الفتح

غازي بن

يوسف صلاح

الدين الأيوبي

كان ملكاً مهيباً حازماً متيقظاً ، كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، على الهمة ، حسن التدبير والسياسة ، باسط العدل ، محباً للعلماء ، مجيزاً للشعراء ، أعطاه والده مملكة حلب في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة ، بعد أن كانت لعمه الملك العادل ، فنزل عنها ، وتعرض غيرها ، كما قد شهر ، ويحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة : منها أنه جلس يوماً لعرض العسكر ، وديوان الجيش بين يديه ، وكان كلما حضر أحد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه

لينزلوه ، حتى حضر واحد فسأله [عن اسمه] ^(١) فقبل الأرض ، فلم يظن أحد من أرباب الديوان لما أراد ، فعاودوا سؤاله ، فقال الملك الظاهر : اسمه غازى ، وكان كذلك ، وتأدب الجندى أن يذكر اسمه لما كان موافقاً لاسم السلطان ، وعرف هو مقصوده ، وله من هذا الجنس شيء كثير لا حاجة إلى التطويل فيه . وكانت ولادته بالقاهرة فى منتصف رمضان سنة ثمان وستين وخمسة ، وهى السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية .

وتوفى بقلعة حلب ، ليلة الثلاثاء العشرين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة وستائة ، ودفن بالقلعة ، ثم بنى الطواشى شهاب الدين طغرل الخادم أتابك ولده الملك العزيز مدرسة تحت القلعة ، وعمر فيها تربة ونقله إليها ، رحمه الله تعالى ! والعجب أنه دخل حلب ماله كلها فى الشهر بعينه واليوم من سنة اثنتين وثمانين وخمسة .

ورثاه شاعره الشرف راجح بن إسماعيل بن أبى القاسم الأسدى الحلى ، وكنيته أبو الوفاء ، بهذه القصيدة ، ومدح ولديه السلطان الملك العزيز مجدداً وأخاه

الملك الصالح صاحب عين تاب ، وما قصر فيها ، وهى [من الطويل] :

سَلِ الْخُطْبَ إِن أَصَغَى إِلَى مِنْ يَخَاطِبُهُ	بِمَنْ عَلَقَتْ أَنْيَابُهُ وَمَخَالِبُهُ
نَشَدْتُكَ عَاتِبُهُ عَلَى نَائِبَاتِهِ	وإِنْ كَانَ يَنْأَى السَّمْعُ عَنْ يُعَاتِبُهُ
لِإِلَهِكُمْ أَرْمِي بِطَرَفِي ضَلَالَةً	إِلَى أَفْقٍ مَجْدٍ قَدْ تَهَاوَتْ كَوَاكِبُهُ
فَالَى أَرَى الشَّهْبَاءَ قَدْ حَالُ صَبْحُهَا	عَلَى دُجَى لَا تَسْتَنِيرُ غَيَا هِبُهُ
أَحَقًّا حَمَى الْغَازَى الْغِيَاثُ بْنُ يَوْسُفٍ	أُبَيِّحَ وَعَادَتْ خَائِبَاتُ مَوَاكِبُهُ
نَعَمْ كَوَّرَتْ شَمْسُ الْمَدَارِجِ وَأَنْطَوَتْ	سَمَاءُ الْعُلَا وَالنَّجْحُ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ
فَمَنْ يُخْبِرُنِي عَنْ ذَلِكَ الطُّودِ هَلْ وَهَتْ	قَوَاعِدُهُ أَمْ لَأَنَّ لِلْخُطْبِ جَانِبُهُ ^(٢)
أَجَلُ ضُعْفِضِعَتْ بَعْدَ الثُّبَاتِ وَرُغِزَتْ	بِرِيحِ الْمَنَايَا الْعَاصِفَاتِ مَنَاكِبُهُ

(١) هذه الكلمة لا توجد فى ا (٢) فى ا « قد وهت » وليست بشيء

وغيضَ ذاكَ البحرُ من بعد ما طمَّتْ

وطمَّتْ لغيبانِ البلادِ غوار به

فَشَلَّتْ يمينُ الخطبِ أَى مُهِنْدِ
برغمِ العَلا سَلَّتْ وفُكَّتْ مَضار به

لئن حَبَسَ الغيثُ الغيائى قَطْرَه
فقد سَحَبَتْ فى كل قُطْرٍ سَحائِبُه

فَأَنَّى يَلِدُ العيشَ بعد ابنِ يوسفِ
أخو أَمَلٍ أَكَدَتْ عَلَيْهِ مطالبُه

فلا أدركتْ نيلَ المُنَى طالباتُه
ولا بركتْ فى أرضِ يَمَنِ رِكاثُه

ولا انتَجَعَتْ إلا بعِيشِ حَقِيقَه
من الجذبِ لا تُثْنِى عَلَيْهِ حَقائِبُه

مَضَى من أَقامَ النَّاسُ فى ظِلِّ عَدْلِهِ
وَأَمَنَ من خَطْبِ تَدِيبِ عِقارِبُه

فَكَمِ من رَحِمَى صَعَبِ أَباحتْ سَيوفُه

وَمِنَ مُسْتَباحٍ قد حَمَمَه كَتائِبُه

أَرى اليومَ دَسَتْ المَلِكُ أَصْبَحَ خالِيا

أما فيكُمُ من مَخْبِرِ أَيْنَ صاحِبُه

فمن سائلى عن سائِلِ الدَمعِ لَمْ جَرى

لعل فُؤادى بالوجيبِ يُجَاوِبُه

فَكَمِ من نُدُوبٍ فى قلوبٍ نُضِيجَه
بَنارِ كُروبٍ أَجَجَتْهَا نوادِبُه

أَسْلَمَ ولم تُحْطَمْ صَدُورُ رِماحِه
بِذَبٍّ ولم تُثْلَمْ بِضَرْبِ قِواضِبُه

ولا اصْطَدَمَتْ عِنْدَ الحَتوفِ كُماثُه

ولا اَزْدَحَمَتْ بَيْنَ الصَّفوفِ جَنائِبُه

ولا سِيمَ أَخَذَ الثَّارِ يومَ كَرِيبَه
يَشَقُّ مُشارَ النِّقعِ فيها سَلاهِبُه

فيا مُلبِسى ثوبِ أَمِنَ الحَزَنَ مُسْبِلا
أَيجسِنُ بى أنَ التَّسَلَّى سَالبُه

خَدَمَتَكَ ، رَوْضُ المَجْدِ تَصِفُ ظِلالُه

على ، وَحَوْضُ الجُودِ تَصِفُ مِشارِبُه

وقد كنت تُدنيني وترفعُ مجلّسي لمفروضٍ مدحٍ ماتعدّ الكواجبه
فما بالُ إذني قد تهادى ولم يكن
إذا جئتُ يثنيني عن البابِ حاجبه^(١)
أرى الشمسَ أخفتُ يومَ فقدك نورها
فلا كان يوماً كاسفُ الوجهِ شاحبه^(٢)
فكيف نبأ سيفُ اعتزامك أو كبا
جوادٌ من الحزمِ الذي أنتَ راكبه
فمنَ الليتأحي يا غيثاً يُغيثهم
إذا الغيثُ لم ينقعُ صدَى العامِ ساكبه
ومنَ الملوكِ كنتَ ظلاً عليهمُ
ظليلاً إذا ما الدهرُ نابت نوائبه
أيا تاركى ألقى العدوَّ مسلماً
متى ساءنى بالجدِّ قُتُّ الأعبه
سقتُ قبرك الغر الغواذى وجاده
من الغيثِ ساريه المثلثُ وساربه
فان يكُ نورٌ من شهابك قد خبا
فيا طالما جلى دُجى الليلِ ثاقبه
فقد لاحَ بالملكِ العزيزِ مجد
صباحُ هدى كنا زماناً نراقبه
ففى لم يفتهُ من أبيه وجدو
إبلاء وجدُّ غالباً من يغالبه
ومن كان فى المسعى أبوه دليله
تدائى له الشأو الذى هو طالبه
وبالصالح استعلى صلاح رعية
لها منه رعى ليس يُقْلِعُ راتبه
فحسبُ الورى من أحمدٍ ومجد
مليكان من عاداهما ذلّ جانبه
هما أحرزاً علياء غازى بن يوسف
وما ضيعاً المجد الذى هو كاسبه
فأفقُ الورى لولاهما كان أظلمت
مشاركه من بعده ومغاربه
سنحى على رغم الليالى جهاهما
عوالى قنأ تردى الأسود ثعالبه
فكم من مُلِم جَلّ موقع خطبه
فساءت مباديه وسرّت عواقبه

(١) فى ا « صاحبه » مكان « حاجبه » (٢) فى ا ، ب « كاشف الوجه »

فيا قمرى سعيد أطلأ على الدجى
 فولى وما أوى على الأرض هاربه
 أيمك في الشهباء عبد أيمك
 وما دحه أم تستقل نجائبه
 فان شئت ما بعد الغياث أغثت ما
 مصاب سهام فوقته ماصائبه
 كان لم أقف أجلو التهانى أمانه
 وتضحك في وجه الأمانى مواهبه
 فهنت ما نلت ما وبقيت ما
 لإعلاء ملك ساميات مراتبه

وهذه القصيدة مع جودتها فيها مواضع مأخوذة من مرثية الفقيه عمارة البني
 في الصالح بن رزيك ، وبعضها مذكور في ترجمة الصالح ، وكأنه قد نسج على
 منوالها ، فانها على وزنهما وإن كان حرف الروى مختلفاً ، فقد استعمل بها الوصل
 كما استعمله عمارة ، والظاهر أنه كان قد وقف عليها فقصده مضاهاتها .

وقام بالأمر ومملكة حلب من بعده : ولده الملك العزيز غياث الدين أبو المظفر
 محمد ابن الملك الظاهر ، ومولده يوم الخميس خامس ذى الحجة سنة عشر وستمائة
 بحلب ، وتوفي بها يوم الأربعاء رابع شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة ،
 وكنت بحلب في ذلك الوقت ، ودفن بالقاعة .

وترتب مكانه ولده الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف ابن الملك
 العزيز ، واتسعت مملكته ، فانه ملك عدة بلاد من الجزيرة الفراتية لما كسر
 الخوارزمية ، وكان مقدم جيشه الملك المنصور صاحب حمص ، وذلك في أواخر
 سنة إحدى وأربعين وأوائل سنة اثنتين وأربعين ، ثم ملك دمشق والبلاد الشامية
 يوم الأحد سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وستمائة ، ومولده بقلعة
 حلب في تاسع عشر رمضان سنة سبع وعشرين وستمائة ، وقصده التبر وملكوا
 الشام ، فخرج من دمشق في صفر سنة ثمان وخمسين ، وقتل في الثالث والعشرين
 من شوال سنة ثمان وخمسين ، بالقرب من المراغة من أعمال أذربيجان على ما نقل

الناقل ، والله أعلم ، وقصته مشهورة .

وتوفي عمه الملك الصالح صلاح الدين أحمد ابن الملك الظاهر صاحب عين تاب في شهر شعبان سنة إحدى وخمسين وستمائة ، وكانت ولادته في صفر سنة ستمائة بحلب ، ومات بعين تاب ، رحمه الله تعالى أجمعين ! .

وإنا قدموا العزيز وهو الأصغر على أخيه الصالح لأن أمه صفية خاتون بنت الملك العادل بن أيوب ، فقدّموه في الملك لأجل جده وأخواله أولاد العادل ، وأما الصالح فإن أمه جارية .

وتوفي الشرف الحلي المذكور في ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة سبع وعشرين وستمائة ، بدمشق ، رحمه الله تعالى ! ودفن بظاهرها بجوار مسجد النارج^(١) شرق مصلى العيد ، ومولده في منتصف ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة بالحلة ، وهو من مشاهير شعراء عصره .

(١) هكذا في ١ ، ووقع في ب « مسجد التاريخ »

(٤٩٦)

ذو الرمة أبو
الحارث غيلان
ابن عقبة
الشاعر

أبو الحارث غِيلَان بن عَقْبَةَ بن بُهَيْش^(١) بن مسعود بن حارثة بن عمرو
ابن ربيعة بن ساعدة بن كعب بن عوف بن ربيعة بن مُلْكَان
ابن عدى بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان ، الشاعر المشهور ،
المعروف بذى الرُّمَّة ، أحد فحول الشعراء

ويقال : إنه كان ينشد شعره في سوق الإبل ، فجاء الفرزدق فوقف عليه ،
فقال له ذو الرُّمَّة : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ فقال : ما أحسن ما تقول !
قال : فإلى لا أذكر مع الفحول ؟ قال : قَصَّر بك عن غايتهم بكاءك في الدَّمْنِ ، وصفتك
للأبعار والعَطَن .

وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك ، وصاحبته مَيَّة ابنة مقاتل بن طلحة
ابن قيس بن عاصم المنقري ، وقيس بن عاصم هو الذي قدم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم في وفد بني تميم فأكرمه ، وقال : أنت سيد أهل الوبر ، وقال أبو عبيد
البركي : هي مية بنت عاصم بن طلحة بن قيس بن عاصم ، والله أعلم بالصواب .
وكان ذو الرمة كثير التشبيب بها في شعره ، وإياهما عنى أبو تمام الطائي بقوله
في قصيدته البائية [من البسيط] :

مَارَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يَطِيفُ بِهِ غِيلَانُ أَبْهَى رُبًّا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ

وقال ابن قتيبة في كتاب طبقات الشعراء : قال أبو ضرار الغنوي : رأيت
مية وإذا معها بَنُونَ لها ، فقلت : صفها لي ، قال : مَسْنُونَةُ الوجه ، طويلة الخد ،
شماء الأنف ، عليها وَسْمٌ جمال ، قلت : أكانت تنشدك شيئاً ماقال [فيها] ذو الرمة ؟
قال : نعم .

ومكثت مية زمانا تسمع شعر ذي الرمة ولا تراه ، فجعلت لله تعالى [عليها] أن

(١) هكذا في طبقات ابن قتيبة (٣٣٣) وفي نسخة عندنا ، ووقع في ا ، ب « نهيس »

تَمَحَّرَ بَدَنُهُ يَوْمَ تَرَاهُ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ رَأَتْ رَجُلًا دُمِيًّا أَسْوَدَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ الْجَمَالِ ،
فَقَالَتْ : وَاسْوَأُ أَتَاهُ ، وَابْؤُسَاهُ ! ! فَقَالَ ذُو الرِّمَةِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ وَتَحْتَ الثِّيَابِ الْعَارُ لَوْ كَانَ بَادِيًا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبِثُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيًا
فَوَاضِيَعَةُ الشَّعْرِ الَّذِي لَجَّ فَانْقَضَى بَمَيِّ وَلَمْ أَمْلِكْ ضَلَالَ فُؤَادِيَا
(١) [وَيُرْوَى أَنَّ ذَا الرِّمَةَ لَمْ يَرْمِيهِ قَطُّ إِلَّا فِي بُرْقَعٍ ، فَأَحْبَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى
وَجْهِهَا فَقَالَ [مِنْ الْوَافِرِ] :

جَزَى اللَّهُ الْبَرَّاقِعَ مِنْ ثِيَابٍ عَنِ الْفَتَيَانِ شَرًّا مَا بَقِيْنَا
يُؤَاوِرِينَ الْمَلَا حَ فَلَا نَرَاهَا وَيُخْفَيْنِ الْقَبَاحَ فَيَزْدَهِيْنَا
فَنَزَعَتْ الْبَرْقَعَ عَنْ وَجْهِهَا ، وَكَانَتْ بَاهِرَةً الْحَسَنَ ، فَلَمَّا رَأَاهَا مَسْفَرُهُ قَالَ :

* عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَا حَةٍ *

الْبَيْتَ الْمَقْدَمَ ، فَزَعَتْ ثِيَابَهَا وَقَامَتْ عَرِيَانَةً ، فَقَالَ :

* أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يَخْبِثُ طَعْمُهُ *

الْبَيْتَ الْمَذْكُورَ ، فَقَالَتْ لَهُ : أَتَحِبُّ أَنْ تَذُوقَ طَعْمَهُ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، فَقَالَتْ لَهُ :
تَذُوقُ الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ تَذُوقَهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ] (١) .

وَمِنْ شَعْرِهِ السَّائِرِ فِيهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

إِذَا هَبَّتِ الْأَرْيَاحُ مِنْ نَحْوِ جَانِبٍ بِهِ أَهْلُ مَيِّ هَاجَ قَلْبِي هُبُوبَهَا (٢)
هَوًى تَذُرُفُ الْعَيْنَانِ مِنْهُ وَإِنَّمَا هَوًى كُلُّ نَفْسٍ أَيْنَ حَلَّ حَبِيبُهَا
وَكَانَ ذُو الرِّمَةِ تَشَبَّهَ بِخَرْقَاءَ أَيْضًا ، وَهِيَ مِنْ بَنِي الْبَكَاءِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ
وَسَبَبُ تَشَبُّهِهِ بِهَا أَنَّهُ مَرَّ فِي سَفَرٍ بِبَعْضِ الْبُؤَادَى ، فَذَا خَرْقَاءَ خَارِجَةً مِنْ خَبَاءٍ ،
فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ ، فَخَرَقَ إِدَاوَتَهُ وَدَنَا مِنْهَا يَسْتَطِيعُ كَلَامَهَا ، فَقَالَ : إِنِّي

(١) مَا بَيْنَ الْمُعْتَوِفِينَ لَا يَوْجَدُ فِي أ (٢) فِي ب « هَبَّتِ الْأَرْوَاحُ »

رجل على ظهر سفر، وقد تخرقت إداوتي ، فأصلحيتها لى ، فقالت : والله ما أحسن العمل^(١) ، وإني خرقاء ، والخرقاء : التى لا تعمل شغلا لكرامتها على أهلها ، فشبب بها ذو الرمة ، وسماها خرقاء ، وإياها عنى بقوله وهو فى غاية المبالغة [من الطويل] :

وما شئتَا خرقاءَ واهيتَا الكُلى سَقَى بهما ساقٍ ولم يَتَبَلَّأ
بأضِيعٍ من عَيْنَيْكَ للدمعِ كلَا تَذَكَّرْتَ رَبْعًا أَوْ تَوَهَّمْتَ مَنْزِلًا

وقال المفضل الضبي : كنت أنزل على بعض الأعراب إذا حججت ، فقال لى يوما : هل لك أن أريك خرقاء صاحبة ذى الرمة ؟ فقلت له : إن فعلت فقد بررتى ، فتوجهنا جميعاً نريدها ، فعدل بى عن الطريق بقدر ميل ، ثم أتينا أبيات شعراً ، فاستفتح بيتاً ، ففتح له ، وخرجت علينا امرأة طويلة حُسانة ، بها قوة ، والحُسانة : أشد حسنا من الحسناء ، فسلمت وجلست ، وتحدثنا ساعة ، ثم قالت لى : هل حججت قط ؟ قلت : غير مرة ، قالت : فما منعك من زيارتى ؟ أما علمت أنى مَنَسَك من مناسك الحج ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قالت : أما سمعت قول عمك ذى الرمة [من الوافر] :

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمُطَايَا عَلَى خَرْقَاءَ وَاضِعَةً لِلثَّامِ

وكان ذو الرمة كثير المديح لبلال بن أبى بُرْدَةَ بن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، وفيه يقول مخاطباً ناقته صَيَدَحَ ، وهذا اسم علم عليها [من الطويل] :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بَلَالٌ بَلَغْتِهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ وَصْلَيْكَ جَارِزُ^(٢)

وقد أخذ هذا المعنى من قول الشاعر فى عرابة الأوسى رضى الله عنه ، وهو

يُخَاطَبُ نَاقَتَهُ مِنْ جُمْلَةِ آيَاتِ [من الوافر] :

إِذَا بَلَغْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي عَرَابَةً فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

(١) فى ١ « وإني الخرقاء »

(٢) يرويه النحاة « إذا ابن أبى موسى بلالا » بالنصب بتقدير فعل ناصب :

أى إذا بلغت ابن أبى موسى بلالا

وجاء بعدهما أبو نؤاس فكشف عن هذا المعنى وأوضحه بقوله في الأمين
مجد بن هرون الرشيد [من الكامل] :

وإذا المطيُّ بنا بَلَعْنَ مَجْدًا فظهورهُنَّ على الرجال حرامٌ

حتى قال بعض العلماء ، ولا أستحضر الآن مَنْ هو القائل ، لما وقف على
بيت أبي نؤاس : هذا المعنى والله الذي كانت العربُ تحوم حوله فتخطئه ولا تصيبه
فقال الشماخ كذا ، وقال ذو الرمة كذا ، وأنشد بيتيهما المذكورين ، وما أبانه إلا
أبو نؤاس بهذا البيت ، وهو في نهاية الحسن .

والأصل في هذا المعنى قول الأنصارية المأسورة بمكة ، وكانت قد نَجَتْ على
ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصلت إليه قالت : يا رسول الله ، إنني نذرت
إن نجوتُ عليها أن أنحرها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لبئس
ما جزيتها » .

وتفسير هذا المعنى : إنني لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك ، فقد كفيتني
وأغنيتني ، إلا أن الشماخ وعدَّ ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا عليها أيضاً بالذبح ،
وأبو نؤاس حرم الركوب على ظهرها ، وأراحها من الكد في الأسفار ، فهو أتم
في المقصود ، لكونه أحسن إليها في قبالة إحسانها إليه ، حيث أوصلته إلى الممدوح .
وكان لدى الرمة إخوة : هشام ، وأوفى ، ومسعود ، فمات أوفى ، ثم مات
ذو الرمة بعده ، فقال مسعود يرثيهما ، هكذا قال ابن قتيبة ، وقال في الحماسة في
المرأى خلاف هذا ، والله أعلم بالصواب ، والأبيات التي قالها مسعود
[من الطويل] :

تعزيتُ عن أوفى بغيلاًنَ بعده عزاءً وجفَّ العَيْنَ ملآنَ مُترَعُ
ولم يُنْسِنِي أوفى المصِيباتِ بعده ولكن نَكَءُ القرح بالقرح أوجعُ

وهي من جملة أبيات ، وهذا مسعود هو الذي أشار إليه أبو تمام بقوله [من

الكامل] :

إن كان مسعود سقى أطلائهم سبل الشؤن فلست من مسعود
قال أبو القاسم الأمدى صاحب كتاب الموازنة بين الطائيتين فى الكلام
على هذا البيت : هذا مسعود أخو ذى الرمة ، وكان يلوم أخاه ذا الرمة على بكائه
الطلول ، حتى قال فيه ذو الرمة [من الطويل] :

عشية مسعود يقول وقد جرى على لحيته من واركف الدمع قاطر
أنى الدار تبكى إذ بكيت صباية وأنت أمرؤ قد حكمتك العشائر
فكان أبا تمام^(١) يقول : إن كان مسعود قد رجع عن ذلك المذهب وصار يبكى
على الطلول فلست منه ، وهذا أبلغ فى التبرى منه مما إذا كان هذا شأنه ، فصار
كقول القائل : إن كان حاتم قد بخل أو السموأل قد غدر فلست منهما ، وهذا
أبلغ من قوله : إن كان البخيل قد بخل والغادر قد غدر فلست منهما ، هذا حاصل
مقاله الأمدى ، وإن كان بغير هذه العبارة .

وأخبار ذى الرمة كثيرة ، والاختصار أولى .

وكانت وفاته سنة سبع عشرة ومائة ، رحمه الله تعالى ! ولما حضرته الوفاة قال :
أنا ابن نصف الهرم ، أنا ابن أربعين سنة ، وأنشد [من البسيط] :
يا قابض الروح عن نفسى إذا احتضرت

وغافر الذنب زحزحني عن النار

وإنما قيل له « ذو الرمة » لقوله فى الوتد [من الرجز] :

* أشعث باقى رمة التقليد *

والرمة — بضم الراء — الحبل البالى ، وبكسرهما العظم البالى [والرجز
يرويه ابن العجاج]^(٢) .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ختم الشعر بنى الرمة والرجز برؤية بن العجاج^(٣) ، فقيل

(١) فى ١ « فكان أبو تمام يقول » وليس بشيء

(٢) هذه العبارة لا توجد فى ١ ، وما أرى لها موقعا

(٣) هكذا فى ١ ، وهى التى يفهم معها السؤال الذى بعده ، ووقع مكان هذه
العبارة فى ب « فتح الشعر بامرئ القيس وختم بنى الرمة » ولا ذكر فيها لرؤية ،
ووقعت هذه العبارة فى ١ بعد قوله « كل على غيرهم »

له : إن رؤبة حى ، فقال : نعم ، ولكن ذهب شعره كذهب مطعمه وملبسه ومنكحه ،
فقليل له : فهو لاء الآخرون ؟ فقال : مرقعون مهديمون ^(١) ، إمامهم كل على غيرهم ، وقال
أبو عمرو : قال جرير : لو خرس ذو الرمة بعد قوله قصيدته التى أولها * مابال عينك منها
الدمع منسكب * كان أشعر الناس ، وقال أبو عمرو : سمعت ذا الرمة يقول : إذا نزل بنا
نازل قلنا له : الحبيب أحب إليك أم الخبيض ؟ فان قال الخبيض ، قلنا : عبد من
أنت ؟ وإن قال الحبيب ، قلنا : [ابن] ^(٢) من أنت ؟ وقال أبو عمرو : شعر ذى الرمة
نقط عروس ^(٣) يضمحل عن قليل ، وأبعار طباء لهاشم في أول رائحة ، ثم يعود إلى
البعر ، وبالجملة فقد كان من مشاهير الشعراء فى عصره ، وذوى التقدم بالنظم فى
دهره ، رحمه الله تعالى !

وذكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطى فى كتاب « اعتلال القلوب » عن
محمد بن سلمة الضبى قال : حججت ، فلما صدرت من الحج تيممت منهلاً من
المناهل ، وإذا ببیت ناحية من الطريق ، فأنخت بفنائها ، فقلت : أنزل ؟ فقالت
ربة البيت : نعم ^(٤) ، فقلت : وأدخل ؟ قالت : أجل ، فدخلت ، فاذا جارية أحسن
من الشمس ، فجلست أحدثها ، وكأن الدر ينثر من فيها ، فبينما أنا كذلك إذ
خرجت عجوز مؤتررة بعباءة مشتملة بأخرى ، فقالت : يا عبد الله ، ما جلوسك
ههنا عند هذا الغزال النجدى الذى لا تأمن حباله ، ولا ترجو نواله ؟ فقالت لها
الجارية : أى جدة دعيه يتعلل كما قال ذو الرمة [من الطويل] :

فان لا يكن إلا تَعَلُّلُ ساعة قليل فانى قانع بقليلها ^(٥)
قال : فأقمت يومى وانصرفت ، وفى قلبى كجمر الغضى من حبها .

- (١) فى ب « مرقعون مهديمون » وما أثبتناه موافقا لما فى أحسن
(٢) سقطت هذه الكلمة من ا (٣) فى ا « لقط عروس »
(٤) فى ا « فقالت ربة المنزل : انزل ، فقلت : أدخل »
(٥) حفظى فى هذا البيت :
فإن لا يكن إلا معرج ساعة قليلا ، فإنى نافع لى قليلها

(٤٩٧)

الأمير

أبو شجاع فاتك

الأمير أبو شجاع فاتك الكبير ، المعروف بالجنون

كان رومياً ، أخذ صغيراً هو وأخ له وأخت لهما من بلاد الروم من موضع قرب حصن يعرف بنى السكلاع ، فتعلم الخط بفلسطين ، وهو ممن أخذه الإخشيد من سيده بالرملة كرهاً بلائمن ، فأعتقه صاحبه ، وكان معهم حراً في عد الممالك^(١) ، وكان كريم النفس ، بعيد الهمة ، شجاعاً ، كثير الإقدام ، ولذلك قيل له « الجنون » وكان رفيق الأستاذ كافور في خدمة الإخشيد ، فلما مات مخدومها وتقرر كافور في خدمة ابن الإخشيد — كما سيأتى في ترجمة كافور إن شاء الله تعالى — أنف فاتك من الإقامة بمصر كيلا يكون كافور أعلى رتبة منه ، ويحتاج أن يركب في خدمته ، وكانت الفيوم وأعمالها إقطاعاً له ، فانتقل إليها ، واتخذها مسكناً ، وهى بلاد وبيئة كثيرة الوحش ، فلم يصح له بها جسم ، وكان كافور يخافه ويكرمه فزعاً منه ، وفى نفسه منه ما فيها ، فاستحكمت العلة فى جسم فاتك وأحوجته إلى دخول مصر للمعالجة ، فدخلها وبها أبو الطيب المتنبى ضيفاً للأستاذ كافور ، وكان يسمع بكرم فاتك وكثرة شجاعته ، غير أنه لا يقدر على قصص خدمته خوفاً من كافور ، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسلام ، ثم التقي بالصحراء مصداقة من غير ميعاد ، وجرى بينهما مفاوضات ، فلما رجع فاتك إلى داره حمل لأبى الطيب فى ساعته هدية قيمتها ألف دينار ، ثم أتبعها بهدايا بعدها ، فاستأذن المتنبى الأستاذ كافورا فى مدحه ، فأذن له ، فمدحه فى التاسع من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة بقصيدته المشهورة التى أولها ، وهى من غرر القصائد [من البسيط] :

لا خَيْلَ عندك تُهْدِيها ولا مالٌ فليُسْعِدِ النطقُ إن لم يُسْعِدِ الحالُ
وما أحسن قوله فيها :

كَفَاؤِكَ ودخولُ الكافِ مَنْقُصَةً كَالشَّمْسِ قَلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ
ثم توفي فأتاك المذكور ليلة الأحدِ عشاءً ، لإحدى عشرة ليلة خلت من
شوال سنة خمسين وثلثمائة ، بمصر ، ورثاه المتنبى ، وكان قد خرج من مصر ،
بقصيدته التي أولها [من الكامل] :

الحزن يُقْلِقُ والتجملُ يردع والدمعُ بينهما عَصِيٌّ طَبِيعُ
وما أرقَ قولُهُ فيها :

إني لأجبنُ من فراق أحبِّ وتحسَّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضبُ الأعادي قسوةً ويُلِمُّ بِي عَتَبُ الصديق فأجزعُ
تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عما مَضَى منها وما يُتَوَقَّعُ
ولمن يغالطُ في الحقائق نفسهُ ويسوِّمُهَا طلبَ المحال فتطمعُ
أَيُّ الذي الهرَمَ مَنَ من بُنيانِهِ ما قومه ما يومه ما المصراعُ
تتخلفُ الآثارُ عن أصحابِها حيناً فيدركها الفناء فتنبعُ

وهي من المراتى الفائقة ، ثم عمل بعد خروجه من بغداد يذكر مسيره من مصر
ويرثي فاتكا المذكور ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون من شعبان سنة اثنتين
 وخمسين وثلثمائة ، وأولها [من البسيط] :

حَتَّامُ نَحْنُ نَسَارَى النَجْمِ فِي الظُّلَمِ وَمَا سُرَّاهُ عَلَى خَفٍّ وَلَا قَدَمِ
ومنها في ذكر فاتك :

لَا فَاتَكَ آخِرُ فِي مِصْرَ نَقْصِيدُهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كَلَامُهُ
من لا تشابهه الأحياء في شَيْمِ أَمْسى تشابهه الأموات في الرِّمِ
عدمته وكأني سرت أطلبه فما تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ
وله فيه أشياء آخر ، رحمه الله تعالى !

(٤٩٨)

أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله ، القيسى ، الإشبيلي
ابن محمد بن
خاقان القيسى
الإشبيلي

صاحب كتاب « قلائد العقيان » له عدة تصانيف منها الكتاب المذكور
وقد جمع فيه من شعراء المغرب طائفة كثيرة ، وتكلم على ترجمة كل واحد منهم بأحسن
عبارة ، وألف إشارة ، وله أيضاً كتاب « مطمح الأنفس ، ومسرح التأنس ،
في ملح أهل الأندلس » وهو ثلاث نسخ : كبرى ، وصغرى ، ووسطى ، وهو كتاب
كثير الفائدة ، لكنه قليل الوجود في هذه البلاد ، وكلامه في هذه الكتب يدل
على غزارة فضله وسعة مادته ، وكان كثير الأسفار سريع التنقلات .

وتوفى قتيلاً سنة خمس وثلاثين وخمسمائة بمدينة مراکش في الفندق .
وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه الذى سماه « المطرب ، في
أشعار أهل المغرب » : إني لقيت جماعة من أصحابه ، وحدثوني عنه بتصانيفه
وعجائبه ، وكان خليع العذار في دنياه ، لكن كلامه في تواليفه كالسحر الخلال ،
والماء الزلال ، قتل ذبحاً في مسكنه بفندق من حضرة مراکش صدر سنة تسع
وعشرين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! وإن الذى أشار بقتله أمير المسلمين أبو الحسن
على بن يوسف ^(١) بن تاشفين ، هذا كله لفظه .

وأمير المسلمين المذكور هو أخو أبى إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين ^(١)
الذى ألف له أبو نصر المذكور قلائد العقيان ، وقد ذكره في خطبة الكتاب .

(١) أبوهما هو يوسف بن تاشفين أحد أفراد قبيلة لتونة ، صار أمير المسلمين
وملك المشرقيين ، وهو الذى اختط مدينة مراکش ، وقد استدعاه المعتمد بن عباد
حين رأى الأذفونش داخله الطمع ، ومات في حدود سنة خمسمائة من الهجرة

(٤٩٩)

الشهاب فتیان بن علی بن فتیان بن ثمال ، الأسدی ، الحنفی ، الدمشقی ، المعروف
بالشاغوری ، المعلم

فتیان بن علی
الأسدی ،
الحنفی
الشاغوری

كان فاضلاً ، وشاعراً ماهراً ، خدم الملوك ومدحهم ، وعلم أولادهم ، وله ديوان
شعر فيه مقاطيع حسان وأقام مدة بالزبداني ، وله فيها أشعار لطيفة ، فمن ذلك
قوله في جنة الزبداني ، وهي أرض فيحاء جميلة المنظر تتراكم عليها الثلوج في
زمن الشتاء وتنبعث أنواع الأزهار في زمن الربيع ، ولقد أحسن فيه كل الاحسان ،
وهي [من البسيط] :

قد أجمدَ الحَرَّ كانونٌ بكلِّ قدَحٍ وأخذ الجمر في السكاون حين قدح
باجنة الزبداني أنت مسفرة بحسن وجهه إذا وجه الزمان كلَّح
فالثلج قطنٌ عليك السحب تندفه والجوُّ يحلجه والقوس قوسٌ قزح
وله وقد دخل إلى الحمام وماؤه شديد^(١) الحرارة ، وكان قد شاخ [من المتقارب] :

أرى ماء حمامكم كاللحم نكأ بد منه عناء وبؤساً
وعهدى بكم تسمطون الجداء فما بالكم تسمطون التيوساً

ثم وجدت في كتاب « الخريدة » في ترجمة سعد بن إبراهيم الشيباني
الإسعدي الملقب بالجد السكاكب خمسة أبيات ، قال العماد الأصمباني صاحب
الخريدة : أنشدنيها سعد المذكور في ذم حمام ، ولم يقل إنها له ، والبيت الخامس
[من المتقارب] :

وقد كان في العرف سمط الجداء فلم صرتم تسمطون التيوسا
وقال العماد : هو إلى سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وثمانين وخمسمائة
مقيم بالعسكر المنصور على عكا .

(١) في « وماؤها شديد الحرارة » وليس بذلك

قلت: فقد استعمله فتیان الشاغوري تضييماً، فنبهت عليه كيلا يظن أنه لفتيان .
وكان قد تعلق بخدمة الأمير نور الدين مودود بن المبارك شحنة دمشق، وهو
أخو عز الدين قرؤخ شاه ابن أخى السلطان صلاح الدين لأمه ، وكان يعلم أولاده
الخط ، فكتب إليه شرف الدين بن عنين [من البسيط] :

يَا مَنْ تَلَقَّبَ ظُلماً بِالشَّهَابِ وَلَنْ يَأْتِيَ بِظُلْمَتِهِ فِي أَفْقِهَا الشُّهُبُ^(١)
لَا يَفْرُرُنَاكَ مِنْ مودودَ دولتهُ وَإِنْ تَمَسَّكَتَ مِنْ أَسْبَابِهَا سَبَباً
فَلَسْتُ أَنْبَحَ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى تَلْفَ عَلَى خَيْشُومِكَ الذَّنْبَا
وهذا البيت الأخير من أبيات الحماسة ، وقد استعمله تضييماً ، وكانت
بينهما مكاتبات ومداعبات يطول شرحها

ومولده بعد سنة ثلاثين وخمسمائة ببانياس
ومن شعره [من الوافر] :

عَلَامَ تَحْرُكِي وَالْحَظَّ سَاكِنَ وَمَا نَهْنَهْتُ فِي طَلَبٍ وَلَكِنْ
أَرَى نَذْلًا تَقْدِمُهُ الْمَسَاوِي عَلَى حَرٍّ تَوَخَّرَهُ الْحَاسِنُ
وَلَهُ دِيْوَانٌ آخِرُ صَغِيرٍ جَمِيعٍ مَا فِيهِ دُو بَيْتِ رَأَيْتَهُ بِدَمَشْقٍ وَنَقَلْتُ مِنْهُ :
الورد بوجنتيك زاه زاهر والسحر بمقلتيك واف واف
والعاشق في هواك ساه ساهر يرجو ويخاف فهو شاك شاكر^(٢)
وتوفى فتیان المذکور سحرَ الثَّانِي والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة
وسمائة ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، رحمه الله تعالى !

والشاغوري — بفتح الشين المعجمة ، و بعد الألف غين معجمة مضمومة ،
ثم واو ساكنة ، بعدها راء — هذه النسبة إلى الشاغور، وهي عمارة بظاهر دمشق من
جملة ضواحيها

والزبداني — بفتح الزاء والباء الموحدة والdal المهملة ، و بعد الألف نون

(١) في « وان يأتى بظلمته — إلخ » (٢) في « وهو شاك شاكر »

مكسورة ، ثم باء مثناة من تحتها — وهى قرية بين دمشق وبعلبك كثيرة الأشجار والمياه ، رأيتها مراراً ، وهى فى غاية الحسن والطيبة .

(٥٠٠)

أبو العباس
الفضل
ابن يحيى
البرمكى

أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، البرمكى

كان من أ كثرهم كرماً مع كرم البرامكة وسعة جودهم ، وكان أ كرم من أخيه جعفر المقدم ذكره ، وكان جعفر أبلغ فى الرسائل والكتابة منه ، وكان هرون الرشيد قد ولاه الوزارة قبل جعفر ، وأراد أن ينقلها إلى جعفر وقال لأبيهما يحيى : يا أبت ، وكان يدعوه يا أبت ، إني أريد أن أجعل الخاتم الذى لأخى الفضل لجعفر ، وكان يدعو الفضل يا أخى ، فانهما متقاربان فى المولد ، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد ، واسمها زبيدة من مولدات المدينة ، والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل ، فكانا أخوين من الرضاع ، وفى ذلك قال مروان بن أبى حفصة يمدح الفضل [من الطويل] :

كَفَى لَكَ فَضْلاً أَنْ أَفْضَلَ حَرَّةٍ غَذَتْكَ بِهْدَى وَالْخَلِيفَةُ وَاحِدٍ
لَقَدْ زَنْتَ يَحْيَى فِي الْمَشَاهِدِ كُلِّهَا كَمَا زَانَ يَحْيَى خَالِدًا فِي الْمَشَاهِدِ

قال الرشيد ليحيى : قد احتشمت من الكتاب فى ذلك إليه ، فاكفنيه ، فكتب إلى الفضل والده « قد أمر أمير المؤمنين بتحويل الخاتم من يمينك إلى شمالك » فكتب إليه الفضل « قد سمعت مقالة أمير المؤمنين فى أخى ، وأطعت ، وما انتقلت عنى نعمة صارت إليه ، وما غربت عنى رتبة طلعت عليه » فقال جعفر : لله أخى ! ما أنفس نفسه ، وأبين دلائل الفضل عليه ، وأقوى منة العقل فيه ، وأوسع فى البلاغة ذرعة !

وكان الرشيد قد جعل ولده محمداً فى حجر الفضل بن يحيى ، والمأمون فى حجر

جعفر ، فاختص كل^(١) واحد منهما بمن في حجره ، ثم إن الرشيد قلد الفضل بعمل خراسان ، فتوجه إليها ، وأقام بها مدة ، فوصل كتاب صاحب البريد بخراسان إلى الرشيد ويحيى جالس بين يديه ومضمون الكتاب أن الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وإدمان اللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه الرشيد رمى به إلى يحيى ، وقال له : يا أبت ، اقرأ هذا الكتاب ، واكتب إليه بما يردُّه عن هذا ، فكتب يحيى على ظهر كتاب صاحب البريد « حفظك الله يا بني ، وأمتع بك ، قد انتهى إلى أمير المؤمنين مما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكره ، فعاد ما هو أزين بك ، فانه من عاد إلى ما يزيِّنه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره إلا به ، والسلام » وكتب في أسفله هذه الآيات [من السريع] :

انصبَّ نهاراً في رِطاب العُلا	واصبرْ على فَقْدِ لقاء الحبيب
حتى إذ الليل أتى مقبلاً	واستترت فيه وجوه العيوب
فكابد الليل بما تشهى	فانما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكا	يستقبل الليل بأمر عجيب
أرْحَى عليه الليل أستاره	فبات في هوى وعيش خصيب
ولذة الأحق مكشوفة	يسعى بها كلُّ عدو رقيب

والرشيد ينظر إلى ما يكتب ، فلما فرغ قال : بلغت يا أبت ، فلما ورد الكتاب على الفضل لم يفارق المسجد نهاراً إلى أن انصرف من عمله .
ومن مناقبه أنه لما تولى خراسان دخل إلى بلخ وهم وطنهم ، وبها النوبهار وهو بيت النار التي كانت المجوس تعبدها ، وكان جدُّهم برمك خدام ذلك البيت حسبما هو مشروح في ترجمة جعفر ، فأراد الفضل هدم ذلك البيت ، فلم يقدر عليه لاحكام بنائه ، فهدم منه ناحية ، وبنى فيها مسجداً .

(١) في « واختص كل واحد منهما بمن في حجره »

وذكر الجهشيارى فى « أخبار الوزراء » أن الرشيد ولى جعفر بن يحيى الغرب كله من الأنبار إلى أفر يقية فى سنة ست وسبعين ومائة ، وقلد الفضل الشرق كله من شروان إلى أقصى بلاد الترك ، فأقام جعفر بمصر واستخلف على عمله ، وشخص الفضل إلى عمله فى سنة ثمان وسبعين ، فلما وصل إلى خراسان أزال سيرة الجور ، وبنى المساجد والحياض والرُّبُط ، وأحرق دفاتر البقايا ، وزاد الجنيد ، ووصل الزوار والقواد والكتّاب فى سنة تسع بعشرة آلاف درهم ، واستخلف على عمله ، وشخص فى آخر هذه السنة إلى العراق ، فتلحقه الرشيد ، وجعله الناس ، وأكرمه غاية الإكرام ، وأمر الشعراء بمدحه ، والخطباء بذكر فضله ، فكثرت المادحون له ، ومدحه إسحاق بن إبراهيم الموصلى بأبيات منها [من البسيط] :

لو كانت بينى وبين الفضل معرفة فضل بن يحيى لأعدانى على الزمن
هو الفتى الماجد الميمون طائره والمشتري الحمد بالغالى من الثمن ^(١)
وكان أبوا لهول الحيرى قد هجا الفضل ، ثم أتاه راغباً إليه ، فقال له : ويلك !
بأى وجه تلتقانى ؟ فقال : بالوجه الذى ألقى [به] الله عز وجل وذنوبى إليه أكثر من
ذنوبى إليك ، فضحك ووصله .

ومن كلامه : ماسرور الموعود بالفائدة كسرورى بالانجاز . وقيل له : ما أحسن
كرمك لولا تيه فيك ! فقال : تعلمت الكرم والتهى من عمارة بن حمزة : فقبل له :
وكيف ذلك ؟ فقال : كان أبى عاملاً على بعض كُور بلاد فارس ، فانكسرت عليه
جملة مستكثرة ، فحمل إلى بغداد ، وطولب بالمال ، فدفع جميع ما يملكه ، وبقيت
عليه ثلاثة آلاف ألف درهم لا يعرف لها وجهها ، والطلب عليه حثيث ، فبقى حائراً
فى أمره ، وكانت بينه وبين عمارة بن حمزة منافرة ومواحشة ، لكنه علم أنه
ما يقدر على مساعدته إلا هو ، فقال لى يوماً وأنا صبى : امض إلى عمارة وسلم عليه
عنى وعرفه الضرورة التى قدصرنا إليها واطلب منه هذا المبلغ على سبيل القرض

(١) فى ١ « والمشتري المجد » وما أثبتناه موافقاً لما فى ب أحسن

إلى أن يسهل الله تعالى باليسرة ، فقلت له : أنت تعلم ما بينكما ، فكيف أمضى إلى عدوك بهذه الرسالة وأنا أعلم أنه لو قدر على إتلافك لأتلفك ؟ فقال : لا بد أن تمضى إليه لعل الله أن يسخره ويوقع في قلبه الرحمة ، قال الفضل : فلم يمكنى معاودته ، وخرجت وأنا أقدمُ رجلاً وأؤخر أخرى ، حتى أتيت داره واستأذنت في الدخول عليه ، فأذن لى ، فلما دخلت وجدته في صدر إيوانه متكئاً على مفارشٍ وثيرة ، وقد غلف شعر رأسه ولحيته بالسلك ، ووجهه إلى الحائط وكان من شدة تيبه لا يقعد إلا كذلك ، قال الفضل : فوقفت أسفل الإيوان ، وسلمت عليه ، فلم يرد السلام ، فسلمت عليه عن أبى وقصصت عليه القصة ، فسكت ساعة ثم قال : حتى ننظر ، فخرجت من عنده نادماً على نقل خطأى إليه ، وموقناً بالحرمان ، عاتباً على أبى كونه كلفنى إذلال نفسى بما لا فائدة فيه ، وعزمت على أن لا أعود إليه غيظاً منه ، فغبت عنه ساعة ثم جئته وقد سكن ما عندى ، فلما وصلت إلى الباب وجدت أبغلاً محملة ، فقلت : ما هذه ؟ فقيل : إن عمارة قد سير المال ، فدخلت على أبى ولم أخبره بشيء مما جرى لى معه كيلاً أكر إحصانه عليه ، فمكثنا قليلاً ، وعاد أبى إلى الولاية وحصلت له أموال كثيرة ، فدفع إلى ذلك المبلغ وقال : تحمله إليه ، فجئت به ودخلت عليه ، فوجدته على الهيئة الأولى ، فسلمت عليه ، فلم يرد ، فسلمت عليه عن أبى وشكرت إحصانه وعرفته بوصول المال ، فقال لى بحرَدٍ (١) : ويحك أقسطاراً (٢) كنت لأبيك ؟ أخرج عنى لا بارك الله فيك ، وهو لك ، فخرجت ورددت المال إلى أبى وعجبنا من حاله ، فقال لى : يا بنى ، والله ما تسمح نفسى لك بذلك ، واسكن خذ ألف ألف درهم واترك لأبيك ألفى ألف درهم .

وحكى الجهمشيارى فى « أخبار الوزراء » هذه الحكاية ، لكن بين الحكايتين اختلاف قليل ، وذكر أن جملة المال ألف ألف درهم ، وكان ذلك فى أيام المهدي ، وكان يحبى قد ضمن فارس فانكسر عليه المال ، وقال المهدي لمن يطالبه بالمال :

(١) الحرد : الغضب (٢) القسطار : الصراف ، وسيدكره المؤلف

إن أدى لك المال قبل المغرب من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه ، وكان المهدي مغضباً عليه ، فتعلمت منه السكرم والتهيه .

والقسطار : الصيرفي .

ومعارة المذكور من أولاد عكرمة مولى ابن عباس ، وقد تقدم ذكره ، وكان كاتب أبي جعفر المنصور [ومولاه]^(١) ، وكان ثأماً معجباً ، كريماً بليغاً فصيحاً ، أعور . وكان المنصور وولده المهدي يقدمانه ، ويحتملان^(٢) أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه ، وولى لهما الأعمال الكبار ، وله رسائل مجموعة من جملتها رسالة الخنيس التي تقرأ لبني العباس .

ويحكى أن الفضل دخل عليه حاجبُه يوماً فقال له : إن بالباب رجلاً زعم أن له سبباً يمتُّ به إليك ، فقال : أدخله ، فأدخله فإذا هو شاب حسن الوجه رث الهيئة ، فسلم ، فأومأ إليه بالجلوس ، فجلس ، فقال له بعد ساعة : ما حاجتك ؟ قال : أعلمتك بهارثاً ثمةً ملبسى ، قال : نعم ، فما الذي تمتُّ به إلي ؟ قال : ولادة تقرب من ولادتك ، وجوار يدنو من جوارك ، واسم مشتق من اسمك ، قال الفضل : أما الجوار فيمكن ، وقد يوافق الاسم الاسم ، ولكن من أعلمك بالولادة ؟ قال : أخبرتني أمي أنها لما ولدتني قيل لها : قد ولدته الليلة ليحيى بن خالد غلام وسمي الفضل ، فسمتني فضيلاً إكباراً لاسمك أن تلحقني به ، وصغرت له لقصور قدرى عن قدرك ، فتبسم الفضل وقال له : كم أتى عليك من السنين ؟ قال : خمس وثلاثون سنة ، قال : صدقت ، هذا المقدار الذي أعدُّ ، قال : فما فعلت أمك ؟ قال : ماتت ، قال : فما منعك من اللحاق بنا متقدماً ؟ قال : لم أرض نفسي للقائك ، لأنها كانت في عامية معها حدأة تقعدني عن لقاء الملوك ، وعلق هذا بقلبي منذ أعوام ، فشغلت نفسي بما يصلح للقائك حتى رضيت نفسي ، قال : فما تصلح له ؟ قال : الكبير من الأمر والصغير ، قال : يا غلام ، أعطه لكل عام مضي من سنَّه ألف درهم ، وأعطه عشرة آلاف درهم يجعل بها نفسه إلى وقت استعماله . وأعطاه مراكباً سريراً

(٢) في ١ « ويحتملان أخلاقه »

(١) هذه الكلمة لا توجد في ب

ثم إن الرشيد لما قتل جعفرًا ، على ما تقدم في ترجمته ، قبض على أبيه يحيى وأخيه الفضل المذكور ، وكان عنده ، ثم توجه الرشيد إلى الرقة وهما معه وجميع البرامكة في التوكيل غير يحيى ، فلما وصلوا إليها وجه الرشيد إلى يحيى أن أقم بالرقة أوحيت شئت ، فوجه إليه : إني أحب أن أكون مع ولدى ، فوجه إليه : أترضى بالحبس ؟ فذكر أنه يرضى به ، فحبس معهم ، ووسع عليهم ، ثم كانوا حينئذ يوسع عليهم وحينئذ يضيّق عليهم حسبما ينقل إليه عنهم ، واستصفي أموال البرامكة . ويقال : إن الرشيد سير مسرورا الخادم إلى السجن ، فجاءه ، فقال للمتوكل بهما : أخرج إلى الفضل ، فأخرجه ، فقال له : إن أمير المؤمنين يقول لك : إني قد أمرتك أن تصدقني عن أموالكم ، فزعمت أنك قد فعلت ، وقد صح عندي أنك قد أبقيت لك ^(١) أموالا كثيرة ، وقد أمرني إن لم تظلمني على المال أن أضربك مائتي سوط ، وأرى لك أن لا تؤثر مالك على نفسك ، فرفع الفضل رأسه ، وقال : والله ما كذبت فيما أخبرت به ، ولو خيرت بين الخروج من ملك الدنيا وأن أضرب سوطا واحداً لا اخترت الخروج ، وأمير المؤمنين يعلم ذلك ، وأنت تعلم أنا كنا نصون أعراضنا بأموالنا ، فكيف صرنا نصون أموالنا بأنفسنا ؟ فان كنت قد أمرت بشيء فامض له ، فأخرج مسرورا أسواطاً كانت معه في منديل ، وضربه مائتي سوط ، وتولى ضربه الخدم ، فضر به أشدّ الضرب ، وهم لا يحسنون الضرب ، فكادوا أن يتلفوه ، وتركوه . وكان هناك رجل بصير بالعلاج ، فطلبوه لمعالجته ، فلما رآه قال : يكون قد ضر به خمسين سوطاً ، فقليل : بل مائتي سوط ، فقال : ما هذا إلا أثر خمسين سوطاً لا غير ، ولكن يحتاج أن ينام على ظهره . على باريّة ^(٢) وأدوس صدره ، فجزع الفضل من ذلك ، ثم أجاب إليه ، فألقاه على ظهره وداسه ، ثم أخذ يديه ،

(١) في ١ « أنك قد بقيت لك أموالا كثيرة »

(٢) الباريّة : الحصر المنسوج من القصب ، معرب

فجذبه على البارية ، فتعلق بها من لحم ظهره شيء كثير ، ثم أقبل يعالجه ، إلى أن نظر يوماً إلى ظهره ، فخر المعالج ساجداً لله تعالى ، فقيل له : ما بالكَ ؟ فقال : قد برىء . وقد نبتَ في ظهره لحم حى ، ثم قال : أَلست قلتَ هذا ضربَ خمسين سوطاً ، أما والله لو ضرب ألف سوط ما كان أثرها بأشدَّ من هذا الأثر ، وإنما قلت ذلك حتى تقوى نفسه فيعيننى على علاجه .

ثم إن الفضل اقترض من بعض أصحابه عشرة آلاف درهم ، وسيرها له ، فردها عليه ، فاعتقد أنه قد استقلها ، فاقترض عليها عشرة آلاف أخرى ، وسيرها ، فأبى أن يقبلها ، وقال : ما كنت آخذ على معالجة فتى من الكرام أجراً^(١) ، والله لو كانت عشرين ألف دينار ما قبلتها ، فلما بلغ ذلك الفضل قال : والله إن الذى فعله هذا أبلغ من الذى فعلناه فى جميع أيامنا من المكارم ، وكان قد بلغه أن ذلك المعالج فى شدة وضائقة .

وكان الفضل ينشد وهو فى السجن هذه الأبيات ، وأظنها لأبى العتاهية ، ثم وجدتها لصالح بن عبد القدوس من جملة أبيات قلها وهو محبوس ، وقيل : إنها لعلى بن الخليل ، وكان هو وصالح المذكور يتمان بالزندقة ، فحبسهما الخليفة المهدي بن المنصور ، فقال هذه الأبيات [من الطويل] :

إلى الله فيما نالنا نرفعُ الشكوى	ففى يده كشفُ المضرة والمَلَوَى
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها	ولأنَّ فى الأموات فيها ولا الأحياء
إذا جاءنا السجن يوماً حاجة	عجبنا وقلنا : جاء هذا من الدنيا

وقد مدح البرامكة جميع شعراء عصرهم ، فمن ذلك قول مروان بن أبى حفصة ، وقيل : إنها لأبى الحنيفة فى الفضل المذكور [من الكامل] :

عمدَ الملوك منافعٌ ومضرة	وأرى البرامكة لا تضر وتنفعُ
إن كان شرُّ كان غيرهم له	والخير منسوبٌ إليهم أجمعُ
وإذا جهلت من أمرى أعراقه	وقديمه فانظر إلى ما يصنعُ

(١) فى « كرى » بدل قوله « أجرا » والسكراء : الأجر ، وأصله المد

إن العروق إذا استسر بها الندى

أشب النباتُ بها وطاب المزرع^(١)

وغضب الرشيد على العتابي الشاعر ، فشفع له الفضل ، فرضى عنه ، فقال
[من البسيط] :

مازلتُ في غمرات الموتِ مطرَحاً يضيقُ عني وسيعُ الرأيِ والحيل
فلم تزل دائماً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلى
ومدحه أبو نوّاس بقصائده ، قال في بعضها [من الطويل] :
سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالدٍ

هواكٍ لعلَّ الفضلَ يجمعُ بيننا
ف قيل له : قد أسأت المقال في المخاطبة بهذا القول ، فقال : أردت جمع
تفضل لا جمع توصل ، وتبعه المتنبي بقوله [من البسيط] :

علَّ الأمير يرى ذلِّي فيشفعَ لي إلى التي صيرتني في الهوى مثلاً
وعمل فيه بعض الشعراء بيتاً واحداً ، وهو [من الخفيف] :
مالقينا من جودِ فضل بن يحيى تركُ الناس كلهم شعراء
[فاستحسنوا منه ذلك]^(٢) وعابوا عليه كونه مفرداً ، فقال العذافر بن ورد
ابن سعد القمي [من الخفيف] :

علم المفحمين أن ينظموا الأشعار منا والباخلين السخاء
فاستحسنوا منه ذلك .

وكان الفضل كثير البر بأبيه ، وكان أبوه يتأذى من استعمال الماء البارد
في زمن الشتاء .

فيحكى أنهما لما كانا في السجن^(٣) لم يقدرنا على تسخين الماء ، فكان الفضل

(١) أشب - بوزن فرح - التف وكثر ، ووقع في « أشر النبات » ووقع
في ب « أسد النبات »

(٢) هذه العبارة لا توجد في أ وأظنها وقعت في ب مكررة ، وفي غير موضعها

(٣) في أ « فيحكى أنهما لما كانوا في السجن » وهو كما ترى

ياخذ الإبريق النحاس وفيه الماء فيلصقه إلى بطنه زماناً عساه تنكسر برودته
لحرارة بطنه حتى يستعمله أبوه بعد ذلك .

وأخباره كثيرة

وكانت ولادته لسبع بقين من ذى الحجة سنة سبع وأربعين ومائة ، وذكر
الطبرى فى تاريخه فى أول خلافة هرون الرشيد أن مولد الفضل بن يحيى سنة ثمان
وأربعين ، والله أعلم

وتوفى بالسجن سنة ثلاث وتسعين ومائة فى الحرم غداة جمعة بالرقعة ، وقيل :
إنه توفى فى شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين ومائة ، رحمه الله تعالى !

ولما بلغ الرشيد موته قال : أمرى قريب من أمره ، وكذا كان ، فانه توفى
بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة ، ليلة السبت لثلاث خلون من جادى الآخرة ،
وقيل : النصف منه ، وقيل : ليلة الخميس النصف من جادى الأولى ، وقال ابن
اللبان الفرضى : فى شهر ربيع الآخر ، مع اتفاقهم على السنة ، وقد تقدم أنه كان
قريبه فى الولادة أيضاً ، وترتب فى الخلافة ولده الأمين مجد والمأمون صاحب خراسان .

(٥٠١)

أبو العباس الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله
ابن أبى فروة ، واسمه كيسان ، مولى عثمان
ابن عفان ، رضى الله عنه !

أبو العباس
الفضل بن
الربيع ، الوزير

وقد تقدم ذكر أبيه فى حرف الراء وشىء من أخباره مع المنصور أبى جعفر ،
فلما آل الأمر إلى الرشيد واستوزر البرامكة ، كان الفضل بن الربيع يروم التشبه
بهم ومعارضتهم ، ولم يكن له من القدرة ما يدرك به اللحاق بهم ، فسكان فى نفسه
منهم إحنً وشحناء ، قال عبيد الله بن سليمان بن وهب : إذا أراد الله تعالى هلاك
قوم وزوال نعمتهم جعل لذلك أسبابا ، فمن أسباب زوال أمر البرامكة تقصيرهم
بالفضل بن الربيع وسعى الفضل بهم وتمكن بالمجالسة من الرشيد فأوغر قلبه عليهم

ومالاه على ذلك كاتبهم إسماعيل بن صبيح حتى كان ما كان .

ويحكى أن الفضل دخل يوماً على يحيى بن خالد البرمكي ، وقد جلس لقضاء حوائج الناس ، وبين يديه ولده جعفر يوقّع في القصص ، فعرض الفضل عليه عشر رقايع للناس ، فتعلل يحيى في كل رقعة بعلّة ، ولم يوقّع في شيء منها البتّة ، فجمع الفضل الرقايع ، وقال : ارجعن خائبات خاسرات ، ثم خرج وهو يقول [من الطويل] :

مَتَى وَعَسَى يَتَنَبَّأَ الزَّمانُ عَنانَهُ بتصرف حالِ والزمانُ عِشْورُ
فَتَقْضَى لُبَّانات وتُشْفَى حَسائِفُ وتحدث من بعد الأمور أمور
فسمعه يحيى ، وهو ينشد ذلك ، فقال له : عزمتُ عليك يا أبا العباس إلا رجعت ، فرجع ، فوقع له في جميع الرقايع ، ثم ما كان إلا القليل حتى نُسكبوا على يده ، وتولى بعدهم وزارة الرشيد ، وفي ذلك يقول أبو نواس ، وقيل : أبو حنيفة [من الخفيف] :

مَآ رَعَى الدَّهْرُ آلَ بَرْمَكٍ لَمَّا أَنْ رَمَى مَلِكُهُمْ بِأَمْرِ فَطِيعِ
إِنَّ دَهْرًا لَمْ يَرَعْ عَهْدًا لِيَحْيِي غَيْرَ رَاعٍ ذِمَامَ آلِ الرَّبِيعِ
وتنازع يوماً جعفر بن يحيى والفضل بن الربيع بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : يا لقيط ، إشارة إلى ما كان يقال عن أبيه الربيع : إنه لا يعرف أبوه ^(١) ، حسبما ذكرته في ترجمته ، فقال الفضل : أشهد يا أمير المؤمنين ، فقال جعفر للرشيد : تراه عند مَنْ يقيمك هذا الجاهل شاهداً يا أمير المؤمنين ، وأنت حاكم الحكم .

ومات الرشيد والفضل مستمر على وزارته ، وكان في صحبة الرشيد ، فقرّر الأمور للأمير محمد بن الرشيد ، ولم يعرج على المأمون وهو بخراسان ، ولا التفت إليه ، فعزم المأمون على إرسال طائفة من عسكره لأن يعترضوه في طريقه لما انفصل عن موضع وفاة الرشيد ، وهو طوس حسبما ذكرته في ترجمة الفضل

(١) كذا في ١ ووقع في ب « لا يعرف أبواه » وليس بشيء

ابن يحيى البرمكي ، فأشار عليه وزيره الفضل بن سهل أن لا يتعرض له ،
وخاف عاقبته .

ثم إن الفضل بن الربيع خاف من المأمون إن انتهت الخلافة إليه ، فزَيَّنَ
للأُمِين أن يخلع المأمون من ولاية العهد ، ويجعل ولي عهده موسى بن الأمين ،
وحصلت الوحشةُ بين الأخوين إلى أن سير المأمون جيشاً من خراسان مُقَدِّمَهُ
طاهر بن الحسين المقدم ذكره بآشارة وزيره الفضل بن سهل ، وأخرج الأمين
من بغداد جيشاً بآشارة وزيره الفضل بن الربيع المذكور ، مُقَدِّمَهُ علي بن عيسى
ابن ماهان ، فالتقيا ، وقتل علي بن عيسى ، وذلك في سنة أربع وتسعين ومائة .
ثم اضطربت أحوال الأُمِين ، وقويت شكوة المأمون ، فلما رأى الفضل
ابن الربيع الأمور مُحْتَمِلَةً استتر في رجب سنة ست وتسعين ومائة ، ثم ظهر لما
ادعى إبراهيم بن المهدي الخلافة ببغداد ، كما ذكرته في ترجمته ، واتصل به
ابن الربيع ، فلما اختل حال إبراهيم استتر ابن الربيع ثانياً ، وشرح ذلك
يطول . وخلاصته : أن طاهر ابن الحسين سأل المأمون الرضا عنه ، فأدخله عليه ،
وقيل : غير ذلك ، إلا أنه لم يزل بطلا إلى أن مات ، ولم يكن له في دولة المأمون
حظ ، والله أعلم .

وكتب إليه أبو نواس يعزيه في الرشيد ، ويهنئه بولاية ولده الأُمِين ،
[من الطويل] :

تعرَّ أبا العباس عن خير هالكٍ بأكرمٍ حتى كان أو هو كائنُ
حوادثُ أيامٍ تدورُ صُرُوفُها لهنَّ مَسَاوٍ مرّةٍ ومحاسنُ
وفي الحى باليت الذي غيب الثرى فلا أنت مغبون ولا الموت غابنُ

وفيه أيضاً قال أبو نواس من جملة أبيات يمدح الأُمِين [من السريع] :

وليس لله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد^(١)

(١) كذلك يروي هذا البيت في أمهات الأدب ، ويرويه بعضهم :

* ليس على الله بمستنكر *

قال أبو بكر الصولى : ولقد أخذ أحمد بن يوسف الكاتب هذا المعنى ، وزاد عليه ، وكتبه إلى بعض إخوانه ، وقد ماتت له ببغاء ، وله أخ كثير التخلف ، يسمى عبد الحميد [من الخفيف] :

أنت تبقى ونحن طرّاً فداً كا أحسن الله ذو الجلال عزّاً كا
فلقد جل خطب دهر أتما كا بمقادير أتلقت ببغاً كا
عجبا للمنون كيف أتها ونخطت عبد الحميد أخا كا
كان عبد الحميد أصلح للمو ت من الببغاء وأولى بدا كا
شملتنا المصيبتان جميعاً فقدمنا هذه ورؤية ذا كا^(١)

وقد تقدم فى ترجمة ابن الرومى ذكر المقطوعين المقوليين فى الوزير أبى القاسم عبيد الله وولادته الحى والميت^(٢) ، وذلك المعنى مأخوذ من هذه الأبيات وأبو نواس هو الذى فتح لهم الباب ، ومنه أخذ الباكون ، وإن كان بينهم مغايرة ماء ، لكن المادة واحدة .

وكانت وفاة الفضل بن الربيع ، فى ذى القعدة ، سنة ثمان ومائتين ، وقيل : فى شهر ربيع الآخر ، رحمه الله تعالى !
وفيه يقول أبو نواس أبياته الدالية التى فيها « والخير عادة »^(٣) .

(١) فى « شملتنا المصيبات جميعا » ولا يستقيم معها وزن البيت ، فوق أنه لا ينسجم مع ما فسر به ، لأنه لم يذكر إلا اثنتين .

(٢) انظرهما فى (ص ٤٥ من هذا الجزء) آخر الترجمة رقم ٤٣٦

(٣) هى أبيات كتب بها أبو نواس إلى الفضل ، وأولها قوله :

أنت يا ابن الربيع ألزمتنى النسك وعودتيه والخير عادة

(٥٠٢)

أبو العباس الفضل بن سهل السرخسي ، أخو الحسن بن سهل
وقد تقدم ذكره في حرف الحاء .
أسلم على يد المأمون في سنة تسعين ومائة ، وقيل : إن أباه سهلاً أسلم على
يد المهدي ، والله أعلم ، فوزرَ للمأمون ، واستولى عليه ، حتى ضايقه في جارية
أراد شراءها .

ولما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون ، وصفه يحيى بحضرة
الرشيد ، فقال له الرشيد : أوصله إلى ، فلما وصل إليه أدركته حيرة فسكت ،
ف نظر الرشيد إلى يحيى نظرمسكر لاختياره ، فقال ابن سهل : يا أمير المؤمنين ، إن
من أعدل الشواهد على فراهة المملوك^(١) : أن يملك قلبه هيبة سيده ، فقال الرشيد :
لأن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام فلقد أحسنت ، وإن كان بديهة إنه
لأحسن وأحسن ، ثم لم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدق وصف
يحيى له ، وكانت فيه فضائل ، وكان يلقب بذي الرياستين ، لأنه تقلد الوزارة
والسيف^(٢) ، وكان يتشيع .

وكان من أخبر الناس بعلم النجامة ، وأكثرهم إصابة في أحكامه .
حكى أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في تاريخ ولاية خراسان : أن طاهر
ابن الحسين المقدم ذكره لما عزم المأمون على إرساله إلى محاربة أخيه محمد الأمين
نظر الفضل بن سهل في مسأله ، فوجد الدليل في وسط السماء ، وكان ذايمينين ،
فأخبر المأمون بأن طاهراً يظفر بالأمين ، ويلقب بذي اليمينين ، فتعجب المأمون
من إصابة الفضل ، ولقب طاهراً بذلك ، وأولع بالنظر في علم النجوم .

(١) فراهة المملوك : عنته ورجوعه إلى أصل كريم

(٢) في ١ « لأنه يتقلد الوزارة والسيف »

وقال السلمي أيضا : ومما أصاب الفضل بن سهل فيه من أحكام النجوم أنه اختار لطاهر بن الحسين حين سعى للخروج إلى الأمين وقتاً ، فعقد فيه لواءه وسلمه إليه ، ثم قال له : قد عقدت لك لواء لا يحل خمساً وستين سنة ، فكان بين خروج طاهر بن الحسين إلى وجهه على بن عيسى بن ماهان ، مقدم جيش الأمين ، وقبض يعقوب بن الليث الصفار على محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بنيسابور خمس وستون سنة .

وكان قبض يعقوب بن الليث على محمد المذكور يوم الأحد لليلتين خلتا من شوال سنة تسع وخمسين ومائتين .

ومن إصاباته أيضا : ما حكم به على نفسه ، وذلك أن المأمون طالب والدّة الفضل بما خلفه ، فحملت إليه سلة محتومة مقفلة ، ففتح قفلها ، فإذا صندوق صغير محتوم ، وإذا فيه درج ، وفي الدرج رقعة من حرير مكتوب فيها بخطه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما قضى الفضل بن سهل على نفسه ، قضى أنه يعيش ثمانيا وأربعين سنة ، ثم يقتل ما بين ماء ونار » فعاش هذه المدة ، ثم قتله غالب خال المأمون في حمام بسرّ خسر ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى . وله غير ذلك إصابات كثيرة .

ويحكى أنه قال يوما لشامة بن الأشرس : ما أدري ما أصنع بطلاب الحاجات ؟ فقد كثروا على وأضجروني ! فقال له : زل من موضعك ، وعلى أن لا يلقاك أحد منهم ، فقال : صدقت ، وانتصب لقضاء أشغالهم .

وكان قد مرض بخراسان وأشفى على التلف ، فلما أصاب العافية جلس للناس ، فدخلوا عليه ، وهنّوه بالسلامة ، وتصرفوا في الكلام ، فلما فرغوا من كلامهم أقبل على الناس ، وقال : إن في العلل لنعما لا ينبغي للعقلاء أن يجھلوها : تمحيص الذنوب ، والتعرض لثواب الصبر ، والإيقاظ من الغفلة ، والإذكار بالنعمة في حال الصحة ، واستدعاء التوبة ، والحض على الصدقة ، وقد مدحه جماعة من أعيان

الشعراء، وفيه يقول إبراهيم بن العباس الصولى، وقد سبق ذكره [من مجزوء المتقارب]:

لفضل بن سهل يدٌ تقاصر عنها المثل^(١)

فنائلهما للغنى وسطوتها للأجل

وباطنها للندى وظاهرها للقبيل

ومن ههنا أخذ ابن الرومى قوله فى الوزير القاسم بن عبيد الله من جملة أبيات

[من الكامل]:

أصبحتُ بين خصاصة وتجمُّلٍ والحرُّ بينهما يموت هز يلا

فامدُّ إلى يدٍ تعودَ بطنها بدلَ النوال وظهرُها التقبيل

وفيه يقول أبو محمد عبد الله بن محمد، وقيل: ابن أيوب التميمى [من

الطويل]:

لعمرك ما الأشرافُ فى كل بلدة وإن عظموا للفضل إلا صنائعُ

ترى عطاءَ الناس للفضل خُسعا إذا ما بدا، والفضلُ لله خاشعُ

تواضعَ لما زاده الله رفعةً وكلُّ جليلٍ عنده متواضعُ

وقال فيه مسلم بن الوليد الأنصارى المعروف بصريع الغواني من جملة قصيدة

[من الوافر]:

أقمت خلافةً وأزلت أخرى جليلٌ ما أقمت وما أزلت

وحكى الجهمشيارى أن الفضل بن سهل أصيب بآبن له يقال له العباس، فجزع عليه

جزعا شديداً، فدخل عليه إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوى وأنشده [من الكامل]:

خيرٌ من العباس أجرك بعده والله خيرٌ منك للعباس

فقال: صدقت، ووصله وتعزى له.

(١) فى « تقاصر فيها المثل »

ولما ثقل أمره على المأمون دس عليه خاله غالباً السعوى الأسود ، فدخل عليه الحمام بسرّ خُس ، ومعه جماعة ، وقتلوه مُغَافِصَةً^(١) ، وذلك يوم الخميس ثاين شعبان سنة اثنتين ومائتين ، وقيل : ثلاث ومائتين ، وعمره ثمان وأربعون سنة ، وقيل : إحدى وأربعون سنة وخمسة أشهر ، والله أعلم .
وذكر الطبرى فى تاريخه أنه كان عمره ستين سنة ، وقيل : سنة اثنتين ومائتين يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان .

قلت : وهو الصحيح .

ورثاه مسلم بن الوليد ودعبل وإبراهيم بن العباس ، رحمه الله تعالى !
ومات والده سهل فى سنة اثنتين أيضاً ، بعد قتل ابنه بقليل .
وعاشت أمه وأم أخيه الحسن حتى أدركت عُرُس بوران على المأمون .

ولما قتل مضى المأمون إلى والدته ليعزيها ، فقال لها : لا تأسى عليه ، ولا تحزنى لفقده ، فان الله قد أخلف عليك منى ولداً يقوم مقامه ، فهما كنت تنبسطين إليه فيه فلا تنقبضى عنى منه ، فبككت ، ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أحزن على ولد أ كسبنى ولداً مثلك ؟ .

والسرّ خُسى — بفتح السين المهملة والراء ، وسكون الخاء المعجمة ، وبعدها سين مهملة — هذه النسبة إلى سرّ خُس ، وهى مدينة بخراسان .

(١) تقول : غافص فلان فلانا مغافصة ، إذا كان قدفاجأه وأخذته على غرة وبغير شعور من المأخوذ

(٥٠٣)

أبو العباس
الفضل بن
مروان الوزيد

أبو العباس الفضل بن مروان بن ماسرخس
وزير المعتصم

وهو الذى أخذ له البيعة [ببغداد] وكان المعتصم يومئذ ببلاد الروم ، فانه توجه إليها صحبة أخيه المأمون ، فاتفق موت المأمون هناك ، وتولى المعتصم بعده ، واعتد له المعتصم بها يداً عنده ، وقوَّضَ إليه الوزارة يوم دخوله بغداد ، وهو يوم السبت مستهل شهر رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين ، وخلع عليه ، ورد أموره كلها إليه ، فغلب عليه بطول خدمته ، وتربته إياه ، واستقل بالأمر ، وكذلك كان فى أواخر ولاية المأمون ، فانه غلب عليه كثيراً ، وكان نصرانى الأصل ، قليل المعرفة بالعلم ، حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، وله ديوان رسائل وكتاب « المشاهدات والأخبار » التى شاهدها ، ومن كلامه : مَثَلُ الكَاتِبِ كالدُّوْلَابِ إِذَا تَعَطَّلَ انْكَسَرَ ، وكان قد جلس يوماً لقضاء أشغال الناس ورفعت إليه قصص العامة ، فرأى فى جملة رقة مكتوباً فيها [من الطويل] :

تَفَرَّعَتْ يَافُضْلُ بْنُ مَرْوَانَ فَاعْتَبِرْ فِقَبْلِكَ كَانَ الْفَضْلُ وَالْفَضْلُ وَالْفَضْلُ
ثَلَاثَةُ أَمْلَاقٍ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ أَبَادَتَهُمُ الْإِقْيَادُ وَالْحَبْسُ وَالْقَتْلُ
وَإِنَّكَ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي النَّاسِ ظَالِمًا سَتَوْدَى كَمَا أَوْدَى الثَّلَاثَةُ مِنْ قَبْلُ

أراد الفضول الثلاثة الذين تقدم ذكرهم ، وهم : الفضل بن يحيى البرمكى ، والفضل بن الربيع ، والفضل بن سهل .

وذكر المرزبانى فى معجم الشعراء هذه الأبيات للهيثم بن فراس السامى ، من بنى سامة بن لؤى ، وكذا ذكرها الزخشرى فى كتاب « ربيع الأبرار » .

ومثل هذه القضية ما جرى لأسد بن رزين الكاتب ، فانه جاء إلى باب

أبى عبد الله الكوفي لما قلده مكان أبى جعفر بن شيرزاد ، وانتقل إلى داره ،
وجلس في دسته ، فمنعه البواب من الدخول إليه ، فرجع إلى داره وكتب إليه
[من اليسيط] :

إنا رأينا حجاباً منك قد عرضاً فلا يكن ذلنا فيه لك الغرضاً

اسمع مقالى ولا تغضب على فما أبغى بذلك لا مالا ولا عَرْضاً

الشكر يبقى ويفنى ما سواه ، ولم سواك قد نال ملكاً فاقضى ومضى

في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأيت العز وانتقراً

فلما وقف أبو عبد الله على هذه الآيات استدعاه ، واعتذر إليه وقضى حاجته .

وقد سبق نظير هذا في ترجمة عبد الملك بن عمير ، وما جرى له مع عبد الملك

ابن مروان الأموى لما حضر بين يديه رأس مصعب بن الزبير ، فلي نظر هناك .

ثم إن المعتصم تغير على الفضل بن مروان ، وقبض عليه في رجب سنة إحدى

وعشرين ومائتين ، فلما قبض عليه قال : عصى الله في طاعتي فسأطنى عليه ،

ثم خدم بعد ذلك جماعة من الخلفاء ، ثم توفى في شهر ربيع الآخر سنة خمسين

ومائتين ، وعمره ثمانون سنة ، رحمه الله تعالى !

وقال في كتاب الفهرست : عاش ثلاثاً وتسعين سنة ، والله أعلم بالصواب .

وقال الطبرى : كانت نكبته في صفر من السنة المذكورة .

وقال الصولى : أخذ المعتصم من داره لما نكبه ألف ألف دينار ، وأخذ أثاثاً

وأثية بألف ألف دينار ، وحبسه خمسة أشهر ، ثم أطلقه وألزمه بيته ، واستوزر

أحمد بن عمار .

ومن كلامه : لا تتعرض لعدوك وهو مقبل ، فان إقباله يعينه عليك ، ولا

تتعرض له وهو مدبر ، فان إدباره يكفيك أمره .

(٥٠٤)

أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر، التميمي، الطائفة القاني الأصل،
ابن عياض الزاهد الفندي، الزاهد المشهور، أحد رجال الطريقة

كان في أول أمره^(١) شاطراً يقطع الطريق بين أيورّد وسرخس، وكان سبب
توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقى الجدران إليها سمع تالياً ينلو (ألم يأن للذين
آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) فقال: يارب قد آن، فرجع، وآواه الليل إلى
خربة فاذا فيها رفقة، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح فان
فضيلاً في الطريق يقطع علينا، فتاب الفضيل وآمنهم، وكان من كبار
السادات.

حدث سفيان بن عيينة قال: دعانا هرون الرشيد فدخلنا عليه، ودخل
الفضيل آخرنا مقنعاً رأسه بردائه، فقال لي: ياسفيان، وأيهم أمير المؤمنين؟ فقلت:
هذا، وأومات إلى الرشيد، فقال له: يا حسن الوجه، أنت الذي أمر هذه الأمة
في يدك وعنقك؟ لقد تقلدت أمراً عظيماً، فبكى الرشيد، ثم أتى كل رجل من
بكرة، فكل قبلها إلا الفضيل، فقال الرشيد: يا أبا علي إن لم تستحل أخذها
فأعطها ذارين أو أشبع بها جائعاً أو اكس بهاعارياً، فاستغفاه منها، فلما خرجنا
قلت: يا أبا علي، أخطأت، ألا أخذتها وصرقتها في أبواب البر، فأخذ بلحيتي
ثم قال: يا أبا محمد، أنت فقيه البلد والمنظور إليه وتغلط مثل هذا الغلط؟ لو طابت
لأولئك لطابت لي.

ويحكى أن الرشيد قال له يوماً: ما أزهديك! قال له الفضيل: أنت أزهديني،
قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنني أزهدي في الدنيا، وأنت تزهدي في الآخرة، والدنيا
فانية، والآخرة باقية.

(١) في «في أول عمره»

وذكر الزخشرى فى كتاب « ربيع الأبرار » فى آخر باب الطعام أن الفضيل قال يوماً لأصحابه : ماتقولون فى رجل فى كهة تمر ثم يقعد على رأس الكنيف فيطرحه فيه ^(١) تمر فتمره ؟ قالوا : هو مجنون ، قال : فالذى يطرحه فى بطنه حتى يحشوه فهو أجن منه ، فان هذا الكنيف يُملأ من هذا الكنيف .

ومن كلام الفضيل : إذا أحب الله عبداً أكثر غمه ، وإذا أبغض عبداً : أوسع عليه دنياه ، وقال : لو أن الدنيا بخدا فيرها عُرِضت على أن لا أحاسب عليها لسكنت أتقندرها كما يتقندر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه ، وقال ترك العمل لأجل الناس هو الرياء ، والعمل لأجل الناس هو الشرك ، وقال : إني لأعصى الله تعالى فأعرف ذلك فى خلق حمارى وخادى ، وقال : لو كانت لى دعوة مستجابة لم أجعلها إلا فى إمام ، لأنه إذا صلح الإمام أمن العباد ، وقال : لأن يلاطف الرجل أهل مجلسه ويحسن خلقه معهم خير له من قيام ليله وصيام نهاره ، وقال أبو على الرازى : صَحِبَتِ الفضيل ثلاثين سنة ، ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه على ، فقلت له فى ذلك ، فقال : إن الله أحب أمراً فأحببت ذلك الأمر ، وكان ولده المذكور شاباً سريراً من كبار الصالحين ، وهو معدود فى جملة من قتلهم محبة البارى سبحانه وتعالى ، وهم مذكورون فى جزء سمعناه قديماً ولا أذكر الآن مَنْ مؤلفه ، وكان عبد الله بن المبارك رضى الله يقول : إذا مات الفضيل ارتفع الحزن من الدنيا .

ومناقب الفضيل كثيرة .

ومولده بأبيورد ، وقيل : بسمرقند ، ونشأ بأبيورد ، وقدم الكوفة ، وسمع الحديث بها ، ثم انتقل إلى مكة شرفها الله تعالى ، وجاور بها إلى أن مات فى الحرم سنة سبع وثمانين ومائة ، رضى الله عنه ! .

والطالقاني : نسبة إلى طالقان خراسان ، وقد تقدم الكلام عليها في ترجمة
الصاحب بن عباد في حرف الهمزة .

والفنديني — بضم الفاء ، وسكون النون ، وكسر الدال المهملة ، وسكون
الياء المثناة من تحتها ، وفي آخرها نون — هذه النسبة إلى فندين ، وهي من
قرى مرو .

وأبيورذ — بفتح الهمزة ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من
تحتها ، وفتح الواو ، وسكون الراء ، وبعدها دال مهملة — بليدة بخراسان .

وسمرقند — بفتح السين المهملة والميم ، وسكون الراء ، وفتح القاف ،
وسكون النون ، وبعدها دال مهملة — أعظم مدينة بما وراء النهر ، قال ابن قتيبة
في كتاب المعارف في ترجمة شمر بن أفرقش أحد ملوك اليمن : إنه خرج في جيش
عظيم ودخل العراق ، ثم توجه يريد الصين فأخذ على فارس وسجستان وخراسان
وافتح المدائن والقلاع ، وقتل وسبي ، ودخل مدينة الصفد فهدمها فسميت شمر كند
أي : شمر أخربها ، لأن « كند » بالعجمي معناه بالعربي أخرب ، ثم عربها الناس
فقالوا : سمرقند ، ثم أعيدت عمارتها ، فبقي ذلك الاسم عليها .

(٥٠٥)

أبو شجاع
عضد الدولة
فناخسرو
الديلي

أبو شجاع فَنَّاخُسْرُو، الملقب عَضْدُ الدولة بن ركن الدولة

أبي على الحسن بن بُوِيَه ، الديلي

وقد تقدم تمام نسبه في ترجمة عمه معز الدولة أحمد في حرف الهمزة ،
فليطلب هناك .

ولما مرض عمه عماد الدولة بفارس أتاه أخوه ركن الدولة واتفقا على تسليم
فارس إلى أبي شجاع فَنَّاخُسْرُو بن ركن الدولة ، ولم يكن قبل ذلك يلقب
بعضد الدولة ، فتسلمها بعد عمه ، ثم تلقب بذلك .

وقد تقدم أيضا ذكر والده ، وعمه الأكبر عماد الدولة أبي الحسن على ،
وابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة .

وهؤلاء كلهم - مع عظم شأنهم وجلالة أقدارهم - لم يبلغ أحد منهم ما بلغه
عضد الدولة من سعة المملكة ، والاستيلاء على الملوك وممالكهم ، فانه جمع بين
مملكة المذكورين كلهم ، وقد ذكرت في ترجمة كل واحد منهم ما كان له من
الممالك ، وضم إلى ذلك الموصل وبلاد الجزيرة وغير ذلك ، ودانت له البلاد والعباد
ودخل في طاعته كل صعب القياد ، وهو أول من خوطب بالملك في الاسلام ، وأول
من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان من جملة ألقابه « تاج الملة »
ولما صنف له أبو إسحاق الصابي كتاب « التاجي » في أخبار بني بويه أضافه إلى
هذا اللقب ، وقد تقدم خبر هذا الكتاب في ترجمته ، وكان فاضلا ، محبا للفضلاء
مشاركا في عدة فنون ، وصنّف له الشيخ أبو على الفارسي كتاب « الايضاح »
و « التكملة » في النحو ، وقد سبق ذكره في ترجمته ، وقصده فحول الشعراء في
عصره ، ومدحوه بأحسن المدائح ، فتنهم أبو الطيب المتنبي ، ورَدَ عليه وهو
بشيراز في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وثلثمائة ، وفيه يقول من جملة قصيدته
المشهورة الهائية [من المنسرح] :

وقد رَأَيْتُ الملوكة قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوْلَاهَا
وَمَنْ مِنْهَا يَهُودٌ بِرَاحَتِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا
أَبَا شَجَاعَ بِفَارِسِ عَضْدِ السُّدُولَةِ فَنَآخُسِرُو شَهْنَشَاهَا
أَسَامِيَا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَاهَا

وهذه القصيدة أول شيء أنشده ، ثم أنشده في هذا الشهر قصيدته النونية
التي ذكر فيها شعب بَوَّانٍ ، ومنها قوله [من الوافر] :

يَقُولُ بِشُعْبِ بَوَّانٍ حِصَانِي أَعْنِ هَذَا يُسَارِ إِلَى الطَّعَانِ
أَبُوكُمُ آدَمُ سَنَ الْمَعَاصِي وَعَلَّكُمْ مَفَارِقَهُ الْجَنَانِ
فَقُلْتُ : إِذَا رَأَيْتَ أَبَا شَجَاعٍ سَلَوْتَ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ
فَإِنَّ النَّاسَ وَالْدُنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالَهُ فِي النَّاسِ ثَانِي

ومدحه بعد ذلك بعدة قصائد ، ثم أنشده قصيدته الكافية يودعه فيها ، ويَعِدُّهُ
بالعود إلى حضرته ، وذلك صدر شعبان من السنة المذكورة ، وهي آخر شعر المتنبي
فانه قتل في عَوْدِهِ مِنْ عِنْدِهِ كَمَا سَبَقَ فِي تَرْجُمَتِهِ ، وَمِنْ جُمْلَةِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ [مِنْ
الوافر] :

أَرْوَحُ وَقَدْ خَسَمْتُ عَلَى فُؤَادِي بِحُبِّكَ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سِوَاكَ
وَقَدْ حَمَلْتَنِي شُكْرًا طَوِيلًا ثَقِيلًا لَا أَطِيقُ بِهِ حَرَكَاتَكَ
أَحَازِرُ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمَطَايَا فَلَا تَمْشِ بِنَا إِلَّا سِوَاكَ^(١)
لَعَلَّ اللَّهَ يُجْعِلُهُ رَحِيلًا يُعِينُ عَلَى الْإِقَامَةِ فِي ذَرَاكَ

(١) السواك مشى ضعيف من مشى الإبل المهازبل الضعاف ، قال عبيدة بن هلال

الشكري :

إِلَى اللَّهِ نَشْكُو مَا تَرَى مِنْ جِيَادِنَا تَسَاوُكُ هَزَلِي مُخْبَنٌ قَلِيلُ

فلو أنى استطعت خففت طرفى فلم أبصر به حتى أراكا
وكيف الصبرُ عنك وقد كفانى نذاك المستفيضُ وما كفاكا
وما أحسن قوله فيها :

ومن أعتاض عنك إذا افترقنا وكلُّ الناس زورٌ ما خلاكا
وما أنا غيرَ سهمٍ فى هواءٍ يعودُ ولم يجد فيه امتساكا

وقصده أيضا أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى، وكان عين شعراء العراق، وأنشده قصيدته البديعة التى منها [من الطويل] :

إليك طوى عرض البسيطة جاعل
قصارى المطايا أن يلوح لها القصرُ
فكنت وعزمتى فى الظلام وصارمى

ثلاثة أشياء كما اجتمع النسرُ
وبشرتُ آمالى بملك هو الورى ودارهى الدنيا ويوم هو الدهر

وعلى الحقيقة هذا الشعر هو السحر الحلال كما يقال ، وقد أخذ هذا المعنى القاضى أبو بكر أحمد الأرجانى المقدم ذكره وعمل [من البسيط] :

يا سائلى عنه لما جئت أمدحه هذا هو الرجل العارى من العار
كم من شئوفٍ لطافٍ من محاسنه

علقن منه على آذان ثمار
لقيمة فرأيت الناس فى رجلٍ والدهر فى ساعة والأرض فى دار

ولكن أين الثريا من الثرى ؟ وهذا المعنى موجود فى الشطر الأخير من بيت المتنبي ، وهو [من الطويل] :

هى الغرض الأقصى ، ورؤيتك المتى ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلاق

ولكنه ما استوفاه ، فانه ما تعرض إلى ذكر اليوم الذى جعله السلامى هو
الدهر ، فليس له طلاوة بيت السلامى .

رجعنا إلى ذكر عضد الدولة .

كتب إليه أبو منصور أفتكين التركى متولى دمشق كتابا مضمونه أن الشام
قد صفا وصار فى يدي ، وزال عنه حكم صاحب مصر ، وإن قويتنى بالأموال
والعدد حاربت القوم فى مستقرهم ، فكتب عضد الدولة جوابه هذه الكلمات ،
وهى متشابهة فى الخط لا تقرأ إلا بعد الشكل والنقط والضبط ، وهى « غَرَكْ عِرْكَ
فِصَارْ قِصَارْ ذَلِكَ ذَلِكَ ، فَاخْشَ فَاخْشَ فِعْلَكَ فِعْلَكَ بِهَذَا تَهْدَأْ » ولقد أبدع فيها
كل الإبداع ، وكان أفتكين المذكور مولى معز الدولة بن بويه ، فتغلب على دمشق
وخرج على العزيز العبيدى صاحب مصر ، وقصده بنفسه ، والنقى جيشاهما ،
وجرت مقتلة عظيمة [بينهما] وانكسر أفتكين ، وهرب ، وقطع عليه الطريق
دغفل بن الجراح البدوى وحمله إلى العزيز وفى عنقه حبل ، فأطلقه وأحسن إليه ،
وأقام يسيرا ، ومات أفتكين سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! يوم
الثلاثاء لسبع خلون من رجب .

وكانت لعضد الدولة أشعار ، فمن ذلك ما أورده [له] أبو منصور الشعالى فى كتاب
« يتيمة الدهر » وقال : اخترت من قصيدته التى فيها البيت الذى لم يفلح بعده
أبياتا ، وهى [من الرمل] :

ليس شربُ الراحِ إلا فى المطر وغناء من جَوَّارِ فى السَّحَرِ
غانياتٍ سالباتٍ للنهى ناعماتٍ فى تضاعيفِ الوترِ
مبرزات الكأس من مَطْلَعِهَا ساقيات الراح من فاق البشرِ
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدرِ
فيحكى عنه أنه لما احتضر لم يكن لسانه ينطق إلا بتلاوة (ما أغنى عنى ماله
هلك عنى سلطانيه) ويقال : إنه ما عاش بعد هذه الأبيات إلا قليلا ، وتوفى بعلّة

الصرع في يوم الاثنين ثامن شوال سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة ، ببغداد ، ودفن بدار الملك بها ، ثم نقل إلى الكوفة ، ودفن بمشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ! وعمره سبع وأربعون سنة وأحد عشر شهرا وثلثة أيام ، رحمه الله تعالى !

والبيارستان العسدي ببغداد منسوب إليه ، وهو في الجانب الغربي ، وغرم عليه مالا عظيما ، وليس في الدنيا مثل ترتيبه ، وفرغ من بنائه سنة ثمان وستين وثلثمائة ، وأعد له من الآلات ما يقصر الشرح عن وصفه ، وهو الذي أظهر قبر علي ابن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة ، وبني عليه المشهد الذي هناك ، وغرم عليه شيئا كثيرا ، وأوصى بدفنه فيه ، وللناس في هذا القبر اختلاف كثير ، حتى قيل : إنه قبر المغيرة بن شعبه الثقفي ، فان عليا رضي الله عنه لا يعرف قبره ، وأصح ما قيل فيه : إنه مدفون بقصر الامارة بالكوفة ، والله أعلم .

وَفَتْنًا خُسْرُو — بفتح الفاء ، وتشديد النون ، وبعد الألف خاء معجمة مضمومة ، وسين ساكنة ، وبعدها راء مضمومة ثم واو .

وَشَعْبُ بَوَّانٍ — بكسر الشين المعجمة ، وسكون العين المهملة ، وبعدها باء موحدة ، ثم باء ثانية مفتوحة ، بعدها واو مشددة ، وبعد الألف نون — وهو موضع عند شيراز كثير الأشجار والمياه ، وهو منسوب إلى بَوَّان بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام ، قال أبو بكر الخوارزمي : منتزهات الدنيا ^(١) أربعة مواضع : غُوطَة دمشق ، ونهر الأُبُلَّة ، وشعب بَوَّان ، وصغد سمرقند ، وأحسنها غُوطَة دمشق ، والله أعلم .

(١) في « في منتزهات الدنيا » ولا محل لكلمة « في »

(٥٠٦)

أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضى الله عنه !

ونسبه معروف ، فلا حاجة إلى رفعه

أبو محمد
القاسم بن محمد
ابن أبي بكر
الصديق

كان من سادات التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، وقد تقدم ذكر ستة منهم ، وكان أفضل أهل زمانه ، روى عن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ! وروى عنه جماعة من كبار التابعين ، قال يحيى بن سعيد : ما أدركنا أحدا نفضله على القاسم بن محمد ، وقال مالك : كان القاسم من فقهاء هذه الأمة ، وقال محمد بن إسحاق : جاء رجل إلى القاسم بن محمد ، فقال : أنت أعلم أم سالم ، فقال : ذاك مبارك سالم ، قال ابن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم مني فيكذب ، أو يقول أنا أعلم منه فيزكي نفسه ، وكان القاسم أعلمهما ، وكان القاسم بن محمد يقول في سجوده : اللهم اغفر لأبي ذنبه في عثمان ، وقد تقدم في ترجمة زين العابدين على بن الحسين رضى الله عنهما أنهما كانا ابني خالة ، وأن القاسم بن محمد والدته ابنة يزدجرد آخر ملوك الفرس ، وكذلك زين العابدين وسالم بن عبد الله بن عمر ، والقصة مستوفاة هناك .

وتوفي سنة إحدى أو اثنتين ومائة ، وقيل : سنة ثمان ، وقيل : اثنتى عشرة ومائة بقديس ، فقال : كفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها قميصي وإزارى وردائى ، فقال ابنه : يا أبت ألا نزيد ثوبين ، فقال : هكذا كفن أبو بكر في ثلاثة أثواب ، والحق أحوج إلى الجديد من الميت ، وكان عمره سبعين سنة أو اثنتين وسبعين سنة ، رضى الله عنه !

وقديس — بضم القاف ، وفتح الدال المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها دال مهملة — وهو منزل بين مكة والمدينة .

(٥٠٧)

أبو عبيد
القاسم
ابن سلام

أبو عبيد القاسم بن سلام، بتشديد اللام
كان أبوه عبداً رومياً لرجل من أهل هَرَآة، واشتغل أبو عبيد بالحديث
والأدب والفقه، وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع، وقال القاضي
أحمد بن كامل: كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وعلمه، ربانياً، متفنياً في أصناف
علوم الاسلام من القراءات والفقه والعربية والأخبار، حسن الرواية، صحيح
النقل، لا أعلم أحداً من الناس طعن عليه في شيء من أمر دينه، قال إبراهيم
الحاربي: كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يُحسِّن كل شيء، وولى القضاء
بمدينة طَرَسُوسَ ثمانى عشرة سنة، وروى عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي
وأبي عبيدة وابن الأعرابي والكسائي والفراء وجماعة كثيرة غيرهم، وروى الناس
من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتاباً في القرآن الكريم والحديث وغيره
[والفقه]^(١) وله «الغريب المصنف» و«الأمثال» و«معاني الشعر» وغير ذلك
من الكتب النافعة، ويقال: إنه أول من صنف في غريب الحديث، وانقطع
إلى عبد الله بن طاهر مدة، ولما وضع كتاب «الغريب» عرضه على عبد الله
ابن طاهر، فاستحسنه وقال: إن عقلا بحث صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق
ألا يُخَوِّجَ إلى طلب المعاش، وأجرى عليه عشرة آلاف درهم في كل شهر.
وقال محمد بن وهب المشعري^(٢): سمعت أبا عبيد يقول: مكثت في تصنيف
هذا الكتاب أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال
فأضعها في موضعها من الكتاب، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة،
وأحدكم يحميني فيقيم أربعة أو خمسة أشهر فيقول: قد أقت كثيراً.
وقال الهلال بن العلاء الرقي: من الله تعالى على هذه الأمة بأربعة في زمانهم:
بالشافعي تفقه في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأحمد بن حنبل ثبت

(٢) في «محمد بن وهب المسعودي»

(١) زيادة في ب وحدها

في الحنة ولولا ذاك لكفر الناس ، وبيحي بن مَعِين نفى الكذب عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبأبي عبيد القاسم بن سلام فسر غريب الحديث ولولا ذاك لاقتحم الناس الخطأ (١) .

وقال أبو بكر بن الأنباري : كان أبو عبيد يقسم الليل أثلاثاً : فيصلي ثلثه ، وينام ثلثه ، ويضع الكتب ثلثه .

وقال إسحاق بن راهويه : أبو عبيد أوسعنا علماً ، وأكثرنا أدباً ، وأجمعنا جمعاً ، إنا نحتاج إلى أبي عبيد ، ولا يحتاج إلينا .

وقال ثعلب : لو كان أبو عبيد في بني إسرائيل لكان عجباً .

وكان يخضب بالحناء ، أحمر الرأس واللحية ، وكان له وقار وهيبة ، وقدم بغداد فسمع الناس منه كتبه ، ثم حج وتوفي بمكة ، وقيل : بالمدينة ، بعد الفراغ من الحج ، سنة اثنتين أو ثلاث وعشرين ومائتين ، وقال البخاري : سنة أربع وعشرين ، وزاد غيره : في الحرم ، وقال الخطيب في تاريخ بغداد : بلغني أنه عاش سبعاً وستين سنة .

وذكر الحافظ ابن الجوزي أن مولده سنة خمسين ومائة ، وقال أبو بكر الزبيدي في كتاب التقریط (٢) : إن مولده سنة أربع وخمسين ومائة ، وذكر أن أبا عبيد لما قضى حجه وعزم على الانصراف واكترى إلى العراق ، رأى في الليلة التي عزم على الخروج في صبيحتها النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وهو جالس على رأسه قوم يحجبونه وناس يدخلون فيسهلون عليه ويصافحونه ، قال : فكلما دنوت لأدخل منعت ، فقلت لهم : لم لا تدخلون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا والله لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غداً إلى العراق ، فقلت لهم : إني لا أخرج إذاً ، فأخذوا عهدي ، ثم خسلوا بيني وبين

(١) في ١ « لاقتحم الناس في الخطأ »

(٢) في ١ « التقریط » بالطاء المعجمة

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخلت وسلمت عليه وصالحني ، فأصبحت
ففسخت السكراء ، وسكنت بمكة ، ولم يزل بها إلى الوفاة ، ودفن في دور جعفر ،
وقيل : إنه رأى المنام في المدينة ومات بها بعد رحيل الناس عنها بثلاثة أيام ،
رحمه الله تعالى ! ومولده بهرة .

وطرأسوس — بفتح الطاء المهملة والراء ، وضم السين المهملة ، وسكون
الواو ، وبعدها سين ثانية — وهي مدينة بساحل الشام عند السيس والمصيصة
بناها المهدي بن المنصور أبي جعفر في سنة ثمان وستين ومائة ، على ما حكاه ابن
الجزار في تاريخه .

ومن تصانيفه أيضاً « المقصور والممدود » في القراءات ، و « المذكر والمؤنث »
وكتاب « النسب » وكتاب « الأحداث » و « أدب القاضي » و « عدد آي
القرآن » و « الأيمان والندور » و « الحيض » وكتاب « الأموال » وغير ذلك
رحمه الله تعالى !

(٥٠٨)

أبو محمد
القاسم بن علي
الحريري
الحرامي

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، الحريري ، البصري ، الحراري
صاحب المقامات

كان أحد أئمة عصره ، وورث الحظوة الثابتة في عمل المقامات ، واشتملت على
شئ كثير من كلام العرب ، من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها ، ومن عرفها
حق معرفتها استدلت بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته ، وكان
سبب وضعه لها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال : كان أبي جالساً في مسجده
ببني حرّام فدخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رثّ الحال فصيح الكلام
حسن العبارة ، فسأله الجماعة : من أين الشيخ ؟ فقال : من سرّوج ، فاستخبروه
عن كنيته ، فقال : أبو زيد ، فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية ، وهي الثامنة

والأربعون ، وعزّاها إلى أبي زيد المذكور ، واشتهرت ، فبلغ خبرها للوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان [بن محمد]^(١) بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله ، فلما وقف عليها أعجبت ، وأشار على والدي أن يضم إليها غيرها ، فأتتها خمسين مقامة ، وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله : « فأشار من إشارته حكم ، وطاعته غنم ، إلى أن أنشئ مقامات أتلف فيها نلوا البديع ، وإن لم يدرك الظالم شأوا الضليع » هكذا وجدته في عدة تواريخ ، ثم رأيت في بعض شهور سنة ست وخمسين وستمائة بالقاهرة المحروسة نسخة مقامات وجميعها بخط مصنفها الحريري ، وقد كتب بخطه أيضا على ظهرها : إنه صنفا للوزير جمال الدين عميد الدولة أبي على الحسن بن أبي العز على بن صدقة وزير المسترشد أيضا ، ولا شك أن هذا أصح من الرواية الأولى لكونه بخط المصنف ، وتوفي الوزير المذكور في رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، فهذا كان مستنده في نسبتها إلى أبي زيد السروجي .

وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب في كتابه الذي سماه « إنباء الرواة » ، في أنباء النحاة^(٢) أن أبا زيد المذكور اسمه المطهر بن سلام ، وكان بصريا نحويا ، صاحب الحريري المذكور ، واشتغل عليه بالبصرة ، وتخرج به ، وروى عنه ، وروى القاضي أبو الفتح محمد بن أحمد بن المنندائي الواسطي عنه « ملححة الأعراب » للحريري ، وذكر أنه سمعها منه عن الحريري ، وقال : قدم علينا واسط في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، فسمعناها منه ، وتوجه منها مصعدا إلى بغداد ، فوصلها وأقام بها مدة يسيرة ، وتوفي بها ، رحمه الله تعالى ! وكذا ذكره السمعاني في « الذيل » والعماد في « الخريدة » وقال : لقبه فخر الدين ، وتولى صدرية المشان ، ومات بها بعد سنة أربعين وخمسمائة .

(١) سقط هذا الاسم من ا

(٢) سماه في كشف الظنون « إنباء الرواة » ، على أنباء النحاة » وحفظى في اسمه « إنباء الأنبا » ، على أنباء النحاة »

وأما تسمية الراوى لها بالخارث بن همام فأما عنى به نفسه ، هكذا وقفت عليه فى بعض شروح المقامات ، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم حارث ، وكلكم همام » فالخارث : الكاسب ، والهمام : كثير الاهتمام ، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام ، لأن كل واحد كاسب ومهتم بأموره .

وقد اعتنى بشرحها خلق كثير : فمنهم من طول ، ومنهم من اختصر . ورأيت فى بعض المجاميع أن الحريرى لما عمل المقامات كان قد عملها أربعين مقامة ، وحملها من البصرة إلى بغداد ، وادعاه ، فلم يصدقه فى ذلك جماعة من أدباء بغداد ، وقالوا : إنها ليست من تصنيفه ، بل هى لرجل مغربى من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادعاه ، فاستدعاه الوزير إلى الديوان ، وسأله عن صناعته ، فقال : أنا رجل منشىء ، فاقترح عليه إنشاء رساله فى واقعة عينها ، فانفرد فى ناحية من الديوان ، وأخذ الدواة والورقة ومكث زمانا كثيرا فلم يفتح الله سبحانه عليه بشىء من ذلك ، فقام وهو خجلان ، وكان فى جملة من أنكر دعواه فى عملها أبو القاسم على بن أفلح الشاعر المقدم ذكره ، فلما لم يعمل الحريرى الرسالة التى اقترحها الوزير أنشد ابن أفلح ، وقيل : إن هذين البيتين لأبى محمد بن أحمد المعروف بابن جكينى الحريرى البغدادى الشاعر المشهور [من المنسرح] :

شَيْخُنَا مِنْ رَبِيعَةِ الْفَرَسِ يَنْتَفُ عَشُونُهُ مِنَ الْهَوَسِ

أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ كَمَا رَمَاهُ وَسْطَ الدِّيَّانِ بِالْخَرْسِ

وكان الحريرى يزعم أنه من ربيعة الفرس ، وكان مولداً بمنتف لحيته عند الفسكرة ، وكان يسكن فى مشان البصرة ، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أخر وسيرهن ، واعتذر من عيه وحصره فى الديوان بما لحقه من المهابة .

وللحريرى تواليف حسان منها «درة الغواص» ، فى أوهم اغواص « ومنها «ملحة الاعراب» المنظومة فى النحو ، وله أيضا شرحها ، وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذى فى المقامات ، فمن ذلك قوله وهو معنى حسن [من البسيط] :

قال العواذلُ ما هَذَا الغرامُ به أما ترى الشَّعْرَ في خديهِ قد نَبَتَا
فقلتُ واللهُ لو أن المَقْدَلِي تأمل الرشد في عَيْنِيهِ ما ثَبَتَا
ومَنْ أَقَامَ بِأَرْضٍ وهى مُجْدِبَةٌ فكيف يرحل عنها والربيعُ آتِي
وذكر له عماد الدين الأصبهاني في كتاب الخريدة [من مجزوء الخفيف]:

كم ظباءٌ بحاجر فتنتُ بالحاجر
ونفوسٍ نفائسٍ خدرت بالخادر
وتثَنَّ خلاطر هاج وجد المُخَاطِرُ^(١)
وعِذَارٍ لأجلِهِ عاذلى عادَ عاذِرِي
وشجونٍ تضافرتُ عند كشفِ الضفائرِ

وله قصائد استعمل فيها التجنيس كثيرا .

ويحكى أنه كان دميما قبيح المنظر ، فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئا ، فلما رآه استزرى شكله ، ففهم الحريري ذلك منه ، فلما التمس منه أن يعلم عليه قال له : اكتب [من البسيط] :

ما أنتَ أولُ سائرِ غرهٍ قمرٌ ورائدٍ أعجميتهُ خضرةُ الدمنِ
فاخترُ لنفسكَ غيرى إننى رجلٌ مثلُ المعيدِى فاسمع بي ولا تترنِ
فخجل الرجل منه وانصرف .

وكانت ولادة الحريري في سنة ست وأربعين وأربعمائة .

وتوفى سنة ست عشرة ، وقيل : خمس عشرة وخمسمائة ، بالبصرة ، في سكة بنى حرّام ، وخلف ولدين ، وقال أبو المنصور بن الجواليقي : أجازنى المقامات نجم الدين عبد الله وقاضى قضاة البصرة ضياء الاسلام عبيد الله عن أبيهما منشأهما . ونسبته بالحرّامى إلى هذه السكة رحمه الله تعالى ! وهى بفتح الحاء المهملة والراء ، وبعد الألف ميم ، وبنو حرام : قبيلة من العرب سكنوا في هذه السكة فنسبت إليهم

(١) فى ١ ، ب « هاج وجد الخاطر » ولا يستقيم معه وزن البيت

والحريري : نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه .

والمشأن : بفتح الميم والشين المعجمة ، وبعد الألف نون — بليدة فوق البصرة كثيرة النخل ، موصوفة بشدة الوخم ، وكان أصل الحريري منها ، ويقال : إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة ، وإنه كان من ذوى اليسار .

والوزير أنوشروان المذكور كان نبيلاً فاضلاً جليل القدر ، له تاريخ لطيف سماه « صدور زمان الفتور ، وفتور زمان الصدور » ونقل منه العماد الأصهباني في كتاب « نصره الفترة ، وعصره الفطرة » الذى ذكر فيه أخبار الدولة السلجوقية نقلاً كثيراً ، وتوفى الوزير المذكور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! وأما ابن المندائى المذكور فهو أبو الفتح محمد بن أبى العباس أحمد بن بختيار ابن على بن محمد بن إبراهيم بن جعفر ، الواسطى ، المعروف بابن المندائى ، وقد أخذ عنه جماعة من الأعيان كالحافظ أبى بكر الحازمى وغيره ، وكانت ولادته فى شهر ربيع الآخر سنة سبع عشرة وخمسمائة بواسط ، وتوفى بها فى الثامن من شعبان سنة خمس وستمئة ، رحمه الله تعالى !

والمندائى — بفتح الميم ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة ، ومد الهمة والمعيدى — بضم الميم ، وفتح العين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة مكسورة ، وياء مشددة — وقد جاء فى المثل « تسمع بالمعيدى لأن تراه » وجاء أيضاً « تسمع بالمعيدى خير من أن تراه » وقال المفضل الضبى : أول من تكلم به المنذر بن ماء السماء ، قاله لشقة بن ضمرة التميمى الدارمى ، وكان قد سمع بذكره ، فلما رآه اقتحمته عينه ، فقال له هذا المثل وسار عنه ، فقال له شقة : أبيت اللعن ! إن الرجال ليسوا بجزر يراد منها الأجسام ، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فأعجب المنذر ما رأى من عقله وبيانه ، وهذا المثل يضرب لمن له صيت وذكر ولا منظر له ، والمعيدى : منسوب إلى معد بن عدنان ، وقد نسبوه بعد أن صغروه وخففوا منه الدال .

(٥٠٩)

أبو أحمد
القاسم
ابن المظفر
الشهرزورى

أبو أحمد القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم ، الشهرزورى ، والد
قاضى الخافقين أبى بكر محمد والمرضى أبى محمد عبد الله
وأبى منصور المظفر ، وهو جد بيت الشهرزورى قضاة الشام
والموصل والجزيرة ، وكلهم إليه ينتسبون

كان حاكما بمدينة إربل مدة ومدينة سنجار مدة ، وكان من أولاده وحفدته
علماء نجباء كرماء نالوا المراتب العلية وتقدموا عند الملوك وتحكموا وقضوا ونفقت
أسواقهم ، خصوصا حفيده القاضى كمال الدين محمد ومحبي الدين بن كمال الدين ،
وسياقى ذكرهما إن شاء الله تعالى ، وإلى الآن من نسله جماعة من الأعيان
والقضاة بالموصل ، وقدم بغداد غير مرة ، وذكره الحافظ أبو سعد السمعاني فى
كتاب « الذيل » ثم ذكره فى كتاب « الأنساب » فى موضعين : أحدهما فى
نسبة الإربلى ، وقال : كان منها — يعنى إربل — جماعة من العلماء ، منهم
أبو أحمد القاسم المذكور ، وقال : إنه شيبانى ، والثانى فى نسبة الشهرزورى ،
ذكره وذكر ولده قاضى الخافقين المذكور ، وأثنى عليه ، وذكره أبو البركات
ابن المستوفى فى تاريخ إربل ، وأورد له شعرا ، فمن ذلك قوله [من الخفيف] :

همتى دونها السها والزبانا قد علت جهدها فما تتدانى
فأنا متعصبٌ معنئى إلى أن تتفانى الأيام أو تتفانى

ورأيت فى كتاب « الذيل » للسمعاني هذين البيتين منسويين إلى ولده
أبى بكر محمد المعروف بقاضى الخافقين ، والله أعلم لمن هما منهما .

وتوفى القاسم المذكور سنة تسع وثمانين وأربعمائة ، بالموصل ، ودفن فى التربة
المعروفة به الآن المجاورة لمسجد جده أبى الحسن بن فرغان ، رحمه الله تعالى !
وأما ولده المرتضى عبد الله فهو والد القاضى كمال الدين ، وقد تقدم ذكره

في العبادة ، وأوردت قصيدته اللامية المعروفة بالموصلية .

وأما قاضي الخافقين فقد قال السمعاني : إنه اشتغل بالعلم على أبي إسحاق الشيرازي ، وولى القضاء بعدة بلاد ، ورحل إلى العراق وخراسان والجلال وسمع الحديث الكثير ، وسمع منه السمعاني ، وكانت ولادة قاضي الخافقين باربل سنة ثلاث - أو أربع - وخمسين وأربعمائة ، وتوفي في جمادى الآخرة (١) سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، ببغداد ، ودُفن في باب أبرز ، رحمه الله تعالى ! وإنما قيل له « قاضي الخافقين » لكثرة البلاد التي ولى فيها .

وأما المظفر فان السمعاني ذكره أيضاً في « الذيل » فقال : ولد باربل ، ونشأ بالموصل ، وورد ببغداد ، وتفقّه بها على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ورجع إلى الموصل ، ثم ولى قضاء سنجار على كبر سنه ، وسكنها ، وكان قد أضر ثم قال : سأله عن مولده ، فقال : ولدت في جمادى الآخرة - أو رجب - سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، باربل ، ولم يذكر وفاته .

والشهرزوري - بفتح الشين المعجمة ، وسكون الهاء ، وضم الراء والزاء (٢) ، وسكون الواو ، وبعدها راء - هذه النسبة إلى شهرزور ، وهي بلدة كبيرة معدودة من أعمال إربل ، بناها زور بن الضحاك ، وهي لفظة عجمية معناها بالعربي بلدة زور ، ومات بها الاسكندر ذو القرنين عند عوده من بلاد المشرق ، وحكى لي بعض أهلها وقد سأله عن قبره فقال : هناك قبر يعرف بقبر إسكندر ، ولا يعرف أهلها من هو ، وهي مدينة قديمة ، وحكى الخطيب في تاريخ بغداد أن الاسكندر جعل المدائن دار إقامته ، أعني مدائن كسرى ، ولم يزل بها إلى أن توفي هناك ، وحمل تابوته إلى الاسكندرية لأن أمه كانت مقيمة هناك ، ودُفن عندها ، والله أعلم .

(١) في ١ « في جمادى الأولى »

(٢) ضبطها ياقوت بفتح الراء ووافق فيما عدا ذلك .

(٥١٠)

أبو محمد القاسم بن ريزه بن أبي القاسم خلف بن أحمد ،
الرُعَيْنِيُّ ، الشاطبي ، الضرير ، المقرئ

أبو محمد
القاسم بن فيره
الرعي
الشاطبي

صاحب القصيدة التي سماها « حرز الأمانى » ، ووجه التهاني « في القراءات » ،
وعدها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً ، ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي عمدة
قراء هذا الزمان في نقلهم ، فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها
وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سبق إلى أسلوبها
وقد روى عنه أنه كان يقول : لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله عز وجل
بها ، لأنني نظمتهما لله تعالى مخلصاً في ذلك ، ونظم قصيدة دالية في خمسمائة بيت من
حفظها أحاط علماً بكتاب التمهيد لابن عبد البر ، وكان علماً بكتاب الله تعالى قراءةً
وتفسيراً ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزاً فيه ، وكان إذا قرئ عليه
صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه ، ويملي النكت على المواضع
التي تحتاج إليها ، وكان أوحده [زمانه] في علم النحو واللغة ، عارفاً بعلم الرؤيا ، حسن
المقاصد ، مخلصاً فيما يقول ويفعل ، وقرأ القرآن الكريم بالروايات على أبي عبد الله
محمد بن علي بن محمد بن أبي العاص النفري المقرئ وأبي الحسن علي بن محمد بن هذيل
الاندلسي ، وسمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة وأبي عبد الله
محمد بن عبد الرحيم الخزرجي وأبي الحسن بن هذيل والحافظ أبي الحسن بن النعمة
وغيرهم ، وانتفع به خلق كثير ، وأدركت من أصحابه جمعا كثيرا بالديار المصرية ،
وكان يجتنب فضول الكلام ، ولا ينطق في سائر أوقاته إلا بما تدعو إليه ضرورة ، ولا
يجلس للأقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة ، وكان يعتل العلة
الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه ، وإذا سئل عن حاله قال : بعافية ، لا يزيد على ذلك ،
أنشدني بعض أصحابه قال : كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا الغز ، وهو في نعش الموتى

فقلت له : فهل هوله ؟ فقال : لا أعلم ، ثم إنى وجدته بعد ذلك فى ديوان الخطيب
أبى زكريا يحيى بن سلامة الحصكى ، وسيأتى ذكره إن شاء الله تعالى ، وهو
[من الطويل] :

أُتَعِرِفُ شَيْئاً فى السَّمَاءِ يَطِيرُ إِذَا سَارَ صَاحُ النَّاسِ حَيْثُ يَسِيرُ^(١)
فَتَلْقَاهُ مَرْكُوباً وَتَلْقَاهُ رَاكِباً وَكُلُّ أَمِيرٍ يَعْتَلِيهِ أُسِيرُ
يَحْضُ عَلَى التَّقْوَى وَيَكْرَهُ قُرْبَهُ وَتَنْفَرُ مِنْهُ النَّفْسُ وَهُوَ نَذِيرُ
وَلَمْ يَسْتَزِرْ عَنْ رَغْبَةٍ فى زِيَارَةٍ وَلَكِنْ عَلَى رَغْمِ الْمَزُورِ يَزُورُ
وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ فى آخِرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ ، وَخُطِبَ بِبَلَدِهِ عَلَى
فَنَاءِ سَنِهِ ، وَدَخَلَ مِصْرَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَيْهَا : إِنَّهُ يَحْفَظُ وَقَرَّ بَعِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ ، بِحَيْثُ لَوْ نَزَلَ
عَلَيْهِ وَرَقَةٌ لَمَّا احْتَمَلَهَا ، وَكَانَ نَزِيلُ الْقَاضِي الْفَاضِلِ ، وَرَتَبَهُ بِمَدْرَسَتِهِ
بِالْقَاهِرَةِ مُتَصَدِّراً لِإِقْرَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَقِرَاءَتِهِ وَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ .
وَتَوَفَّى يَوْمَ الْآحَدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ ، الثَّامِنَ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ،
سَنَةِ تِسْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

وَدُفِنَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، فى تَرْبَةِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ بِالْقَرَاةِ الصَّغْرَى ، وَزُرَتْ
قَبْرُهُ مَرَاراً ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى !
وَصَلَّى عَلَيْهِ الْخَطِيبُ أَبُو إِسْحَاقَ الْمَرَاقِى ، الْمَقْدَمُ ذَكَرَهُ ، خُطِيبُ
جَامِعِ مِصْرَ .

وَفِيْهِرُهُ - بِكَسْرِ الْفَاءِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثْنَاةِ مِنْ تَحْتِهَا ، وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَضَمِّهَا -
وَهُوَ بَلْغَةُ اللَّطِينِ مِنْ أَعَاجِمِ الْأَنْدَلُسِ ، مَعْنَاهُ بِالْعَرَبِي : الْحَدِيدُ .
وَالرُّعْيَانِي - بِضَمِّ الرَّاءِ ، وَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَسُكُونِ الْيَاءِ الْمُثْنَاةِ مِنْ تَحْتِهَا ،

(١) فى « أتعرف شيئاً فى السماء نظيره » وليس بذلك

وبعدها نون — هذه النسبة إلى ذى رُعَيْنِ ، وهو أحد أقبال اليمن ^(١) ، نُسب إليه خلق كثير .

والشاطبي — بفتح الشين المعجمة ، وبعد الألف طاء مكسورة مهملة ،
وبعدها باء موحدة — هذه النسبة إلى شاطبة ، وهى مدينة كبيرة ذات قلعة
حصينة بشرق الأندلس ، خرج منها جماعة من العلماء ، استولى عليها الفرنج
فى العشر الأخير من شهر رمضان ، سنة خمس وأربعين وستمائة .
وقيل : إن اسم الشيخ المذكور أبو القاسم ، وكنيته اسمه ، لكن وجدت
فى إجازات أشياخه له أبو محمد القاسم كما ذكرته ههنا .

(٥١١)

أبو دُلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ
ابن معاوية بن خزاعى بن عبد العزى بن دُلف بن جُشم بن قيس
ابن سعد بن عجل بن لحيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط
ابن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار
ابن معد بن عدنان ، العجلي

أبو دلف
القاسم
ابن عيسى
العجلي
القائد

أحد قواد المأمون ، ثم المعتصم من بعده ، وقد تقدم ذكره فى ترجمة على
ابن جبلة العكوك ، وبعض مدح العكوك فيه ، وتقدم أيضا فى ترجمة أبى مسلم
الخراسانى أنه كان تربية جده المذكور ، وتقدم ذكر حفيده الأمير أبى نصر
على بن ما كولا ، صاحب كتاب « الا كمال » .

وكان أبو دلف المذكور كريما سريّا جواداً ممدّحاً شجاعاً مقدماً ذا وقائع
مشهورة ، وصنائع مأثورة ، أخذ عنه الأدباء والفضلاء ، وله صنعة فى الغناء .

(١) الأقبال : جمع قيل — بفتح فسكون — وهو من يلى الملك فى المنزلة ،
سمى بذلك لأنه يقول فلا يرد قوله

وله من الكتب كتاب « البزاة والصيد » وكتاب « السلاح » وكتاب « النزه » وكتاب « سياسة الملوك » وغير ذلك .
ولقد مدحه أبو تمام الطائي بأحسن المدائح ، وكذلك بكر بن النطّاح ،
وفيه يقول [من الكامل] :

يا طالباً للكيمياء وعلمه مَدَحُ ابنِ عيسى الكيمياء الأعظمُ
لَمْ يَكُنْ في الأَرْضِ إِلا دِرْهُمُ وَمَدَحَتُهُ لَأَتَاكَ ذَاكَ الدَّرْهُمُ
ويحكى أنه أعطاه على هذين البيتين عشرة آلاف درهم ، فأغفله قليلاً ،
ثم دخل عليه ، وقد اشترى بتلك الدراهم قرية في نهر الأُبلة ، فأنشده
[من الطويل]

بَكَ ابْتَعْتُ في نَهْرِ الأُبْلَةِ قَرْيَةً عَلَيْهَا قَصِيرٌ بِالرَّخَامِ مَشِيدُ
إِلَى جَنْبِهَا أُخْتُ لَهَا يَعْضُونَهَا وَعِنْدَكَ مَالٌ لِلْهَبَاتِ عَمِيدُ
فقال له : كم ثمن هذه الأخت ؟ فقال : عشرة آلاف درهم ، فدفعها له ،
ثم قال له : تَعَلَّمْ أَنَّ نَهْرَ الأُبْلَةِ عَظِيمٌ ^(١) ، وفيه قرى كثيرة ، وكل أخت إلى جانبها
أخرى ، وإن فتحت هذا الباب اتسع على الخرق ، فاقنع بهذه ، ونصطلح عليها ،
فدعاه وانصرف .

وقد ألم أبو بكر محمد بن هاشم ، أحد الخالدين ، بمعنى قول بكر بن النطّاح
المذكور في البيتين الأولين ، فقال [من الكامل] :

وَتَيَقَّنَ الشَّعْرَاءُ أَنَّ رَجَاءَهُمْ فِي مَأْمَنِ بَكَ مِنْ وَقُوعِ الْيَاسِ
مَا صَحَّ عِلْمُ الكِيمِيَاءِ لغيرِهِمْ فِيمَنْ عَرَفْنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
تَعْطِيهِمُ الأَمْوَالُ فِي بَدَرٍ إِذَا حَمَلُوا الكَلَامَ إِلَيْكَ فِي قُرَاطِسِ
وكان أبو دلف قد لحق أكراداً قطعوا الطريق في عمله ، فطعن فارساً ،
فنفذت الطعنة إلى أن وصلت إلى فارس آخر وراءه رديفهُ ، فنفذ فيه السنان ،
فقتلها ، وفي ذلك يقول بكر بن النطّاح المذكور [من الكامل] :

(١) تعلم في هذا الموضع بمعنى اعلم

قالوا وينظم فارسين بطعنة يوم الهياج ولا تراه كليلا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته ميل إذا نَظَمَ الفوارس ميلا

وكان أبو عبد الله أحمد بن أبي قتن صالح مولى بنى هاشم ، أسود ، مشوه الخلق ، وكان فقيراً ، فقالت له امرأته : يا هذا ، إن الأدب أَرَاهُ قد سقط نَجْمُهُ ، وطاش سَهْمُهُ ، فاعمد إلى سيفك ورمحك وقوسك ، وادخل مع الناس في غزواتهم ، عسى الله أن ينفلك من الغنيمة شيئاً ، فأنشده [من البسيط] :

مالي ومالكٍ قد كَلَّفَتْنِي شَطَطًا حمل السلاح وقول الدارعين قِفْ

أَمِنْ رجال المنايا خلتنى رجلا أمسى وأصبح مشتاقا إلى التلف

تمشى المنايا إلى غيرى فأَكْرَهَهَا فكيف أمشى إليها بارز الكَتِفِ

ظننت أن نزال القرن من خلقي وأن قلبي في جَنْبِي أبي دُلْفِ

فبلغ خبره أبا دُلْفِ ، فوجه إليه ألف دينار .

وكان أبو دلف لكثرة عطائه قد ركبته الديون ، واشتهر ذلك عنه ،

فدخل عليه بعضهم ، وأنشده [من الوافر] :

أيا ربَّ المناجح والعطايا ويا طَلَّقَ المحيا واليدين

لقد خَبِرْتُ أن عليك دينا فَرِدْ في رَقْمِ دينك واقض ديني

فوصله ، وقضى دينه .

ودخل عليه بعض الشعراء ، فأنشده [من البسيط] :

الله أجْرِي من الأرزاق أكثرها على يديك تَعَلَّمْ يا أبا دلف (١)

ماخَطَّ « لا » كاتباه في صحيفته كما تخطط « لا » في سائر الصحف

بارى الرياح فأعطى وهي جارية حتى إذا وقفت أعطى ولم يَقِفْ

ومدأخه كثيرة .

(١) في ١ « على يديك بعلم يا أبا دلف »

وله أيضا أشعار حسنة ، ولولا خوف التطويل لدكرت بعضها .
 وكان أبوه قد شرع في عمارة مدينة الكرج وأتمها هو ، وكان بها أهله
 وعشيرته وأولاده ، وكان قد مدحه وهو بها بعض الشعراء ، فلم يحصل له منه ما في
 نفسه ، فأنفصل عنه ، وهو يقول — وهذا الشاعر هو منصور بن بادن ، وقيل :
 هو بكر بن النطاح — والله أعلم [من الطويل] :

دَعَيْتِ أَجُوبُ الْأَرْضَ فِي فُلُوتِهَا
 فَمَا الْكَرَجُ الدُّنْيَا وَلَا النَّاسُ قَاسِمُ
 وهذا مثل قول بعضهم ، ولا أدري أيهما أخذ من الآخر [من البسيط] :
 فَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى الْإِحْسَانِ فَهُوَ لَكُمْ
 عَبْدٌ ، كَمَا كَانَ ، مَطَوَّاعٌ وَمِذْعَانُ
 وَإِنْ أَيْتَمْتُ فَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ
 لَا النَّاسُ أَنْتُمْ وَلَا الدُّنْيَا خُرَاسَانُ

ثم وجدت هذين البيتين ، قد ذكرهما السمعاني في كتاب « الذيل » ،
 في ترجمة أبي الحسن علي بن محمد بن علي البلخي ، فقال : أنشدني القاضي علي
 ابن محمد البلخي بدورق^(١) متمثلا للأمير أبي الحسن علي بن المنتخب ، ولعله
 سمع منه ، وأنشد البيتين .

وروي أن الأمير علي بن عيسى بن مآهان صنع مأدبة لما قدم أبو دلف
 من الكرج ، ودعاه إليها ، وكان قد احتفل بها غاية الاحتفال ، فجاء بعض

(١) دورق — بفتح أوله وسكون ثانيه وراء بعدها قاف — بلد بخوزستان ،
 وهي قصبة كورة سرق ، ويقال لها « دورق الفرس » وقد نسب إليها كثير
 من الرواة وأهل العلم .

الشعراء ليدخل دار علي بن عيسى ، فمنعه البواب ، فتعرض الشاعر لأبي دلف ،
وقد قصد دار علي بن عيسى ، وبيده جُرَازة ، فناولها إياها ، فاذا فيها مكتوب
[من مجزوء الخفيف] :

قُلْ لَهُ إِنَّ لَقِيْتَهُ مَتَانْ بِلَا وَهْجٍ^(١)

جِئْتَ فِي أَلْفِ فَارِس لِنَدَاءِ مِنَ الْكَرَجِ

مَا عَلَى النَّاسِ بَعْدَهَا فِي الدَّنِيَّاتِ مِنْ حَرْجٍ^(٢)

فرجع أبو دلف ، وحلف أنه لا يدخل الدار ، ولا يأكل شيئا
من الطعام .

ورأيت في بعض المجاميع أن هذا الشاعر هو عباد بن الحريش ، وكانت
المأدبة ببغداد .

ورأيت في بعض المجاميع أيضا أن أبا دلف لما مرض مرض موته حجب
الناس عن الدخول عليه لثقل مرضه ، فاتفق أنه أفاق في بعض الأيام ، فقال
لحاجبه : مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الْمُحَاوِيِجِ ؟ فقال : عشرة من الأشراف ، وقد وصلوا
من خراسان ، ولهم بالباب عدة أيام لم يجدوا طريقا ، فقعده على فراشه ، واستدعاهم
فلما دخلوا رَحَّبَ بِهِمْ ، وسألهم عن بلادهم وأحوالهم وسبب قدومهم ، فقالوا :
ضاقت بنا الأحوال ، وسمعنا بكرمك فقصدناك ، فأمر خازنه باحضار بعض
الصناديق ، وأخرج منه عشرين كيسا في كل كيس ألف دينار ، ودفع لكل
واحد منهم كيسين ، ثم أعطى كل واحد مؤنة طريقه ، وقال لهم : لا تمسوا
الأكياس حتى تصلوا بها سالمة إلى أهلكم ، واصرفوا هذا في مصالح الطريق .
ثم قال : ليكتب لي كل واحد منكم خطه : أنه فلان بن فلان حتى ينتهي
إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ويذكر جدته فاطمة بنت رسول الله

(١) كان من حق الكلام أن يقول « متأنيا ولعل أصله » بتأن » والوهج - أصله
انتقاد النار وشدة حرها ، وأراد الاضطراب
(٢) في ب « في الدناآت من حرج »

صلى الله عليه وسلم ثم ليكتب : يا رسول الله إني وجدت إضاقةً وسوء حال في بلدي وقصدت أبادُلفَ العجلى ، فأعطاني ألفي دينار كرامة لك ، وطلبنا لمرضاتك ، ورجاء لشفاعتك ، فكتب كل واحد منهم ذلك ، وتسلم الأوراق .
وأوصى من يتولى تجهيزه إذا مات أن يضع تلك الأوراق في كفنه ، حتى يلقي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرضها عليه .

ومع هذا فقد حكى أنه قال يوما : من لم يكن مغاليا في التشيع فهو ولد زنا ، فقال له ولده : [إني] ^(١) لست على مذهبك ، فقال له أبوه : لما وطئت أمك وعلقت بك ما كنت بعدُ استبرأتهما ، فهذا من ذاك ، والله أعلم .

ومع هذا فقد حكى جماعة من أرباب التواريخ أن دُلفَ بن أبي دُلفَ ، قال : رأيت في المنام آتيا أناني ، فقال لي : أجب الأمير ، فقممت معه ، فأدخلني داراً وحشةً وعرةً ، سوداء الحيطان ، مقلعة السقوف والأبواب ، وأصعدني على درج منها ، ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر النيران ، وفي أرضها أثر الرماد ، وإذا بأبي وهو عريان ^(٢) ، واضع رأسه بين ركبتيه ، فقال لي كالمستفهم : دلف ؟ قلت : دلف ، فأنشأ يقول [من الخفيف] :

أبلغنُ أهلنا ولا تخفِ عنهم ما لقينا في البرزخ الخساقِ
قد سئِلنا عن كل ماقد فعلنا فارحموا وحشتي وماقد ألاقِ

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، ثم أنشد [من الوافر] :

فلو كنّا إذ امتنّا تركنا لكان الموت راحة كل حيٍّ
ولكنّا إذا متنا بعثنا ونُسأل بعده عن كل شيء

ثم قال : أفهمت ؟ قلت : نعم ، وانتبهت .

(١) لا توجد هذه الكلمة في (١)

(٢) في (٢) « وإذا بأبي وهو عاريا » وليس بشيء

وكانت وفاته سنة ست وعشرين ، وقيل : خمس وعشرين ومائتين ، ببغداد
رحمه الله تعالى !

ودُلِّفَ — بضم الدال المهملّة ، وفتح اللام ، وبعدها فاء — وهو : اسم علم
لا ينصرف ، لاجتماع العلمية والعدل ، فانه معدول عن دالف .
والعجلى : قد تقدم الكلام عليه .

والأبْلَةُ — بضم الهمزة ، والباء الموحدة ، واللام المشددة المفتوحة ، وبعدها
هاء ساكنة — وهى بلدة قديمة على أربعة فراسخ من البصرة ، وهى اليوم من
البصرة ، وهى من جنّان الدنيا ، وإحدى المستنزهات ^(١) الأربعة ، وقد سبق ذكرها
فى ترجمة عضد الدولة بن بُويه مع شعب بُوَّان وغيره .

والكَرَّج — بفتح الكاف والراء ، وبعدها جيم — وهى مدينة بالجبل ،
بين أصبهان وهمدان .

والجبل : إقليم كبير بين بلاد العراق وخراسان ، والعامّة : تسميه عراق
العجم ^(٢) ، وفيه مدن كبار منها : همدان ، وأصبهان ، والرى ، وزنجان ، وغير ذلك .

(١) فى ١ « وإحدى المستنزهات الأربع »

(٢) ويقال « الجبال » بصيغة الجمع

(٥١٢)

شمس المعالى
قابوس بن
وشمكير
أمير جرجان

الأمير شمس المعالى أبو الحسن قابوس بن أبى طاهر ، وشمكير بن زيار
ابن وردان شاه ، الجبلى ، أمير جرجان ، وبلاد الجبل وطبرستان

قال الثعالبى فى اليتيمة : « أنا أختم هذا الجزء بذكر خاتم الملوك ، وغرة
الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن جمع الله سبحانه له عزة الملك
وبسطة العلم ، وإلى فضل الحكمة فضل الحكم » .

ثم قال : ومن مشهور ما ينسب إليه من الشعر قوله [من البسيط] :
قل للذى بصرُوف الدهر عَيْرَنا هل حاربَ الدهرُ إلامن له خطرُ
أما ترى البحرَ تعلو فوقه جيفُ وتستقر بأقصى قعره الدرُ
فان تكن عبثت أيدى الزمان بنا ومَسَّنَا من تمادى بؤسه ضرُ
ففى السماء نجومٌ لا عداد لها وليس يكسف إلا الشمس والقمرُ (١)
وينسب إليه أيضا [من الكامل] :

خطراتُ ذكركَ تستثيرُ مودتى فأحس منها فى الفؤاد ديبيا
لا عضو لى إلا وفيه صباية فكأن أعضائى خلِقن قلوبا

وذكر له جملة من النثر أيضا ، وكان خطه فى نهاية [من] الحسن .
وكان الصاحب بن عباد إذا رأى خطه ، قال : هذا خط قابوس ، أم جناح
طاووس ، وينشد قول المتننى [من الكامل] :

فى خطه من كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواءُ
ولسكل عين قرّة فى قربه حتى كأن مغيبه الأقداءُ

(١) فى ١ * ففى السماء نجوم غير ذى عدة * وأرى أصله « غير ذى عدد »

وكان الأمير المذكور صاحب جرجان وتلك البلاد ، وكانت من قبله لأبيه .
وكانت وفاة أبيه في المحرم ، سنة سبع وثلاثين وثلثمائة بمجرجان ، ثم
انتقلت مملكة جرجان عنهم إلى غيرهم ، وشرح ذلك يطول .
وملكها قابوس المذكور في شعبان ، سنة ثمان وثمانين وثلثمائة ، وكانت المملكة
قد انتقلت إلى أبيه من أخيه مرداويج بن زيار بن وردان شاه الجيلي ، وكان
ملكاً جليل القدر ، بعيد الهمة . وكان عماد الدولة أبو الحسن بن بويه المقدم
ذكره من أحد أتباعه ، ومقدمى أمرائه ، وبسببه ترقى إلى درجة الملك ، وشرح
حديثه يطول ، وهو أول من ملك من بني بويه ، وهو أكبر الإخوة ، وقد سبق ذكر
ذلك كله . وكان قابوس من محاسن الدنيا وبهجتها ، غير أنه كان — على ما خص به
من المناقب والرأى البصير بالعواقب من السياسة — لا يُسَاع كَأْسُهُ ، ولا يؤمن
بجال سطوته وبأسه ، يقابل زلة القدم ، باراقة الدم ، لا يذكر العفو عند الغضب
فما زال على هذا الخلق ، حتى استوحشت النفوس منه ، وانقلبت القلوب
عنه ، فأجمع أعيان عسكره على خلعهم ، ونزع الأيدي عن طاعته ، فوافق هذا
التدبير منهم غيبته عن جرجان إلى المعسكر ببعض القلاع ، فلم يشعر بهذا التدبير
لذلك ، ولم يحس بهم ، إلا وقد قصده ، وأرادوا قبضه ، ونهبوا ماله وخيله ،
فحامي عنه مَنْ كان في صحبته من خواصه ، فرجعوا إلى جرجان ، وملكوها ،
وبعثوا إلى ولده أبي منصور منوهر — وهو بطبرستان — يستحثونه على الوصول
إليهم لعقد البيعة له ، فأسرع في الحضور ، فلما وصل إليهم أجمعوا على طاعته
إن خلع أباه ، فلم يسعه في تلك الحال ، إلا المداراة والإجابة ، خوفاً على خروج
الملك من بيتهم .

ولما رأى الأمير قابوس صورة الحال توجه إلى ناحية بسطام بمن معه
من الخواص لينتظر ما يستقر عليه الأمر ، فلما سمع الخارجون عليه انخيازه
إلى تلك الجهة حملوا ولده منوهر على قصده وإزعاجه من مكانه ، فسار معهم

مضطراً ، فلما وصل إليه اجتمع به وتبا كياً وتشاكياً ، وعرض الولد نفسه أن يكون حجاباً بينه وبين أعاديته ، ولو ذهبت نفسه فيه ، ورأى الوالد أن ذلك لا يجدى ، وأنه أحق بالملك من بعده ، وسلم خاتم المملكة إليه ، واستوصاه خيراً بنفسه ، مادام في قيد الحياة ، واتفقا على أن يكون في بعض القلاع إلى أن يأتيه أجله ، فانتقل إلى تلك القلعة

وشرع الولد في الإحسان إلى الجيش ، وهم لا يطمئنون خشية قيام الوالد ، ولم يزالوا حتى قتل ، وذلك في سنة ثلاث وأربعمائة ، ودفن بظاهر جرجان ، رحمه الله تعالى ! وقيل : إنه لما حبس في القلعة منع من الغطاء والدثار ، وكان البرد شديداً ، فمات من ذلك

والجيلي — بكسر الجيم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها لام — هذه النسبة إلى جيل ؛ وهو : اسم رجل كان أخا ديلم ، وقد نسب إلى كل واحد منهما .

وهذه النسبة غير نسبة الجيلي إلى الإقليم الذي وراء طبرستان^(١) ، فليعلم ذلك ، فقد يقع فيه الالتباس ، فلهذا نبهت عليه ، وقد تقدم الكلام على جرجان فلا حاجة إلى إعادته .

(١) يقال لهذا الإقليم جيل وجيلان ، وينسب إليه جيلي وجيلاني ، وقد قال قوم : يجب أن يفرق بينهما ، فاذا نسب إلى الإقليم قيل جيلاني ، وإذا نسب إلى الرجل قيل : جيلي .

(٥١٣)

أبو منصور
مجاهد الدين
قائم بن
عبدالله الزيني

أبو منصور قائم بن عبد الله الزيني ، الملقب بمجاهد الدين ، الخادم
كان عتيق زين الدين [أبي سعيد] علي بن بكتكين والد الملك العظيم
مظفر الدين صاحب إربل ، وهو من أهل سجستان ، أخذ منها صغيراً ، وكان
أبيض اللون ، وكانت مخايل النجابة عليه لأئحة ، فقدمه مُعْتَقُهُ ، وجعله أتابك
أولاده ، وفوض إليه أمور إربل في خامس شهر رمضان سنة تسع وخمسين
وخمسة ، فأحسن السيرة ، وعدل في الرعية ، وكان كثير الخير والصلاح ،
بنى باربل مدرسة وخانقاه ، وأكثر وقفهما ، ثم انتقل إلى الموصل في سنة
إحدى وسبعين وخمسة وسكن قلعتها ، وتولى أمور تدبيرها ، وراسل الملوك
وراسلوه ، وكان يبلغ منهم بكتبه مالا يبلغ سواه ، وفوض إليه الأتابك
سيف الدين غازي بن مودود المقدم ذكره صاحب الموصل الحكم في سائر
بلاد لما رآه من حسن مقاصده ، واعتمد عليه في جميع أحواله ، وكان نائبه وهو
السلطان في الحقيقة ، وكان يحمل إليه أكثر أموال إربل ، وأثر بالموصل آثاراً
جميلة ، منها أنه بنى بظاهرها جامعاً كبيراً ومدرسة وخانقاه ، والجميع متجاور^(١) ،
ووقف أملاكاً كثيرة على خبز الصدقات ، وأنشأ مكتباً للأيتام ، وأجرى لهم
جميع ما يحتاجون إليه ، ومد على شط الموصل جسراً غير الجسر الأصلي ، ووجد
الناس به رفقا كثيراً لعدم كفايتهم بالجسر الأصلي ، وله شيء كثير من وجوه البر
ومدحه جماعة من الشعراء ومنهم **حَيْضُ بَيْضٍ وَسَبْطُ ابْنِ التَّعَاوِذِيِّ** الذي ذكره إن
شاء الله تعالى ، بقصيدته التي أولها [من الوافر] :

عَلِيلُ الشَّوْقِ مِنْكَ مَتَى يَصْحُ
وَسَكْرَانُ بِحُبِّكَ كَيْفَ يَصْحَوُ^(٢)
وَبَيْنَ الْقَلْبِ وَالسُّلْوَانِ حَرْبٌ
وَبَيْنَ الْجَفْنِ وَالْعَبْرَاتِ صَلَاحٌ
وهي من قصائده المختارة ، وسيرها إليه من بغداد ، فأجازه جائزة سنوية ،

(١) في ١ « والجميع متجاورون » وليس بشيء

(٢) في ١ « عليل الشوق فيك متى يصح »

وسير معها بغلة ، فوصلت إليه وقد هزلت من تعب الطريق ، فكتب إليه
[من مخلم البسيط] :

مجاهد الدين دُمتَ ذخراً لكل ذي فاقةٍ وكُنْزاً
بعثت لي بغلةً ولكن قد مسخت في الطريق عنزاً
ومدحه بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجارى المقدم ذكره بقصيدته المشهورة
التي يتغنى بها ، ومن جملتها [من السريع] :

يا قلب تباً لك من صاحب كان البلا منك ومن ناظرى
لله أياي على رامة وطيب أوقاتي على حاجر
تسكاد بالسرعة في مرها أولها يعثر بالآخر^(١)
وعمل له أبو المعالى أسعد بن على الحظيرى المقدم ذكره كتاب « الإعجاز ،
في حل الأحاجى والألغاز ، برسم الأمير مجاهد الدين قايماز » وحمله إليه لما كان
باربل ، وأقام عنده مدة ، فاشتاق إلى أهله بالخطيرة ، فقال [من المتقارب] :

الأمّن لصب قليل العزاء غريب يحنّ إلى المنزل
يُنَادى باربل أحبابه وأنى الخطيرة من إربل
وكان يحب الأدب والشعر ، أنشدنى بعض أصحابنا قال : كثيرا ما كان ينشد
أبياتا من جملتها [من الوافر] :

إذا أذمت قوارصكم فؤادى صبرت على أذاكم وانطويت
وجئت إليكم طلق الحياء كأننى ما سمعت وما رأيت
وهذان البيتان من جملة أبيات لأسامة بن منقذ المقدم ذكره ، وبالجملة
فأثارة مشهورة .

وكان محمد الدين أبو السعادات المبارك بن الأثير الجزرى صاحب « جامع الأصول »
كاتباً بين يديه ، ومنشئاً عنه إلى الملوك ، وكان قد مات الأتابك سيف الدين

(١) فى « أولها يعثر بالآخر » والذى أثبتناه موافقاً لما فى ب هو الصحيح

وتولى أخوه عز الدين مسعود ، فسعى أهل الفساد إليه في حقه ، وكثر ذلك منهم فقبض عليه في سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، ثم ظهر له فساد رأيه في ذلك ، فأطلقه وأعادته إلى ما كان عليه ، واستمر على ذلك إلى أن توفي في منتصف شهر ربيع الأول ، وقيل : في سادسه ، وقال ابن المستوفى في تاريخ إربل : في صفر سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، بقلعة الموصل ، وكان شروعه في عمارة جامعته بالموصل في سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

(٥١٤)

أبو الخطاب
قتادة بن دعامة
السدوسي
البصري
الأكمه

أبو الخطاب قَتَادَةُ بن دِعَامَةَ بن عَزِين بن عمرو بن (١) ربيعة بن عمرو
ابن الحارث بن سدوس ، السدوسي ، البصري ، الأكمه

كان تابعيا ، وكان عالما كبيرا ، قال أبو عبيدة : ما كنا نفقد في كل يوم راكبا من ناحية بني أمية يُذِيخُ على باب قَتَادَةَ فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر ، وكان قتادة أجمع الناس ، وقال معمر : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى (وما كنا له مُقَرَّرِينَ) فلم يجبني ، فقلت : إني سمعت قتادة يقول : مُطِيقِينَ ، فسكت ، فقلت له : ما تقول يا أبا عمرو ؟ فقال : حَسْبُكَ قَتَادَةُ ، فلولا كلامه في القَدَر — وقد قال صلى الله عليه وسلم « إذا ذكر القدر فأمسكوا » — لما عدلتُ به أحداً من أهل دهره ، وقال أبو عمرو : كان قتادة من أنسب الناس ، كان قد أدرك دَعْفَلًا ، وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، فدخل مسجد البصرة ، فاذا بعمر بن عبيد ونفر معه قد اعتزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت أصواتهم ، فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف أنها ليست هي ، فقال : إنما هؤلاء المعتزلة ، ثم قام عنهم ، فذ يومئذ سموا « المعتزلة »

(١) في « بن عمر بن ربيعة بن عمرو »

وكانت ولادته سنة ستين للهجرة .
وتوفى سنة سبع عشرة ومائة ، بواسط ، وقيل : ثمانى عشرة ، رضى الله عنه !
والسدؤسى — بفتح السين المهملة ، وضم الدال المهملة ، وسكون الواو ،
وبعدها سين ثانية — هذه النسبة إلى سدؤوس بن شيبان ، وهى قبيلة كبيرة
كثيرة العلماء وغيرهم .

ودَعْفَل — بفتح الدال المهملة ، وسكون الغين المعجمة ، وفتح الفاء ، ثم لام —
هو ابن حنظلة السدؤسى النسابة ، أدرك النبی صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه
شيئاً ، وقدم على معاوية ، وكان أنسب العرب ، وقتلته الأزارقة ، وقيل : إنه
غرق بدُجَيْل فى وقعة دُولَاب ، وهو الأصح .

(٥١٥)

الأمير قتيبة
ابن مسلم
الباهلى

الأمير قتيبة بن أبى صالح مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد
ابن أسيد الخير بن قضاعى بن هلال بن سلامة بن ثعلبة بن وائل
ابن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان^(١) بن
مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، الباهلى

أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان من جهة الحجاج بن يوسف الثقفى
لأنه كان أمير العراقين ، وكل من كان يليهما كانت خراسان مضافة إليه ، وأقام
بها ثلاث عشرة سنة ، وكان من قبلها على الرى ، وتولى خراسان بعد يزيد
ابن المهلب بن أبى صفرة ، وفى ترجمة يزيد شرح ذلك ، وهو الذى افتتح خوارزم
وسمرقند وبخارا ، وقد كانوا كفروا ، وكان شهما مقداما نجيبا ، وكان أبوه مسلم
كبير القدر عند يزيد بن معاوية ، وهو صاحب الحرون ، وكان الحرون من الفحول

(١) فى « بن قيس بن عيلان » ولكلمة « بن » وجه ، وإعجام العين غير صحيح

المشاهير يضرب به المثل ، ثم فتح قتيبة فرغانة^(١) في سنة خمس وتسعين في أواخر أيام الوليد بن عبد الملك ، وقال أهل التاريخ : بلغ قتيبة بن مسلم في غزو الترك والتوغل في بلاد ما وراء النهر وافتتاح القلاع واستباحة البلاد وأخذ الأموال وقتل الفُتَّاك ما لم يبلغه المهلب بن أبي صفرة ولا غيره ، حتى إنه فتح خوارزم وسمرقند في عام واحد ، ولما أخذ هاتين المدينتين الجليلتين عادت السغد^(٢) وحملت الأتاوة ، ودعا قتيبة لما تمت هذه الأحوال فنهَّار بن تَوْسعة شاعر المهلب بن أبي صفرة وبنيه ، وقال له : أين قولك في المهلب لما مات [من الطويل] :

ألا ذهبَ الغزوُ المقربُ للغنى ومات النَّدَى والجودُ بعدَ المهلبِ
أفغزوُ هذا يانهار؟ قال : لا ، بل أحسن ، ثم قال نهَّار : وأنا القائل [من الطويل] :

وَمَا كَانَ مُدٌّ كُنَّا وَلَا كَانَ قَبْلَنَا وَلَا هُوَ فَمَا بَعْدَنَا كَابَنُ مُسْلِمٍ
أَعْمَ لِأَهْلِ التُّرْكِ قَتْلًا بِسَيْفِهِ وَأَكْثَرَ فِينَا مَقْسِمًا بَعْدَ مَقْسَمِ
ولما بلغ الحجاج ما فعل قتيبة من الفتوحات والقتل والسبي قال : بعثت قتيبة فتي غزَاء فما زدته باعاً إلا زادني ذراعاً .

فلما مات الوليد في سنة ست وتسعين وتولى الأمر أخوه سليمان بن عبد الملك وكان يكره قتيبة لأمر يطول شرحه ، خاف منه قتيبة ، وخلمع بيعة سليمان ، وخرج عليه ، وأظهر الخلاف ، فلم يوافقهم على ذلك أ كثر الناس ، وكان قتيبة قد عزل وكيع بن حسان بن قيس ، وكنيته أبو المطرف الغداني ، عن رئاسة بني تميم ، فخذ وكيع عليه ، وسعى في تأليب الجند سرّاً ، وتقاعد عن قتيبة متمارضاً ، ثم خرج عليه وهو بفرغانة وقتله مع أحد عشر من أهله ، وذلك في ذي الحجة سنة ست وتسعين للهجرة ، وقيل : سنة سبع وتسعين ، ومولده سنة تسع وأربعين ، وتولى خراسان تسع سنين وسبعة أشهر ، هكذا قال السلامي في تاريخ ولاية خراسان ، وهو خلاف

(١) في ١ « ثم فتح مدينة فرغانة » (٢) في ١ « السعد » بالعين المهملة

ما قيل أولاً ، وقال الطبري : تولى خراسان سنة ست وثمانين ، وفي قتله يقول جرير [من الطويل] :

ندمتم على قتل الأعراب مسلم وأنتم إذا لا قيمتم الله أندم^(١)
لقد كنتم من غزوه في غنيمة وأنتم لمن لا قيمتم اليوم مغنم
على أنه أفضى إلى حورجنة وتطبق بالبلوى عليكم جهنم

وقتل أبوه مسلم بن عمرو مع مصعب بن الزبير في سنة اثنتين وسبعين للهجرة وقتيبة المذكور جد أبي عمرو^(٢) سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم ، وكان سعيد المذكور سيداً كبيراً ممدوحاً ، وفيه يقول عبد الصمد بن المعذل يرثيه [من الخفيف] :

كم يقيم نعشته بعد يُنم وفقر أغنيته بعد عُدْم
كلما عَضَّتْ النوائبُ نادى رضى الله عن سعيد بن سلم

وتولى سعيد أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة ، وتوفي سنة سبع عشرة ومائتين ، ومن أخباره أنه قال : لما كنت والياً على أرمينية أتاني أبو دهمان الغلابي^(٣) ، فقعده على بابي أياماً فلما وصل إلى جلس قدامى بين السباطين ، وقال : والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سف التراب يقيم أود أصلابهم لجعلوه مسكة لأرماقم إيثاراً للفرار عن عيش رقيق الخواشي ، أما والله إني لبعيد الوثبة ، بطن العطفة ، إنه والله ما يثنيني عنك إلا مثل ما يصرفك عني ، ولأن أكون مقلامقرباً أحب إلي من أن أكون مكثراً مبعداً ، والله ما نسأل عملاً إلا نضببطه ، ولا مالاً إلا ونحن أكثر منه ، إن هذا الأمر الذي صار في يدك قد كان في يد غيرك فأمسوا والله حديثاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، فمتحجب إلى عباد الله بحسن البشر ولين الجانب ، فإن حب عباد الله موصول بحب الله ، وهم شهداء الله على خلقه ، ورقبائوه على من اعوجج عن سبيله ، والسلام .

(١) في « ندمتم على قتل الأعز بن مسلم »

(٢) في « جد أبي عمرو سعيد بن مسلم بن قتيبة بن مسلم » واتفقت النسختان على

تكنية سعيد فيما يأتي بأبي عمر (٣) في « الغلابي »

ولما مات ولده عمر بن سعيد المذكور رثاه أبو عمرو أشجع بن عمرو السلمي
الرقى نزيل البصرة الشاعر المشهور بقوله [من الطويل] :

مضى ابنُ سعيدٍ حين لم يبقَ مشرقُ
ولا مغربُ إلا له فيه مَدَحُ
وما كنتُ أدري ما فَوَاضِلُ كفه

على الناسِ حتى غَيَّبَتْهُ الصَّفَائِحُ
وأصْبَحَ في لَحْدِهِ مِنَ الْأَرْضِ ضَيْقُ

وكانتْ به حياءُ تضيقُ الصَّحَاحُ (١)
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغرضُ

فحسبك مني ما تُجِنُّ الجوانحُ
فما أنا من رُزءٍ وإنْ جُلَّ جازعُ

ولا بسرُّورٍ بعد موتك فَارِحُ
كأن لم يمتْ حتى سواك ولم يقم

على أحدٍ إلا عليك النوائحُ
لأن حَسَمْتَ فيك المرائي وذكرها

لقد حَسَمْتَ من قبلُ فيك المذائحُ

وهذه المراثية من محاسن المرائي ، وهي في كتاب الحماسة ، والبيت الأخير
منها مثل قول مُطِيع بن إياس في يحيى بن زياد من جملة أبيات [من المنسرح] :

ياخير من يحسنُ البكاء له اليومَ ومن كان أمسَ للمدح
وهذه الأبيات في الحماسة في باب المرائي .

وأخباره كثيرة .

وقد تقدم الكلام على الباهلي في ترجمة الأصمعي ، وأن هذه النسبة إلى

(١) في « وكانت به حينا » وهو تحريف

أى شيء هـى ، وكانت العرب تستنكف من الانتساب إلى هذه القبيلة حتى قال الشاعر [من المتقارب] :

وما ينفَعُ الأصلُ من هاشم إذا كانت النفسُ من باهلة

وقال الآخر [من المتقارب]

ولو قيلَ للكلبِ يا باهليَّ عوى الكلبُ من لؤم هذا النسب

وقيل لأبى عبيدة : يقال : إن الأصمعى ادعى فى نسبه إلى باهلة ، فقال : هذا

ما يمكن ، فقيل : ولم ؟ فقال : لأن الناس إذا كانوا من باهلة تبرأوا منها ، فكيف

يجىء من ليس منها وينسب إليها ؟ ورأيت فى بعض المجاميع أن الأشعث بن

قيس الكندى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أتتكافأ دماؤنا ؟ فقال :

« نعم ، ولو قتلت رجلا من باهلة لقتلتك به » وقال قتيبة بن مسلم المذکور لهبيرة بن

مسروح : أى رجل أنت لو كان أخوالك من غير سُلُول ؟ فلو بادلت بهم ! فقال :

أصلح الله الأمير ! بادل بهم من شئت من العرب وجنبتني باهلة ، ويحكى أن

أعرابيا لقي شخصا فى الطريق فسأله : ممن أنت ؟ فقال : من باهلة ، فرثى له

الأعرابي ، فقال ذلك الشخص : وأز يدك أنى لست من صميمهم ، ولكن من

مواليهم ، فأقبل الأعرابي عليه يقبل يديه ورجليه ، فقال له : ولم هذا ؟ فقال :

لأن الله تبارك وتعالى ما ابتلاك بهذه الرزية فى الدنيا إلا ويعوضك الجنة فى الآخرة

وقيل لبعضهم : أيسرك أن تدخل الجنة وأنت باهلى ؟ فقال : نعم ، بشرط ألا

يعلم أهل الجنة أنى باهلى ، والأخبار فى ذلك كثيرة ، رحمهم الله أجمعين ! .

وسئل حسين بن بكر الكلابى النسابة عن السبب فى اتضاع غنى وباهلة

عند العرب ، فقال : لقد كان فيهما غناء وشرف ، ولم يضعهما إلا إشراف أخويهما

فرارة وذبيان عليهما بالماثر ، فدثوا بالاضافة إليهما ، ذكر ذلك الوزير أبو القاسم

المغربى فى كتاب « أدب الخواص » وقد تقدم الكلام على قتيبة فى ترجمة

عبد الله بن مسلم بن قتيبة .

(٥١٦)

بهاء الدين
أبو سعيد
قراقوش بن
عبد الله
الأسدي

[الأمير] ^(١) أبو سعيد قراقوش بن عبد الله ، الأسدي ، الملقب بهاء الدين
كان خادماً صلاح الدين ، وقيل : خادماً أسد الدين شيركوه عم السلطان
صلاح الدين ، فأعتقه ، وقد تقدم ذكره في ترجمة النقيع عيسى الهكاري ، ولما
استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر ، ثم ناب عنه مدة بالديار
المصرية ، وفوض أمورها إليه ، واعتمد في تدبير أحوالها عليه ، وكان رجلاً
مسعوداً ، وصاحب همة عالية ، وهو الذي بنى السور المحيط بالقاهرة ومصر وما بينهما
وبنى قلعة الجبل ، وبني القناطر ^(٢) التي بالجيزة على طريق الأهرام ، وهي آثار
دالة على علو الهمة ، وعمّر بالمقس رباطاً ، وعلى باب الفتوح بظاهر القاهرة خان
سبيل . وله وقف كثير لا يعرف مَصْرْفُهُ ، وكان حسن المقاصد ، جميل النية ،
ولما أخذ صلاح الدين مدينة عكا من الفرنج سلمها إليه ، ثم لما عادوا واستولوا
عليها حصل أسيراً في أيديهم ، ويقال : إنه افتك نفسه بعشرة آلاف دينار ،
وذكر شيخنا القاضي بهاء الدين بن شداد في سيرة صلاح الدين أنه انفك من
الأسر في يوم الثلاثاء حادي عشر شوال سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ومثّل في
الخدمة الشريفة السلطانية ، ففرح به فرحاً شديداً ، وكان له حقوق كثيرة على
السلطان وعلى الاسلام والمسلمين ، واستأذن في المسير إلى دمشق ليحصل مال
القطيعة ، فأذن له في ذلك ، وكان - على ما ذكر - ثلاثين ألفاً ، والناس ينسبون إليه
أحكاماً عجيبة في ولايته ، حتى إن الأسعد بن مماتي المقدم ذكره له جزء لطيف
سماه « الفاشوش » في أحكام قراقوش « وفيه أشياء يبعد وقوع مثلها منه ،
والظاهر أنها موضوعة ، فان صلاح الدين كان معتمداً في أحوال المملكة عليه ،
ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه .

وكانت وفاته في مستهل رجب سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، بالقاهرة ،

(١) في « الأمير قراقوش » بدون كلمة « أبو سعيد » وفي ب « أبو سعيد
قراقوش » بدون كلمة الأمير

(٢) في « القناطر » وليس بذلك

ودفن في تربته المعروفة به بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى ! بقرب البئر والحوض
الذى أنشأها على شفير الخندق .

وقرأ قوش - بفتح القاف والراء ، وبعد الألف قاف ثانية ، ثم واو ، وبعد هاشين
معجمة — وهو لفظ تركي تفسيره بالعربي العقاب الطائر المعروف ، وبه سمى
الإنسان .

(٥١٧)

أبو نعمة قَطْرِي بن الفَجَاءة ، واسمه جمونة ، بن مازن بن يزيد بن زيد
منة بن حنثر بن كنانة بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو
ابن تميم بن مُرٍّ ، المازني ، الخارجي

أبو نعمة
قطري بن
الفجاءة
المازني
الخارجي

خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله بن الزبير
وكانت ولاية مصعب في سنة ست وستين للهجرة ، فبقي قَطْرِي عشرين سنة يقاتل
ويُسَلِّم عليه بالخلافة ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي يسير إليه جيشاً بعد جيش
وهو يستظهر عليهم .

وحكى عنه أنه خرج في بعض حروبه وهو على فرس أعجفَ وبيده عمود
خشب ، فدعا إلى المبارزة ، فبرز إليه رجل ، فحَسَرَ له قَطْرِي عن وجهه ، فلما
رآه الرجل ولَّى عنه ، فقال له قَطْرِي : إلى أين ؟ فقال : لا يستحي الإنسان أن
يفر منك .

وقد ذكر أبو العباس المبرد في كتاب الكامل من أخبارهم ومحارباتهم
قطعة كبيرة .

ولم يزل الحال بينهم كذلك حتى توجه إليه سفيان بن الأبرد الكلبي ،

فظهر عليه وقتله في سنة ثمان وسبعين للهجرة ، وكان المباشر لقتله سودة بن أبحر الدارمي ، وقيل : إن قتله كان بطبرستان في سنة تسع وسبعين ، وقيل : عثر به فرسه فاندقت فخذته فمات ، فأخذ رأسه فجيء به إلى الحجاج .

قلت : هكذا قال أهل التاريخ والله أعلم أنه أقام عشرين سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة ، وتاريخ خروجه وقتله بخلاف ذلك فتأمله ، ولا عقب لقطري . وإنما قيل لأبيه « الفجاءة » لأنه كان باليمن ، فقدم على أهله فجاءه ، فسمى به وبقي عليه ، وقطري هو الذي عناه الحريري في المقامة السادسة بقوله : « فقلدوه في هذا الأمر الزعامة ، تقليد الخوارج أبانعمة » وكان رجلاً شجاعاً ، مقدماً ، كثير الحروب والوقائع ، قوى النفس ، لا يهاب الموت ، وفي ذلك يقول مخاطباً لنفسه [من الوافر] :

أقول لها وقد طارت شعاعاً	من الأبطال ويحك لا تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم	على الأجل الذي لك لم تطأعى
فصبراً في مجال الموت صبراً	فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب الحياة بثوب عز	فيطوى عن أخى الخنع البراع
سبيل الموت غاية كل حي	وداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لا يعتبط يسأم ويهرم	وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة	إذا ما عُدَّ من سقط المتاع

وهذه الأبيات مذكورة في الحماسة في الباب الأول ، وهي تشجع أجن خلق الله ، وما أعرف في هذا الباب مثلاً ، وما صدرت إلا عن نفس أبيه ، وشهامة عربية^(١) .

وهو معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة .
 روى أن الحجاج قال لأخيه : لأقتلنك ، فقال : لم ذلك ؟ قال : لخروج أخيك قال : فإن معي كتاب أمير المؤمنين أن لا تأخذني بذنب أخى ، قال : هاتيه ، قال :

(١) في ١ « وشهامة غربية »

فمعى ما هو أو كد منه ، قال : ما هو ؟ قال : كتاب الله عز وجل حيث يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى)^(١) فعجب منه وخلى سبيله ، وفى قطري قال حصين ابن حفصة السعدى من أبيات [من الطويل] :

وأنت الذى لا نستطيع فراقه حياتك لا نفع وموتك ضائر
وقد ضبطت أسماء أجداده ضبطاً يغنى عن التقييد ، ففيه تطويل ، فمن كتبه
فليعتمد على هذا الضبط ففيه كفاية ، وكذلك الألفاظ التى فى الأبيات مضبوطة .
وقد قيل : إن قولهم « قطري » ليس باسم له ، ولكنه نسبة إلى موضع
بين البحرين وعمان ، وهو اسم بلد كان منه أبو نعام المذكور ، فنُسب إليه ،
وقيل : إنه هو قصبة عمان ، والقصبة هى كرسى الكورة .

(١) التلاوة فى القرآن الكريم (وإبراهيم الذى وفى ، ألا تزر وازرة
وزر أخرى)

(٥١٨)

أبو المسك كافور بن عبد الله ، الإخشيدي

وقد سبق شيء من خبره في ترجمة فاتك .

أبو المسك
كافور بن
عبد الله
الإخشيدي
صاحب مصر

وكان كافور عبداً لبعض أهل مصر ، ثم اشتراه أبو بكر محمد بن طغج الإخشيد الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في سنة اثنتي عشرة وثلثمائة بمصر ، من محمود بن وهب بن عباس ، وترقى عنده إلى أن جعله أتابك ولديه ^(١) [وقال مجدو كيل الأستاذ كافور : خدمت الأستاذ والجراية التي يُطلقها ثلاث عشرة جراية في كل يوم ، ومات وقد بلغت على يدي ثلاثة عشر ألفاً في كل يوم] ^(١) .

ولما توفي الإخشيد في التاريخ المذكور في ترجمته تولى مملكة مصر والشام ولده الأكبر أبو القاسم أنوجور ، ومغناه بالعربي محمود ، بعقد الراضى له ، وقام كافور بتدبير دولته أحسن قيام إلى أن توفي أنوجور يوم السبت ثمان ، وقيل : سبع ، خلون من ذي القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة ، وحمل إلى القدس ، ودفن عند أبيه ، وكانت ولادته بدمشق يوم الخميس لتسع خلون من ذي الحجة سنة تسع عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! وتولى بعده أخوه أبو الحسن علي ، وملك الروم في أيامه حلب والمصيصة وطرسوس ، وذلك الصقع أجمع ، فاستمر كافور على نيابته ، وحسن إيلاته ، إلى أن توفي على المذكور لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين ، وكانت ولادته يوم الثلاثاء لأربع بقين من صفر سنة ست وعشرين وثلثمائة ، بمصر ، رحمه الله تعالى ! ثم استقل كافور بالمملكة من هذا التاريخ ، وأشير عليه باقامة الدعوى لولد أبي الحسن علي بن الإخشيد ، فاحتج بصغر سنه ، وركب بالمطار ، وأظهر خلعا جاءته من العراق وكتاباتكنيته وركب بالخلع يوم الثلاثاء لعشر خلون من صفر سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وكان وزيره أبا الفضل ^(٢) جعفر بن الفرات المقدم ذكره ، وكان كافور يرغب في أهل

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ا

(٢) في ا « وكان وزيره أبو جعفر بن الفرات - إلخ »

الخير ويعظمهم ، وكان أسود اللون ، شديد السواد بصاصاً ، واشتراه الإخشيد
بثمانية عشر ديناراً على ما نُقِلَ ، وقد سبق في ترجمة الشريف ابن طباطبكا شيء
من خبره معه .

وكان أبو الطيب المتنبي قد فارق سيف الدولة بن حمدان المقدم ذكره مغاضباً
له ، وقصد مصر ، وامتدح كافوراً بأحسن المدائح ، فمن ذلك قوله في أول قصيدة
أنشأها له في جهادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وقد وُصِفَ فيها الخيل
ثم قال [من الطويل] :

قواصدُ كافورٍ تواركُ غيره ومن قصد البحر استقلَّ السواقيا
فجاءت بنا إنسان عین زمانه وخلتُ بياضاً خلفها وما قيا
ولقد أحسن في هذا غاية الإحسان .

وأنشده أيضاً في شوال سنة سبع وأربعين قصيدته البائية التي يقول فيها
[من الطويل] :

وأخلاقُ كافورٍ إذا شئتُ مدحه وإن لم أشأ تملى على فأكتبُ
إذا تركَ الإنسان أهلاً وراءه ويممَ كافوراً فما يتغربُ
ومن جملتها

يضاحك في العيد كل حبيبه حذاني وأبكي من أحب وأندبُ
أحنُّ إلى أهلى وأهوى لقاءهم وأين من المشتاق عنقاء مغربُ
فان لم يكن إلا أبو المسك أو هم فأنك أحلى في فؤادى وأعذبُ
وكل امرئ يؤلى الجميل محبب وكل مكان يُنبئ العز طيبُ

وحكى عن المتنبي أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور أنشده يضحك

إلى ويبش في وجهي ، إلى أن أنشدته [من الوافر] :

ولما صار ود الناس خباً جزيتُ على ابتسام بابتسام

وصرتُ أشكُ فيمنُ أصطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ
قال : فإضحك [بعدها] ^(١) في وجهي إلى أن تفرقنا ، فعجبت من فطنته وذكائه
وآخر شيء أنشده في شوال سنة تسع وأربعين ولم يلقه بعدها قصيدته البائية
وشابها بطرف من العتب ، ومنها [من الطويل] :

أرى لى بقر بي منك عينا قريرة	وإن كان قُرْباً بالبعد يُشَابُ
وهل نافعى أن تُرفع الحجبُ بيننا	ودون الذى أملتُ منك حجابُ
أقلُّ سلامى حب ماخفُ عنكم	وأسكت كما لا يكون جوابُ
وفى النفس حاجات وفيك فطانة	سكوتى بيانٌ عندها وخطابُ
وما أنا بالباغى على الحب رشوة	ضعيفٌ هَوَى يُبغى عليه ثوابُ
وما شئتُ إلا أن أذل عواذلى	على أن رأيى فى هواك صَوَابُ ^(٢)
وأعلم قوماً خالفونى فشرُّوا	وغرَّبتُ أنى قد ظفرت وخابوا
جرى الخلف إلا فيك أنك واحد	وأنك لَيْثٌ والمسلوك ذئابُ
وأنك لو قويست صحفَ قارىء	ذئابا ولم يخطئ فقال ذئابُ ^(٣)
وإن مديح الناس حق وباطلُ	ومدحك حق ليس فيه كذابُ
إذا نلتُ منك الود فالمالُ هينُ	وكلُّ الذى فوق التراب ترابُ
وما كنت لولا أنت إلا مهاجراً	له كلُّ يوم بلدةٌ وصحابُ
ولكنك الدنيا إلى جيبة	فما عنك لى إلا إليك ذهابُ

وأقام المتنبي بعد إنشاد هذه القصيدة بمصر سنة لا يَلْتَقَى كافورا غضباً عليه
لكنه يركب فى خدمته خوفاً منه ، ولا يجتمع به ، واستعد للرحيل فى الباطن ،
وجيز جميع ما يحتاج إليه ، وقال فى يوم عرفة سنة خمسين وثلاثمائة قبل مفارقتها

(١) هذه الكلمة ساقطة من ا

(٢) فى ب « أدل عواذلى » بالدال من الدلالة ، وما أثبتناه موافق للمافى والديوان

(٣) فى ا « وأنك لو قويست فى صحف قارىء » وليس بشيء

مصر بيوم واحد قصيدته الدالية [التي] (١) هجا كافوراً فيها ، وفي آخر هذه القصيدة [من البسيط] :

من علمَ الأسودَ الخِصْيَ مكرمةً أقومهُ البيضُ أمَ أبأوه الصَّيدُ
أم أذنهُ في يدِ النخَّاسِ داميةٌ أم قدَرُهُ وهُوَ بالفلسينِ مردودُ
وذاك أن الفحولَ البيضَ عاجزة عن الجميلِ فكيف الخِصْيَةُ السودُ
وله فيه أهاج كثيرة تضمنها ديوانه ، ثم فارقه بعد ذلك ، ورحل إلى (٢) عضد الدولة ابن بويه بشيراز حسبما تضمنه ترجمته .

ورأيت في بعض المجاميع قال بعضهم : حضرت مجلس كافور الإخشيدي ، فدخل رجل ، ودعاه وقال في دعائه : أدام الله أيام مولانا ، بكسر الميم من أيام ، فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك ، وعابوه عليه ، فقام رجل من أوساط الناس وأنشد مرتجلاً ، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن حشيش الجيزي اللغوي الأخباري كاتب كافور ، والذي دعا لكافور ولحن هو أبو الفضل بن سحباس [من البسيط] :

لا غَرَوْا إن لَحَنَ الداعي لسيدنا أو غَصَّ من دَهَشٍ بالريقِ أو بَهَرِ
فتلك هيبتهُ حالت جلالتهُما بين الأديبِ وبين القولِ بالحَصَرِ
فان يكن خَفَضَ الأيامُ من غَلَطٍ في مَوْضِعِ النَّصْبِ لا عن قلةِ النظرِ
فقد تَفَاءَلَتْ في هذا لسيدنا والغالُ مأثورةٌ عن سيدِ البشرِ
بأن أيامه خَفَضَتْ بلا نَصَبٍ وأن أوقاته صَفَوْه بلا كَدَرِ
وأخبار كافور كثيرة .

ولم يزل مستقلاً بالأمر بعد أمور يطول شرحها إلى أن توفي يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، بمصر ، وقيل : إنه توفي يوم الأربعاء ، وقيل : توفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة ، وقيل : سنة سبع

(١) هذا اللفظ ساقط من ب (٢) في ا « ودخل إلى عضد الدولة » محرفاً

وخمسين ، وهو قول القضاى فى كتاب الخطط ، والله أعلم ، وكذا قال الفرغانى
فى تاريخه أيضاً ، رحمه الله تعالى !

ودفن بالقرافة الصغرى ، وقبته مشهورة هناك ، ولم تطل مدته فى الاستقلال
على ما ظهر من تاريخ موت على بن الإخشيد إلى هذا التاريخ .

وكانت بلاد الشام فى مملكته أيضاً مع مصر وكان يدعى له على المنابر بمكة
والحجاز جميعه والديار المصرية وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية وطرسوس
والمصيصة وغير ذلك ، وكان تقدير عمره خمساً وستين سنة على ما حكاه الفرغانى
فى تاريخه ، والله أعلم .

وكانت أيامه سديدة جميلة ، ووقع الخلفُ فيمن يُنصب بعده ، إلى أن تقرر
الأمر وتراضت الجماعة بولد أبى الحسن على بن الإخشيد ، وكانت ولاية كافور
سنتين وثلاثة أشهر الأسبعة أيام ، وخطب لأبى الفوارس أحمد بن على بن الإخشيد
يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة سبع وخمسين ، وبقية خبرهم مذكورة
فى ترجمة جده محمد الإخشيد .

(٥١٩)

أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن أبي جُمعة الأسود بن عامر
ابن عويمر، الخزاعي [الشاعر المشهور] ^(١) أحد
عشاق العرب المشهورين به

وقال ابن السكلي في جمهرة النسب : هو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود
ابن عويمر بن مخلد بن سعيد [بن سبيع] ^(١) بن خثعم بن سعد بن مليح بن عمرو بن
ربيع بن حارثة بن عمرو مزيقياء ^(٢) بن عامر ماء السماء بن حارثة بن امرئ القيس
ابن ثعلبة من مازن بن الأزد ، وبقية النسب معروفة ، وربيع بن حارثة هو لحي ،
وابنه عمرو بن لحي هو الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم يجرقضبه في النار ^(٣) ، وهو
أول من سيئ السوائب ، و بحر البحيرة ، وغير دين إبراهيم عليه السلام ، ودعا
العرب إلى عبادة الأصنام ، وهذا لحي وأخوه أفصى ابنا حارثة هما خزاعة ، ومنهما
تفرقت ، وإنما قيل لهم خزاعة لأنهم انقطعوا عن الأزد لما تفرقت الأزد من اليمن
أيام سئل العرم وأقاموا بمكة ، وسار الآخرون ^(٤) إلى المدينة والشام وعمان .

وقال ابن السكلي أيضاً قبل هذا بقليل : والأشيم وهو أبو جمعة بن خالد بن عبيد
ابن مبشر بن رباح ، وهو جد كثير بن عبد الرحمن صاحب عزة أبو أمه إليه ينسب .
وهو صاحب عزة بنت جميل بن حفص بن إلياس بن عبد العزى بن حاجب
ابن غفار ^(٥) بن مليك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة ^(٦) بن كنانة بن خزيمة

(١) ما بين للعقوفين ساقط من أ في الموضعين

(٢) في ب ، « بن عمرو بن مزيقياء » وهو خطأ يدل عليه قول الشاعر :

أنا ابن مزيقياء عمرو ، وجدى أبوه عامر ماء السماء

ووقع في نسخة عندا « عمرو مزيقياء » على الصحة

(٣) يجرقضه — بضم القاف وسكون الصاد المهملة — أى أمعاء

(٤) في أ « وساروا الآخرون » على لغة ضعيفه متروكة

(٥) في أ ، ب « بن غفار » بعين مهملة ، وما أثبتناه عن نسخة عندا

(٦) في أ ، ب « عبد مناف » وما أثبتناه عن نسخة عندا

ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وقال السمعاني : جميل بن وقاص بن حفص بن إلياس ، والله أعلم .

وله معها حكايات ونوادير وأُمُور مشهورة ، وأكثر شعره فيها ، وكان يدخل على عبد الملك بن مروان وينشده ، وكان رافضياً شديداً التعصب لآل أبي طالب .
حكى ابن قتيبة في طبقات الشعراء أن كثيراً دخل يوماً على عبد الملك فقال له عبد الملك : بحق على بن أبي طالب هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، لو نشدتني بحقك أخبرتك ، قال : نشدتك بحق إلا ما أخبرتني ، قال : نعم ، بينما أسير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حبالة ، فقلت له : ما أجلسك ههنا ؟ قال : أهلكني وأهلى الجوع ، فنصبت حبالي هذه لأصيد لهم شيئاً ولنفسى ما يكفيني ويعصمنا يوماً هذا ، قلت : أرايت إن أقمت معك فأصبت صيداً تجعل لي منه جزءاً ؟ قال : نعم ، فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية في الحبالة ، فخرجنا نبتدر ، فبدرني إليها فخلها وأطلقها ، فقلت له : ما حملك على هذا ؟ قال : دخلتني عليها رقة أشبهها بليلي ، وأنشأ يقول [من الطويل] :

أيا شبهَ ليلي لا تُراعى فأنى لك اليوم من وحشية لصديق
أقول وقد أطلقتُها من وثاقها فأنْتَ ليلي ما حيتُ طليقُ

ولما عزم عبد الملك على الخروج إلى محاربة مُصعب بن الزبير ناشدته زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية أن لا يخرج بنفسه ، وأن يستنيب غيره في حربه ولم تزل تلحُّ عليه في المسألة وهو يمتنع من الإجابة ، فلما يئست أخذت في البكاء حتى بكى من كان حولها من جواربها وحشمها ، فقال عبد الملك : قاتل الله ابن أبي جمعة ! يعنى كثيراً ، كأنه رأى موقفاً هذا حين قال [من الطويل] :

إذا ما أراد الغزولُ يئنَّ عزَمُه حصان عليها نظم دريزينها
نَهتَه فلما لم تر النهى عاقه بكَّت فبكى مما شجها قطينها

ثم عزم عليها أن تقصر ، فأقصرت ، فخرج لقصده .

ويقال : إن عزة دخلت على أم البنين ابنة عبد العزيز ، وهي أخت عمر ابن عبد العزيز وزوجة الوليد بن عبد الملك ، فقالت لها : أرايت قول كثير [من الطويل] :

قضى كل ذى دين فوق غريمه وعزة ممطول معنى غريمها
ما كان ذلك الدين ؟ قالت : وعدته قبلة فخرجت ^(١) منها ، فقالت أم البنين :
أنجز بها وعلى إثمها .

وكان لكثير غلام عطار بالمدينة ، وربما باع نساء العرب بالنسيئة ، فأعطى عزة وهو لا يعرفها شيئاً من العطر ، فطلته أياما ، وحضرت إلى حانوته في نسوة فطالبها ، فقالت له : حباً وكرامة ، ما أقرب الوفاء وأسرعهُ ! فأنشد متمثلاً :

قضى كل ذى دين فوق غريمه وعزة ممطول معنى غريمها
فقالت النسوة : أتدرى من غريمك ؟ فقال : لا والله ، فقلن : هي والله عزة فقال : أشهدُ كن أنها في حل ممالي قبلها ، ثم مضى إلى سيده فأخبره بذلك ، فقال كثير : وأنا أشهد الله أنك حرٌّ لوجهه ، ووهبه جميع ما في حانوت العطر ، فكان ذلك من عجائب الاتفاق .

ولكثير في مطالها بالوعد شعراً كثير ، فمن ذلك قوله [من الوافر] :
أقول لها عزٌّ يزَ مَطلتِ ديني وشر الغانيات ذوو المطال
فقالت وَيَحَ غيرك كيف أقضى غريماً ما ذهبْتُ له بمال
ومن شعره [من الطويل] :

وقد زعمت أني تغيرتُ بعدها ومن ذا الذي يَأْ عَزَّ لا يتغيرُ
تغيرَ جسمي والخلقة كالذي عَهدتِ ولم يُخَبَرْ بسرُّكُ مخبرُ
ولما قتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وجماعة من أهل بيته بعقر بابل ^(٢) ،
وسياتى خبر ذلك في ترجمته إن شاء الله تعالى ، وكانوا يكثرُونَ الإحسان إلى

(١) في « فخرجت » بالخاء المعجمة - محرفاً ، وخرجت : من الحرج وهو الإثم

(٢) عقر بابل : قرب كربلاء

كثير ، فلما بلغه ذلك قال : ما أجل الخطب ! ضحى بنو حرب بالدين يوم الطف وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ، وأسبلت عيناه بالدموع .

وحدث أبو الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني أن كثيراً خرج من عند عبد الملك بن مروان وعليه مطرف ، فاعترضته عجوز في الطريق اقتبست ناراً في روثه ، فتأفف كثيراً في وجهها ، فقالت : من أنت ؟ قال : كثير عزة ، فقالت : ألسنت القائل [من الطويل] :

فما روضة زهراء طيبة الثرى يمج الندى جشجائها وعراؤها
بأطيب من أردان عزة موهناً إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها
فقال لها كثير : نعم ، فقالت : لو وضع المندل الرطب على هذه الروثة لطيب رائحتها ، هلا قلت كما قال امرؤ القيس [من الطويل] :

ألم ترياني كلما جئت طارقاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب
فناولها المطرف ، وقال : استري على هذا ، وسمعت بعض مشايخ الأدب في زمن اشتغالي بالأدب يقول : إن النصف الثاني من البيت الثاني من تنمة أوصاف الروضة أيضاً ، فكانه قال : إن هذه الروضة الطيبة الثرى التي يمج الندى جشجائها وعراها [إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها] ^(١) ما هي بأطيب من أردان عزة وعلى هذا لا يبقى عليه اعتراض ، لكنه يبعد أن يكون هذا مقصوده .

وكان كثير ينسب إلى الحق ، ويروى أنه دخل يوماً على يزيد بن عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعنى الشماخ بقوله [من الوافر] :

إذا الأرطى توسد أبرديه حدود جوازي بالمرل عين

فقال يزيد : وما يضرني أن لا أعرف ما عني هذا الأعرابي الجلف ؟ واستحمله ، وأمر باخراجه .

ودخل كثير على عبد العزيز بن مروان والد عمر يعود في مرضه ، وأهله يتمنون

(١) ما بين المعقوفين ساقط من أ مع أنه محل الكلام ولا يتم بغيره

أَنْ يَضْحَكَ ، وَكَانَ يَوْمَئِذٍ أَمِيرُ مِصْرَ ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ قَالَ : لَوْلَا أَنَّ سِرَّ رُوكَ لَا يَتِمُّ
بِأَنْ تَسْلَمَ وَأَسْقَمَ لِدَعْوَتِ اللَّهِ رَبِّي أَنْ يَصْرِفَ مَا بَكَ إِلَيَّ ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى
لَكَ الْعَافِيَةَ وَلِي فِي كُنْفِكَ النِّعْمَةَ ، فَضَحِكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَأَنْشَدَ كَثِيرٌ
[مِنْ الْكَامِلِ] :

وَنَعُودُ سَيِّدَنَا وَسَيِّدَ غَيْرِنَا لَيْتَ التَّشَكُّرَ كَانَ بِالْعَوَادِ
لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِدْيَةً لِفِدْيَتِهِ بِالْمُصْطَفَى مِنْ طَارِفٍ وَتَلَادِي
وَمَا يَسْتَجَادُ مِنْ شَعْرٍ كَثِيرٍ قَصِيدَتُهُ النَّائِيَةُ الَّتِي يَقُولُ مِنْ جَمَلَتِهَا
[مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَإِنِّي وَتَهَيَّأْ بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا تَسْلَيْتُ مِنْ وَجْدِهَا وَتَسَلَّتْ
لَسْكَالْمُرْتَجِي ظِلَّ الْغَمَامَةِ كُلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْعَقِيلِ اضْمَحَلَّتْ
وَكَانَ كَثِيرٌ بِمِصْرَ ، وَعِزَّةٌ بِالْمَدِينَةِ ، فَاشْتَقَّ إِلَيْهَا ، فَسَافَرَ نَحْوَهَا ^(١) ، فَلَقِيَهَا فِي
الطَّرِيقِ وَهِيَ مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى مِصْرَ ، وَجَرَى بَيْنَهُمَا كَلَامٌ يَطُولُ شَرْحُهُ ، ثُمَّ إِنَّمَا انْفَصَلَتْ
عَنْهُ وَقَدِمَتْ إِلَى مِصْرَ ، وَعَادَ كَثِيرٌ إِلَى مِصْرَ فَوَافَاها وَالنَّاسُ يُنْصَرِفُونَ مِنْ
جَنَازَتِهَا ، فَأَتَى قَبْرَهَا وَأَنَاخَ رَاحِلَتَهُ عِنْدَهُ ، وَمَكَثَ سَاعَةً ، ثُمَّ رَحَلَ وَهُوَ يَنْشُدُ
أَبْيَاتًا مِنْهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَقُولُ وَنَضْوَى وَاقِفٌ عِنْدَ قَبْرِهَا عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ وَالْعَيْنُ تَسْفَحُ
وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنْ فِرَاقِكَ حَيَّةً فَأَنْتَ لِعَمْرِي الْيَوْمَ أُنْأَى وَأَنْزَحُ
وَأَخْبَارُهُمَا كَثِيرَةٌ .
وَتَوَفَّى كَثِيرٌ عِزَّةً فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى !

وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ الْوَاقِدِيُّ عَنْ خَالِدِ بْنِ الْقَاسِمِ الْبَيْهَاقِيِّ قَالَ : مَاتَ عِكْرَمَةُ
مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَثِيرٌ عِزَّةً فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَمِائَةٍ ، فَرَأَيْتُهُمَا جَمِيعًا
صَلَّى عَلَيْهِمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ بَعْدَ الظُّهْرِ ، فَقَالَ النَّاسُ : مَاتَ أَفْقَهُ النَّاسِ وَأَشْعَرُ

(١) فِي « فَسَافَرَ إِلَيْهَا »

الناس ، وكان موتهما بالمدينة ، وقد تقدم ذكر عكرمة والخلاف في تاريخ موته ،
فليُنظر هناك في ترجمته .

وقد تقدم الكلام على الخزاعي .

وكثير : تصغير [كثير] ، وإنما صغر لأنه كان حقيراً شديداً القصر . وكان
إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طأطأ ، برأسك لثلايؤذك السقف ،
يمارحه بذلك ، وكان يلقب « زب الذباب » لقصره ، وقال بعضهم : رأيت كثيراً
يطوف بالبيت ، فمن أخبرك أن طوله كان أكثر من ثلاثة أشبار فقد كذب .

* * *

(٥٢٠)

أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد ،

المكتب الملك المعظم ، مظفر الدين ، صاحب إربل

كان والده زين الدين علي المعروف بكچك صاحب إربل ، ورزق أولاداً
كثيرة ، وكان قصيراً ، ولهذا قيل له « كچك » وهو لفظ عجمي معناه بالعربي
صغير : أي صغير القدر ، وأصله من التركمان ، ومملك إربل وبلاداً كثيرة في تلك
النواحي ، وفرقها على أولاد أتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل
ولم يبق له سوى إربل ، والشرح يطول ، وعمر طويلاً ، يقال : إنه جاوز مائة سنة
وعمى في آخر عمره ، وانقطع باربل إلى أن توفي ليلة الأحد حادي عشر ذي القعدة
سنة ثلاث وستين وخمسمائة . وقال ابن شداد في سيرة صلاح الدين : مات في ذي الحجة
من السنة ، ودفن في تربته المعروفة به المجاورة للجامع العتيق داخل البلدرحمه الله تعالى !
وكان موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة ، وله بالموصل أوقاف كثيرة مشهورة
من مدارس وغيرها .

الملك المعظم
مظفر الدين
أبو سعيد
كوكبوري
صاحب إربل

قال شيخنا الحافظ عز الدين أبو الحسن علي المعروف بابن الأثير العجزي في
تاريخه الصغير الذي عمله لبي أتابك ملوك الموصل : إن زين الدين المذكور سار
عن الموصل إلى إربل سنة ثلاث وستين وخمسمائة ، وسلم جميع ما كان بيده من

البلاد والقلاع إلى أتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحران وقلعة عقر الحמידية وقلاع الهندية جميعها وتكريت وشهرزور وغير ذلك ، وما ترك لنفسه سوى إربل ، وكان قد حج هو وأسد الدين شيركوه بن شاذى فى سنة خمس وخمسين وخمسة ، ولما توفى ولى موضعه ولده مظفر الدين المذكور وعمره أربع عشرة سنة ، وكان أتابكه مجاهد الدين قايماز المذكور فى حرف القاف ، فأقام مدة ، ثم تعصب مجاهد الدين عليه ، وكتب محضرا أنه ليس أهلا لذلك ، وشاور الديوان العزيزى أمره ، واعتقله ، وأقام أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف مكانه ، وكان أصغر منه ، ثم أخرج مظفر الدين من البلاد ، فتوجه إلى بغداد فلم يحصل له بها مقصود ، فانتقل إلى الموصل ومالكها يومئذ سيف الدين غازى بن مودود المقدم ذكره فى حرف الغين ، فاتصل بخدمته ، وأقطعه مدينة حران ، فانتقل إليها وأقام بها مدة ، ثم اتصل بخدمة السلطان صلاح الدين ، وحظى عنده ، ويمكن منه ، وزاده فى الأقطاع الرها فى سنة ثمان وسبعين وخمسة ، وأخذ صلاح الدين الرها من ابن الزعفرانى ، وأعطاه مظفر الدين مع حران ، وأخذ الرقة من ابن حسان وأعطاه ابن الزعفرانى ، والشرح فى ذلك يطول ، ثم أعطاه سُمَيْسَاط ، وزوجه أخته الست ربيعة خاتون بنت أيوب ، وكانت قبله زوجة سعد الدين مسعود بن معين الدين صاحب قصر معين الدين الذى بالقوْز ، وتوفى سعد الدين المذكور سنة إحدى وثمانين وخمسة ، وشهد مظفر الدين مع صلاح الدين مواقف كثيرة وأبان فيها عن نجدة وقوة نفس وعزيمة^(١) ، وثبت فى مواضع لم يثبت فيها غيره على على ما تضمنته توارىخ العماد الأصهبانى وبهاء الدين بن شداد وغيرها ، وشهرة ذلك تغنى عن الاطالة فيه ، ولو لم يكن إلا وقعة حطينَ لسكفته ، فانه وقف هو وتقى الدين صاحب حمة المقدم ذكره وانكسر العسكر بأسره ، ثم لما سمعوا بوقوفهما تراجعوا حتى كانت النصرة للمسلمين ، وفتح الله سبحانه عليهم ، ثم لما كان السلطان صلاح الدين منازل عكا بعد استيلاء الفرنج عليها وردت عليه ملوك الشرق تنجده وتخدمه ، وكان فى جملتهم زين الدين يوسف أخو مظفر

الدين ، وهو يومئذ صاحب إربل ، فأقام قليلاً ثم مرض ، وتوفي في الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسمائة بالناصرية ، وهي قرية بالقرب من عكا يقال : إن المسيح عليه الصلاة والسلام ولد بها على الاختلاف الذي في ذلك ، فلما توفي التمس مظفر الدين [من السلطان] أن ينزل عن حران والرها وشميسات ، ويعوضه إربل ، فأجابه إلى ذلك ، وضم إليه شهرزور ، فتوجه إليها ودخل إربل في ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة ، هذه خلاصة أمره وأما سيرته فلقد كان له في فعل الخيرات غرائب لم يسمع أن أحداً فعل في ذلك ما فعله ، لم يكن في الدنيا شيء أحب إليه من الصدقة ، كان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز^(١) يفرقها على المحتاجين في عدة مواضع من البلد يجتمع في كل موضع خلق كثير يفرق عليهم في أول النهار ، وكان إذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عند الدار جمع كثير فيدخلهم إليه ويدفع لكل واحد كسوة على قدر الفصل من الشتاء والصيف أو غير ذلك ، ومع الكسوة شيء من الذهب من الدينار والاثني والثلاثة وأقل وأكثر ، وكان قد بنى أربع خانقاهات للزمنى ، والعُميان ، وملاها من هذين الصنفين ، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه في كل عصرية اثنين وخميس ويدخل عليهم^(٢) ، ويدخل إلى كل واحد في بيته ، ويتفقده بشيء من النفقة ، ويسأله عن حاله ، وينتقل إلى الآخر ، وهكذا حتى يدور على جميعهم ، وهو يُبأسطهم ويمزح معهم ويجبر قلوبهم ، وبنى داراً للنساء الأرامل ، وداراً للصغار الأيتام ، وداراً للعاقبات رتب بهم جماعة من المراضع ، وكل مولود يلتقط يحمل إليه فيرضع منه ، وأجرى على أهل كل دار ما يحتاجون إليه في كل يوم ، وكان يدخل إليها في كل وقت ويتفقده أحوالهم ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم ، وكان يدخل إلى بیمارستان ويقف على مريض مريض ويسأله عن مميته وكيفية حاله وما يشتهي

وكان له دار مضيف يدخل إليها كل قادم على البلد من فقيه أو فقير أو غيرهما ، وعلى الجملة فما كان يمنع منها كل من قصد الدخول إليها ، ولهم الراتب في الدار في الغداء والعشاء ، وإذا عزم الإنسان على السفر أعطوه نفقة على ما يليق بمثله ، وبني مدرسة رتب فيها فقهاء الفريقين من الشافعية والحنفية ، وكان كل وقت يأتيها بنفسه ^(١) ، ويعمل السباط بها ، ويبيت بها ، ويعمل السماع ، وإذا طاب خلع شيئاً من ثيابه ، وسير للجماعة بكرة شيئاً من الأنعام ، ولم يكن له لذة سوى السماع ، فانه كان لا يتعاطى المنكر ، ولا يمكن من إدخاله البلد ^(٢) ، وبني للصوفية خاتقاهن فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ، ويجتمع في أيام المواسم فيهما من الخلق ما يعجب الإنسان من كثرتهم ، ولها أوقاف كثيرة تقوم بجميع ما يحتاج إليه ذلك الخلق ، ولا بد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها ، وكان ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم الساعات في كثير من الأوقات ، وكان يسير في كل سنة دفتين جماعة من أمنائه إلى بلاد الساحل ومعهم جملة مستكثرة من المال يفتك بها أسرى المسلمين من أيدي الكفار ، فاذا وصلوا إليه أعطى كل واحد شيئاً ، وإن لم يصلوا فالأمناء يعطونهم بوصية منه في ذلك ، وكان يقيم في كل سنة سبيلاً للحاج ، ويسير معه جميع ما تدعو حاجة المسافر إليه في الطريق ، ويسير صحبته أمينا معه خمسة أو ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحاويج وأرباب الرواتب ، وله بمكة - حرسها الله تعالى ! - آثار جميلة ، وبعضها باق إلى الآن ، وهو أول من أجرى الماء إلى جبل عرفات ليلة الوقوف ، وغرم عليه جملة كثيرة ، وعمر بالجبل مصانع الماء ، فان الحاج كانوا يتضررون من عدم الماء ، وبني له تربة أيضاً هناك .

وأما احتفاله بمولد النبي صلى الله عليه وسلم فان الوصف يقصر عن الإحاطة به ، لكن نذكر طرفاً منه ، وهو أن أهل البلاد كانوا قد سمعوا بحسن اعتقاده فيه ، فكان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل - مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي - خلق

(١) في ١ « يأتيها بنفسه »

(٢) في ١ « إدخاله إلى البلد »

كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ، ولا يزالون يتواصلون من الحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول ، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات ، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر ، منها قبة له ، والباقي للأمرء وأعيان دولته لكل واحد قبة ، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المتجملة ، وقعد في كل قبة جوق من الأغاني^(١) وجوق من أرباب الخيال و [من] أصحاب الملاهي ، ولم يتركوا طبقة من تلك الطبايق حتى رتبوا فيها جوقا ، وتبطل معاش الناس في تلك المدة ، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم ، وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان ، فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة إلى آخرها ، ويسمع غناءهم ، ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب ، ويبيت في الخانقاه ، ويعمل السماع [فيها] ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ، ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر ، هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد ، وكان يعمل سنة في ثامن الشهر ، وسنة ثاني عشره ، لأجل الاختلاف الذي فيه ، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم شيئا كثيرا زائداً عن الوصف وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني^(٢) والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ، ثم يشرعون في نحرها ، وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلح المغرب في القلعة [ثم ينزل] وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير ، وفي جملتها شمعتان أو أربع — أشك في ذلك — من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل ، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل ، حتى ينتهي إلى الخانقاه ، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من [القلعة إلى] الخانقاه على أيدي الصوفية ، على يد كل شخص منهم بقعة ، وهم متتابعون كل واحد وراء الآخر ، فينزل من ذلك شيء كثير لا تحقق عدده ، ثم ينزل إلى الخانقاه وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من

بياض الناس ، وينصب كرسى للوعاظ ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذى فيه الناس والكرسى وشبابيك أخر للبرج أيضاً إلى الميدان ، وهو ميدان كبير فى غاية الاتساع ، ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك النهار ، وهوتارة ينظر إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ ، ولا يزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم ، فعند ذلك يقدم السباط فى الميدان للصعاليك ، ويكون سباطا عاما فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يحصى ولا يوصف ، ويمد سباطا ثانيا فى الخاتمة للناس المجتمعين عند الكرسى ، وفى مدة العرض ووعظ الوعاظ يطالب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء والوافدين لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ، ويخلع على كل واحد منهم ثم يعود إلى مكانه ، فاذا تكامل ذلك كله حضروا السباط ، وحملوا منه لمن يقع التعمين على الحمل إلى داره ، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها ، ثم يبيت تلك الليلة هناك ، ويعمل الساعات إلى بكرة ، هكذا أبه فى كل سنة ، وقد خلصت صورة الحال فان الاستقصاء يطول ، فاذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان للعود إلى بلده ، فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة ، وقد ذكرت فى ترجمة الحافظ أبى الخطاب بن دحية فى حرف العين وصوله إلى إربل وعمله الكتاب «التنوير» فى مولد السراج المنير» لما رأى من اهتمام مظفر الدين به ، وأنه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة .

وكان رحمه الله مئى أكل شيئاً واستطابه لا يختص به ، بل كان إذا أكل من زبديّة لقمة طيبة قال لبعض من بين يديه [من أجناده]: احمل هذا إلى الشيخ فلان أو فلانة ممن هم عنده مشهورون بالصلاح ، وكذلك يعمل فى الحلوى والفاكهة وغير ذلك من المطاعم [والشارب والكساء] .

وكان كريم الأخلاق ، كثير التواضع ، حسن العقيدة ، سالم البطانة ، شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة لا ينفق عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين

ومن عداها لا يعطيه شيئاً إلا تكافئاً ، وكذلك الشعراء لا يقول بهم ولا يعطيهم إلا إذا قصوده فما كان يضيع قصدهم ولا يخيب أمل من يطلب برّه ، وكان يميل إلى علم التاريخ ، وعلى خاطره منه شيء يذكر به ، ولم يزل — رحمه الله تعالى ! — مؤيداً في مواقفه ومصافاته مع كثرتها ، لم ينقل أنه انكسر في مصاف قط ، ولو استقصيت في تعداد محاسنه لطال الكتاب ، وفي شهرة معروفة غنية عن الإطالة وليعذر الواقف على هذه الترجمة ففيها تطويل ، ولم يكن سببه إلا ماله علينا من الحقوق التي لا تقدر على القيام بشكر بعضها ، ولو عملنا مع عملناه ، وشكر المنعم واجب ، فجزاه الله عنا أحسن الجزاء ! فكم له علينا من الأيادي ، ولأسلافه على أسلافنا من الإنعام ، والإنسان صنيعه الإحسان ، ومع الاعتراف بجميعه فلم أذكر عنه شيئاً على سبيل المبالغة ، بل كل ما ذكرته عن مشاهدة وعيان ، وربما حذفت بعضه طلباً للإيجاز .

وكانت ولادته بقلعة الموصل ليلة الثلاثاء السابعة والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

وتوفي وقت الظهر يوم الأربعاء ثامن عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وستمائة بداره في البلد التي كانت لمملوكه ^(١) شهاب الدين قراطا ، فلما قبض عليه في سنة أربع عشرة وستمائة أخذها وصار يسكنها بعض الأوقات ، فأت بها ، ثم نقل إلى قلعة إربل ودفن بها ، ثم حمل بوصية منه إلى مكة شرفها الله تعالى ! وكان قد أعد له بها قبة تحت الجبل في ذيله يدفن فيها ، وقد سبق ذكرها ، فلما توجه الركب إلى الحجاز سنة إحدى وثلاثين سيروه في الصحبة ، فاتفق أن يرجع الحاج تلك السنة من لينة ، ولم يصلوا إلى مكة ، فردوه ودفنوه بالكوفة بالقرب من المشهد ، رحمه الله تعالى ، وعوضه خيراً ، وتقبل مباركته ، وأحسن مُنْقَلَبه !! .

(١) في « في البلد التي كانت مملكة شهاب الدين »

وأما زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب فاتها توفيت في شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، وغالب ظنى أنها جاوزت ثمانين سنة ، ودفنت في مدرستها الموقوفة على الحنابلة بسفح قارسيون ، وكانت وفاتها بدمشق ، وأدركت من محارمها من الملوك من إختوها وأولادهم أكثر من خمسين رجلا غير محارمها من غير الملوك ولولا خوف الاطالة لذكرتهم مفصلا ، فان إربل كانت لزوجها المذكور ، والموصل لأولاد بنتها ، وخلاط وتلك الناحية لابن أخيها ، وبلاد الجزيرة الفراتية للأشرف ابن أخيها ، وبلاد الشام لأولاد إختوها ، والديار المصرية والحجاز واليمن لإختوها وأولادهم ، ومن تأمل ذلك عرف الجميع .

وكوكبورى : بضم الكافين ، بينهما واو سا كنة ، ثم باء موحدة مضمومة ، ثم واو سا كنة ، وبعدها راء — وهواسم تركى معناه بالعربى ذئب أزرق .

وبُكْتِكِينَ — بضم الباء الموحدة ، وسكون الكاف ، وكسر التاء المثناة من فوقها والكاف ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها نون — هواسم تركى أيضاً .

ولينة — بكسر اللام ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح النون ، وبعدها هاء سا كنة — منزلة فى طريق الحجاز من جهة العراق ، وكان الركب فى تلك السنة قد رجع منها لعدم الماء وقاسوا مشقة عظيمة .

(٥٢١)

أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، إمام أهل مصر
في الفقه والحديث

أبو الحارث
الليث بن سعد
إمام مصر

كان مولى قيس بن رفاعه ، وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهري وأصله من أصبهان ، وكان ثقة سرياً سخياً ، قال الليث : كتبت من علم محمد بن شهاب الزهري علماً كثيراً ، وطلبت ركوب البريد إليه إلى الرصافة ، فخفت أن لا يكون ذلك لله تعالى ، فتركته ، وقال الشافعي رضى الله عنه : الليث بن سعد أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، وكان ابن وهب يقرأ عليه مسائل الليث ، فمرت به مسألة فقال رجل من الغرباء : أحسن والله الليث ، كأنه كان يسمع مالكا يجيب فيجيب هو ، فقال ابن وهب للرجل : بل كان مالك يسمع الليث يجيب فيجيب هو ، والله الذي لا إله إلا هو ما رأينا أحداً قط أفقه من الليث .

وكان من الكرماء الأجواد ، ويقال : إن دخله كان في كل سنة خمسة آلاف دينار ، وكان يفرقها في الصلوات وغيرها ، وقال منصور بن عمار : أتيت الليث فأعطاني ألف دينار وقال : صن بهذه الحكمة التي آتاك الله تعالى ، ورأيت في بعض المجاميع أن الليث كان حنفي المذهب ، وأنه ولي القضاء بمصر ، وأن الامام مالكا أهدى إليه صينية فيها تمر ، فأعادها مملوأة ذهباً ، وكان يتخذ لأصحابه الفالودج ، ويعمل فيه الدنانير ليحصل لكل من أكل^(١) كثيراً أكثر من صاحبه . وكان قد حج سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن عشرين سنة ، وسمع من نافع مولى ابن عمر ، رضى الله عنهما !

وكان الليث يقول : قال لي بعض أهلي : ولدت سنة اثنتين وتسعين للهجرة

(١) في « ليحصل لمن أكل كثيراً »

والذى أوقن سنة أربع وتسعين فى شعبان .

وتوفى يوم الخميس - وقيل : الجمعة - منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة
ودفن يوم الجمعة بمصر فى القرافة الصغرى ، وقبره أحد المزارات ، رضى الله عنه ! .
وقال السمعاني : ولد فى شعبان سنة أربع وعشرين ومائة ، والأول أصح .
وقال غيره : ولد سنة ثلاث وتسعين ، والله أعلم بالصواب .
وقال بعض أصحابه : لما دَفِنَّا الليث بن سعد سمعنا صوتاً وهو يقول [من
الرميل] :

ذهبَ الليثُ فلا ليثَ لكمُ ومضى العلم قريباً وقبرُ
قال فالتفتنا فلم نر أحداً .

ويقال : إنه من أهل قَلَّةَ شَنْدَةَ ، وهى بفتح القاف وسكون اللام وفتح القاف
الثانية والشين المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة وبعدها هاء ساكنة ،
وهى قرية من الوجه البحرى من القاهرة ، بينها وبين القاهرة مقدار ثلاثة فراسخ
والفهمى - بفتح الفاء ، وسكون الهاء ، وبعدها ميم - هذه النسبة إلى فهم
وهو بطن من قيس عيلان^(١) خرج منها جماعة كثيرة .



(١) فى « قيس عيلان » بالغين المعجمة ، وليس بشئ ، وقد سبق فى ترجمة
قتيبة بن مسلم الباهلى (الترجمة رقم ٥١٥ فى ص ٢٤٩ من هذا الجزء) أنه ورد
فى « قيس بن عيلان » بالمعجمة وبزيادة كلمة « بن » ونهناك على أن لكلمة « بن »
وجها لأن بعض العلماء يقول ، فأما إعجام العين فلا وجه له

(٥٢٢)

الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن
غيمان - بغين معجمة ، وياء تحتها نقطتان - ويقال : عثمان - بعين مهملة
وئا مثلثة - ابن جثيل - بجيم وئا مثلثة وياء ساكنة تحتها نقطتان -
وقال ابن سعد : هو خثيل بنخاء معجمة ، ابن عمرو بن ذى أصبح
واسمه الحارث ، الأصبحي ، المدني

أبو عبد الله
مالك بن أنس
الأصبحي
إمام دار
الهجرة

إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأعلام ، أخذ القراءة عَرَضاً عن نافع بن
أبي نعيم ، وسمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر ، رضى الله عنهما ! وروى عنه الأوزاعي
ويحيى بن سعيد ، وأخذ العلم عن ربيعة الرأي ، وقد تقدم ذكره ، وأفقي معه عند
السلطان ، وقال مالك : قل رجلٌ كنتُ أتعلّم منه مامات حتى يحيئني ويستفتيني ،
وقال ابن وهب : سمعت منادياً ينادى بالمدينة : ألا لا يفقي الناس إلا مالك بن
أنس وابن أبي ذئب ، وكان مالك إذا أراد أن يحدث تواضعاً وجلس على صدر
فراشه وسرح لحيته وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث ، ف قيل له في ذلك ،
فقال : أحب أن أعظمَ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث به
إلا متمكناً على طهارة ، وكان يكره أن يحدث على الطريق أو قائماً أو مستعجلاً
ويقول : أحب أن أتفهم ما أحدث به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان
لا يركب في المدينة مع ضعفه وكبر سنه ، ويقول : لا أركب في مدينة فيها جُنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدفونة ، وقال الشافعي : قال لي محمد بن الحسن :
أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم ؟ يعنى أباحنيفة ومالكا ، رضى الله عنهما ! قال :
قلت : على الإنصاف ؟ قال : نعم ، قال : قلت : ناشدتك الله مَنْ أعلم بالقرآن
صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : قلت : ناشدتك الله مَنْ أعلم
بالسنة صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال : قلت : ناشدتك الله

من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم ؟ قال : اللهم صاحبكم ، قال الشافعي : فلم يبق إلا القياس ، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء ، فعلى أى شيء نقيس ^(١) ؟ وقال الواقدي : كان مالك يأتى المسجد ، ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضى الحقوق ، ويجلس فى المسجد ويجتمع إليه أصحابه ، ثم ترك الجلوس فى المسجد فكان يصلى وينصرف إلى مجلسه ، وترك حضور الجنائز فكان يأتى أهلها فيعزيهم ، ثم ترك ذلك كله ، فلم يكن يشهد الصلوات فى المسجد ولا الجمعة ولا يأتى أحداً يعزيه ولا يقضى له حقاً ، واحتمل الناس له ذلك حتى مات عليه ، وكان ربما قيل له فى ذلك فيقول : ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره ، وسعى به إلى جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما وهو عم أبى جعفر المنصور ، وقالوا له : إنه لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشيء ، فغضب جعفر ، ودعابه ، وجردّه وضربه بالسياط ، ومدت يده حتى خلعت كتفه ^(٢) ، وارتكب منه أمراً عظيماً ، فلم يزل بعد ذلك الضرب فى علو ورفعة وكأنما كانت تلك السياط حلياً حلى به .

وذكر ابن الجوزى فى « شذور العقود » فى سنة سبع وأربعين ومائة : وفيها ضرب مالك بن أنس سبعين سوطاً لأجل فتوى لم توافق غرض السلطان ^(٣) ، والله أعلم . وكانت ولادته فى سنة خمس وتسعين للهجرة ، وحمل به ثلاث سنين .

وتوفى فى شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، رضى الله عنه ! فعاش أربعاً وثمانين سنة ، وقال الواقدي : مات وله تسعون سنة ، وقال ابن الفرات فى تاريخه المرتب على السنين : توفى مالك بن أنس الأصبحى لعشر مضين من شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ، وقيل : إنه توفى سنة ثمان وسبعين ومائة ، وقيل : إن مولده سنة

(١) فى ١ « فعلى أى شيء نقيس ؟ » (٢) فى ١ ، ب « حتى انخلعت كتفه »

(٣) فى ١ وحدها « غرض السلاطين »

تسعين للهجرة ، وقال السمعاني في كتاب الأنساب في ترجمة الأصبحي : إنه ولد في سنة ثلاث أو أربع وتسعين ، والله أعلم بالصواب .

وحكى الحافظ أبو عبد الله الحميدي في كتاب « جذوة المقتبس » قال : حدث القعنبى قال : دخلت على مالك بن أنس في مرضه الذى مات فيه ، فسلمت عليه ، ثم جلست فرأيت يميني ، فقلت : يا أبا عبد الله ، ما الذى يبكىك ؟ فقال لى : يا بن قَعْنَب ، ومالى لا أبكى ؟ ومن أحق بالبكاء منى ؟ والله لوددت أنى ضربت بكل مسألة أفيتت فيها برأى بسوط سوط ، وقد كانت لى السعة فيما قد سُبقت إليه ، وليتنى لم أفت بالرأى ، أو كما قال ، وكانت وفاته بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، ودفن بالبقيع .

وكان شديد البياض إلى الشقرة ، طويلا ، عظيم الهامة ، أصلع ، يلبس الثياب العَدَنِيَّة الجياد ، ويكره حلق الشارب ، ويعيبه ، ويراه من المثلة ، ولا يغير شديده .

ورثاه أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج ، وقد سبق ذكره ، بقوله

[من الطويل] :

سقى جدًا ضم البقيعُ لملك	من المزن مرَّ عاد السحاب مبرِّاقُ
إمام موطاه الذى طبقت به	أقاليم فى الدنيا فساحُ وآفاقُ
أقام به شرعُ النبى محمد	له حذر من أن يضام وإشفاقُ
له سندٌ عال صحيح وهَيِّبَة	فللكل منه حين يرويه إطراقُ
وأصحابُ صدقٍ كلهم علم فسَلُ	بهم إنهم إن أنت ساءلتَ حدائقُ
ولو لم يكن إلا ابن إدريس وحده	كفاه ألا إن السعادة أرزاقُ

والأصبحي — بفتح الهمزة ، وسكون الصاء المهملة ، وفتح الباء الموحدة ،

وبعدها حاء مهملة — هذه النسبة إلى ذى أَصْبَح ، واسمه الحارث بن عوف بن

مالك بن زيد بن شداد بن زرعة ، وهو من يعرب بن قحطان ، وهي قبيلة كبيرة باليمن ، وإليها تنسب السياط الأصبحية ، وقال هشام بن الكلبي في جمهرة النسب : ذو أصبح هو الحارث بن مالك بن زيد بن غوث بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هميسع بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، واسمه يقطن بن عابر بن شالخ بن إرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام ، والذي ذكرناه أولاً ذكره الحازمي في كتاب « العجالة » والله أعلم بالصواب .

(٥٢٣)

أبو يحيى مالك
ابن دينار

أبو يحيى مالك بن دينار البصرى
وهو من موالى بنى سامة بن لؤى القرشى

كان عالماً زاهداً كثير الورع ، قنوعاً لا يأكل إلا من كسبه ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، وروى عنه أنه قال : قرأت في التوراة أن الذى يعمل بيده طوبى لحياه وتمامه ، وكان يوماً فى مجلس وقد قص فيه قاصٌّ ، فبكى القوم ، ثم ما كان بأوشك من أن أتوا برؤوس فجعلوا ياء كلون منها ، فقل لمالك : كل ، فقال : إنما يأكل الرؤوس من بكى ، وأنا لم أبك ، فلم يأكل منها ، وله مناقب عديدة ، وأثار شهيرة : فمن ذلك ما حكاه أبو القاسم خلف بن بشكوال الأندلسى المتقدم ذكره فى كتابه الذى سماه « كتاب المستغيثين بالله تعالى » ، فانه قال : بينما مالك بن دينار يوماً جالس إذ جاء رجل فقال : يا أبا يحيى ، ادع الله لامرأة حبلى منذ أربع سنين وقد أصبحت فى كرب شديد ، فنضب مالك وأطبق المصحف ، ثم قال : ما

يرى هؤلاء القوم إلا أننا أنبياء ، ثم قرأ ثم دعا فقال : اللهم هذه المرأة إن كان في بطنها جارية فأبدلها بها غلاما فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ثم رفع مالك يده ورفع الناس أيديهم ، وجاء رسول إلى الرجل ^(١) وقال : أدرك امرأتك فذهب الرجل فما حط مالك يده حتى طلع الرجل من باب المسجد ، وعلى رقبته غلام جَعْدَ قَطَطَ ^(٢) ابن أربع سنين قد استوت أسنانه ما قطع سَرَرُهُ ^(٣) ، وكان من كبار السادات .

وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة بالبصرة ، قبل الطاعون بيسير ، رحمه الله تعالى ! .
وقد أذكرني مالك بن دينار أبياتا أنشدنيها لنفسه صاحبنا جمال الدين محمود بن عبد عملها في بعض الملوك ، وقد حارب ملكا آخر فانتصر الملك الذي عمل فيه الأبيات على عدوه ، وغنم أمواله وخزائنه وأسر رجاله وأبطاله ، فلما صار الجميع في قبضته فرَّقَ الأموال على الناس ، واعتقل الأجناد ، فمدحه ابن عبد المذكور بقصيدة أجاد فيها كل الإجادة ، ووصف هذه الواقعة ، واستعمل لفظة مالك بن دينار وحصل له فيها التورية العجيبة ، والموضع المقصود منها قوله [من الكامل] :

أَعْتَقْتُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ مَا اسْتَعْبَدُوا وَمَلَكَتْ رَقَمَهُمْ وَهَمَّ أَحْرَارُ
حَتَّى غَدَا مِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَالِكَا مَتَمْنِيًا لَوْ أَنَّهُ دِينَارُ
وَهَذَا فِي نَهَاةِ الْحَسَنِ ، فَلِهَذَا ذَكَرْتُهُمَا .

(١) في ١ « إلى عند الرجل »

(٢) الجعد - بفتح الجيم وسكون العين - القصير الشعر ، والقطط - بفتحيتين - ومثله القط - بفتح القاف وتشديد الطاء - مثل الجعد في المعنى

(٣) في ١ ، ب « ما قطع سراره » بزيادة ألف بين الرائي - ويقال « سر » بضم السين وتشديد الراء ، و « سرر » بفتح السين والراء ، و « سرر » بضمها وهو اسم لما تقطعه القابلة من موضع سرّة الوليد

(٥٢٤)

أبو السعادات المبارك بن أبي السكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد أبو السعادات
الشيبياني ، المعروف بابن الأثير ، الجزري ، الملقب بمحمد الدين
قال أبو البركات بن المستوفى في تاريخه في حقه : أشهر العلماء ذكراً ، وأكبر ابن الأثير
النبلأ قدراً ، وأحد الأفاضل المشار إليهم ، وفرد الأماثل المعتمد في الأمور
عليهم ، أخذ النحو عن شيخه أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان ، وقد سبق
ذكره ، وسمع الحديث متأخراً ، ولم تتقدم روايته ، وله المصنفات البديعة ،
والرسائل الوسيعة : منها « جامع الأصول » في أحاديث الرسول « جمع فيه بين
الصحاح الستة ، وهو على وضع كتاب رزين ، إلا أن فيه زيادات كثيرة عليه ،
ومنها كتاب « النهاية في غريب الحديث » في خمس مجلدات ، وكتاب « الإنصاف
في الجمع بين الكشف والكشاف » في تفسير^(١) القرآن الكريم ، أخذه من تفسير
الشملي والزخشرى ، وله كتاب « المصطفى والمختار » في الأدعية والأذكار « وله
كتاب لطيف في صناعة الكتابة ، وكتاب « البديع » في شرح الفصول في النحو
لابن الدهان « وله ديوان رسائل ، وكتاب « الشافي في شرح مسند الامام
الشافعي » وغير ذلك من التصانيف .

وكانت ولادته بجزيرة ابن عمر في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة
ونشأ بها ، ثم انتقل إلى الموصل واتصل بخدمة الأمير مجاهد الدين قايمار بن
عبد الله الخادم الزينى المقدم ذكره في حرف القاف ، وكان نائب المملكة ، فكتب
بين يديه منشئاً إلى أن قبض عليه كما سبق ذكره ، فاتصل بخدمة عز الدين مسعود
ابن مودود صاحب الموصل ، وتولى ديوان رسائله ، وكتب له إلى أن توفي ، ثم
اتصل بولده نور الدين أرسلان شاه ، وقد سبق ذكره ، فحظى عنده ، وتوفرت

(١) في ١ « وتفسير القرآن الكريم » وليس بشيء ؛ لأن كتاب الإنصاف هو
نفسه تفسير القرآن الكريم ، فلا يعطف عليه .

حرمته لديه ، وكتب له مدة ، ثم عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا ، وأقام في داره يغشاها الأكابر والعلماء ، وأنشأ رباطا بقرية من قرى الموصل تسمى « قصر حرب » ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي كان يسكنها بالموصل ، وبلغني أنه صنف هذه الكتب كلها في مدة العطلة ، فانه تفرغ لها ، وكان عند جماعة يعينونه عليها في الاختيار والكتابة ، وله شعر يسير فمن ذلك ما أنشده للأتابك صاحب الموصل وقد زلّت به بغلته [من السريع] :

إن زلّت البغلة من تحتي فإن في زلتها عذرا

حملها من علمه شاهقا ومن ندّى راحته بحرا

وهذا معنى مطروق ، وقد جاء في الشعر كثيرا .

وحكى أخوه عز الدين أبو الحسن على أنه لما أقعد جاءهم رجل مغربي ، والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه ، وأنه لا يأخذ أجرا إلا بعد برئه ، فلما إلى قوله ، وأخذ في معالجته بدهن صنعه ، فظهرت ثمرة صنعه ، ولانت رجلاه ، وصار يتمكن من مدهما ، وأشرف على كمال البرء فقال لى : أعط هذا المغربي شيئا يرضيه واصرفه فقلت له : لماذا وقد ظهر نَجْحُ معاناته ^(١) ؟ فقال : الأمر كما تقول ، ولكنى فى راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم ، وقد سكنت روحى إلى الانقطاع والدعة ، وقد كنت بالأمس وأنا معافى أذل نفسى بالسعى إليهم ، وها أنا اليوم قاعد فى منزلى ، فاذا طرأت لهم أمور ضرورية جاؤنى بأنفسهم لأخذ رأيى ، وبين هذا وذاك كثير ، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض ، فما أرى زواله ولا معالجته ، ولم يبق من العمر إلا القليل ، فدعنى أعيش باقيه حرا سليما من الذل ، وقد أخذت منه أوفر حظ ، قال عز الدين : فقبلت قوله ، وصرفت الرجل باحسان .

وكانت وفاة مجد الدين المذكور بالموصل ، يوم الخميس سابع ذى الحجة سنة ست وستمائة ، ودفن برباطه بدرب دراج داخل البلد ، رحمه الله تعالى ! .

(١) فى ١ « معافاته » وما هنا عن ب أحسن .

وقد سبق ذكر أخيه عز الدين علي ، وسيأتي ذكر أخيه ضياء الدين نصر الله ، إن شاء الله تعالى .
وجزيرة ابن عمر : مدينة فوق الموصل على دجلتها ، سميت جزيرة لأن دجلة محيطة بها ، قال الواقدي : بناها رجل من أهل بَرْقَمِيدَ يقال له عبد العزيز بن عمر .

(٥٢٥)

سيف الدولة
مجد الدين
أبو الميمون
المبارك بن كامل
ابن منقذ
الكناني

أبو الميمون المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ
الكناني ، الملقب سيف الدولة مجد الدين
كان من أمراء الدولة الصلاحية ، وشاد الديوان بالديار المصرية ، وهو من
بيت كبير ، وقد سبق ذكر جده سيد الدولة علي ، وابن عمه أسامة بن مرشد
ولما سير السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة توران شاه المقدم ذكره إلى بلاد
اليمن وتملكها رتب ابن منقذ المذكور نائبا عنه في زبيد ، ولما رجع شمس الدولة
إلى الشام فارق ابن منقذ اليمن واستتاب أخاه حطان باذن شمس الدولة ، ووصل
إلى دمشق ، ثم رجع شمس الدولة إلى مصر وابن منقذ معه ، وقيل لصلاح الدين
عنه : إنه قتل جماعة من أهل اليمن وأخذ أموالهم ، فلما مات شمس الدولة حبسه
صلاح الدين ، وأخذ منه ثمانين ألف دينار وعروضا بعشرين ألف دينار ، وذلك
في سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، ثم توجه سيف الإسلام طغتكين المقدم ذكره إلى
اليمن فتحصن حطان في بعض القلاع ، فاستنزله بالمهادنة والخداع ، وقبض عليه ،
واستصفي أمواله ، وسجنه في بعض القلاع ، وكان آخر العهد به ، ويقال : إنه قتله ،
وقيل : إنه أخذ منه سبعين غلاف زردية مملوءة ذهباً ، ولم يزل سيف الدولة مقدما

في الدولة ، كبير القدر ، نبيه الذكر ، رئيساً ، على الهمة ، وكانت فيه فضيلة ، وكان
 يب أربابها ، ومدحه جماعة من مشاهير الشعراء ، ومن جملة مداحه الوجيه
 رضى الدين أبو الحسن على بن أبي الحسن يحيى بن أحمد المعروف بابن الذرورى
 مدحه بقصيدته الذالية التى سارت مسير المثل ، وأولها [من الطويل] :

لك الخير عرج بى على ربهم فنرى ربوع يفوح المسك من عرْفها الشدى
 وذا ، يا كليم الشوق ، وادٍ مقدس لذى الحب فاخلع لئس يمشيه محتذى
 ومن جملتها :

ولى ظبي أنس كمل الله حسنه وقال لأفواه الخلائق عوذى
 جلا تحت ياقوت اللّعى ثغر جوهر رطيب وأبدى شاربا من زمرذ
 ولى عُذْلٌ أبدى التشاغل عنهم إذا أخذوا فى عذلهم كل مأخذ
 يقولون من هذا الذى مُتَّ فى الهوى به كددا يارب لا عرفوا الذى
 ورُبُّ أديب لم يجد فى ارتحاله جوادا إذا ما قال هاتِ يَقلُّ خُذِ
 أقول له إذ قام يرحل مغضبا يكلفه طول السفار وقد حذى
 مبارك وفد العيس باب مبارك وهل منقذ القصاد إلا ابن منقذ

ومن مديحه ، وفيه صناعة بدیعة :

وألین عند السلم من بطن حیة وأخشن يوم الروع من ظهر قنفذ
 وهى قصيدة نفیسة اقتصرت منها على هذا القدر حذرا من التّطویل

ولأبى الميمون المذكور شعر ، فمن ذلك قوله فى البراغیث [من البسيط] :
 ومعشر يستحل الناس قتلهم كما استحلوا دم الحجاج فى الحرم
 إذا سفكت دما منها فما سفكت یدای من دمها المسفوك غير دمی
 [أستاذ هذا فىبقى ذا فىلسفى فىنقضى اللیل فى صیدى ولسمعهم]^(١)

هكذا رواها عنه عز الدين أبو القاسم عبد الله بن أبي علي الحسين بن أبي محمد
عبد الله بن الحسين بن رواحة بن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة بن عبيد بن محمد
ابن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي .

ومولد ابن رواحة بساحل صقلية سنة ستين وخمسمائة ، ومات سنة ست
وأربعين وستمائة في جباب التركان المنزلة التي بين حلب وحماة ، وهو راكب على
الجل ، فكانت ولادته في مركب ، ومات على جل .

وكانت ولادة سيف الدولة المذكور بقلعة شينرز سنة ست وعشرين
وخمسمائة .

وتوفي بالقاهرة ثامن شهر رمضان يوم الثلاثاء سنة تسع وثمانين وخمسمائة
رحمه الله تعالى ! .

والذروى — بفتح الذال المعجمة والراء ، وبعدها واو — هذه النسبة إلى
خرو ، وهى قرية بصعيد مصر .

(٥٢٦)

أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد بن المبارك بن موهوب
ابن غنيمة بن غالب ، اللخمي ، الملقب شرف الدين ،
المعروف بابن المستوفى ، الإربلي

شرف الدين
أبو البركات
المبارك بن أحمد
ابن المستوفى
الإربلي

كان رئيساً جليل القدر ، كثير التواضع ، واسع السكرم ، لم يصل إلى إربل
أحد من الفضلاء إلا وبادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى
قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الأدب ، فقد كانت سوقهم لديه نافقة ، وكان
جم الفضائل ، عارفاً بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق
به ، وكان إماماً فيه ، وكان ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض
والقوافي وعلم البيان وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعاً
في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم ، وجمع لإربل
تاريخاً في أربع مجلدات ، وقد أحلت عليه في هذا الكتاب في مواضع عديدة ،
وله كتاب «النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام» في عشر مجلدات ، وكتاب
«إثبات المحصل» في نسبة أبيات المفصل في مجلدين تكلم فيه على الأبيات التي
استشهد بها الزمخشري في المفصل ، وله كتاب «سر الصنعة» وله كتاب سماه
«أبا قماش» جمع فيه أدبا كثيراً ونوادير غيرها ، وسمعت منه كثيراً ، وسمعت
بقراءته على المشايخ الواردين على إربل شيئاً كثيراً فانه كان يعتمد القراءة بنفسه ،
وله ديوان شعر أجاد فيه ، فمن شعره بيتان فضل فيهما البياض على السمرة ، وهما
[من الكامل] :

لا تَخْذَعَنَّكَ شُجْرَةُ غَرَارَةٍ ما الحسنُ إلا للبياض وجَدْسُهُ
فالرمحُ يقتل بعضه من غيره والسيفُ يقتل كله من نفسه

وقد أخذ هذا المعنى من قول أبي الندى حسان بن نمير الكلابي المعروف

بالعرقلة الدمشقي الشاعر المشهور ، وهو [من البسيط] :

إن كنت بالأسمر الزيتي مُفْتَدِنًا فسَلَّ عن الأبيض الفضي بَلْبَالِي

إن كان في الرمح شبرٌ قاتلٌ أبداً ففي المِهْنَدِ شبرٌ غير قتال

ولما نظم شرف الدين بيتيه [هذين] قال بعض الأدباء : لو قال إن بعض
الرمح الذي يقتل به هو من جنس السيف كان أتم في المعنى ، فعمل بعض
المُتَأَدِّبِينَ — ولا أعلم هل هو شرف الدين نفسه ^(١) أم غيره — بيتين نَبَّهَ فيهما
على هذه الزيادة ، وهما [من مجزوء الكامل] :

البِيضُ أَقْتَلُ مُضْرَبًا وبمَهْجَتِي مِنْهَا الْحَسَانُ

والسَمْرُ إِنْ قَتَلْتُ فَمِنْ بِيضٍ يُصَاغُ لَهَا السَّنَانُ

ومن أشعاره التي يتغنى بها [قوله] [من الكامل] :

يا ليلة حتى الصباح سهرتُها قابلت فيها بَدْرَهَا بِأَخِيهِ

سمح الزمان بها فكانت ليلة عَذَّبَ الْعَتَابُ بِهَا لِجُتْدِيهِ

أحييتها وأمتتها عن حاسدٍ ما همُّهُ إِلَّا الْحَدِيثُ يَشِيهِ

ومعَانِي حُلُو الشَّامِلِ أَهْيَفُ جُمِعَتْ مَلَا حَةَ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ

يُخْتَالُ مَعْتَدِلًا فَانْ عَبَثَ الصَّبَا بِقَوَائِمِهِ مَتَعِرُضًا يَنْثِيهِ

نَشَوَانُ تَهْجُمُ بِي عَلَيْهِ صَبَابَتِي وَيُرَدِّنِي وَرَعَى فَاَسْتَحْيِيهِ

علقت يدي بَعْدَارِهِ وَبُجْدِهِ هَذَا أَقْبَلُهُ وَذَا أَجْنِيهِ

لو لم تخالط زفرتي أنفاسه كَانَتْ تَمُّ بِنَا إِلَى وَاشِيهِ

حَسَدَ الصَّبَاحِ اللَّيْلَ لَمَّا ضَمَّنَا غِيظًا فَفَرَّقَ بَيْنَنَا دَاعِيهِ

وله أيضاً [من الطويل] :

رعى الله ليلات تَقَضَّتْ بِقَرْبِكُمْ قَصَارَا وَحَيَّاهَا الْحَيَا وَسَقَاهَا

(١) في « شرف الدين بنفسه » وتخرج على أن الباء حرف زائد .

فما قلت إيه بعدها لمسامي من الناس إلا قال قلبي آها
وهذان البيتان يوجدان في أثناء قصيدة لصاحبنا الحسام الخارجي
المقدم ذكره في حرف العين ، لكن رأيت أكثر أصحابنا يقولون : إنهما
لشرف الدين المذكور .

وكان قد خرج من مسجد بجواره ليلاً ليحجىء إلى داره فوثب عليه
شخص وضربه بسكين قاصداً فؤاده ، فالتقى الضربة بعضده فجرحته جرحه متسعة
فأحضر في الحال المزين وخاطها ومَرَّخَهَا^(١) وقطها باللائف ، فكتب إلى الملك
المعظم مظفر الدين صاحب إربل يطالعه بما تم عليه في هذه الأبيات ، وغالب
ظنى أن ذلك كان في سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وأذكر القضية وأنا يومئذ صغير ،
والأبيات [من الكامل] :

يا أيها الملك الذى سَطَوَ آئُهُ	من فعلها يتعجَّبُ المرينخ
آيات جودك محكم تنزيلها	لا ناسخ فيها ولا منسوخ
أشكو إليك وما بليت بمثلها	شنعاء ذكرُ حديثها تاريخ
هى ليلة فيها ولدت وشاهدى	فيما ادعيت القمط والتمريخ ^(١)

وهذا معنى بديع جداً .

وكان يقول : عملت في نوحى بيتين وهما [من المتقارب] :

وبقنا جميعاً وبات الغيورُ يعضُّ يديه علينا خنقُ
نود غراماً لو أنا نباعُ سوَادَ الدجى بسوَادِ الحَدَقُ

وكان قد وصل إلى إربل الشرف عبد الرحمن بن أبى الحسن بن عيسى بن
على بن يعرب البوازيجى الشاعر في سنة ثمان وعشرين وستمائة ، وشرف الدين
يومئذ وزير ، فسير له مثلوما على يد شخص كان في خدمته يقال له السكالم بن
السعار الموصلى صاحب التاريخ ، والمثلوم : عبارة عن دينار تُقَطَّعُ منه قطعة صغيرة

وقد جرت عاداتهم في العراق وتلك البلاد أن يفعلوا مثل ذلك ، لأنهم يتعاملون بالقطع الصغار ، ويسمونهم القراضة ، ويتعاملون أيضاً بالملوم ، وهو كثير الوجود بأيديهم في معاملاتهم ، فجاء السكّال إلى ذلك الشاعر ، وقال له : الصاحبُ يسلم عليك ، ويقول لك : أنفق الساعة هذا حتى يجهز لك شيئاً يصلح لك ، فتوهم ذلك الشاعر أن يكون السكّال قد قرض القطعة من الدينار ، وأن شرف الدين ما سيره إلا كاملاً ، وقصد استعمال الحال من جهة شرف الدين ، فكتب إليه [من السكّال] :

يا أيها المولى الوزير ومن به في الجود حقاً تُضربُ الأمثال
أرسلت بدرالتم عند كاله حسنا فوافي العبدَ وهو هلال
ما غاله النقصان إلا أنه بلغَ السكّال ، كذلك الآجال
فأعجب شرف الدين بهذا المعنى وحسن الاتفاق ، وأجاز الشاعر ، وأحسن إليه .

وكنيت خرجت من إربل في سنة ست وعشرين وستمائة وشرف الدين مستوفى الديوان ، والاستيفاء في تلك البلاد منزلة عليّة ، وهو تلو الوزارة ، ثم بعد ذلك تولى الوزارة في سنة تسع وعشرين وستمائة ، وشكرت سيرته فيها ، ولم يزل عليها إلى أن مات مظفر الدين في التاريخ المذكور في ترجمته في حرف السكاف رحمه الله تعالى ! وأخذ الإمام المستنصر إربل في منتصف شوال من السنة المذكورة فبطل شرف الدين وقعد في بيته ، والناس يلازمون خدمته على ما بلغني ، ومكث كذلك إلى أن أخذ التتر مدينة إربل في سابع عشر شوال سنة أربع وثلاثين وستمائة ، وجرى عليها وعلى أهلها ما قد اشتهر ، فكان شرف الدين في جملة من اعتصم بالقلعة وسلم منهم ، ولما انتزع التتر عن القلعة انتقل إلى الموصل وأقام بها في حرمة وافرة ، وله راتب يصل إليه ، وكان عنده من الكتب النفيسة شيء كثير

ولم يزل على ذلك حتى توفي بالموصل يوم الأحد لخمس خلون من المحرم سنة سبع وثلاثين وستمائة ، ودفن بالمقبرة السالبة خارج باب الجصاصة .

ومولده في النصف من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة ، بقلعة إربل . وهو من بيت كبير كان فيه جماعة من الرؤساء الأدباء ، وتولى الاستيفاء باربل والده وعمه صفى الدين أبو الحسن على بن المبارك ، وكان عمه المذكور فاضلاً وهو الذى نقل « نصيحة الملوك » تصنيف حجة الاسلام أبى حامد الغزالى من اللغة الفارسية إلى العربية ، فان الغزالى لم يضعها إلا بالفارسية ، وقد ذكر ذلك شرف الدين فى تاريخه ، وكنت أسمع ذلك أيضاً عنه أيام كنت فى تلك البلاد ، وكان ذلك مشهوراً بين الناس ، ولما مات شرف الدين رثاه صاحبنا الشمس أبو العز يوسف بن النفيس الإربلى المعروف بشيطان الشام ، ومولد شيطان الشام سنة ست وثمانين وخمسمائة باربل ، وتوفى بالموصل سادس عشر شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، ودفن بمقبرة باب الجصاصة ، وفيه يقول :

أبا البركات لو دَرَّتِ المنايا بأنك فرد عصرك لم تصبكا
كفى الإسلام رزاً فقد شخص عليه بأعين الثقلين يُبكي
ولولا خوف الإطالة لذكرت كثيراً من وقائعه وأخباره وما جرياته وتفاصيل أحواله وما مدح به ، فلقد كان - رحمه الله ! - من محاسن وقته ، ولم يكن فى آخر الوقت فى ذلك البلد مثله فى فضائله ورياسته .
وقد سبق الكلام على اللخمي فلا حاجة إلى إعادته .

(٥٢٧)

الوجيه أبو بكر
المبارك بن
المبارك بن
الدهان
الواسطي
النحوي

أبو بكر المبارك بن أبي طالب المبارك بن أبي الأزهر سعيد ، الملقب
الوجيه ، المعروف بابن الدهان ، النحوي ، الضرير ، الواسطي
ولد ببلده ، ونشأ بها^(١) ، وحفظ القرآن هناك ، وقرأ القراءات ، واشتغل بالعلم
وسمع بها من أبي سعيد نصر بن محمد بن سالم الأديب وأبي الفرج العلاء بن علي
المعروف بابن السوادى الشاعر ، وقد تقدم ذكره ، وغيرهما ، ثم قدم بغداد
واستوطنها ، وكان يسكن بالمظفرية ، وجالس أبا محمد بن الخشاب النحوي ،
وصحب أبا البركات بن الأنباري المقدم ذكرهما ، ولزم أبا البركات ، وجُلَّ مأخذ
عنه ، وسمع الحديث من أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسى ، وتفقه على
مذهب أبي حنيفة بعد أن كان حنبلياً ، ثم شغَرَ منصب تدريس النحو بالمدرسة
النظامية ، وشرط الواقف أن لا يفوز إلا إلى شافعى المذهب ، فانتقل الوجيه
إلى مذهب الشافعى ، وتولاه ، وفى ذلك يقول المؤيد أبو البركات بن زيد
التكريتى [من الطويل] :

ومن مُبْلِغٍ عَنِ الْوَجِيهِ رِسَالَةً وَإِنْ كَانَ لَا تُجْدِي إِلَيْهِ الرِّسَالَةُ
تَمَدُّهُبَتْ لِلنَّعْمَانِ بَعْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ وَذَلِكَ لَمَّا أَعْوَزَتْكَ الْمَاكِلُ
وَمَا اخْتَرْتَ قَوْلَ الشَّافِعِيِّ تَدِينًا وَلَكِنَّمَا هَوَى الَّذِي مِنْهُ حَاصِلُ
وَعَمَّا قَلِيلٍ أَنْتَ لِأَشْكٍ صَائِرٌ إِلَى مَالِكٍ فَافْظَنْ لَمَّا أَنَا قَائِلُ^(٢)
وللوجيه المذكور تصنيف فى النحو ، وأقرأ القرآن الكريم كثيراً ، وكان
كثير الهذر ، وفيه شره نفس وتوسع فى القول ، وكان كثير الدعاوى ، وله شعر
فمنه [من الخفيف] :

لست أستقبح اقتضاءك بالوعيد وإن كنت سيد الكرماء

(١) فى ١ « ونشأ به »

(٢) أراد مالكا خازن النار ، ولم يرد مالكا الإمام الفقيه صاحب المذهب

قَالَ السَّيِّدُ قَدْ ضَمِنَ الرِّزْقَ عَلَيْهِ وَيَقْتَضِي بِالْإِعْزَازِ
وَكَانَتْ وَلادته سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة بواسطة .

وتوفي ليلة الأحد السادس والعشرين من شعبان سنة اثنى عشرة ومائة
ببغداد ، ودفن من الغد بالوَرْدِيَّةِ ، رحمه الله تعالى !

(٥٢٨)

أبو المعالي مجلى بن جُمَيْع بن نِجَا ، القرشي ، الحِزْزِيُّ ، الأرسُوفِي الأصل ،
ابن جميع
الأرسُوفِي
المصري
الشافعي

كان من أعيان الفقهاء المشار إليهم في وقته ، وصنف في الفقه كتاب
« الذخائر » وهو كتاب مبسوط جمع من المذهب شيئاً كثيراً ، وفيه نقل غريب
ربما لا يوجد في غيره ، وهو من الكتب المعتبرة المرغوب فيها ، وتولى أبو المعالي
المذكور القضاء بمصر في سنة سبع وأربعين وخمسمائة بتفويض من العادل أبي الحسن
علي بن السلار المتقدم ذكره في حرف العين ، فإنه كان صاحب الأمر في ذلك
الزمان ، ثم صرف عن القضاء في أوائل سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، قيل : في
العشر الأخير من شعبان من السنة .

وتوفي في ذي القعدة سنة خمسين وخمسمائة ، ودفن بالقرافة الصغرى ، رحمه
الله تعالى ! .

والأرسُوفِي — بضم الهمزة ، وسكون الراء ، وضم السين المهملة ، وسكون
الواو ، وبعدها فاء — هذه النسبة إلى أَرْسُوفٍ ، وهي بلدة بالشام على ساحل
البحر ، كان بها جماعة من العلماء والمرابطين ، وهي اليوم بيد الفرنج ، خذلهم
الله تعالى !

زيادة : فتحت أرسُوف على يد الملك الظاهر بيبرس سنة ثلاث وستين
وسمائه ، والحمد لله ! .

(٥٢٩)

أبو علي المحسن
ابن علي القاضي
التنوخى

القاضى أبو على المحسن بن أبى القاسم على بن محمد بن أبى الفهم
داود بن إبراهيم بن تميم ، التنوخى

وقد سبق ذكر أبيه فى حرف العين وإيراد شىء من أخباره وشعره .
وذكرهما الثعالبي فى باب واحد ، وقدم ذكر الأب ، ثم قال فى حق أبى على المذكور :
هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل بمجد أبيه وفضله ،
والفرع المشيد^(١) لأصله ، والنائب عنه فى حياته ، والقائم مقامه بعد وفاته . وفيه
يقول أبو عبد الله بن الحجاج الشاعر [من الوافر] :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيرت الشُّباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم أصغه إلا بحضرة سيدى القاضى التنوخى

وله كتاب « الفرج بعد الشدة » وذكر فى أوائل هذا الكتاب أنه كان
على العيار فى دار الضرب بسوق الأهواز فى سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وذكر
بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابن عمر ، وله ديوان شعر أكبر من
ديوان أبيه ، وكتاب « نشوان المحاضرة »^(٢) وله كتاب « المستجاد » من فعلات
الأجواد ، وسمع بالبصرة من أبى العباس الأثرم وأبى بكر الصولى والحسين بن
محمد بن يحيى بن عثمان النسوى وطبقتهم ، ونزل ببغداد ، وأقام بها ، وحدث إلى
حين وفاته ، وكان سماعه صحيحاً ، وكان أديباً شاعراً أخبارياً ، وكان أول سماعه
الحديث فى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ، وأول ما تقلد القضاء من قبل أبى السائب

(١) فى ١ « والفرع المسند لأصله » وأثبتنا ما فى ب

(٢) كذا فى الأصول كلها ، وأعرفه باسم « نشوان المحاضرة »

عتبة بن عبيد الله بالقصر وبابل وما والاها في سنة تسع وأربعين ، ثم ولاه الإمام المطيع لله القضاء بعسكر مكرم وإيدج ورامهرمز ، وتلك بعد ذلك أعمالا كثيرة في نواح مختلفة .

ومن شعره في بعض المشايخ وقد خرج يستسقي وكان في السماء سحاب ، فلما دعا أصحَّت السماء ، فقال أبو علي التنوخي [من الطويل] :

خرجنا لذستسقي بيؤمنُ دعائه وقد كاد هُذْبُ العَيمِ أن يلاحق الأرضا
فلما ابتدا يدعو تكشفت السما فما تم إلا والغمامُ قد انفضاً^(١)

ولأبي الحسين سليمان بن محمد بن الطراوة النحوي الأندلسي المألوف في هذا المعنى [من الكامل] :

خرجوا ليستسقيوا وقد نجمت غريبة قَيْنُ بها السَّحُحُ
حتى إذا اصطفوا لدعوتهم وبدا لأعينهم بها رَشَحُ
كُشِفَ السحابُ إجابةً لهمُ فكانهم خرجوا ليستصحوا

ومن المنسوب إليه [من الكامل] :

قل للمليحة في الخمار المذهبِ أفسدت نسكَ أخي التقى المترهبِ
نور الخمار ونور خدك تحتَه عَجَباً لوجهك كيف لم يتلَهَبِ
وجعت بين المذهبين فلم يكن للحسن عن ذهبيهما من مذهبِ
وإذا أتت عينٌ لتسرق نظرةً قال الشماع لها اذهبي لا تذهبي

وما أطف قوله « اذهبي لا تذهبي » ، وقد أذكرتني هذه الأبيات في الخمار المذهب حكايةً وقفت عليها منذ زمان بالموصل ، وهي أن بعض التجار قدم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعه حمل من الخمر السود ، فلم يجد لها طالباً ، فكسدت عليه وضاق صدره ، فقليل له : ما ينفعُها لك إلا مسكين الدارمي ، وهو من مجيدي الشعراء الموصوفين بالظرف والخلاعة ، فقصدَه فوجده قد تزهد

(١) ابتدا : أصله ابتداء بالهمز ، ولذلك يكتب بالألف ، ووقع في « إلا والغمام

قد انقضا » بالقاف ، وهو تحريف

وانقطع في المسجد ، فأتاه وقص عليه القصة ، فقال : وكيف أعمل وأنا قد تركت الشعر وعكفت على هذه الحال ؟ فقال له التاجر : أنا رجل غريب ، وليس لي بضاعة سوى هذا الحمل ، وتضرع إليه ، فخرج من المسجد وأعاد لباسه الأول وعمل هذين البيتين وأشهرهما [من الكامل] :

قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا أردتِ بناسكٍ متعب^(١)

قد كان شمراً للصلاة ثياباً به حتى قعدتِ له بباب المسجد^(٢)

فشاع بين الناس أن مسكيننا الدارمي قد رجع إلى ما كان عليه ، وأحب واحدة ذات خمار أسود ، فلم يبق بالمدينة ظريفة إلا وطلبت خماراً أسود ، فباع التاجر الحمل الذي كان معه بأضعاف ثمنه ، لكثرة رغباتهم فيه ، فلما فرغ منه عاد مسكين إلى تعبده وانقطاعه .

وكتب القاضي أبو علي التَّنُوخِي المذكور إلى بعض الرؤساء في شهر رمضان [من الخفيف] :

نلتَ في ذا الصَّيَّام ما تشتهيهِ وكفَّاكَ الإله ما تنقيهِ

أنتَ في الناس مثلُ شهركَ في الأشهرِ ، بلْ مثلُ ليلةِ القَدْرِ فيهِ

وله أشياء فائقة .

وكانت وفاته ليلة الاثنين ، لخمس بقين من المحرم ، سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، ببغداد ، رحمه الله تعالى ! .

وكانت ولادته ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين وثلثمائة ، بالبصرة .

وأما ولده أبو القاسم علي بن الحسن التَّنُوخِي فكان أديباً فاضلاً له شعر لم أقف منه على شيء ، وكان يصحب أبا العلاء المعري ، وأخذ عنه كثيراً ، وكان يروى الشعر الكثير ، وهم أهل بيت كلهم فضلاء ، أدباء ظرفاء ، وكانت ولادة

(١) في ١ « قال للمليحة » محرفاً

(٢) في ١ « شمراً للصلاة إزاره »

الولد المذكور في منتصف شعبان سنة خمس وستين وثمانمائة بالبصرة ، وتوفي في يوم الأحد مستهل المحرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! وكانت بينه وبين الخطيب أبي زكرياء التبريزي مؤانسة واتحاد بطريق أبي العلاء المعري وذكره الخطيب في « تاريخ بغداد » وعدّد شيوخه الذين روى عنهم ، ثم قال : وكتبت عنه ، وذكر مولده ووفاته كما هو ههنا ، لكنه قال : إن وفاته كانت ليلة الاثنين ثاني المحرم ، ودفن يوم الاثنين في داره بدرب التل ، وإنه صلى على جنازته ، وإن أول سماعه كان في شعبان سنة سبعين ، وكان قد قبلت شهادته عند الحكم في حديثه ، ولم يزل على ذلك مقبولا إلى آخر عمره ، وكان متحفظا في الشهادة ، محتاطا ، صدوقا في الحديث ، وتقلد قضاء نواح عدة ، منها المدائن وأعمالها وأذربيجان والبردان وقرميسين وغير ذلك .

وقد سبق الكلام على التنوخي

والحسن : بضم الميم ، وفتح الحاء المهملة ، وكسر السين [المهملة] المشددة ، وبعدها نون ، وإليه كتب أبو العلاء المعري قصيدته التي أولها :
* هات الحديث عن الزوراء أو هيتا *

(٥٣٠)

أبو عبد الله
محمد بن
إدريس
الشافعي
الإمام

الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب
ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، القرشي ،
المطلبی ، الشافعی ، يجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عبيد مناف المذكور ، وباقي النسب
إلى عدنان معروف

لحق جدّه شافع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مترعرع ، وكان أبوه
السائب صاحب راية بني هاشم يوم بدر ، فأُسر وفدّى نفسه ، ثم أسلم ، فقبل له :
لم لم تسلم قبل أن تفدى نفسك ؟ فقال : ما كنت أحرم المؤمنين مطعماً لهم في ،
وكان الشافعي كثير المناقب ، جم المفاخر ، منقطع القرين ، اجتمعت فيه من
العلوم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة رضي الله عنهم
وأثارهم واختلاف أقاويل العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والعربية
والشعر حتى إن الأصمعي مع جلالته قدره في هذا الشأن قرأ عليه أشعار الهذليين
ما لم يجتمع في غيره ، حتى قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ما عرفت ناسخ
الحديث من منسوخه حتى جالست الشافعي ، وقال أبو عبيد القاسم بن سلام :
ما رأيت رجلاً قط أكمل من الشافعي ، وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : قلت
لأبي : أي رجل كان الشافعي ؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له ، فقال : يا بني ،
كان الشافعي كالشمس للدين والدنيا كالعافية للبدن ، هل لهُذين من خلف أو عنهما من
عِوض ؟ وقال أحمد : ما بُدّ منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو للشافعي وأستغفر له ،
وقال يحيى بن معين : كان أحمد بن حنبل يَنْهَانَا عن الشافعي ، ثم استقبلته يوماً
والشافعي راكب بغلة وهو يمشي خلفه ، فقلت : يا أبا عبد الله ، تمنّاهنا عنه وتمشى
خلفه ؟ فقال : اسكت ، لو لزمت البغلة لاتنفعت .

وحكى الخطيبُ في تاريخ بغداد عن ابن عبد الحكم قال : لما حَمَلَتْ أُمُ الشافعي به رأت كأن المشتري خرج من فرجها حتى انقضَّ بمصر ، ثم وقع في كل بلد منه شَطِيبَةٌ ، فتأول أصحاب الرؤيا أنه يخرج [منها] عالم يخص علمه أهل مصر ثم يتفرق في سائر البلدان ، وقال الشافعي : قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت الموطأ ، فقال لي : أحضر من يقرأ لك ، فقلت : أنا قارىء ، فقرأت عليه الموطأ حفظاً ، فقال : إن يك أحد يفلح فهذا الغلام ، وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال : سلوا هذا الغلام ، وقال الحميدي : سمعت الزنجي بن خالد يعني مسلماً يقول : للشافعي : أفت يا أبا عبد الله فقد [والله] آن لك أن تفنى ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وقال محفوظ بن أبي توبة البغدادي : رأيت أحمد بن حنبل عند الشافعي في المسجد الحرام ، فقلت : يا أبا عبد الله ، هذا سفيان بن عيينة في ناحية المسجد يحدث ، فقال : إن هذا يفوت وذاك لا يفوت ، وقال أبو حسان الزيادي : ما رأيت محمد بن الحسن يعظم أحداً من أهل العلم تعظيمه للشافعي ، ولقد جاء يوماً فلقينه وقد ركب محمد بن الحسن ، فرجع محمد إلى منزله وخلا به يومه إلى الليل ، ولم يأذن لأحد عليه ، والشافعي أول من تكلم في أصول الفقه وهو الذي استنبطه ، وقال أبو ثور : من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب ، كان منقطع القرين في حياته ، فلما مضى لسبيله لم يعتصم منه ، وقال أحمد بن حنبل : ما أحد ممن بيده محبرة أو ورق إلا [و] للشافعي في رقبته منةٌ ، وكان الزعفراني يقول : كان أصحاب الحديث رُقوداً حتى جاء الشافعي فأيقظهم فتيقظوا ، [ومن دعائه : اللهم يا لطيف أسألك اللطف فيما جرت به المقادير . وهو مشهور بين العلماء بالإجابة ، وأنه مجرب] وفضائله أكثر من أن تعد [د] .

ومولده سنة خمسين ومائة ، وقد قيل : إنه ولد في اليوم الذي توفي فيه لإمام أبو حنيفة ، وكانت ولادته بمدينة غزة ، وقيل : بعسقلان ، وقيل : باليمن ،

والأول أصح ، وحمل من غزاة إلى مكة وهو ابن سنتين ، فنشأ بها ، وقرأ القرآن الكريم ، وحديث رحلته إلى مالك مشهور فلا حاجة إلى التطويل فيه ، وقدم بغداد سنة خمس وتسعين ومائة ، فأقام بها سنتين ، ثم خرج إلى مكة ، ثم عاد إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة ، فأقام بها شهراً ، ثم خرج إلى مصر ، وكان وصوله إليها في سنة تسع وتسعين ومائة ، وقيل : إحدى ومائتين .

ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين ، ودفن بعد العصر من يومه ، بالقرافة الصغرى ، وقبره يزار بها بالقرب من المقطم ، رضي الله عنه !

قال الربيع بن سليمان المرآدى : رأيت هلال شعبان وأنا راجع من جنازته ، وقال : رأيت في المنام بعد وفاته فقلت : يا أبا عبد الله ، ماضع الله بك ؟ فقال : أجلسنى على كرسى من ذهب ، ونثر على اللؤلؤ الرطب ^(١) [وذكر الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى كتاب طبقات الفقهاء ما مثاله : وحكى الزعفرانى عن أبى عثمان بن الشافعى قال : مات أبى وهو ابن ثمان وخمسين سنة] ^(١) .

وقد اتفق العلماء قاطبة من أهل الحديث والفقه والأصول واللغة والنحو وغير ذلك على ثقته وأمانته وعدالته وزهده وورعه ونزاهة عريضة وعفة نفسه وحسن سيرته وعلو قدره وسخائه

وللامام الشافعى أشعار كثيرة : فمن ذلك ما نقلته من خط الحافظ أبى طاهر السلفى رحمه الله تعالى [من الكامل] :

إن الذى رزق اليسار ولم يصب	حمداً ولا أجراً لغير موفق
الجد يذنب كل أمر شاسع	والجد يفتح كل باب مغلق
وإذا سمعت بأن محدوداً حوى	عوداً فأمر فى يديه فضدق
وإذا سمعت بأن محروماً أتى	ماء ليشربه ففاض فحقق

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ١

لو كان بالحيل الغنى لوجدتني بنجوم أقطار السماء تعلقتي^(١)
 لكن من رزق الحجا حرم الغنى ضدان مفترقان أى تفرق
 ومن الدليل على القضاء وكونه بؤس اليبس وطيب عيش الأحمق
 ومن المنسوب إليه أيضاً [من الكامل] :

ماذا يخبر ضيف بيتك أهله إن سيل كيف معاده ومعاجه
 يقول جاوزت الفرات ولم أنل ريثاً لديه وقد طفت أمواجه
 ورقيت في درج العلا فتضايقت عما أريد شعابه وفجابه
 ولتخبرن خصاصي بتملتي والماء يخبر عن قداه زجابه
 عندى يواقيت القريض وذره وعلى إكليل الكلام وتاجه
 تربي على روض الربا أزهاره ويرف في نادى الندى ديباجه^(٢)
 والشاعر المنطيق أسود سالح والشعر منه لعابه ومجابه
 وعداؤه الشعراء دائه معضل ولقد يهون على الكريم علاجه
 وهو القائل [من الوافر] :

ولو لا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد
 ومن المنسوب إلى الشافعي [من مجزوء الرمل] :

كلما أدبني الدهر أراني نقص عقلي
 وإذا ما زددت علماً زادني علماً بجهلي

ومن المنسوب إليه أيضاً [من الخفيف] :

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوفاً
 وقال الشافعي رضي الله عنه : تزوجت امرأة من قریش بمكة ، وكنت
 أمازحها فأقول [من مجزوء الكامل] :

(١) في « بنجوم أقطار السماء معلق »

(٢) في « يرقى على نادى الندى ديباجة » وفي ب « ويرق في نادى الندى »

ومن البلية أن تحسب فلا يحبك من تحبه

فتقول هي

ويصدُّ عنك بوجهه وتلح أنت فلا تغيبه^(١)

وأخبرني أحد المشايخ الأفاضل أنه عمل في مناقب الشافعي ثلاثة عشر تصنيفاً ولما مات رثاه خلق كثير، وهذه المراثية منسوبة إلى أبي بكر محمد بن دُرَيْد صاحب المقصورة، وقد ذكرها الخطيب في تاريخ بغداد، فمنها قوله [من الطويل]:

ألم تر آثار ابن إدريس بعده دلائلها في المشكلات لواضع
معالم يفتي الدهر وهي خوالده وتنخفض الأعلام وهي فوارع^(٢)
مناهج فيها للهدى متصرف وظواهرها حكم ومستبطناتها
لرأي ابن إدريس ابن عم محمد ضياء إذا ما أظلم الخطب ساطع
إذا المفطعات المشكلات تشابهت سما منه نور في دجاهن لامع
أبي الله إلا رفعة وعلاؤه وليس لما يعلمه ذوالعرش واضع
توحي الهدى واستنقذته يد التقى من الزيف إن الزيف للمرء صارع
ولاذ بأثار الرسول فحكمه لحكم رسول الله في الناس تابع
وعول في أحكامه وقضائه على ما قضى في الوحي والحق ناصع
ومنها :

تسر بل بالتقوى وليداً وناشئاً وخض لبب الكهل مذهو يافع^(٣)
وهذب حتى لم تشر بفضيلة إذا التمس إلا إليه الأصابع
فمن يك علم الشافعي إمامه فترعه في ساحة العلم واسع^(٤)
سلام على قبر تضمن جسمه وجادت عليه المدجنات الهوامع

(١) في ١ « وتلح أنت فلا تغيبه »

(٢) في ١ « وتنخفض الأعلام »

(٣) في ١ « مذهو يافع »

(٤) في ١ « في باحة العلم واسع »

لقد غيّبت أثارؤه جسم ماجد جليل إذا التفت عليه المجامع
لأن فجعنا الحادثات بشخصه لمن لما حكمن فيه فواجع
فأحكامه فينا بدور زواهر وآثاره فينا نجوم طوالع
وقد يقول القائل : إن ابن ذرّيد لم يدرك الشافعي ، فكيف رثاه ؟ لكنه
يجوز أن يكون رثاه بعد ذلك ، فما فيه بُعد ، فقد رأينا مثل هذا في حق غيره ،
مثل الحسين - رضي الله تعالى عنه ! - وغيره .

(٥٣١)

أبو القاسم محمد ابن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه ! - المعروف بابن الحنفية
أمه الحنفية خوّلة بنت جعفر بن قيس بن سلمة بن ثعلبة بن زبوع بن ثعلبة
ابن الدول بن حنيفة بن أجيّم ، ويقال : بل كانت من سبي اليمامة ، وصارت إلى علي
رضي الله عنه ، وقيل : بل كانت سندية سوداء ، وكانت أمة لبني حنيفة ولم تكن منهم ،
وإنما صلحهم خالد بن الوليد على الرقيق ، ولم يصلحهم على أنفسهم^(١) [وذكر البغوي
في كتاب شرح السنة في باب قتال مانعي الزكاة أن طائفة ارتدوا وأنكروا الشرائع
وعادوا إلى ما كانوا عليه من الجاهلية ، واتفقت الصحابة على قتالهم وقتلهم ،
ورأى أبو بكر رضي الله عنه سبي ذراريهم ونساءهم ، وساعده على ذلك أكثر
الصحابة ، واستولد على رضي الله عنه جارية من سبي بني حنيفة فولدت له محمد بن
علي الذي يدعى محمد بن الحنفية ، ثم لم ينقرض عصر الصحابة حتى أجمعوا على
أن المرتد لا يسبي^(١) .

وأما كنيته بأبي القاسم فيقال : إنها رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وإنه قال لعلي : سيولد لك بعدى غلام ، وقد نحلتني اسمي وكنيتي ، ولا تحل لأحد
من أمتي بعده ، ومن سمي محمداً وتكنى أبا القاسم : محمد بن أبي بكر الصديق ،
ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن عبد الرحمن

(١) ما بين العقوفين لا يوجد في ١

ابن عوف ، ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ، ومحمد بن حاطب بن أبي بلتعة ، ومحمد بن الأشعث بن قيس .

وكان محمد المذكور كثير العلم والورع ، وقد ذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء ، وكان شديد القوة ، وله في ذلك أخبار عجيبة : منها ما حكاها المبرد في كتاب «الكامل» أن أباه علياً رضي الله عنه ! استطال درعاً كانت له ، فقال : لينقص منها كذا وكذا حلقة ، فقبض محمد باحدى يديه على ذيلها وبالأخرى على فضلها ، ثم جذبها فقطع من الموضع الذي حده أبوه ، وكان عبد الله بن الزبير إذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه إفكل ، وهو الرعدة ، لأنه كان يحسده على قوته ، وكان ابن الزبير أيضاً شديد القوى .

ومن قوته أيضاً ما حكاها المبرد في كتابه أن ملك الروم في أيام معاوية وجه إليه : إن الملوك قبلك كانت ترأسل الملوك منا ، ويجهد بعضهم أن يُقرب على بعض ، [أ]فتأذن لي في ذلك ؟ فأذن له ، فوجه إليه برجلين أحدهما طويل جسيم ، والآخر أَيْدٌ (١) ، فقال معاوية لعمر بن العاص : أما الطويل فقد أصبنا كفوّه ، وهو قيس بن سعد بن عبادة ، وأما الآخر الأيد فقد احتجنا إلى رأيك فيه ، فقال عمرو : ههنا رجلان كلاهما إليك بغيضٌ : محمد بن الحنفية ، وعبد الله ابن الزبير ، فقال معاوية : من هو أقرب إلينا على كل حال ، فلما دخل الرجلان وَجَّه إلى قيس بن سعد بن عبادة يعلمه ، فدخل قيس ، فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله ، ورمى بها إلى العليج فلبسها فبلغت ثَنَدُوتُهُ ، فأطرق مغلوباً ، فقيل : إن قيساً لاموه في ذلك ، وقيل له : لم تبدلت هذا التبذل بحضرة معاوية ؟ وهلا وجهت إليه غيرها ؟ فقال [من الطويل] :

أردت لكما أعلم الناس أنها سراويل قيس والوفودُ شهودُ
وأن لا يقولوا غاب قيسٌ وهنهم سراويل عادي نَمَتُهُ نمودُ
وإني من القوم الثمانين سيدٌ وما الناس إلا سيدٌ ومسودُ (٢)

(١) الأيد - بفتح الهمزة ، وتشديد الياء مكسورة - القوى الشديد

(٢) في ١ «من القوم الثمانين» محرفاً

وَبَدَّ جَمِيعَ النَّاسِ أَصْلَى وَمَنْصَبِي وَجَسَمٌ بِهِ أَعْلُو الرِّجَالِ مَدِيدٌ
 ثُمَّ وَجَّهَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ ، فَخَضَرَ ، فَخَبَرَ بِمَا دَعَى لَهُ ، فَقَالَ : قَوْلُوا
 لَهُ إِنْ شَاءَ فَلْيَجْلِسْ وَلْيُعْطِنِي يَدَهُ حَتَّى أَقِيمَهُ أَوْ يَقْعِدَنِي ، وَإِنْ شَاءَ فَلْيَكُنْ هُوَ
 الْقَائِمُ وَأَنَا الْقَاعِدُ ، فَاخْتَارَ الرَّومِيُّ الْجُلُوسَ ، فَأَقَامَهُ مُحَمَّدٌ ، وَعَجَزَ الرَّومِيُّ عَنْ إِقْعَادِهِ ،
 ثُمَّ اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدُ الْقَاعِدُ ، فَجَذَبَهُ مُحَمَّدٌ فَأَقْعَدَهُ ، وَعَجَزَ الرَّومِيُّ عَنْ إِقَامَتِهِ ،
 فَانْصَرَفَا مَغْلُوبَيْنِ .

وَكَانَتْ رَايَةَ أَبِيهِ يَوْمَ الْجَمْلِ بِيَدِهِ ، وَيَحْكِي أَنَّهُ تَوَقَّفَ أَوَّلَ يَوْمٍ فِي حَمَلِهَا
 لِكَوْنِهِ قَتَالَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ شَهِيدَ مِثَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ عَلَى رِضَى اللَّهِ عَنْهُ :
 هَلْ عِنْدَكَ شَكٌّ فِي جَيْشٍ مَقْدَمُهُ أَبُوكَ ؟ فَحَمَلَهَا ، وَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ : كَيْفَ كَانَ أَبُوكَ
 يُقَحِّمُكَ الْمِهَالِكَ وَيُوَلِّجُكَ الْمَضَائِقَ دُونَ أَخَوَيْكَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ؟ فَقَالَ : لِأَنَّهُمَا
 كَانَا عَيْنِيهِ ، وَكَانَتْ يَدِيهِ ، فَكَانَ يَتَّقِي عَيْنِيهِ بِيَدِيهِ .

وَمِنْ كَلَامِهِ : لَيْسَ بِحَكِيمٍ ^(١) مَنْ لَمْ يَعَاشِرْ بِالْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَجِدُ مِنْ مَعَاشِرَتِهِ بُدًّا
 حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا .

وَمَا دَعَا ابْنَ الزُّبَيْرِ إِلَى نَفْسِهِ وَبَايَعَهُ أَهْلُ الْحِجَازِ بِالْخِلَافَةِ دَعَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 الْعَبَّاسِ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَأَبَيَا ذَلِكَ ، وَقَالَا : لَا نَبَايَعُكَ
 حَتَّى تَجْتَمَعَ لَكَ الْبِلَادُ ، وَيتَفَقَّ النَّاسُ ، فَأَسَاءَ جَوَارِهَا ، وَحَصَرَهَا وَأَذَاهَا ، وَقَالَ
 لَهَا : لَنْ لَمْ تَبَايَعَا أَحْرَقْتَكُمَا بِالنَّارِ ، وَالشَّرْحُ فِي ذَلِكَ يَطُولُ .

وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ لِسَنْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ ، وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ الْحَرَمِ
 سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ لِلْهِجْرَةِ ، وَقِيلَ : سَنَةَ ثَلَاثِ وَثَمَانِينَ ، وَقِيلَ : سَنَةَ اثْنَتَيْنِ أَوْ
 ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ ، بِالْمَدِينَةِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ ، وَكَانَ وَالِي الْمَدِينَةِ
 يَوْمَئِذٍ ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ خَرَجَ إِلَى الطَّائِفِ هَارِبًا مِنْ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، فَمَاتَ
 هُنَاكَ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ بِبِلَادِ أَيْلَةَ .

(١) فِي « لَيْسَ بِحَكِيمٍ » مُحْرَفًا

والفرقة الكيسانية تعتقد إمامته وأنه مقيم يجبل رَضَوَى ، وإلى هذا أشار كثير عزة بقوله من جملة أبيات ، وكان كيسانى الاعتقاد [من الوافر] :

وَسَبْطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا لِلْوَاهِ
تَغِيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانَا بَرَضَوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

وكان المختار بن أبي عبيد الثقفي يدعو الناس إلى إمامة محمد بن الحنفية ، ويزعم أنه المهدي ، وقال الجوهرى فى كتاب الصحاح : كَيْسَانُ لقب المختار المذكور ، وقال غيره : كيسان مولى على رضى الله عنه ، والكيسانية يزعمون أنه مقيم برضوى فى شعب منه ، ولم يمت ، دخل إليه ومعه أربعون من أصحابه ، ولم يُوقَفْ لهم على خبر ، وهم أحياء يرزقون ، ويقولون : إنه مقيم فى هذا الجبل بين أسد ونمر ، وعنده عينان نضاً ختان تجريان عسلاً وماء ، وإنه يرجع إلى الدنيا فيملؤها عدلاً ، وكان محمد يخضب بالحناء والسكتم وكان يتختم فى اليسار ، وله أخبار مشهورة ، رضى الله عنه ! وانتقلت إمامته إلى ولده أبى هاشم عبد الله ومنه إلى محمد بن على والد السفاح والمنصور ، كما سيأتى فى ترجمته إن شاء الله تعالى وَرَضَوَى — بفتح الراء ، وبعدها ضاد معجمة ، وبعده الواو ألف — قال ابن جرير الطبرى فى تاريخه الكبير فى سنة أربع وأربعين ومائة : رضى جبل جهينة ، وهو فى عمل ينبع ، وقال غيره : بينهما مسيرة يوم واحد ، وهو من المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة ومياسرة طريق البر لمن كان مُصْعِداً إلى مكة وهو على ليلتين من البحر ، والله أعلم [ومن رضى تحمل حجارة المسن إلى سائر الأمصار ، قاله ابن حوقل فى كتابه المسالك والممالك] ^(١) وذكر أبو اليقظان فى كتاب « النسب » أن ابن الحنفية له ابن اسمه الهيثم وكان مؤخذاً عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقدر أن يدخله ، والأخيد فى اللغة : الأسير ، والأخذة — بضم الهمزة — كالسحر ، فكأنه كان مسحوراً .

(٥٣٢)

أبو جعفر محمد بن زين العابدين على بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم أجمعين ! الملقب الباقر

أبو جعفر محمد
ابن علي بن
الحسين الباقر
الإمام

أحد الأئمة الاثني عشر في اعتقاد الإمامية ، وهو والد جعفر الصادق ،
وقد تقدم ذكره ، وكان الباقر عالماً سيداً كبيراً ، وإنما قيل له الباقر لأنه تَبَقَّرَ
في العلم : أي توسع ، والتبقر : التوسع ، وفيه يقول الشاعر [من السريخ] :

يا باقر العلم لأهل التقى وخير مَنْ كَسَبِي عَلَى الْأَجْبُلِ

ومولده بالمدينة يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة سبع وخمسين للهجرة ، وكان
عمره يوم قتل جده الحسين - رضي الله عنه! - ثلاث سنوات (١) ، وأمه أم عبد الله
بنت الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ! .

وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ومائة ، وقيل : في الثالث والعشرين
من صفر سنة أربع عشرة ، وقيل : سبع عشرة ، وقيل : ثمان عشرة بالحُمَيْمَةِ .
ونقل إلى المدينة ، ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه وعم أبيه الحسن بن علي
رضي الله عنهم ! في القبة التي فيها قبر العباس رضي الله عنه ، وقد تقدم الكلام
على الحُمَيْمَةِ (٢) في ترجمة علي بن عبد الله بن العباس .

(١) في « ثلاث سنين »

(٢) قال ياقوت « الحُمَيْمَةُ - بلفظ تصغير الحجة - بلد من أرض السراة من أعمال
عمان في أطراف الشام ، كان منزل بني العباس » ١ هـ .

(٥٣٣)

أبو جعفر محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق
ابن محمد الباقر المذكور قبله ، المعروف بالجواد
أبو جعفر محمد
ابن علي بن
موسى ، الجواد
الإمام

أحد الأئمة الاثني عشر أيضاً ، قدم إلى بغداد وافداً على المعتصم ، ومعه
امراته أم الفضل بنت المأمون ، فتوفى بها ، وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم
فجعلت مع الحرم ، وكان يروى مسنداً عن آبائه إلى علي بن أبي طالب رضى الله
عنه أنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النين ، فقال لي وهو يوصيني :
يا علي ، ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ، يا علي ، عليك بالدُّجَّة فان الأرض
تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار ، يا علي اغدُ باسم الله فان الله بارك لأمته في بكورها ،
وكان يقول : من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة ، وقال جعفر بن محمد
ابن مزيد : كنت ببغداد فقال لي محمد بن منده بن مهر يزد : هل لك أن أدخلك
على محمد بن علي الرضا ؟ فقلت : نعم ، قال : فأدخلني عليه ، فسلمنا وجلسنا ، فقال :
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فاطمة رضى الله عنها أحصنت فرجها
فحرم الله ذريتها على النار ، قال : ذلك خاص بالحسن والحسين رضى الله عنهما ،
وله حكايات وأخبار كثيرة .

وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس شهر رمضان ، وقيل : منتصفه ، سنة
خمس وتسعين ومائة .

وتوفى يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذى الحجة سنة عشرين ومائتين ، وقيل :
تسع عشرة ومائتين ، ببغداد ، ودفن عند جده موسى بن جعفر ، رضى الله عنهم
أجمعين ! في مقابر قریش ، وصلى عليه الواثق بن المعتصم .

(٥٣٤)

أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي
ابن محمد الجواد المذكور قبله

أبو القاسم محمد
ابن الحسن
العسكري
الإمام

ثاني عشر الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الامامية ، المعروف بالحُجَّة ، وهو الذي تزعم الشيعة أنه المنتظر والقائم والمهدي ، وهو صاحب السُّرْدَاب عندهم ، وأقاويلهم فيه كثيرة ، وهم ينتظرون ظهوره في آخر الزمان من السرداب بسُرٍّ من رأى .

كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ولما توفي أبوه - وقد سبق ذكره - كان عمره خمس سنين ، واسم أمه خطا ، وقيل : نرجس والشيعة يقولون : إنه دخل السرداب في دار أبيه ، وأمّه تنظر إليه ، فلم يخرج بعد إليها ، وذلك في سنة خمس وستين ومائتين ، وعمره يومئذ تسع سنين ، وذكر ابن الأزرقي في تاريخ ميّافارقين أن الحجة المذكور ولد التاسع شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائتين ، وقيل : في ثامن شعبان سنة ست وخمسين ، وهو الأصح ، وأنه لما دخل السرداب كان عمره أربع سنين ، وقيل : خمس سنين ، وقيل : إنه دخل السرداب سنة خمس وسبعين ومائتين وعمره سبع عشر سنة ، والله أعلم أي ذلك كان ، رحمه الله تعالى !

(٥٣٥)

أبو بكر محمد
ابن مسلم
الزهري
المحدث

أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب
ابن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي ، الزهري

أحد الفقهاء والمحدثين ، والأعلام التابعين ، بالمدينة ، رأى عشرة من الصحابة
رضوان الله عليهم ! وروى عنه جماعة من الأئمة : منهم مالك بن أنس ، وسفيان
ابن عيينة ، وسفيان الثوري ، وروى عن عمرو بن دينار أنه قال : أى شيء
عند الزهري ؟ أنا لقيت ابن عمرو ولم يلقه ، وأنا لقيت ابن عباس ولم يلقه ، فقدم
الزهري مكة فقال عمرو : احموني إليه ، وكان قد أقعد ، فحمل إليه ، فلم يأت
[إلى] أصحابه إلا بعد ليل ، فقالوا : كيف رأيت ؟ فقال : والله ما رأيت مثل هذا
القرشي قط ، وقيل لمكحول : من أعلم من رأيت ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له :
ثم من ؟ قال : ابن شهاب ، قيل له : ثم من ؟ قال : ابن شهاب ، وكان قد حفظ
علم الفقهاء السبعة ، وكتب عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه إلى الآفاق : عليكم
بابن شهاب ، فانكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه ، وحضر الزهري يوماً
مجلس هشام بن عبد الملك وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان فقال له هشام :
أى شهر كان يخرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهري : لا أدري ، فسأل
أبا الزناد فقال : فى المحرم ، فقال هشام للزهري : يا أبا بكر ، هذا علم استفدته
اليوم ، فقال : مجلس أمير المؤمنين أهل أن يستفاد منه العلم ، وكان إذا جلس
فى بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن كل شيء من أمور الدنيا ، فقالت له
امراته يوماً : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر ، وكان أبو جده
عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرًا ، وكان أحد نفر الذين تعاقبوا
يوم أحد لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقْتُلْنَهُ أو ليقْتُلُنَّ دونه ، وروى
أنه قيل للزهري : هل شهد جدك بدرًا ؟ فقال : نعم ، ولكن من ذلك الجانب ،

يعنى أنه كان فى صف المشركين ، وكان أبوه مسلم مع مصعب بن الزبير ، ولم يزل الزهرى مع عبد الملك ، ثم مع هشام بن عبد الملك ، وكان يزيد بن عبد الملك قد استقضاه .

وتوفى ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومائة ، وقيل : ثلاث وعشرين ، وقيل : خمس وعشرين ومائة^(١) ، وهوابن اثنتين - وقيل ثلاث - وسبعين سنة ، وقيل : مولده سنة إحدى وخمسين للهجرة ، والله أعلم ، ودفن فى ضيعته أدامى - بفتح الهمزة والدال المهملة وبعد الألف ميم مفتوحة وباء مفتوحة أيضاً^(٢) - وقيل : أدامى ، مثل الأول لكنها بغير ألف ، وهى خلف شغب وبداء ، وهما واديان - وقيل : قريتان - بين الحجاز والشام فى موضع هو آخر عمل الحجاز وأول عمل فلسطين ، وذكر فى كتاب «التمهيد» أنه مات فى بيته بنعف ، وهى قرية عند القرى المذكورة ، وماتت بها أيضاً أم حزرة زوجة جرير ، فقال من أبيات [من الكامل] :

نعم القرين وكنت علق مَضِنَّةٍ وادٍ بنَعْفٍ بلية الأحجار
وقبره على الطريق ليدعوله كل من يمر عليه ، رضى الله عنه !

والزهرى - بضم الزاء ، وسكون الهاء ، وبعدها راء - هذه النسبة إلى زهرة بن كلاب بن مرة ، وهى قبيلة كبيرة من قريش ، ومنها آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلق كثير من الصحابة وغيرهم ، رضى الله عنهم !.

وشغب : بفتح الشين المعجمة ، وسكون الغين المعجمة ، وبعدها ياء موحدة ، وبداء : بفتح الباء الموحدة والدال المهملة وبعدها ألف ، وفيها يقول كثير عزة [من الطويل] :

وأنتِ التى حبَّبتِ شَغْباً إلى بداء إلى وأوطانى بلادٍ سواهما
إذا ذرَّفتْ عيناي أعتلُّ بالقَدَى وعزةٌ لو يدرى الطبيب قدأهما

(١) فى ١ « وقيل : خمس ومائة »

(٢) ثم تنقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، هكذا يجب أن تفهم هذه العبارة

وَحَلَمْتُ بهذا حلة ثم أصبحت بهذا ، فطاب الواديات كلاهما
وهذا الشعر يدل على أنهما واديان ، لا قريتان ، والله أعلم .

(٥٣٦)

محمد بن
عبد الرحمن
ابن أبي ليلى
الفقيه

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار — ويقال : داود بن بلال
ابن أحيحة بن الجلاح الأنصارى الكوفى ،
وقد سبق ذكر أبيه فى حرف العين

وكان محمد المذكور من أصحاب الرأى ، وتولى القضاء بالكوفة وأقام حاكماً
ثلاثة وثلاثين سنة ، ولى لبني أمية ثم لبني العباس ، وكان فقيهاً مفتياً ، وقال : لا
أعقل من شأن أبي شيماء غير أنى أعرف أنه كانت له امرأتان ، وكان له حبان أخضران ،
فينبذ عندهن يوماً وعندهن يوماً ، وتفقه محمد بالشعبى ، وأخذ عنه سفيان الثورى ،
وقال الثورى : فقهائنا ابن أبي ليلى ، وابن شبرمة ، وقال محمد المذكور : دخلتُ
على عطاء ، فجعل يسألنى ، فأنكر بعضُ مَنْ عنده وكله فى ذلك ، فقال : هو
أعلم منى ، وكانت بينه وبين أبي حنيفة وَحْشة يسيرة ، وكان يجلس للحكم فى
مسجد الكوفة

فيحكى أنه انصرف يوماً من مجلسه ، فسمع امرأة تقول لرجل : يا ابن الزانين ،
فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلسه ، وأمر بها فضربت حدين وهى قائمة .

فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال : أخطأ القاضى فى هذه الواقعة فى ستة أشياء :
فى رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه ، ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه [فى
الحال] ^(١) وفى ضربه الحد فى المسجد ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
إقامة الحدود فى المساجد ، وفى ضربه المرأة قائمة ، وإنما تضرب النساء قاعدات

(١) لا توجد هذه الكلمة فى ١

كاسيات^(١)، وفي ضرب به إياها حدين^(٢)، وإما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد، ولو وجب أيضا حدان لا يؤا إلى بينهما، بل يضرب أولاً ثم يترك حتى يبرأ ألم الضرب الأول، وفي إقامة الحد عليها بغير طالب، فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى، فسير إلى وإلى الكوفة وقال: ههنا شاب يقال له أبو حنيفة يُعارضني في أحكامي، ويُفتي بخلاف حكمي، ويشنع على بالخطأ، فأريد أن تزجره عن ذلك، فبعث إليه وإلى ومنعه عن الفتيا، فيقال: إنه كان يوماً في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم^(٣) وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلغت الآن الريق؟ فقال لها: سلى أخاك حمادا، فإن الأمير منعني من الفتيا، وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتنال إشارة رب الأمر، فإن إجابته طاعة، حتى إنه أطاعه في السر، ولم يرد على ابنته جواباً، وهذه غاية ما يكون من امتثال الأمر

وكانت ولادة محمد المذكور سنة أربع وسبعين للهجرة

وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة، بالكوفة، وهو باق على القضاء، فجعل أبو جعفر المنصور ابن أخيه مكانه، رحمه الله تعالى!

(١) في « قعودا كاسين » وليس بشيء

(٢) في « وفي ضربها حدين »

(٣) في « وقد خرج بين أسناني دم »

(٥٣٧)

أبو بكر محمد بن سيرين البصرى

كان أبوه عبداً لأنس بن مالك - رضى الله عنه ١ - كاتبه على أربعين ألف درهم وقيل : عشرين ألفاً ، وأدّى المسكاتبة ، وكان من سبى ميسان ، ويقال : من سبى عين التمر ، وكان أبوه سيرين من جرّج رايّا ، وكنيته أبو عمرة ، وكان يعمل قدور النحاس ، فنجّاه إلى عين التمر يعمل بها ، فسباه خالد بن الوليد في أربعين غلاماً مجنبيين ، فأنكرهم ، فقالوا : إنا كنا أهل مملكة ، ففرقهم في الناس ، وكانت أمه صفية مولاة أبي بكر الصديق - رضى الله عنه ١ - طيبها ثلاث من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعّون لها ، وحضر إملاها ثمانية عشر بدرّياً فيهم أبي بن كعب يدعوهم يؤمنون ، وروى محمد المذكور عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعمران بن حصين وأنس بن مالك ، رضى الله عنهم ! وروى عنه قتادة بن دعامة وخالد الحذاء وأيوب السخيتاني وغيرهم من الأئمة ، وهو أحد الفقهاء من أهل البصرة ، والمذكور بالورع في وقته ، وقدم بالمداين على عبيدة السلماني وقال : صليتُ معه ، فلما قضى صلاته دعا بغداء ، فأتى بخبز ولبن وسمن فأكل وأكلنا معه ، ثم جلسنا حتى حضرت العصر ، ثم قام عبيدة فأذن وأقام ، ثم صلى بنا العصر ولم يتوضأ هو ولا أحد ممن أكل معنا فيما بين الصلاتين ، وكان محمد المذكور صاحب الحسن البصرى ، ثم تهاجرا في آخر الأمر ، فلما مات الحسن لم يشهد ابن سيرين جنازته ، وكان الشعبي يقول : عليكم بذلك الرجل الأصم ، يعنى ابن سيرين ، لأنه كان في أذنه صممٌ ، وكانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا وكانت ولادته استثنين بقيتا من خلافة عثمان .

وتوفى تاسع شوال يوم الجمعة سنة عشر ومائة ، بالبصرة ، بعد الحسن البصرى بمائة يوم ، رضى الله عنهما !

وكان يزانا ، وُحِبس بَدَيْنِ كان عليه ، وولد له ثلاثون ولدا من امرأة وإحدى عشرة بنتا ، ولم يبق منهم غير عبد الله ، ولما مات كان عليه ثلاثون ألف درهم دينا فقضاها ولده عبد الله ، فلما مات عبد الله حتى قُوم ماله بثلاثمائة ألف درهم .

وكان محمد المذكور كاتب أنس بن مالك بفارس ، وكان الأصمعي يقول : الحسن البصري سيد سَمَح وإِذا حَدَّثَ الأصم بشيء - يعني بن سيرين - فاشدد يدك ، وقتادة حاطب ليل ، قال ابن عوف : لما مات أنس بن مالك أوصى أن يصلى عليه ابن سيرين ويفسله ، قال : وكان ابن سيرين محبوباً ، فأتوا الأمير - وهو رجل من بني أسد - فأذن له ، فخرج ففسله وكفنه وصلى عليه في قصر أنس بالطَّف ، ثم رجع فدخل كاهو إلى السجن ، ولم يذهب إلى أهله .

قلت : وذَكَرَ عمر بن شبة في كتاب «أخبار البصرة» أن الذي غَسَلَ أنس ابن مالك هو قطن بن مدرك الكلابي والى البصرة ، وكذلك [قال] أبو اليقظان . وَمَيْسَان - بفتح الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح السين المهملة ، وبعد الألف نون - وهى بليدة بأسفل أرض البصرة . وعين التمر : قد سبق الكلام عليها .

(٥٣٨)

أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، واسمه
هشام ، بن سعيد بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك
ابن حنبل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر
ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار
ابن معد بن عدنان ، القرشي ، العامري ، المدني

أحد الأئمة المشاهير ، وهو صاحب الإمام مالك ، وكانت بينهما ألفة كيدة
ومودة صحيحة ، ولما قدم مالك على أبي جعفر المنصور سأله : مَنْ بقي بالمدينة من
الشيخة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي ذئب وابن أبي سلمة وابن أبي سبرة ،
وكان أبوه قد أتى قيصر فسعى به ، فحبسه حتى مات في حبسه .
وتوفي أبو الحارث المذكور في سنة تسع وخمسين ، وقيل : ثمان وخمسين
ومائة ، بالكوفة ، رضي الله عنه ! .

ومولده في المحرم سنة إحدى وثمانين للهجرة ، وقيل : سنة ثمانين ، وهي
سنة سيل الجحاف .

والحنبل : ولد الضب [وجمعه حُسُول] ^(١)

ولؤي — مَنْ هَمَزَهُ قَالَ : هو تصغير لؤي ، وهو الثور ، ومن لم يهمزه قَالَ :
هو تصغير لؤي الرمل . وفهر : الحَجَر ، والله أعلم .

(٥٣٩)

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد ، الشيباني بالولاء

الفقيه الحنفي

أبو عبد الله محمد
ابن الحسن
الشيباني الحنفي

أصله من قرية على باب دمشق في وسط الغوطة اسمها حرستا ، وقدم أبوه من الشام إلى العراق ، وأقام بواسط فولد له بها محمد المذكور ، ونشأ بالكوفة ، فطلب الحديث ، ولقى جماعة من أعلام الأئمة ، وحضر مجلس أبي حنيفة سنين ، ثم تفقه على أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، وصنف الكتب الكثيرة النادرة ، منها « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » وغيرهما ، وله في مصنفاته المسائل المشككة ، خصوصا المتعلقة بالعربية ، ونشر علم أبي حنيفة ، وكان من أفصح الناس ، وكان إذا تكلم خيل لسامعه أن القرآن نزل بلغته ، ولما دخل الإمام الشافعي رضي الله عنه بغداد كان بها ، وجرى بينهما مجالس ومساائل بحضرة هارون الرشيد ، وقال الشافعي : ما رأيت أحدا يُسأل عن مسألة فيها نظر إلا تبينت الكراهة في وجهه ، إلا محمد بن الحسن ، وقال أيضا : حملت من علم محمد بن الحسن وقر بعير ، وقال الربيع بن سليمان المُرَادِي : كتب الشافعي إلى محمد بن الحسن وقد طلب منه كتبها له لينسخها ، وتأخرت عنه [من مجزوء الرجز] :

[و] قل لمن لم ترعَ ين من رآه مثله

ومن كان من رآ ه قدرأى من قبله

العلم ينهى أهله أن يمنعه أهله

لعله يَبْذُلُه لأهله لعله

فأنفذ إليه الكتب من وقته ، ورأيت هذه الأبيات في ديوان منصور بن إسماعيل الفقيه المصري الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وقد كتبها إلى أبي بكر

ابن قاسم .

والذى ذكرناه أولا حكاها الشيخ أبو إسحاق الشيرازى فى طبقات الفقهاء ، وروى عن الشافعى أنه قال : ما رأيت سمينا ذكيا إلا محمد بن الحسن ، وكان الرشيد قدولاً له قضاء الرقة ، ثم عزله عنها ، وقدم بغداد ، وحكى محمد بن الحسن قال : أتوا أباحنيفة فى امرأة ماتت وفى جوفها ولد يتحرك ، فأمرهم فشقوا جوفها واستخرجوا الولد ، وكان غلاما ، فعاش حتى طلب العلم ، وكان يتردد إلى مجلس محمد بن الحسن ، وسمى ابن أبى حنيفة ، ولم يزل محمد بن الحسن ملازما للرشيد حتى خرج إلى الرى خراجته الأولى ، فخرج معه ، ومات برنبويه قرية من قرى الرى فى سنة تسع وثمانين ومائة .

ومولده سنة خمس وثلاثين ، وقيل : إحدى وثلاثين ، وقيل : اثنتين وثلاثين ومائة

وقال السمعانى : مات محمد بن الحسن والكسائى فى يوم واحد بالرى ، رحمهما الله تعالى ! وقيل : إن الرشيد كان يقول : دفنت الفقه والعربية بالرى .

ومحمد بن الحسن المذكور ابن خالة الفراء صاحب النحو واللغة وقد تقدم الكلام على الشيبانى .

وَحَرَسَتْ : بفتح الحاء المهملة ، والراء ، وسكون السين المهملة ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعدها ألف مقصورة .

وَرَنْبَوِيَّةٌ : بفتح الراء ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة والواو ، وبعدها ياء مثناة من تحتها ساكنة ، وبعدها هاء ساكنة .

* * *

(٥٤٠)

أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ،
الهاشمي ، وهو والد السفاح والمنصور الخلفيتين ، وقد تقدم ذكر
والده في حرف العين

أبو عبد الله محمد
ابن علي والد
الخلفاء
العباسيين

قال ابن قتيبة : كان محمد المذكور من أجل الناس وأعظمهم قدراً ، وكان
بينه وبين أبيه في العمر أربع عشرة سنة ، وكان علي يخطب بالسواد ، ومحمد
يخطب بالحمرة ، فيظن من لا يعرفهما أن محمداً هو علي ، قال يزيد بن أبي مسلم
كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي : سمعت الحجاج يقول : بينا نحن عند عبد الملك
ابن مروان بدو ممة الجندل في منزله [له] ومعه قائفٌ يحادثه ويسأله ، إذ أقبل علي
ابن عبد الله بن العباس ومحمد ابنه ، فلما رآه عبد الملك مقبلاً حرك شفتيه وهمس
بهما ، وانتقع لونه ، وقطع حديثه ، قال الحجاج : فوثبت نحو علي لأرده ، فأشار
إلى عبد الملك أن كفَّ عنه ، وجاء علي فسلم فأقعده إلى جانبه ، وجعل يمس
نوبه ، وأشار إلى محمد أن اقعده ، وكلمه وسأله ، وكان علي حلاً للمحادثة ، وحضر الطعام
فأتى بالطشت ، فغسل يده وقال : أذن الطشت من أبي محمد ، فقال : أناصائم ، ثم
وثب ، فأتبعه عبد الملك بصره حتى كاد يخفى عن عينيه ، ثم التفت إلى القائف
فقال : أتعرف هذا ؟ ! فقال : لا ، ولكن أعرف من أمره واحدة ، قال : وما هي ؟
قال : إن كان الفتى الذي معه ابنه فإنه يخرج من عقبه ^(١) فراعة يملكون الأرض
ولا يناوئهم منها ولا يقاتلوه ، قال : فأرْبَدَ [لون] عبد الملك ، ثم قال : زعم راهب
إيليا - وراه عندي - أنه يخرج من صلبه ثلاثة عشر ملكاً ، وصفهم بصفاتهم .
وكان سبب انتقال الأمر إليه أن محمد بن الحنفية - وقد سبق ذكره - كانت
الشيعة تعتقد إمامته بعد أخيه الحسين ، رضى الله عنه ! فلما توفي محمد بن الحنفية
انتقل الأمر إلى ولده أبي هاشم - وقد سبق ذكره أيضاً في ترجمة أبيه - وكان

(١) في « من بطنه » وهو كلام فاسد

عظيم القدر ، وكانت الشيعة تتولاه ، فحضرته الوفاة بالشام [في سنة ثمان وتسعين للهجرة] ولا عقب له ، فأوصى إلى محمد بن علي المذكور ، وقال له : أنت صاحب هذا الأمر ، وهوفي ولدك ، ودفع إليه كتبه ، وصرف الشيعة نحوه ، ولما حضرت محمداً المذكور الوفاة بالشام أوصى إلى ولده إبراهيم المعروف بالامام ^(١) [فلما ظهر أبو مسلم الخراساني بخراسان دعا الناس إلى مبايعة إبراهيم بن محمد المذكور ، فلذلك قيل له « الإمام » وكان نصر بن سيار نائب مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية يومئذ بخراسان ، فكتب إلى مروان يعمله بظهور أبي مسلم لبني العباس ، فكتب مروان إلى نائبه بدمشق بأن يحضر إبراهيم من الحيمة موثوقاً ، فأحضره وحمله إليه ^(٢) وحبسه مروان بن محمد [آخر ملوك بني أمية] ^(٣) بمدينة حران ، فتحقق أن مروان يقتله ، فأوصى إلى أخيه السفاح ، وهو أول من ولي الخلافة من أولاد العباس ، هذه خلاصة الأمر ، والشرح فيه يطول ^(١) [وبقى إبراهيم في الحبس شهرين ، ومات ، وقيل : قتل] ^(٢) .

وكانت ولادة محمد المذكور سنة ستين للهجرة ، هكذا وجدته منقولاً ، وهو يخالف ما تقدم من أن بينه وبين أبيه [في العمر] ^(١) أربع عشرة سنة ، فقد تقدم في تاريخ أبيه أنه ولد في حياة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أوفي ليلة قتل علي ، الاختلاف فيه ، وكان قتل علي في رمضان سنة أربعين ، فكيف يمكن أن يكون بينهما أربع عشرة سنة ، بل أقل ما [يمكن أن] ^(١) يكون بينهما عشرون سنة ، ^(١) [وذكر ابن حمدون في كتاب التذكرة أن محمداً المذكور مولده في سنة اثنتين وستين للهجرة] ^(١) .

وتوفي محمد المذكور في سنة ست وعشرين ، وقيل : اثنتين وعشرين ومائة ، وفيها ولد المهدي بن أبي جعفر المنصور ، وهو والد هارون الرشيد ، وقيل : سنة

خمس وعشرين ومائة ، بالشرأة ، وقال الطبرى فى تاريخه : توفى محمد بن على
مستهلّ ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ،
رحمه الله تعالى !

وقد تقدم الكلام على الشرأة فى ترجمة أبيه على .

وقال الطبرى فى تاريخه : فى سنة ثمان وتسعين للهجرة قدم أبوهاشم عبدالله
ابن محمد بن الحنيفة على سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فأكرمه ، وسار أبوهاشم
يريد فلسطين ، فأفند سليمان مَنْ قعد له على الطريق بلبن مسموم ، فشرب منه
أبوهاشم ، فأحسّ بالموت ، فعدل إلى الحُمَيْمَة ، واجتمع بمحمد بن على بن عبدالله
ابن العباس ، وأعلمه أن الخلافة فى ولده عبدالله بن الحارثية — قلت : وهو
السفاح — وسلم إليه كتب الدعاة ، وأوقفه على ما يعمل بالحُمَيْمَة ، هكذا قال الطبرى ،
ولم يذكر إبراهيم الإمام ، وجميعُ المؤرخين اتفقوا على إبراهيم ، إلا أنه مات له
الامر ، والله أعلم .

(٥٤١)

أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن
الأخنف يزّذبه ، وقال ابن ما كولا : هو يزّذبه ، الجعفي
بالولاء ، البخاري ، الحافظ ، الإمام في علم الحديث .
صاحب الجامع الصحيح والتاريخ

أبو عبد الله محمد
ابن إسماعيل
البخاري
الجعفي إمام
الحديث

رَحَلَ في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار ، وكتب بخراسان والجلال
ومدن العراق والحجاز والشام ومصر ، وقدم بغداد ، واجتمع إليه أهلها ، واعترفوا
بفضله ، وشهدوا بتفرد في علم الرواية والدراية ، وحكى أبو عبد الله الحميدي في
كتاب « جذوة المقتبس » والخطيب في تاريخ بغداد أن البخاري لما قدم بغداد
سمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا ، وعمدوا إلى مائة حديث فقلّبوا متونها
وأسانيدها وجعلوا مَتَنَ هذا الإسناد لإسناد آخر ، ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى
كل رجل عشرة أحاديث ، وأمروهم إذا حضروا المجلس أن يُلْقُوا ذلك على البخاري ،
وأخذوا الموعد للمجلس ، فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من الغرباء
من أهل خراسان وغيرها من البغداديين ، فلما اطّأ المجلس بأهله انتدب إليه
واحد من العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال البخاري :
« لا أعرفه » فسأله عن آخر فقال : « لا أعرفه » فما زال يلقي عليه واحداً بعد
واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : « لا أعرفه » فكان الفقهاء ممن
حضر المجلس يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ، ومن كان منهم
ضد ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ، ثم انتدب رجل آخر
من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة ، فقال البخاري :
« لا أعرفه » فسأله عن الآخر فقال : « لا أعرفه » فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد
واحد حتى فرغ من عشرته ، والبخاري يقول : « لا أعرفه » ثم انتدب الثالث

والرابع إلى تمام العشرة ، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة ، والبخارى لا يزيدهم على قوله : « لا أعرفه » فلما علم البخارى أنهم فرغوا النفث إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأوّل فهو كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاء ، حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناده إلى متنه ، وفعل بالآخرين كذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها ، فأقرله الناس بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل ، وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : السكبش النطاح ، ونقل عنه محمد بن يوسف الفيربرى أنه قال : ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ، وعنه أنه قال : صنفت كتابى الصحيح لست عشرة سنة ، خرجته من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة فيما بينى وبين الله ، وقال الفيربرى : سمع صحيح البخارى تسعون ألف رجل ، فمابقى أحد يروى عنه غيرى ، وروى عنه أبو عيسى الترمذى

وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة ، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وقال أبو يعلى الخليلى فى كتاب « الإرشاد » : إن ولادته كانت لاثنتى عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور .

وتوفى ليلة السبت بعد صلاة العشاء ، وكانت ليلة عيد الفطر ، ودفن يوم الفطر ، بعد صلاة الظهر ، سنة ست وخمسين ومائتين ، بجرّ تنك ، رحمه الله تعالى ! وذكر ابن يونس فى تاريخ الغرباء أنه قدم مصر وتوفى بها ، وهو غلط ، والصواب ما ذكرناه ههنا ، وكان خالد بن أحمد بن خالد الذهلى أمير خراسان قد أخرجه من بخارا إلى خرّ تنك ، ثم حج خالد المذكور ، فوصل إلى بغداد فحبسه الموفق بن المتوكل أخو المعتمد الخليفة ، فمات فى حبسه .

وكان البخارى نحيف الجسم ، لا بالطويل ولا بالقصير .

وقد اختلف في اسم جده فقيل : إنه يزذه - بفتح الياء المثناة من تحتها ، وسكون الزاء ، وكسر الذال المعجمة ، وبعدها باء موحدة ، ثم هاء ساكنة ، وقال أبو نصر بن ماكولا في كتاب الإكمال : هو يزذبه - ببدال وزاء وباء معجمة بواحدة - والله أعلم ، وقال غيره : كان هذا الجد مجوسيا مات على دينه ، وأول من أسلم منهم المغيرة ، ووجدته في موضع آخر عوض يزذه الأحنف ولعل يزذه كان أحنف الرجل .

والبخارى : بضم الباء الموحدة ، وفتح الخاء المعجمة ، وبعد الألف راء - هذه النسبة إلى بخارا ، وهى [من] أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام .

وخرتَنكُ : بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الراء ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وسكون النون ، وبعدها كاف - وهى قرية من قرى سمرقند . وقد سبق الكلام على الجعفى .

ونسبة البخارى إلى سعيد بن جعفر الجعفى ، وإلى خراسان ، وكان له عليهم الولاء فنسبوا إليه .

والرابع إلى تمام العشرة ، حتى فرغوا كلهم من الأحاديث المقلوبة ، والبخارى لايزيدهم على قوله : « لا أعرفه » فلما علم البخارى أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال : أما حديثك الأول فهو كذا ، وحديثك الثانى فهو كذا ، والثالث والرابع على الولاء ، حتى أتى على تمام العشرة ، فرد كل متن إلى إسناده وكل إسناده إلى متنه ، وفعل بالآخرين كذلك ، ورد متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها ، فأقرله الناس بالحفظ ، وأذعنوا له بالفضل ، وكان ابن صاعد إذا ذكره يقول : السكبش النطاح ، ونقل عنه محمد بن يوسف الفيربرى أنه قال : ما وضعت فى كتابى الصحيح حديثاً إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين ، وعنه أنه قال : صنف كتابى الصحيح لست عشرة سنة ، خرجته من ستمائة ألف حديث ، وجعلته حجة فيما بينى وبين الله ، وقال الفيربرى : سمع صحيح البخارى تسعون ألف رجل ، فما بقى أحد يروى عنه غيرى ، وروى عنه أبو عيسى الترمذى

وكانت ولادته يوم الجمعة بعد الصلاة ، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة ، وقال أبو يعلى الخليلي فى كتاب « الإرشاد » : إن ولادته كانت لاثنتى عشرة ليلة خلت من الشهر المذكور .

وتوفى ليلة السبت بعد صلاة العشاء ، وكانت ليلة عيد الفطر ، ودفن يوم الفطر ، بعد صلاة الظهر ، سنة ست وخمسين ومائتين ، بجرّ تَمَك ، رحمه الله تعالى ! وذكر ابن يونس فى تاريخ الغرباء أنه قدم مصر وتوفى بها ، وهو غلط ، والصواب ما ذكرناه ههنا ، وكان خالد بن أحمد بن خالد الدهلى أمير خراسان قد أخرجه من بخارا إلى جرّ تَمَك ، ثم حج خالد المذكور ، فوصل إلى بغداد فحبسه الموفق بن المتوكل أخو المعتمد الخليفة ، فمات فى حبسه .

وكان البخارى نحيف الجسم ، لا بالطويل ولا بالقصير .

وقد اختلف في اسم جده فقيل : إنه يزذه - بفتح الياء المثناة من تحتها ، وسكون الزاء ، وكسر الذال المعجمة ، وبعدها باء موحدة ، ثم هاء ساكنة ، وقال أبو نصر بن ما كولا في كتاب الإكمال : هو يزْذِزْبه - بidal وزاء وباء معجمة بواحدة - والله أعلم ، وقال غيره : كان هذا الجد مجوسيا مات على دينه ، وأول من أسلم منهم المغيرة ، ووجدته في موضع آخر عوض يزذه الأحنف ولعل يزذه كان أحنف الرجل .

والبخارى : بضم الباء الموحدة ، وفتح الخاء المعجمة ، وبعد الألف راء - هذه النسبة إلى بخارا ، وهى [من] أعظم مدن ما وراء النهر ، بينها وبين سمرقند مسافة ثمانية أيام .

وخرتَنكُ : بفتح الخاء المعجمة ، وسكون الراء ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وسكون النون ، وبعدها كاف - وهى قرية من قرى سمرقند . وقد سبق الكلام على الجعفى .

ونسبة البخارى إلى سعيد بن جعفر الجعفى ، والى خراسان ، وكان له عليهم الولاء فنسبوا إليه .

(٥٤٢)

أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، الطَّبْرِي ،

وقيل : يزيد بن كثير بن غالب

أبو جعفر محمد

بن جرير

الطبري

المؤرخ .

صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير ، كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك ، وله مصنفات مليحة في فنون عديدة تدل على سعة علمه وغزارة فضله ، وكان من الأئمة المجتهدين ، لم يقلد أحداً ، وكان أبو الفرج المعافى بن زكرياء النهرواني المعروف بابن طرار على مذهبه وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وكان ثقة في نقله ، وتاريخه أصح التواريخ وأثبتها ، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين ، ورأيت في بعض المجاميع هذه الأبيات منسوبة إليه ، وهي [من الوافر] :

إذا عَسَرْتُ لم يَعْلَمْ شَقِيقِي وَأَسْتَغْنِي فَيَسْتَغْنِي صَدِيقِي

حيائي حَافِظٌ لِي مَاءٌ وَجْهِي وَرَفَقِي فِي مَطَالِبِي رَفِيقِي

ولو أَنِي سَمَحْتُ بِبَذْلِ وَجْهِي لَكُنْتُ إِلَى الْغِنَى سَهْلَ الطَّرِيقِ

وكانت ولادته سنة أربع وعشرين ومائتين ، بآمل طبرستان .

وتوفي يوم السبت آخر النهار ، ودفن يوم الأحد في داره ، في السادس

والعشرين من شوال سنة عشر وثلثمائة ، ببغداد ، رحمه الله تعالى !

ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سَفْحِ المَقَطَمِ قَبْرًا يَزَارُ ، وعند رأسه حجر

عليه مكتوب «هذا قبر ابن جرير الطبري» والناس يقولون : هذا صاحب التاريخ ،

وليس بصحيح ، بل الصحيح أنه ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس في تاريخه

المختص بالغزباء : إنه توفي ببغداد ، وأبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ابن أخته

وسميت ذكروه إن شاء الله تعالى ، وقد سبق الكلام على الطبري .

(٥٤٣)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين
ابن عبد الله بن عبد الحكم
المصرى الشافعى

سمع من ابن وهب وأشهب من أصحاب الإمام مالك ، فلما قدم الإمام الشافعى — رضى الله عنه ! — مصر صحبه وتفقه به ، وحمل فى المحنة إلى بغداد إلى القاضى أحمد بن أبى دؤاد الإيادى المقدم ذكره ، فلم يجب إلى ما طلب منه ، فرد إلى مصر ، وانتهت إليه الرياسة بمصر .

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائة .

وتوفى يوم الأربعاء ليلة خلت من ذى القعدة ، وقيل : منتصفه ، سنة ثمان وستين ومائتين ، وقبره فيما يذكر مع قبر أبيه وأخيه عبد الرحمن ، وقد سبق ذكر ذلك ، وهما إلى جانب الإمام الشافعى ، وقال ابن قانع : توفى سنة تسع وستين بمصر ، رحمه الله تعالى !

وروى عنه أبو عبد الرحمن النسائى فى سُنَنِهِ ، وقال المَزْنِى : كُنا نأتى الشافعى نسمع منه ، فنجلس على باب داره ، ويأتى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فيصعد ويُطِيلُ المكث ، وربما تغدّى معه ، ثم نزل ، فيقرأ علينا الشافعى ، فإذا فرغ من قراءته قرب إلى محمد دابته فركبها ، وأتبعه الشافعى بصره ، فإذا غاب شخصه قال : وددت لو أن لى ولداً مثله وعلى ألف دينار لأجد لها قضاء ، وحكى عن محمد المذكور أنه قال : كنت أترددُ إلى الشافعى ، فاجتمع قوم من أصحابنا إلى أبى ، وكان على مذهب الإمام مالك ، وقد سبق ذكره فى العَبَادَةِ ، فقالوا : يا أبا محمد ، إن محمداً ينقطع إلى هذا الرجل ويترددُ إليه فيرى الناس أن هذا رغبة عن مذهب أصحابه ، فجعل أبى يُلاطفهم ويقول : هو حَدَثٌ ويجب النظر فى اختلاف أقوال الناس ومعرفة ذلك ، ويقول لى فى السر : يا بنى ، الزم هذا

الرجل ، فانك لو جاوزت هذا البلد فتكلمت في مسألة فقلت فيها « قال أشهب عن مالك » لقليل لك : من أشهب ، قال : فلزمت الشافعى ، وما زال كلام والدى فى قلبى حتى خرجت إلى العراق فكلمنى القاضى بمحضرة جلسائه فى مسألة فقلت فيها « قال أشهب عن مالك » فقال : ومن أشهب ؟ وأقبل على جلسائه فقال بعضهم كالمكر : ما أعرف أشهب ولا أبلق ، وأخباره كثيرة .

وذكر القضاعى فى كتاب « خطط مصر » قال : ومحمد هذا هو الذى أحضره أحمد بن طولون فى الليل إلى حيث سقايته بالمعافر لما توقف الناس عن شرب الماء منها^(١) والوضوء به ، فشرب منه وتوضأ ، فأعجب ذلك ابن طولون ، وصرفه لوقته ، ووجه إليه بصلّة ، والناس يقولون : إنه المزنى ، وليس بصحيح .

(٥٤٤)

أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر ، الترمذى ، الفقيه الشافعى لم يكن للفقهاء الشافعية فى وقته رأس منه ولا أروع ولا أكثر تقللا ، وكان يسكن بغداد ، وحدث بها عن يحيى بن بكير المصرى ويوسف بن عدى وكثير ابن يحيى وغيرهم ، وروى عنه أحمد بن كامل القاضى وعبد الباقي بن قانع وغيرها ، وكان ثقة من أهل العلم والفضل والزهد فى الدنيا ، وقال أبو الطيب أحمد بن عثمان السمسار والد أبى حفص عمر بن شاهين : حضرت عند أبى جعفر الترمذى فسأله سائل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا » فالنزول كيف ؟ أيبقى فوقه علو ؟ فقال أبو جعفر : النزول معقول ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وكان من التقلل فى المطعم على حالة عظيمة ، فقراً وورعاً وصبراً على الفقر ، أخبر محمد بن

أبو جعفر محمد
بن أحمد
الترمذى
الشافعى

(١) فى ١ « عن شرب الماء منه »

موسى بن حماد أنه أخبره أنه تقوّت في سبعة عشر يوماً بخمس حبات^(١)، أو قال: بثلاث حبات، قال: قلت: كيف عملت؟ فقال: لم يكن عندي غيرها، فاشتريت بها لفتاً، فسكنت آكل كل يوم واحدة، وذكر أبو إسحاق الزجاج النحوى أنه كان يُجرى عليه في كل شهر أربعة دراهم، وكان لا يسأل أحداً شيئاً، وكان يقول: تفقّهت على مذهب أبي حنيفة، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد المدينة عام حجّجت فقلت: يا رسول الله، قد تفقّهت بقول أبي حنيفة، أفأخذ به؟ قال: لا، فقلت: أفأخذ بقول مالك بن أنس؟ فقال: خذ منه ما وافق سنتي، فقلت: أفأخذ بقول الشافعي؟ فقال: ما هو بقوله، إلا أنه أخذ بسنتي ورَدَّ على من خالفها، قال: فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر، وكتبت كتب الشافعي، وقال الدارقطني: هو ثقة مأمون ناسك، وكان يقول: كتبت الحديث تسعاً وعشرين سنة.

وكانت ولادته في ذى الحجة سنة مائتين، وقيل: سنة عشر ومائتين. وتوفي لإحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين، ولم يغير شَيْبَةً، وكان قد اختلط في آخر عمره اختلاطاً عظيماً، رحمه الله تعالى. وقال السمعاني في نسبة الترمذي: هذه النسبة إلى مدينة قديمة على طرف نهر بلخ الذي يقال له جَيْحُون، والناس يختلفون في كيفية هذه النسبة: بعضهم يقول بفتح التاء ثالث الحروف، وبعضهم يقول بضمها، وبعضهم يقول بكسرها، والمتداول على لسان أهل تلك المدينة بفتح التاء وكسر الميم، والذي كنا نعرفه قديماً كسر التاء والميم جميعاً، والذي يقوله المتنوّقون وأهل المعرفة بضم التاء والميم، وكل واحد يقول معنى لما يدعيه، هذا كله كلام السمعاني، والله أعلم، وسألت من رآها: هل هي في ناحية خوارزم أم في ناحية ما وراء النهر؟ فقال: بل هي في حساب ما وراء النهر من ذلك الجانب.

(١) في «خمس حبات» و«ثلاث حبات» بدون حرف الجر في الموضعين

(٥٤٥)

أبو بكر محمد بن
أحمد بن الحداد
المصرى
الشافعى

أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر ، الكنفانى ، المعروف بابن
الحداد ، الفقيه الشافعى ، المصرى

صاحب كتاب « الفروع » فى المذهب وهو كتاب صغير الحجم كثير
الفائدة ، دَقَّقَ فى مسائله غاية التدقيق ، واعتنى بشرحه جماعة من الأئمة الكبار
شرحه الفقَّال المروزى شرحاً متوسطاً ليس بالكبير ، وشرحه القاضى أبو الطيب
الطبرى فى مجلد كبير ، وشرحه الشيخ أبو على السَّنجى شرحاً تاماً مستوفى أطل
فيه ، وهو أحسن الشروح ، وكان ابن الحداد المذکور قد أخذ الفقه عن أبي إسحاق
المروزى ، وقال صاحبنا عماد الدين بن باطيش فى كتابه الذى وضعه على المذهب :
وفى طبقات الفقهاء أنه من أعيان أصحاب إبراهيم المَزْنى ، وقد وهم فيه ، فإن
ابن الحداد ولد فى السنة التى توفى فيها المزنى ، وقال القضاعى فى كتاب الخطوط :
إنه ولد فى اليوم الذى مات فيه المزنى ، فكيف يمكن أن يكون من أصحابه ؟ وإنما
نبهت على ذلك لئلا يظن ظان أن هذا غلط ، وذلك الصواب ، ونسب إليه
أيضاً الأبيات الذالية التى ذكرتها فى ترجمة ظافر الحداد الإسكندرى ، وقد سبق
الكلام عليها فى تلك الترجمة .

وكان ابن الحداد فقيهاً محققاً غَوَّاصاً على المعانى ، تولى القضاء بمصر والتدريس
وكانت الملوك والرعايا تُكْرِمُه وتعظمه وتقصدّه فى الفتاوى والحوادث ، وكان
يقال فى زمنه : عجائب الدنيا ثلاث : غضب الجلاد ، ونظافة السباد ، والرد على
ابن الحداد .

وكانت ولادته لست بقين من شهر رمضان ، سنة أربع وستين ومائتين
وفى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ، وقال السمعانى : سنة أربع وأربعين ،
وحدث عن أبي عبد الرحمن النسائى وغيره ، وذكر القضاعى فى كتاب خطط

مصر أن ابن الحداد المذكور توفي عند منصرفه من الحج ، سنة أربع وأربعين وثلثمائة بمعية حرب ، على باب مدينة مصر ، وقيل : في موضع القاهرة .

وكان متصرفاً في علوم كثيرة : من علوم القرآن الكريم ، والفقه ، والحديث ، والشعر ، وأيام العرب ، والنحو ، واللغة ، وغير ذلك ، ولم يكن في زمانه مثله ، وكان محبباً إلى الخاص والعام ، وحضر جنازته الأمير أبو القاسم أنوجور ابن الإخشيد ، وكافور ، وجماعة من أهل البلد ، وله تسع وسبعون سنة وأربعة أشهر ويومان ، رحمه الله تعالى !

والحداد — بفتح الحاء المهملة وتشديد الدال ، ثم دال بعد ألف — وكان أحد أجداده يعمل الحديد وبيعه فنسب إليه .

(٥٤٦)

أبو بكر محمد بن عبد الله ، المعروف بالصيرفي ،

الفقيه الشافعي ، البغدادي

كان من جملة الفقهاء ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج ، واشتهر بالحديث في النظر والقياس ، وعلوم الأصول ، وله في أصول الفقه كتاب لم يسبق إلى مثله ، وحكى أبو بكر القفال في كتابه الذي صنفه في الأصول : أن أبا بكر الصيرفي كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي ، وهو أول من انتدب من أصحابنا للشروع في علم الشروط ، وصنف فيه كتاباً أحسن فيه كل الإحسان .

وتوفي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى !

والصيرفي — بفتح الصاد المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح
الراء ، وبعدها فاء — هذه النسبة مشهورة لمن يصرف الدنانير والدرهم ، وإعما
قصدت بذكرها ضبطها وتقييدها ، فقد رأيت كثيراً من الناس ينطقون بكسر
الصاد والراء .

(٥٤٧)

أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل ، القفال ، الشاشي ، الفقيه الشافعي ،
إمام عصره بلا مدافعة

أبو بكر
محمد بن علي
القفال الشاشي
الشافعي

كان فقيها محدثاً أصولياً لغوياً شاعراً ، لم يكن بماء وراء النهر للشافعيين
مثله في وقته ، رحل إلى خراسان والعراق والحجاز والشام والثغور ، وسار ذكره
في البلاد ، وأخذ الفقه عن ابن سريج ، وله مصنفات كثيرة ، وهو أول من
صنف الجدل الحسن من الفقهاء ، وله كتاب في أصول الفقه ، وله شرح الرسالة ،
وعنه انتشر مذهب الشافعي في بلاده ، وروى عن محمد بن جرير الطبري وأقرانه ،
وروى عنه الحاكم أبو عبد الله ، وأبو عبد الله بن مَنْدَه ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وجماعة
كثيرة ، وهو والد القاسم صاحب كتاب «التقريب» الذي ينقل عنه في النهاية
[والوسيط] ^(١) والبسيط ، وقد ذكره الغزالي في الباب الثاني من كتاب الرهن ، لكنه
قال «أبو القاسم» ، وهو غلط ، وصوابه : القاسم ، وقال العجلي في شرح
مشكلات الوجيز والوسيط ، في الباب الثاني من كتاب التيمم : إن صاحب
التقريب هو أبو بكر القفال ، وقيل : إنه ابنه القاسم ، ثم قال : فلهذا يقال :
صاحب التقريب على الإبهام .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ١

قلت : ورأيت في شوال ، سنة خمس وستين وستمائة ، في خزانة الكتب بالمدرسة العادلية ، بدمشق المحروسة كتاب « التقريب » في ست مجلدات ، وهي من حساب عشر مجلدات ، وكتب عليه بأنه تصنيف أبي الحسن القاسم ابن أبي بكر القفال الشاشي ، وقد كانت النسخة المذكورة للشيخ قطب الدين مسعود النيسابوري ، الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وعليها خطه بأنه وَفَّقَهَا ، وهذا التقريب غير التقريب الذي لسليمان الرازي ، فاني رأيت خلقاً كثيراً من الفقهاء يعتقدونه هو ، فلهذا نبهت عليه ، والتقريب الذي لابن القفال قليل الوجود ، والذي لسليمان موجود بأيدي الناس ، وهذا التقريب هو الذي تخرج به فقهاء خراسان .

وقد وقع الاختلاف في وفاة القفال المذكور ، فقال الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء : توفي في سنة ست وثلاثين وثلثمائة ، وقال الحاكم أبو عبد الله ، المعروف بابن البيع النيسابوري : إنه توفي بالشاش ، في ذي الحجة ، سنة خمس وستين وثلثمائة ، وقال : كتبت عنه وكتب عني ، ووافقه على هذا ابن السمعاني في كتاب الأنساب ، وزاد ، فقال : وكانت ولادته في سنة إحدى وتسعين ومائتين وقال السمعاني في كتاب الذيل : إنه توفي سنة ست وستين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! هكذا قاله في كتاب الأنساب أيضاً في ترجمة الشاشي ، والقول الأول قاله في ترجمة القفال .

والشاشي : نسبة إلى الشاش — بشينين معجمتين بينهما ألف — وهي : مدينة وراء نهر سيحون ، خرج منها جماعة من العلماء ، وهذا القفال غير القفال المروزي ، وقد سبق ذكر ذلك في العبادلة ، وهو متأخر عن هذا .

(٥٤٨)

أبو الحسن محمد
بن علي
الماسرجسي
الشافعي

أبو الحسن محمد بن علي بن سهل بن مصلح ، الماسرجسي ، الفقيه الشافعي
أحد الأئمة الشافعية بخراسان ، وأعرفهم بالمدن وتربيته وفروع المسائل ،
تفقه بخراسان والعراق والحجاز ، وصحب أبا إسحاق المروزي ، وتفقه عليه ،
وخرج معه إلى مصر ، ولزمه إلى أن مات ثم رجع إلى بغداد ، وكان يخلف علي بن
أبي هريرة في مجالسه بعد قيامه عنها ، ثم انصرف إلى خراسان سنة أربع وأربعين
وثلاثمائة ، ودرس بنيسابور ، وعنه أخذ فقهاؤها ، وعليه تفقه القاضي أبو الطيب
الطبري ، وسمع من خاله المؤمل بن الحسن بن عيسى الماسرجسي ، وسمع بمصر من
أصحاب المزني ويونس بن عبد الأعلى الصدقي ، وقال الحاكم أبو عبد الله ابن البيهقي :
عقد له مجلس الإملاء في دار السنة في رجب سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة
وتوفي عشية الأربعاء ، ودفن في عشية الخميس سادس جمادى الآخرة سنة
أربع وثمانين وثلاثمائة ، وعمره ست وسبعون سنة ، وقال الشيخ أبو إسحاق في
الطبقات : سنة ثلاث وثمانين ، رحمه الله تعالى !

والماسرجسي - بفتح الميم ، وبعد الألف سين مفتوحة مهملة ، وراء ساكنة
ثم جيم مكسورة ، بعدها سين ثانية - هذه النسبة إلى ماسرجس ، وهو اسم لجد
أبي علي الحسن بن عيسى بن ماسرجس النيسابوري ، كان نصرا نيا فأسلم على يد
عبد الله بن المبارك ، وأبو الحسن الفقيه المذكور ابن بنت أبي علي المذكور ، فنسب
إليه ، ونسبة الكل إلى ماسرجس المذكور .

(٥٤٩)

أبو عبد الله
محمد بن الحسن
الأستراباذي

أبو عبد الله محمد بن الحسن بن إبراهيم ، الأستراباذي ، وقيل :
الجرجاني ، المعروف بالخَتَن ، الفقيه الشافعي

(الختن)
الشافعي

كان فقيها فاضلا ورعا مشهورا في عصره ، وله وجوه حسنة في المذهب ، وكان
مقدمافي [فنون] ^(١) الأدب ومعاني القرآن ^(٢) والقراآت ، ومن العلماء المبرزين في النظر
والجدل ، سمع أبا نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي وأقرانه ببلده ، وورد نيسابور سنة
سبع وثلاثين وثلثمائة فأقام بها إلى آخر سنة تسع ، ثم دخل أصبهان فسمع مسند
أبي داود من عبد الله بن جعفر ^(٣) ، ودخل العراق وكتب بعد الأربعين ، وأكثر ،
وكان كثير السماع والرحلة ، وشرح كتاب « التلخيص » لأبي العباس بن القاص
وتوفي بجرجان يوم عيد الأضحى سنة ست وثمانين وثلثمائة ، وهو ابن خمس
وسبعين سنة ، رحمه الله تعالى !.

وقد تقدم الكلام على الأستراباذي والجرجاني

والخَتَن - بفتح الخاء المعجمة والتاء المثناة من فوقها ، وبعدها نون - وإنما
قيل له ذلك لأنه كان خَتَن الفقيه أبي بكر الإسماعيلي

(١) هذه الكلمة ساقطة من ا (٢) في ا « وعلم القرآن »

(٣) في ا « فسمع مسند أبي داود بن عبد الله بن جعفر » وليس بشيء

(٥٥٠)

أبو سهل محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هرون بن موسى بن عيسى بن
إبراهيم بن بشر ، الحنفي ، العجلي ، المعروف بالصعلوكي
الأصبهاني أصلاً ومولداً ، النيسابوري داراً
الفقيه الشافعي ، المفسر ، المتكلم ، الأديب ، النحوي ، الشاعر ، العروضي ،
الكاتب
أبو سهل محمد
ابن سليمان
الصعلوكي
العجلي
الأصبهاني
النيسابوري

ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخه فقال : حبر زمانه ، و فقيه أصحابه وأقرانه ،
صحب أبا إسحاق المروزي وتفقه عليه ، وتبحر في العلوم ، ثم خرج إلى العراق ،
ودخل البصرة ، ودرس بها سنين ، إلى أن استدعى إلى أصفهان فأقام بها سنين ،
فلما نعى إليه عمه أبو الطيب خرج مستخفياً فورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ،
جلس لما تم عمه ثلاثة أيام ، وكان الشيخ أبو بكر بن إسحاق يحضر كل يوم فيقعد معه ،
وكذلك كل رئيس وقاض ومفت من الفريقين ، ولما فرغ العزاء عقدوا له مجلس
النظر ، ولم يبق موافق ولا مخالف إلا أقر بفضله وتقدمه ، وحضره المشايخ مرة بعد
أخرى يسألونه أن ينقل من خلفهم وراءه بأصفهان ، فأجاب إلى ذلك ، ودرس
وأفتى ، وعنه أخذ فقهاء نيسابور ، وكان الصاحب بن عباد يقول : أبو سهل الصعلوكي
لا نرى مثله ولا يرى مثل نفسه ، وسئل أبو الوليد عن أبي بكر القفال والصعلوكي
فقال : ومن يقدر أن يكون مثل الصعلوكي ؟ .

وكانت ولادته سنة ست وتسعين ومائتين ، وسمع الحديث سنة خمس
وثلاثمائة ، وحضر محاسن أبي علي الثقفى للتعققة سنة ثلاث عشرة .

وتوفي في آخر سنة تسع وستين [وثلاثمائة] ^(١) بنيسابور ، وحملت جنازته إلى
ميدان الحسين ، فقدم السلطان ولده أبا الطيب للصلاة عليه ، فصلى ، ودفن في
المسجد الذي كان يدرس فيه ، رحمه الله تعالى !

(١) هذه الكلمة لا توجد في (١)

وقد تقدم ذكر ابنه في حرف السين ، والكلام على الصعلوكي

(٥٥١)

أبو الطيب محمد بن المفضل بن سلمة بن عاصم

الضبي ، البغدادي ، الفقيه الشافعي

أبو الطيب محمد
ابن المفضل
ابن سلمة
الضبي الشافعي

[كان] من كبار الفقهاء ومتقدميهم ، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سريج ، وكان موصوفا بفرط الذكاء ، ولهذا كان أبو العباس يُقبل عليه كل الإقبال ويميل إلى تعليمه غاية الميل ، وصنف كتباً عديدة

وتوفي في المحرم سنة ثمان وثلثمائة ، وهو غرض الشباب ، رحمه الله تعالى !
وله في المذهب وجوه حسنة

وسلمة : بفتح السين المهملة واللام والميم

وأبوه أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي اللغوي صاحب التصانيف المشهورة في فنون الأدب ومعاني القرآن ، وكان كوفي المذهب ، مليح الخط ، لقي ابن الأعرابي وغيره من العلماء ، واستدرك على الخليل في كتاب « العين » وخطأه ، وعمل في ذلك كتاباً ، وله من التصانيف كتاب « البارع » في علم اللغة ، وكتاب « الفاخر » وكتاب « العود والملاهي » وكتاب « جلاء الشبه » وكتاب « الطيف » وكتاب « ضياء القلوب في معاني القرآن » نيف وعشرون جزءاً ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب « الزرع والنبات » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب « ما يحتاج إليه الكاتب » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب « المدخل إلى علم النحو » وروى عنه أبو بكر الصولي ، وزعم أنه سمع عنه في سنة تسعين ومائتين

وجده سلمة بن عاصم صاحب الفراء وراويته ، وهم أهل بيت كلهم علماء نبلاء مشاهير ، رحمهم الله تعالى !

وكان المفضل المذكور متصلاً بالوزير إسماعيل بن بلبل فقيـل له : إن ابن الرومي الشاعر المقدم ذكره هجاه ، فشق ذلك على الوزير ، وحرم ابن الرومي عطايـاه ، فعمل في المفضل أبياتاً وهي [من الخفيف] :

لو تَلَقَّفت في كساء الكسائي وتَفَرَّيت فروة الفراء
وتخلَّلت بالخليل وأضحى سيمويه لديك رَهْنَ سباء
وتكونت من سواد أبي الأسود شخصاً يكنى أبا السوداء
لأبي الله أن يَعْمَدَكَ أهل العلم إلا من جملة الأغبياء

(٥٥٢)

أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر ، النيسابوري

أبو بكر محمد

ابن إبراهيم بن

المنذر

النيسابوري

الفقيه

كان فقيهاً عالماً مطلقاً ، ذكره الشيخ أبو إسحاق في طبقات الفقهاء وقال : صنف في اختلاف العلماء كتباً لم يصنف مثلها ، واحتاج إلى كتبه الموافق والمخالف ، ولا أعلم من أخذ الفقه .

وتوفى بمكة سنة تسع أو عشر وثلثمائة ، رحمه الله تعالى !

ومن كتبه المشهورة في اختلاف العلماء « كتاب الأشراف » وهو كتاب كبير يدل على كثرة وقوفه على مذاهب الأئمة ، وهو من أحسن الكتب وأنفعها وأمتعها ، وله كتاب « المبسوط » أكبر من الأشراف ، وهو في اختلاف العلماء ونقل مذاهبهم أيضاً ، وله كتاب « الإجماع » وهو صغير .

(٥٥٣)

أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ، المروزي ، الفاشاني ، الفقيه الشافعي
كان من الأئمة الأجلاء ، حسن النظر ، مشهوراً بالزهد ، وحافظاً للمذهب ،
وله فيه وجوه غريبة ، أخذ الفقه عن أبي إسحاق المروزي ، وأخذ عنه أبو بكر
القفال المروزي ، ودخل بغداد ، وحدث بها ، وسمع منه الحافظ أبو الحسن الدارقطني
ومحمد بن أحمد بن القاسم الحاملي ، ثم خرج إلى مكة فجاور بها سبع سنين ، وحدث
هناك بصحيح البخاري عن محمد بن يوسف الفربري ، قال الخطيب : وأبو زيد
أجل من روى هذا الكتاب ، وقال أبو بكر البرزاني : عادت الفقيه أبو زيد من
نيسابور إلى مكة فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه ، يعني خطيئة ، وقال أحمد
ابن محمد الحاتمي الفقيه : سمعت أبا زيد المروزي يقول : رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المنام وأنا بمكة ، وكأنه يقول لجبريل عليه السلام : ياروح الله
أصعبه إلى وطنه .

وكان في أول أمره فقيراً لا يقدر على شيء ، فكان يعبر الشتاء بلا جبة مع
شدة البرد في تلك البلاد ، فاذا قيل له في ذلك يقول : بي علة تمنعني من لبس
المحشو ، يعني به الفقر^(١) ، وكان لا يشتهي أن يطلع أحداً على باطن حاله ، ثم أقبلت
عليه الدنيا في آخر عمره وقد أسنّ وتساقطت أسنانه فكان لا يتمكن من المضغ
وبطلت منه^(٢) حاسة الجماع فكان يقول مخاطباً للنعمة : لا بارك الله فيك ! أقبلت
حين لا ناب ولا نصاب .

^(٣) [وقد أذكرتني هذه الحكاية أبياتاً لبعض الفضلاء وقد أثرتي وصارت له
نعمة وهو في عشر الثمانين ، وهي [من البسيط] :

ما كنت أرجوه إذ كنت ابنَ عشرينا

ملكته بعد أن جاوزت سبعيناً

(١) في ١ « يعني به الفقر » وما هنا موافقاً لما في ب أحسن

(٢) في ١ « وبطلت به » (٣) من هنا إلى نهاية الأبيات في ٦٤٣ ساقط من ١

تطيف بي من بنى الأتراك أغزلة مثل الغصون على كُثبانٍ يبرينا
وخرُّدٌ من بنات الروم رائعة يحكين بالحسن حورَ الجنة العينا
يعمزنني بأساريع مُنعمَةٍ تكاد تنقض من أطرافها ليناً
يُردنَ إحياء ميتٍ لأحراك به فكيف يحيين ميماً صار مدفونا
قالوا أنينك طولَ الليل يُقلقنا فما الذي تشتكى قلت الثمانينا]

وتوفي يوم الخميس ثالث عشر رجب سنة إحدى وسبعين وثلثمائة بمرور، رحمه الله تعالى !

وقد تقدم الكلام على نسبة المروزي والفاشاني ، فلاحاجة إلى الاعداد .

(٥٥٤)

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن نصر^(١) بن ورقاء ، الأودني ، الفقيه الشافعي
إمام أصحاب الشافعي في عصره ، ذكره الحسائني أبو عبد الله بن البيهقي
النيسابوري في تاريخ نيسابور ، وقال : حج ثم انصرف وأقام بنيسابور عندنا مدة
وكان من أزهده الفقهاء وأبكاكم على تقصيره .

أبو بكر محمد
ابن عبد الله
الأودني
الشافعي

وتوفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلثمائة ، ببخارا ، ودفن بكلاباد
رحمه الله تعالى !

والأودني - بضم الهمزة ، وسكون الواو ، وفتح الدال المهملة ، وبعدها نون -
هذه النسبة إلى أودنة ، وهي قرية من قرى بخارا ، هكذا قاله السمعاني ، والفقهاء
يخرفونه ويقولون « الأودي » وسمعت بعض مشايخنا في زمن الاشتغال بالعلم يقول :
هو « الأودني » بفتح الهمزة والله أعلم^(٢)] ثم وجدت في كتاب أبي بكر الحارثي

(١) في نسخة عندنا « بن بصر »

(٢) من هنا إلى نهاية السادس في ص ٣٤٧ ساقط من

الذى سماه « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » ما يدل على أنه بفتح الهمزة فانه جعله مع أردن ونظائره مما أوله بفتح الهمزة ، ثم قال : وأما أودن - بعد الهمزة واوسا كنة ثم دال مهملة وآخره نون - فقرية من قرى بخارا ، وعادته في هذا الكتاب أنه إذا ذكر مكانا على مثل هذه الصورة ثم ذكر بعده مثله تركه على حاله ، وإن اختلف في الحركة ذكر وجه المخالفة ، ولم يذكر ههنا ضمة الهمزة ، فدل على أنه مثل الأول^(١) .

وله وجوه في المذهب ، وذكره صاحب الوسيط في مواضع عديدة .

وكلاباذ - بفتح الكاف ، وبعد اللام ألف باء موحدة مفتوحة ، وبعد الألف ذال معجمة - وهى محلة ببخارا ، وإليه ينسب الحافظ المتقن أبو نصر أحمد ابن محمد بن الحسن بن الحسين بن على بن رستم الكلاباذى أحد أئمة الحديث وكان ثقة ، وتوفى لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، ومولده سنة ستين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى !

قلت : هكذا ذكره الحافظ أبو سعد بن السمعاني في تاريخ وفاة الكلاباذى [ومولده] وهو غلط ، فانه آخر تاريخ المولد عن تاريخ الوفاة ، وكشفته من جهات عديدة فلم أجده من ذكره ، فتركت على حاله [والظاهر أن الأمر بالعكس]

(١) إلى هنا نهاية الساقط من ا

(٥٥٥)

أبو بكر محمد بن أحمد بن علي بن شاهوويه ، الفارسي ،
الفقيه الشافعي

أبو بكر محمد بن
أحمد الفارسي
الشافعي

ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور ، وقال : أقام بنيسابور زماناً ،
ثم خرج إلى بخارا ، ثم انصرف إلى نيسابور ، ورجع إلى بلاد^(١) فارس فولى القضاء
بها ، ثم رجع إلى نيسابور ، وحدث بها .

وتوفي في سنة اثنتين وستين وثلثمائة ، بنيسابور ، رحمه الله تعالى ! .

وله في المذهب وجوه بعيدة تفرد بها ، ولم نرها منقولة عن غيره ، ولم أعلم
عمن أخذ الفقه .

وشاهوويه - بالشين المعجمة ، وبعد الألف هاء مفتوحة ، ثم واو مفتوحة ،
ثم ياء مثناة من تحتها ساكنة - وهو اسم عجمي مركب ، فالشاه الملك ، وأماويه
فقد قال الجوهري في كتاب الصحاح : سيبويه ونحوه من الأسماء اسم بني مع
صوت فجعلا اسماً واحداً

وأما فارس فانها كورة عظيمة ، قصبتها شيراز ، وشهرتها تغني عن
ضبطها .

(١) قي ا « ورجع إلى بلادنا فارس »

(٥٥٦)

أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم

أبو عبد الله
محمد بن سلامة
القضاعي
الشافعي

ابن إبراهيم بن محمد بن مسلم ، القضاعي ، الفقيه
الشافعي ، صاحب كتاب الشهاب

ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ، وقال : روى عنه أبو عبد الله الحميدي ، وتولى القضاء بمصر نيابة من جهة المصريين ، وتوجه منهم رسولا إلى جهة الروم ، وله عدة تصانيف : منها كتاب « الشهاب » وكتاب « مناقب الإمام الشافعي » وأخباره ، وكتاب « الإنباء ، عن الأنبياء » و « تواريخ الخلفاء » وله كتاب « خطط مصر » .

وذكره الأمير أبو نصر بن ماكولا في كتاب « الإكمال » وقال : كان متفنا في عدة علوم .

وتوفي بمصر ليلة الخميس السادس عشر من ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة ، وصلى عليه يوم الجمعة بعد العصر في مصلى النجار .

وذكر السمعاني [في كتاب « الذيل »] ^(١) في ترجمة الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ صاحب « تاريخ بغداد » أنه حج سنة خمس وأربعين وأربعمائة وحج تلك ^(٢) السنة أبو عبد الله القضاعي المذكور ، وسمع الحديث منه ، رحمه الله تعالى !

وقد تقدم ذكره في ترجمة الظاهر بن الحاكم العميدي صاحب مصر ، وأنه كان يعلم عن وزيره الأقطع العجرجرائي .

والقضاعي - بضم القاف ، وفتح الضاد المعجمة ، وبعد الألف عين مهملة - هذه النسبة إلى قضاة ، ويقال : هومن معد بن عدنان ^(٣) ، ويقال : هومن حمير ، وهو الأكثر والأصح ، واسمه عمر بن مالك ، وينسب إليه قبائل كثيرة ، منها

(١) لا توجد هذه العبارة في (٢) في « وحج بتلك السنة »

(٣) في « ويقال هو ابن معد بن عدنان »

كَلْبٌ وَبَلْبِي وَجَهِينَةٌ وَعُدْرَةٌ وَغَيْرُهُمْ .

والنجار صاحب المصلى هو : عمران بن موسى النجار ، مولى غافق ، وقيل :
إن النجار المذكور هو أبو الطيب محمد بن جعفر البغدادي النجار ، ويعرف
بُغْمَذَر ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وثلثمائة قبل دخول القائد جوهر مصر ،
رحمه الله تعالى !

(٥٥٧)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله ^(١) بن مسعود بن أحمد ،

المسعودي ، الفقيه الشافعي

أبو عبد الله محمد
ابن عبد الله بن
مسعود
المسعودي
الشافعي

إمام فاضل مبرز ورع ، من أهل مرو ، تفقه على أبي بكر القفال المروزي
وشرح مختصر المزني ، وأحسن فيه ، وروى قليلا من الحديث عن أستاذه القفال
وحكى عنه الغزالي في كتاب « الوسيط » في الإيمان في الباب الثالث فيما يقع به
الحينثُ مسألة لطيفة فقال : فرع — لو حلف لا يأكل بيضا ، ثم انتهى إلى رجل ،
فقال : والله لا أكلن ما في كمي ، فاذا هو بيض ، فقد سئل القفال عن هذه المسألة
وهو على السكري فلم يحضره الجواب فقال المسعودي تلميذه : يتخذ منه الناطف ^(٢)
ويأكله ، فيكون قد أكل ما في كمي ، ولم يأكل البيض ، فاستحسن ذلك منه ،
وهذه الحيلة من لطائف الحيل .

وتوفي المسعودي سنة نيف وعشرين وأربعمائة ، بمرو ، رحمه الله تعالى !
ونسبته إلى جده مسعود .

(١) في « محمد بن عبد الملك بن مسعود »

(٢) الناطف : هو القيطي ، وهو ضرب من الحلواء ، سمي بذلك لأنه ينظف
قبل استنضائه : أي يقطر قبل خثورته

(٥٥٨)

القاضي أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله
ابن عباد ، العبّادى ، الهروى ، الفقيه الشافعى
أبو عاصم محمد
ابن أحمد
العبادى
الهروى
الشافعى

تفقه بهراً على القاضي أبي منصور الأزدي ، و بنيسابور على القاضي أبي
عمر البسطامى ، وصار إماماً متفناً دقيق النظر ، تنقل فى البلاد ، ولقى خلقاً كثيراً
من المشايخ ، وأخذ عنهم ، وصنف كتباً نافعة : منها « أدب القضاء »
و « المبسوط » و « الهادى إلى مذهب العلماء » وكتاب « الرد على السمعاني »
وله كتاب لطيف فى طبقات الفقهاء ، وعنه أخذ أبو سعد الهروى صاحب كتاب
الأشراف فى أدب القضاء وغوامض الحكومات ، وسمع الحديث ورواه .
وتوفى فى شوال سنة ثمان وخمسين وأربعمائة .

وكانت ولادته فى سنة خمس وسبعين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى !
والعبّادى - بفتح العين المهملة ، وتشديد الباء الموحدة ، وبعد الألف دال
مهملة - هذه النسبة إلى [جده] عبّاد المذكور ، وقد تقدم الكلام على الهروى .

(٥٥٩)

أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الخضرى ، المروزى ، الفقيه الشافعى
إمام مرو ومقدم الفقهاء الشافعية ، صحب أبا بكر الفارسى ، وكان من أعيان
تلامذة أبي بكر القفال الشاشى ، وأقام بمرو ناشراً فقه الشافعى ، وكان يضرب به
المثل فى قوة الحفظ وقلة النسيان ، وله فى المذهب وجوه غريبة نقلها الخراسانيون
أبو عبد الله محمد
ابن أحمد
الخضرى
المروزى
الشافعى

عنه ، وروى عن الشافعى رضى الله عنه أنه صحح دلالة الصبي على القبلة ، قال :
على أن معناه أن يدل على قبلة تشاهد في الجامع ، فأما في موضع الاجتهاد
فلا يقبل ، وذكر أبو الفتوح العجلي في أول كتاب النكاح من كتاب [شرح]
مشكلات الوجيز والوسيط أن الشيخ أبا عبد الله الخضرى سئل عن قلامة
ظهر المرأة : هل يجوز للرجل الأجنبي النظر إليها ، فأطرق الشيخ طويلا ساكتا ،
وكانت ابنة الشيخ أبى على الشبوى تحته ، فقالت [له] : لم تنفك وقد سمعت أبى
يقول في جواب هذه المسألة : إن كانت من قلامة أظفار اليدين جاز النظر إليها
وإن كانت من أظفار الرجلين لم يجوز ، وإنما كان ذلك لأن يدها ليست بعورة ،
بخلاف ظهر القدم ، ففرح الخضرى وقال : لو لم أستفد من اتصالى بأهل العلم
إلا هذه المسألة لكانت كافية ، اه كلام العجلي .

قلت : إن ^(١) هذا التفصيل بين اليدين والرجلين فيه نظر ، فإن أصحابنا قالوا :
اليدان ليستا بعورة في الصلاة ، فأما بالنسبة إلى نظر الأجنبي فما نعرف بينهما
فرقا ، فلينظر .

وكانت له معرفة بالحديث أيضاً ، وكان ثقة .
وتوفى في عشر الثمانين والثلاثمائة ، رحمه الله تعالى !
والخضرى - بكسر الخاء المعجمة ، وسكون الضاد المعجمة ، و بعدها راء -
هذه النسبة إلى بعض أجداده ، واسمه الخضر ، هذا عند من يكسر الخاء ، ويسكن
الضاد من الخضر ، وهى إحدى اللغتين ، فأما من يقول الخضر - بفتح الخاء
وكسر الضاد - فقياسه أن يقال الخضرى - بفتح الضاد - كما فى النسبة إلى عمرة
نمرى ، وهو باب مطرد لا يخرج عنه شيء .

والشبوى - بفتح الشين المعجمة ، وتشديد الباء الموحدة وضمها ، وسكون
الواو - هذه النسبة إلى شبويه ^(٢) ، وهواسم بعض أجداد الشيخ أبى على المذكور

(١) فى ١ « قلت أنا : هذا التفصيل - إلخ »

(٢) كان القياس حينئذ أن يقال فى النسب « شبوي »

وكان فقيها فاضلا من أهل مرو ، رحمه الله تعالى !

(٥٦٠)

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، الغزالي ، الملقب بحجة
الإسلام زين الدين ، الطوسي ، الفقيه الشافعي

حجة الإسلام

أبو حامد محمد

ابن محمد الغزالي

الشافعي

لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله ، اشتغل في مبدأ أمره بطوس
على أحمد الراذكاني ، ثم قدم نيسابور ، واختلف إلى دروس إمام الحرمين أبي
المعالى الجويني ، وجدَّ في الاشتغال حتى تخرج في مدة قريبة ، وصار من الأعيان
المشار إليهم في زمن أستاذه ، وصنف في ذلك الوقت ، وكان أستاذه يتبجح به ،
ولم يزل ملازما له إلى أن توفي في التاريخ المذكور في ترجمته ، فخرج من نيسابور
إلى العسكر ، ولقي الوزير نظام الملك فأكرمه وعظمه وبالع في الإقبال عليه ،
وكان بمحضرة الوزير جماعة من الأفاضل ، فخرى بينهم الجدل والمنظرة في عدة
مجالس ، وظهر عليهم ، واشتهر اسمه ، وسارت بذكره الركبان ، ثم فوض إليه
التدريس بمدرسته النظامية ببغداد ، فجاءها وياشر إلقاء الدروس بها ، وذلك
في جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، وأعجب به أهل العراق ، وارتفعت
عندهم منزلته ، ثم ترك جميع ما كان عليه في ذى القعدة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ،
وسلك طريق الزهد والانقطاع ، وقصد الحج ، فلما رجع توجه إلى الشام فأقام
بمدينة دمشق مدة يذكر الدروس في زاوية الجامع في الجانب الغربي منه ، وانتقل
منها إلى بيت المقدس ، واجتهد في العبادة وزيارة المشاهد والمواقع العظيمة ، ثم
قصد مصر وأقام بالإسكندرية مدة ، ويقال : إنه قصد منها الركوب في البحر إلى
بلاد المغرب على عزم الاجتماع بالأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراکش ،

وسياتى ذكره إن شاء الله تعالى ، فبينما هو كذلك بلغه نعى يوسف بن تاشفين المذكور ، فصرف عزمه عن تلك الناحية ، ثم عاد إلى وطنه بطوس واشتغل بنفسه وصنف الكتب المفيدة فى عدة فنون منها ما هو أشهرها كتاب « الوسيط » [و « البسيط »] ^(١) و « الوجيز » و « الخلاصة » فى الفقه ، ومنها « إحياء علوم الدين » وهو من أنفس الكتب وأجملها ، وله فى أصول الفقه « المستصفى » فرغ من تصنيفه فى سادس الحرم سنة ثلاث وخمسمائة ، وله « المنحول » و « المنتحل » فى علم الجدل ، وله « تهافت الفلاسفة » و « محاك النظر » و « معيار العلم » و « المقاصد » و « المضمون به على غير أهله » و « المقصد الأسنى » ، فى شرح أسماء الله الحسنى « مشكاة الأنوار » و « المنقذ من الضلال » و « حقيقة القولين » و كتبه كثيرة ، وكلها نافعة ، ثم أزم بالعود إلى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية ، فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاولات ، ثم ترك ذلك وعاد إلى بيته فى وطنه ، واتخذ خانقاه للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ، ووزع أوقاته على وظائف الخير : من ختم القرآن ، ومجالسة أهل القلوب ، والعود للتدريس ، إلى أن انتقل إلى ربه .

ويروى له شعر ، فمن ذلك ما نسب إليه الحافظ أبوسعبد السمعاني فى الذيل ، وهو قوله [من الكامل] :

حَلَّتْ عَقَّارِبُ صَدْعِهِ فِي خَدِّهِ قَرَأَ فُجِّلَ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ
وَلَقَدْ عَهْدَنَاهُ يَحُلُّ بِبَرْجِهَا فَمِنَ الْعَجَائِبِ كَيْفَ حَلَّتْ فِيهِ
وَرَأَيْتُ هَذِينَ الْبَيْتَيْنِ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَغَيْرِهِ [والله أعلم] ، ونسب إليه العماد الأصمهانى هذين البيتين ، وهما [من الكامل] :

هَبْنِي صَبُوتَ كَمَا تَرُونَ بِرِزْعِكُمْ وَحَظِيَّتْ مِنْهُ بَلْثَمُ خَدِّ أَزْهَرِ
إِنِّي اعْتَرَلْتُ فَلَا تَلُومُوا إِنَّهُ أَخْضَى يَقَابِلُنِي بِوَجْهِهِ أَشْعَرِ
وَنَسَبَ إِلَيْهِ الْبَيْتَيْنِ الَّذِينَ قَبْلَهُمَا .

وكانت ولادته سنة خمسين وأربعمائة [وقيل : سنة إحدى وخمسين] ^(١) .
وتوفي يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة ، بالطابران ،
رحمه الله تعالى !

ورثاه الأديب أبو المظفر محمد الأبيوردى الشاعر المشهور ، وسيأتى ذكره
إن شاء الله تعالى ، بأبيات فائية من جملتها [من البسيط] :

مضى وأعظم مفقود نجعت به من لا نظيره فى الناس يخلفه
وتمثل الإمام إسماعيل الحاكى بعد وفاته بقول أبى تمام من جملة قصيدة
مشهورة [من الطويل] :

عجبت لصبرى بعده وهو ميت وكنت امرأة أبكى دماً وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب
ودفن بظاهر الطابران ، وهى قصبة طوس .

وقد تقدم الكلام على الطوسى والغزالى فى ترجمة أخيه أحمد الزاهد
الواعظ المذكور فى حرف الهمزة .

والطَّابِرَانُ — بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة ، وراء مهملة ، وبعد الألف
الثانية نون — وهى إحدى بلدتى طوس ، كما تقدم فى ترجمة أحمد أيضاً .

(٥٦١)

أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر ، الشاشي الأصل ، الفارقي المولد ، المعروف بالمستظهرى ، الملقب فخر الإسلام ، الفقيه الشافعى

فخر الإسلام
أبو بكر محمد
ابن أحمد
الشاشي الفارقي
المستظهرى
الشافعى

كان فقيهه وقته ، تفقه أولاً بميافارقين على أبى عبد الله محمد بن بيان الكازرونى ، وعلى القاضى أبى منصور الطوسى صاحب أبى محمد الجوينى إلى أن عزل عن قضاء ميافارقين ، ثم رحل أبو بكر إلى بغداد ، ولازم الشيخ أبى إسحاق الشيرازى ، رحمه الله تعالى ! وقرأ عليه ، وأعاد عنده ، وقرأ كتاب « الشامل » فى الفقه على مصنفه أبى نصر بن الصباغ ، رحمه الله تعالى ! ودخل نيسابور صحبة الشيخ أبى إسحاق ، وتكلم فى مسألة بين يدي إمام الحرمين ، فأحسن فيها ، وعاد إلى بغداد ، وذكره الحافظ عبد الغافر الفارسى فى سياق تاريخ نيسابور ، وتعين فى الفقه بالعراق بعد أستاذه أبى إسحاق ، وانتهت إليه رياسة الطائفة الشافعية ، وصنف تصانيف حسنة : من ذلك كتاب « حلية العلماء » فى المذهب ، ذكر فيه مذهب الشافعى ، ثم ضم إلى كل مسألة اختلاف الأئمة فيها ، وجمع من ذلك شيئاً كثيراً ، وسماه « المستظهرى » لأنه صنفه للإمام المستظهر بالله ، وصنف أيضاً فى الخلاف ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ، بمدينة بغداد ، سنة أربع وخمسمائة إلى حين وفاته ، وكان قد وليها قبله الشيخ أبو إسحاق الشيرازى وأبو نصر بن الصباغ صاحب « الشامل » وأبو سعيد^(١) المتولى صاحب « تنمة الإبانة » وأبو حامد الغزالى ، وقد سبق ذكر ذلك فى ترجمة كل واحد منهم ، فلما انقرضوا تولوها هو .

وحكى لى بعض المشايخ من علماء المذهب أنه يوم ذكر الدرس ، وضع منديله على عينيه ، وبكى كثيراً ، وهو جالس على السدة التى جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها ، وأنشد [من الكامل] :

(١) فى « وأبو سعد المتولى »

خلت الديارُ فسدتُ غيرَ مُسودٍ

وَمِنْ العناءِ تفرُّدى بالسودِ

وجعل يردد هذا البيت ويبكى ، وهذا إنصاف منه ، واعتراف لمن تقدمه
بالفضل والرجحان عليه ، وهذا البيت من جملة أبيات في الحماسة
(١) [ومدحه تلميذه أبو المجد معدان بن كثير الباسي بقصيدة يقول فيها [من الكامل]:

يَا كعبةَ الفضلِ أَفْتِنَا لِمَ لَمْ يَجِبْ

شُرْعاً عَلَى قُصَادِكَ الإِحْرَامِ

وَلَمَّا تَضْمَخَ زَائِرِيكَ بِطَيْبِ مَا

تَلْقِيهِ وَهُوَ عَلَى الْحَجِيجِ حَرَامِ

وقد سبق في مرثية أبي العلاء المعري مثل هذا المعنى (١) .

وكانت ولادته في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة بميفارقين .

وتوفي يوم السبت ، خامس عشرى شوال سنة سبع وخمسمائة ، ببغداد ،

ودفن في مقبرة باب شيراز ، مع شيخه أبي إسحاق في قبر واحد ، وقيل : دفن

بجنبه ، رحمه الله تعالى !



أبو نصر محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الأرماني،

الفاقيه الشافعي

أبو نصر محمد
ابن عبد الله
الأرماني
الشافعي

قدم من بلده إلى نيسابور واشتغل على إمام الحرمين أبي المعالي
الجويني، وبرع في الفقه، وكان إماماً مفتياً ورعاً، كثير العبادة، وسمع
الحديث من أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، صاحب التفسير، وروى عنه
في تفسير قوله تعالى: (إني لأجد ريح يوسف) أن ريح الصبا استأذنت ربها
عز وجل أن تأتي يعقوبَ بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص، فأذن لها
فأتته بذلك، فذلك يستريح كل محزون^(١) بريح الصبا، وهي من ناحية المشرق:
إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها، وهيجت الشوق إلى الأوطان والأحباب
وأشد [من الطويل]:

أيا جَبَلَكُ نَعْمَانُ بِاللَّهِ خَلِيًّا نَسِيمَ الصَّبَا يَخْلُصُ إِلَى نَسِيمِهَا
فان الصَّبَا رِيحٌ إِذَا مَا تَنَسَّمتْ على نَفْسٍ مَهْجُومٍ تَجَلَّتْ هُمُومُهَا

وكانت ولادته في سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

وتوفي ليلة الرابع والعشرين من ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة
بنيسابور، ودفن بظاهرها بموضع يقال له «الحيرة» على الطريق، رحمه الله تعالى!
والفتاوى المستخرجه من كتاب «نهاية المطلب» المنسوبة إلى الأرماني
كنت أشك فيها: هل هي له، أم لأبي الفتح سهل بن علي الأرماني المقدم
ذكره؟ فإني بعيد العهد بالوقوف عليها، وذكرت في ترجمة أبي الفتح أنها له،
ثم حصل لي الشك^(٢)، والله أعلم.

(١) في «يستريح كل محزون» وما هنا أظرف

(٢) في إمكان هذه العبارة قوله «ثم تحققت بعد ذلك أنها لأبي نصر المذكور»

(٥٦٣)

أبو سعد
محي الدين محمد
ابن يحيى
النيسابورى
الشافعى

أبو سعد محمد بن يحيى بن أبى منصور، النيسابورى، الملقب بمحيى الدين
الفقهاء الشافعى

أستاذ المتأخرين، وأوحدهم علماً وزهداً، تفقه على حجة الإسلام أبى حامد
الغزالى، وأبى المظفر أحمد بن محمد الخوافى المتقدم ذكره، وبرع فى الفقه وصنف
فيه وفى الخلاف، وانتهت إليه رئاسة الشافعية^(٢) بنيسابور، ورحل إليه الناس
من البلاد، واستفاد منه خلق كثير صار أكثرهم سادة وأصحاب طرق فى الخلاف
وصنف كتاب «المحيط» فى شرح الوسيط و«الانتصاف» فى مسائل الخلاف
وغير ذلك من الكتب، وذكره الحافظ عبد الغافر الفارسى فى سياق تاريخ
نيسابور، وأثنى عليه، وقال: كان له حظ فى التدكير، واستمداد من سائر
العلوم، وكان يدرس بنظامية نيسابور، ثم درس بمدينة هراة فى المدرسة النظامية
ومن جملة مسموعاته ما سمعه من الشيخ أبى حامد أحمد بن على بن محمد بن عبدوس
بقراءة الإمام أبى نصر عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الكريم القشبرى، فى
سنة ست وتسعين وأربعمائة، وحضر بعض فضلاء عصره درسه وسمع فوائده،
وحسن إلقائه، فأنشده [من الوافر]:

رفات الدين والإسلام يحيا بمحيى الدين مولانا ابن يحيى
كأن الله ربَّ العرش يلقي عليه حين يلقي الدرس وحيًا
ورأيت فى بعض المجاميع بيتين منسوبين إليه، ثم وجدت فى ترجمة

(١) هذا الكلام ساقط من (٢) فى «رياسة الفقهاء»

الشيخ شهاب الدين أبى الفتح محمد بن محمود بن محمد الطوسى الفقيه الشافعى زيل
مصر ، قال : وأنشدنى الإمام أبو سعد محمد بن يحيى النيسابورى لنفسه ،
[من الطويل] :

وقالوا يصير الشعر فى الماء حية إذا الشمس لاقته فما خلته صدقا

فلما ثوى صدغاه فى ماء وجهه وقد أسعأ قلبى تيقنته حقا
وكانت ولادته سنة ست وسبعين وأربعمائة بطر يثيث .

وتوفى شهيداً فى شهر رمضان ، سنة ثمان وأربعين وخمسة ، قتلته الغز (١)

لمسا استولوا على نيسابور فى وقتهم مع السلطان سنجر السلجوقى ، كما تقدم
ذكره فى ترجمته ، أخذته ودست فى فيه التراب حتى مات . وحكى ابن الأزرق
الفارقى فى تاريخه أن ذلك كان فى سنة ثلاث وخمسين ، والأول أصح .

ولما مات رثاه جماعة من العلماء ، من جملةهم أبو الحسن على بن أبى القاسم
البيهقى ، قال فيه [من الكامل] :

ياسافكا دم عالم متبحر قد طار فى أقصى الممالك صيته

تالله قل لى يظلم ولا تخف من كان محي الدين كيف تمته

وتوفى شهاب الدين الطوسى المذكور ، فى العشرين من ذى القعدة ، سنة
ست وتسعين وخمسة ، بمصر ، ودفن بالقرافة ، ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسة ،
وكان مدرسا بمدرسة منازل العز [وفد إلى مصر من مكة سنة أربع وسبعين
 وخمسة] (٢) ونزل خانقاه « سعيد السعداء » بالقاهرة .

وطر يثيث : بضم الطاء المهملة ، وفتح الراء ، وسكون الياء المثناة من تحتها
وكسر الشاء المثناة ، وسكون الياء المثناة الثانية ، وبعدها ثاء مثناة ، وهى ناحية
كبيرة من نواحى نيسابور ، خرج منها جماعة من العلماء وغيرهم .

(١) فى ١ « قتلته الأغز » (٢) لا توجد هذه العبارة فى ١

(٥٦٤)

أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن سعد بن عبد الله ، البروى ، الفقيه الشافعى
 أبو منصور محمد بن محمد البروى الشافعى
 أحد الأئمة المشار إليهم بالتقدم فى الفقه والنظر وعلم الكلام والوعظ ، وكان
 حلو العبارة ، ذا فصاحة وبراعة ، تفقه على الفقيه محمد بن يحيى المذكور قبله ، وكان
 من أكبر أصحابه ، وصنف فى الخلاف تعليقة جيدة ، وهى مشهورة ، وله جدل
 مليح مشهور سماه «المقترح فى المصطلح» وأكثر اشتغال الفقهاء به ، وقد شرحه
 الفقيه تقي الدين أبو الفتح مظفر بن عبد الله المصرى المعروف بالمقترح شرحا مستوفى
 وعرف به ، واشتهر باسمه لكونه كان يحفظه فلا يقال إلا التقي المقترح ، ودخل
 البروى بغداد سنة سبع وستين وخمسمائة فصادف قبولا وافرا من العام والخاص ،
 وتولى المدرسة البهائية قريبا من النظامية وكان يذكر بها كل يوم عدة دروس ،
 ويحضر عنده الخلق الكثير ، وله حلقة المناظرة بجامع القصر ، ويحضر عنده
 المدرسون والأعيان ، وكان يجلس للوعظ بالمدرسة النظامية ، ومدرسها يومئذ
 أبو نصر أحمد بن عبد الله الشاشى ، وكان يظهر عليه من الحركات ما يدل على
 رغبته فى تدريس المدرسة النظامية ، وكان ينشد فى أثناء مجلسه مشيرا إلى موضع
 التدريس أبيات المتنبى ، وهى أوائل قصيدته [من البسيط] :

بكيتُ ياربُ حتى كدت أبكيكا وجدت بى وبدمعى فى مغانيكا
 فعم صَبَاحاً لقد هيجت لى شَجَنًا واردد تحيتنا إنا محيوكا
 بأى حكم زمان صرت متخذًا ريمَ الفلأ بدلا من ريم أهليكا
 فكان الناس يفهمون منه ذلك ، وكان أهلا له ، ووعد به فأدركته المنية
 وكانت ولادته يوم الثلاثاء خامس عشر ذى القعدة سنة سبع عشرة
 وخمسمائة ، بطوس

وتوفى يوم الخميس بين الصلاتين سادس عشر رمضان سنة سبع وستين

وخمسمائة ، ببغداد ، وصلى عليه يوم الجمعة بجامع القصر الخليفة المستضيء بأمر الله
ودفن في ذلك النهار في تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، بباب أبرز ، رحمه الله
تعالى ! .

وذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق أن أبا منصور البروي المذكور
قدم دمشق في سنة خمس وستين وخمسمائة ، ونزل في رباط السميساطي ، وقرأ
عليه شيء من أماليه

والبروي - بفتح الباء الموحدة والراء ، وبعدها واو - لا أعلم النسبة إلى أي
شيء هي ، ولا ذكرها السمعاني ، وغالب ظني أنها من نواحي طوس

(٥٦٥)

أبو الحسن محمد بن المبارك ، وكنيته أبو البقاء ، ابن محمد بن عبد الله
ابن محمد ، المعروف بابن الخل ، الفقيه الشافعي ، البغدادى
تفقه على أبي بكر محمد بن أحمد الشاشي المعروف بالمستظهرى المقدم ذكره ،
وبرع في العلم ، وكان يجلس في مسجده الذى بالرحبة شرق بغداد لا يخرج عنه
إلا بقدر الحاجة يفتى ويدرس ، وكان قد تفرد بالفتوى بالمسألة الشريفة ببغداد
وصنف كتاباً سماه «توجيه التنبيه» على صورة الشرح لكنه مختصر ، وهو أول
من شرح التنبيه ، لكن ليس فيه طائل ، وله كتاب في أصول الفقه ، وسمع الحديث
من أبي عبد الله الحسين بن أبي طلحة النعماني وأبي عبد الله الحسين البصري
وغيرهما ، وروى عنه الحافظ أبو سعد السمعاني وغيره ، وسمعت بعض الفقهاء
ينقل عنه أنه كان يكتب خطاً جيداً مستويًا^(١) وأن الناس كانوا يحتالون على أخذ
خطه في الفتاوى ، من غير حاجه إليها ، بل لأجل الخط لا غير ، فكثرت
عليه الفتاوى وضيق عليه أوقاته ، ففهم ذلك منهم ، فصار يكسر القلم

أبو الحسن محمد
ابن المبارك
(ابن الخل)
البغدادى
الشافعي

(١) في «منسوبا»

ويكتب جواب الفتوى به ، فأقصروا عنه ، وقيل : إن صاحب الخط المليح هو أخوه ، والله أعلم .

وتوفي سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ببغداد ونقل إلى الكوفة ، ودفن بها ، رحمه الله تعالى !

وكان أخوه أبو الحسين أحمد بن المبارك فقيها فاضلا شاعرا ماهرا ، ذكره العمد الأصبهاني في كتاب «الخريدة» وأثنى عليه ، وأورد له مقاطيع شعر ودو بيت ، فمن ذلك أبيات في بعض الوعاظ وهي [من الكامل] :

ومن الشقاوة أنهم ركنوا إلى نزغات ذاك الأحمق التمام
شيخ يُبهرجُ دينه بنفاقه ونفاقه منهم على أقوام
وإذا رأى الكرسي تاه بأنفه أى أن هذا موضعي ومقامي
ويدق صدرا ما انطوى إلا على غل يواريه بكف عظام
ويقول أيش أقول من حصر به لا لا زدحام عبارة وكلام
وله دو بيت :

هذا وهى وكم كتمت الوها صونا لوداد من هوى النفس لها
يا آخر محنتي ويا أولها آيات غرامى فيك من أولها
وله أيضا :

ساروا وأقام في فؤادى الكمد لم يلق كما لقيت منهم أحد
شوق وجوى ونار وجد تقيد مالى جلد ، ضعفت ، مالى جلد
وله أيضا :

ماضر حداة عيسهم لو رفقوا لم يبق غداة بينهم لى رمق
قلب قلق وأدمع تستبق أوهى جلدى من الفراق الفرق

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة .

وتوفي سنة اثنتين - أو ثلاث - وخمسين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

(٥٦٦)

أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبد العزيز
ابن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد
ابن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان ، رضى الله عنه !
القرشي ، الملقب محي الدين ، المعروف بابن زكي الدين ، الدمشقي ،
الفقيه الشافعي

أبو المعالي محمد
ابن علي (ابن
زكي الدين)
الدمشقي
الشافعي

كان ذا فضائل عديدة من الفقه والأدب ، وغيرهما ، وله النظم المليح ،
والخطب والرسائل ، وتولى القضاء بدمشق ، في شهر ربيع الأول ، سنة ثمان
وثمانين وخمسمائة ، يوم الأربعاء العشرين من الشهر المذكور ، هكذا وجدته
بخط القاضي الفاضل ، وكذلك أبوه وجده وولده ، كانوا قضاتها ، وكانت له
عند السلطان صلاح الدين - رحمه الله تعالى ! - المنزلة العالية ، والمكانة المكيمة .
ولما فتح السلطان المذكور مدينة حلب ، يوم السبت ثامن عشر صفر ، سنة
تسع وسبعين وخمسمائة ، أنشده القاضي محي الدين المذكور قصيدة بأبيّة ، أجاد
فيها كل الإجادة ، وكان من جملتها بيت - وهو متداول بين الناس - وهو
[من البسيط] :

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال ، فإن القدس فتحت لثلاث بقين من رجب ، سنة ثلاث

وثمانين وخمسمائة ، وقيل لمحبي الدين : من أين لك هذا ؟ فقال : أخذته من تفسير ابن برجان في قوله تعالى : (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين) ولما وقفت أنا على هذا البيت وهذه الحكاية لم أزل أطلب تفسير ابن برجان حتى وجدته على هذه الصورة ، لكن كان هذا الفصل مكتوباً في الحاشية بخط غير الأصل ، ولا أدري هل كان من أصل الكتاب أم هو ملحق به ، وذكر له حساباً طويلاً وطريقاً في استخراج ذلك حتى حرره من قوله (بضع سنين) . ولما ملك السلطان صلاح الدين حلب ، فوض الحكم والقضاء بها [في ثالث عشر ربيع الآخر من السنة]^(١) إلى القاضي محيي الدين المذكور ، فاستناب بها زين الدين بنا أبا الفضل بن البانياسي ، ولما فتح القدس تطاول إلى الخطابة يوم الجمعة كل واحد من العلماء الذين كانوا في خدمته حاضرين ، وجهاز كل واحد منهم خطبة بليغة ، طمعا في أن يكون هو الذي يعين لذلك ، فخرج المرسوم إلى القاضي محيي الدين أن يخطب هو ، وحضر السلطان وأعيان دولته ، وذلك في أول جمعة صليت بالقدس بعد الفتح ، فلما رقى المنبر استفتح بسورة الفاتحة ، وقرأها إلى آخرها ، ثم قال : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ، ثم قرأ أول سورة الأنعام (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) ، ثم قرأ من سورة سببحان (وقال الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية ، ثم قرأ أول السكف (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) الآيات الثلاث ، ثم قرأ من النمل (وقال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) الآية ، ثم قرأ من سورة سبأ : (الحمد لله الذي له ما في السموات) الآية ، ثم قرأ من سورة فاطر : (الحمد لله فاطر السموات والأرض) الآيات ، وكان قصده أن يذكر جميع تكميدات القرآن الكريم ، ثم شرع في الخطبة ، فقال : الحمد لله معز الإسلام بنصرة ، ومذل الشرك بجهرة ، ومُصَرِّف

(١) هذه العبارة لا توجد في أ

الأمر بأمره ، ومديم النعم بشكره ، ومستدرج الكفار بمكره ، الذى قدر الأيام دولا بعدله ، وجعل المأقبة للمتقين بفضلته ، وأفاء على عباده من ظله ، وأظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينازع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فما يدافع ، أحمدته على إخفاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصره لأنصاره ، وتطهير بيته المقدس من أدناس الشرك وأوضاره ، حمده من استشعر الحمد باطن سره وظاهر جهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحاد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشك ، ومدحض الشرك ، وداحق الإفك ، الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السماوات العلا إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ، ما زاع البصر وما طغى ، صلى الله عليه وعلى خليفته أبى بكر الصديق السابق إلى الإيمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب منزل الشك ومكسر الأوثان ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان .

أيها الناس ، أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى والدرجة العليا لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة ، من الأمة الضالة ، وردّها إلى مقرها من الإسلام ، بعد ابتذالها فى أيدي المشركين قريبا من مائة عام ، وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع ويدكر فيه اسمه ، وإمالة الشرك عن طريقه بعد أن امتد عليها رواقه واستقر فيها رسمه ، ورفع قواعده بالتوحيد ، فانه بنى عليه ، وشيد بنيانه بالتمجيد ، فانه أسس على التقوى من خلفه ومن بين يديه ، فهو موطن أبيكم إبراهيم ، ومعراج نبيكم محمد ، عليه الصلاة والسلام ، وقبلتكم التى

كنتم تصلون إليها في ابتداء الإسلام ، وهو مقر الأنبياء ، ومقصد الأولياء ،
ومدفن الرسل ، ومهبط الوحي ، ومنزل به ينزل الأمر والنهي ، وهو في أرض
الحشر ، وصعيد المنشر ، وهو في الأرض المقدسة التي ذكرها الله في كتابه المبين ،
وهو المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالملائكة المقربين ،
وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم ، وروحه
عيسى الذي كرمه برسالته وشرفه بنبوته ، ولم يزحزحه عن رتبة عبوديته ، فقال
تعالى : (إن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون) كذب
العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً
لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون) (لقد
كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) إلى آخر الآيات من المائدة ، وهو
أول القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تُشدُّ الرحال بعد المسجدين
إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين إلا عليه ، فلو لا أنكم ممن اختاره الله
من عباده ، واصطفاه من سكان بلاده ، لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم
فيها نجار ، ولا يباريكم في شرفها مُبَار ، فطوبى لاسم من جيش ظهرت على
أيديكم من المعجزات النبوية ، والواقعات البدرية ، والعزمات الصديقية ،
والفتوحات العمريّة ، والجيش العثمانيّة ، والفتسكات العلوية ، جدتم للإسلام
أيام القادسية ، والملاحم اليرموكية ، والمنازلات الخيرية ، والهجمات الخالدية ،
فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الجزاء ، وشكر لاسم ما بذلتموه
من مهجكم في مقارعة الأعداء ، وتقبل منكم ما تقر بتم به إليه من إهراق
الدماء ، وأثابكم الجنة فهي دار السعداء !! فاقدرُوا رحمكم الله هذه النعمة حق
قدرها ، وقوموا لله تعالى بواجب شكرها ، فله المنّة عليكم بتخصيصكم بهذه
النعمة ، وترشيحكم لهذه الخدمة ، فهذا هو الفتح الذي فتحت له أبواب السماء ،

وتبلجت بأنواره وجوه الظلماء ، وابتهج به الملائكة القربون ، وقرّبه عينا
الأنبياء والمرسلون ، فماذا عليكم من النعمة أن جعلكم الجيش الذى يفتح
على يديه البيت المقدس فى آخر الزمان ، والجند الذى يقوم بسيوفهم بعد فترة
من النبوة أعلام الايمان ، فيوشك أن يفتح الله على أيديكم أمثاله ، وأن يكون
التهانى لأهل الخضراء ، أكثر من التهانى لأهل الغبراء ، أليس هو البيت الذى
ذكره الله فى كتابه ، ونص عليه فى محكم خطابه ، فقال تعالى : (سبحان
الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) ؟ أليس هو البيت
الذى عظّمته الملل ، وأثنت عليه الرسل ، وتليت فيه السكتب الأربعة ، المنزلة
من الله عز وجل ؟ أليس هو المبيت الذى أمسك الله تعالى لأجله الشمس على
يوشع أن تغرب ، وباعد بين خطواتها ليتيسر فتحه ويقرب ؟ أليس هو البيت
الذى أمر الله عز وجل موسى أن يأمر قومه باستنقاذه فلم يجبه إلا رجلان ،
وغضب الله عليهم لأجله فألقاهم فى التيه عقوبة للعصيان ؟ فاحمدوا الله الذى
أمضى عزائمكم لما نكلت عنه بنو إسرائيل ، وقد فضلت على العالمين ، ووقفكم
لما خذل فيه أمم كانت قبلكم من الأمم الماضين ، وجمع لأجله كلمتكم ، وكانت
شقي ، وأغناكم بما أمضته كان وقد عن سوف وحتى ، فليهنكم أن الله قد
ذكركم به فيمن عنده ، وجعلكم بعد أن كنتم جنودا لأهويتكم جنده ، وشكر
لكم الملائكة المنزلون ، على ما أهديتهم لهذا البيت : من طيب التوحيد ، ونشر
التقديس والتجديد ، وما أمطم عن طرقهم فيه من أذى الشرك والتثليث ،
والاعتقاد الفاجر الخبيث . فالآن تستغفر لكم أملاك السموات ، وتصلى عليكم
الصلوات المباركات ^(١) ، فاحفظوا رحمكم الله هذه الموهبة فيكم ، واحرسوا هذه
النعمة عندهم ، بتقوى الله التى من تمسك بها سلم ، ومن اعتصم بعروتها نجى وعصم ،
واحذروا من اتباع الهوى ، ومواقعة الردى ، ورجوع القهقرى ، والنكول عن

العدا ، وخذوا في انتهاز الفرصة ، وإزالة ما بقي من الغصة ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، وبيعوا عباد الله أنفسكم في رضاه إذ جعلكم من خير عباداه ، وإياكم أن يستزلكم الشيطان ، وأن يتدخلكم الطغيان ، فيخيل لكم أن هذا النصر بسيفكم الحداد ، وخيولكم الجياد ، وبحلادكم في مواطن الجلال ، لا والله ما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، فاحذروا عباد الله - بعد أن شرفكم بهذا الفتح الجليل ، والمنح الجزيل ، وخصكم بنصره المبين ، وأعلق أيديكم بحبله المتين - أن تقترفوا كبيراً من مناهيه ^(١) ، وأن تأتوا عظيماً من معاصيه ، فتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ، وكالذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، والجهاد الجهاد فهو [من] أفضل عباداتكم ، وأشرف عاداتكم ، انصروا الله ينصركم ، احفظوا الله يحفظكم ، اذكروا الله يذكركم ، اشكروا الله يزدكم ويشركم ، جدوا في حسم الداء ، وقلم شأفة الأعداء ، وطهروا بقية الأرض من هذه الأنجاس التي أغضبت الله ورسوله ، واقطعوا فروع الكفر ، واجتثوا أصوله ، فقد نادت الأيام بالثارات الإسلامية والملة المحمدية ، الله أكبر ، فتح الله ونصر ، غلب الله وقهر ، أذل الله من كفر ، واعلموا رحمكم الله أن هذه فرصة فانهزوها ، وفرصة فناجزوها ، وغنيمة فحوزوها ، ومهمة فأخرجوا لها هممكم وأبرزوها ، وسيرراً وإلها سراً يعز ماتكم وجهزوها ، فالأمور بأواخرها ، والمكاسب بذخائرها ، فقد أظفركم الله بهذا العدو الخندول ، وهم مثلكم أوزيريدون ، فكيف وقد أضحي قبالة الواحد منهم منكم عشرون ، وقد قال الله تعالى : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) أعاننا الله وإياكم على اتباع أوامره ، والازدجار بزواجه ، وأيدنا معاشر المسلمين بنصر من عنده (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) إن أشرف مقال يقال في مقام ، وأنفذ سهام تمرق عن قسي الكلام ، وأمضى قول تحمل به الأفهام ، كلام الواحد

(١) في ١ «كثيراً من مناهيه»

الفرد العزيز العلام ، قال الله تعالى (وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم) ، وقرأ أول الحشر ، ثم قال : آمركم وإيائي بما أمر الله به من حسن الطاعة فأطيعوه ، وأنهاكم وإيائي عما نهاكم عنه من قبح المعصية فلا تعصوه ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه [ثم خطب الخطبة الثانية على عادة الخطباء مختصرة] ثم دعا للامام الناصر خليفة العصر .

ثم قال : اللهم وأدم سلطان عبدك الخاضع لهيبتك ، الشاكر لنعمتك ، المعترف بموهبتك ، سيفك القاطع ، وشهابك اللامع ، والمحامي عن دينك المدافع ، والذائب عن حرمك الممانع ، السيد الأجل ، الملك الناصر ، جامع كلمة الإيمان ، وقامع عبدة الصليبان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مظهر البيت المقدس : أبي المظفر يوسف بن أيوب ، محي دولة أمير المؤمنين ، اللهم عُمِّ بدولته البسيطة ، واجعل ملائكتك براياته محيطة ، وأحسن عن الدين الخفيف^(١) جزاءه ، واشكر عن الملة المحمدية عزمه ومضاءه ، اللهم أبق للإسلام مهجته ، ووق للإيمان حوزته ، وانشر في المشارق والمغرب دعوته ، اللهم كما فتحت على يديه البيت المقدس بعد أن ظننت الظنون ، وابتلى المؤمنين ، فافتح على يديه داني الأرض وقاصيها ، وملكه صياحي الكفر ونواصيها ، فلا تلقاه منهم كتيبة إلا مزقها ، ولا جماعة إلا فرقها ، ولا طائفة بعد طائفة إلا ألحقها بمن سبقها ، اللهم اشكر عن محمد صلى الله عليه وسلم سعيه ، وأنفذ في المشارق والمغرب أمره ونهيته ، اللهم وأصلح به أوساط البلاد وأطرافها ، وأرجاء المملكة وأكنافها ، اللهم ذلل به معاطس الكفر ، وأرغم به أنوف الفجار ، وانشر ذوائب ملكه على الأمصار ، وابثث سرايا جنوده في سبل الأقطار . اللهم أثبت الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين ، واحفظه في بنيته وبني أبيه الملوك الميامين ، واشدد عضده ببقائهم ، واقض باعزاز أوليائه وأوليائهم . اللهم كما أجريت على

يده في الإسلام هذه الحسنة التي تبقى على الأيام ، وتتخذ على مر الشهور والأعوام ، فارزقه الملك الأبدى الذي لا يَنْفَدُ في دار المتقين ، وأجب دعاءه في قوله (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ، وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) ، ثم دعا بما جرت به العادة .

وكانت ولادته سنة خمسين وخمسمائة بدمشق .

وتوفي في سابع شعبان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة بدمشق ، رحمه الله تعالى ! ودفن من يومه بسفح [جبل] قاسيون .

وكان والده أبو الحسن علي الملقب زكي الدين على القضاء بدمشق . وكان كثير الخير والدين ، فاستعفى عن القضاء فأعفى ، فخرج إلى مكة حاجاً ، وعاد إلى بغداد في صفر سنة ثلاث وستين وخمسمائة فأقام بها ، وكان على الطبقة في سماع الحديث ، سمع خلقاً كثيراً ، وحدث ببغداد مدة إقامته ، وسمع عليه الناس ، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الخميس الثامن والعشرين من شوال سنة أربع وستين وخمسمائة ، وصلى عليه بجامع القصر ، ودفن بمقبرة الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنهم أجمعين !

وأما ابن بَرَّجَانَ المذكور ، فهو : أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبد الرحمن اللخمي ، وكان عبداً صالحاً ، وله تفسير القرآن الكريم ، وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات . وتوفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة بمدينة مرا كش ، رحمه الله تعالى !

وَبَرَّجَانَ : بفتح الباء الموحدة ، وتشديد الراء ، وبعدها جيم ، وبعد الألف نون .

(٥٦٧)

السديد محمد بن هبة الله بن عبد الله السالمسى
الفتية الشافعى

السديد محمد بن
هبة الله السالمسى
الشافعى

كان إماماً فى عصره ، تولى الإعادة بالمدرسة النظامية ببغداد ، وأتقن
عدة فنون ، وهو الذى شهر طريقة الشريف بالعراق ، وقيل : إنه كان يذكر
طريقة الشريف و « الوسيط » للغزالي و « المستصفى » من غير مراجعة كتاب ،
قصده الناس من البلاد ، واشتغلوا عليه ، وانتفعوا به ، وخرجوا علماء مدرسين
مصنفين ، من جملتهم الشيخان الإمامان : عماد الدين محمد ، وكمال الدين موسى
ولدا يونس ، وسيأتى ذكرهما إن شاء الله تعالى ، والشيخ شرف الدين
أبو المظفر محمد بن علوان بن مهاجر ، وغيرهم من الأفاضل ، وكان مسدداً
فى الفتيا .

وتوفى ببغداد فى شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! .
والسالمسى — بفتح السين المهملة واللام والميم ، وبعداً ألف سين ثانية —
هذه النسبة إلى سلماس ، وهى مدينة من بلاد أذربيجان^(١) ، خرج منها جماعة
من المشاهير .

*
* *

(١) قال ياقوت : « سلماسة — بفتح أوله وثانيه ، وآخره سين أخرى — مدينة
مشهورة بأذربيجان ، بينها وبين أرمية يومان ، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام ، وهى
بينهما ، وقد خرب الآن معظمها ، وبين سلماس وخوى مرحلة ، وطول سلماس
ثلاث وسبعون درجة وسدس ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف » اهـ .

(٥٦٨)

أبو منصور محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم ، العطاري ،
الطوسي الأصل ، المعروف بمحفدة ، الملقب عمدة الدين ، الفقيه
محمد بن أسعد
المعروف بمحفدة
الشافعي ، النيسابوري

العطاري
الطوسي
الشافعي

كان فقيهاً فاضلاً واعظاً فصيحاً أصولياً ، تفقه بمرور على أبي بكر محمد بن منصور
السمعاني والد الحافظ المشهور ، وانتقل إلى مصر والروذ ، واشتغل على القاضي حسين
ابن مسعود الفراء المعروف بالبغوي صاحب شرح السنة والتحذيب ، وقد سبق
ذكره ، ثم انتقل إلى بخارا واشتغل بها على برهان الدين عبد العزيز بن عمر بن
مازة الحنفي ، ثم عاد إلى مرو ، وعقد له بها مجلس التدكير ، وأقام بها مدة ، ثم في
فتنة الغز^(١) - وكانت فتنة الغز سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، كما ذكرته في ترجمة
الفقيه محمد بن يحيى - خرج إلى العراق ومنها إلى أذربيجان والجزيرة ومنها إلى
الموصل ، واجتمع الناس عليه بسبب الوعظ ، وسمعوا منه الحديث ، ومن أماليه
[من الخفيف] :

مَثَلُ الشَّافِعِيِّ فِي الْعُلَمَاءِ مَثَلُ الشَّمْسِ فِي نَجْمِ السَّمَاءِ
قُلْ لِمَنْ قَاسَهُ بِغَيْرِ نَظِيرٍ أَيْقَاسُ الضِّيَاءِ بِالظَّالِمَاءِ

وَأُنْشِدُ يَوْمًا عَلَى الْكَرْسِيِّ مِنْ جُمْلَةِ أُبْيَاتِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

تَحِيَّةُ صَوْبٍ الْمَزْنَ يَقْرَئُهَا الرِّعْدُ عَلَى مَنْزِلٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهِ هِنْدُ
نَاتٍ فَأَعْرَ نَاهَا الْقُلُوبَ صَبَابَةً وَعَارِيَةُ الْعِشَاقِ لَيْسَ لَهَا رَدُّ
وَكَانَتْ مَجَالِسُهُ فِي الْوَعْظِ مِنْ أَحْسَنِ الْمَجَالِسِ .

وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، بمدينة تبريز ،
وقيل : إنه توفي في رجب سنة ثلاث وسبعين ، رحمه الله تعالى ! والله أعلم بالصواب

(١) في ١ « فتنة الأغز »

حَفْدَةُ — بفتح الحاء المهملة والفاء والdal المهملة ، ولا أعلم لم سمي بهذا الاسم مع كثرة كشفى عنه .

وتبريز — بكسر التاء المثناة من فوقها ، وسكون الباء الموحدة ، وكسر الراء ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها زاء — وهى من أكبر مدن أذربيجان

(٥٦٩)

أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن على بن الحسن بن عبد الله ، الخبوشانى ،
نجم الدين محمد
ابن الموفق
الخبوشانى
الشافعى

كان فقيها فاضلا كثير الورع ، تفقه على محمد بن يحيى المقدم ذكره ، وكان يستحضر كتابه « المحيط ، فى شرح الوسيط » على ما قيل ، حتى نقل عنه أنه عدم الكتاب فأوله من خاطره ، وله كتاب « تحقيق المحيط » وهو كبير ، رأيته فى ستة عشر مجلداً ، وقد تقدم ذكره فى ترجمة العاضد عبد الله العبيدى صاحب مصر ، وما جرى له معه ، ولما استقل السلطان صلاح الدين بملك الديار المصرية قربه وأكرمه ، وكان يعتقد فى علمه ودينه ، ويقال : إنه أشار عليه بعمارة المدرسة المجاورة لضريح الإمام الشافعى ، فلما عمرها فوض تدريسها إليه ، وعمرها فى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وفى هذه السنة بنى بیمارستان فى القصر بالقاهرة ، ورأيت جماعة من أصحابه وكانوا يصفون فضله ودينه وأنه كان سليم الباطن قليل المعرفة بأحوال الدنيا .

وكانت ولادته ثالث عشر رجب ، سنة عشر وخمسمائة ، باستوى

خبوشان .

وتوفي يوم الأربعاء ثاني عشر ذى القعدة سنة سبع وثمانين وخمسمائة ،
بالمدرسة المذكورة ، ودفن في قبة تحت رجلى الإمام الشافعى ، وبينهما شبك ،
رحمهما الله تعالى !

والخُبُوشَانِي : بضم الخاء المعجمة والباء الموحدة ، وفتح الشين المعجمة ،
وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى خُبُوشَانَ ، وهى بليدة بناحية نيسابور .
وَأَسْتَوَى - بضم الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وفتح التاء المثناة من فوقها
أو ضمها - ناحية كثيرة القرى من أعمال نيسابور .

*
*

(٥٧٠)

أبو الفضل
كمال الدين محمد
ابن عبد الله
الشهرزورى
الشافعى

أبو الفضل محمد بن أبى محمد عبد الله بن أبى أحمد القاسم ، الشهرزورى
الملقب بكمال الدين ، الفقيه الشافعى

وقد سبق ذكر أبويه وجده فى موضعهما ، تفقه كمال الدين ببغداد على أسعد
الميهنى ، وقد سبق ذكره ، وسمع الحديث من أبى البركات محمد بن محمد بن خميس
الموصلى ، وتولى القضاء بالموصل ، وبنى بها مدرسة للشافعية ، ورباطاً بمدينة
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان يتردد فى الرسائل منها إلى بغداد عن عماد
الدين زنكى الأتابك المتقدم ذكره ، ولما قتل عماد الدين على قلعة جَعْبَر كما ذكرناه
فى ترجمته كان كمال الدين المذكور حاضراً فى العسكر هو وأخوه تاج الدين أبوطاهر
يحيى والد القاضى ضياء الدين ، فلما رجع العسكر إلى الموصل كانا فى صحبتيه ،
ولما تولى سيف الدين غازى ولد عماد الدين فوض الأمور كلها إلى القاضى كمال
الدين [وأخيه] ^(١) بالموصل وجميع مملكته ، ثم إنه قبض عليهما فى سنة اثنتين وأربعين
واعتقلهما بقلعة الموصل ، وأحضر نجم الدين أباعلى الحسن بن بهاء الدين أبى الحسن

(١) هذه الكلمة ساقطة من ا

على وهو ابن عم كمال الدين ، وكان قاضى الرحبة ، وولاه القضاء بالموصل وديار ربيعة عوضاً عن كمال الدين ، ثم إن الخليفة المقتفى سير رسولا وشفع في كمال الدين وأخيه ، وأخرجاه من الاعتقال ، وقعدا في بيوتهما وعليهما الترسيم ، وحبس بالقلعة جلال الدين أبو أحمد ولد كمال الدين وضياء الدين أبو الفضائل القاسم بن تاج الدين ، ولما مات سيف الدين غازى فى التاريخ المذكور فى ترجمته رفع الترسيم عنهما ، وحضرا إلى قطب الدين مودود بن زنكى - وقد تولى السلطنة بعد أخيه سيف الدين - وكان راكبا فى ميدان الموصل ، فلما قربا منه ترجلا وعليهما ثياب العزاء بغير طرحات ، فلما وصلا إليه ترجل لهما أيضاً ، وعزياه عن أخيه ، وهناه بالولاية ، ثم ركبا ، ووقف كل واحد منهما إلى جانبه ، ثم عادا إلى بيوتهما بغير ترسيم ، وصارا يركبان فى الخدمة ، ثم انتقل كمال الدين إلى خدمة نور الدين محمود [ابن زنكى] ^(١) صاحب الشام فى سنة خمسين وخمسمائة ، وأقام بدمشق مدة ، ثم عزل زكى الدين عن الحكم ، وتولاه كمال الدين فى شهر صفر سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، واستتاب ولده وأولاد أخيه ببلاد الشام ، وترقى إلى درجة الوزارة ، وحكم فى بلاد الشام الإسلامية فى ذلك الوقت ، واستتاب ولده القاضى محيى الدين فى الحكم بمدينة حلب ، ولم يكن شئ من أمور الدولة يخرج عنه ، حتى الولاية وشهد الديوان وغير ذلك ، وذلك فى أيام نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام ، وتوجه من جهته رسولا إلى الديوان [العزى] ^(١) فى أيام المقتفى ، وسيره المقتفى رسولا للإصلاح بين نور الدين المذكور وقلج أرسلان بن مسعود صاحب الروم ، ولما مات نور الدين وملك صلاح الدين دمشق أقره على ما كان عليه ، وكان فقيهاً أديباً شاعراً كاتباً ظريفاً فكاهة المجالسة ، يتكلم فى الخلاف والأصولين كلاماً حسناً ، وكان شهماً جسوراً كثيراً الصدقة والمعروف ، وقف أوقافاً كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق ، وكان عظيم الرياسة خبيراً بتدبير الملك ، لم يكن فى بيته ^(٢) مثله

(٢) فى ١ «لم يكن فى بنيه مثله»

(١) زيادة فى ب وحدها

ولا قال أحد منهم ما ناله من المناصب مع كثرة رؤساء بيته ، وذكره الحافظ ابن
عساكر في تاريخ دمشق .

وله نَظْمٌ جيد ، فمن ذلك ما أنشدني له [بعض] أهل بيته وهو [من
الكامل] :

ولقد أتيتك والنجوم رَوَّاصدُ
والفجر وهم في ضمير المشرق
وركبت في الأهوال كلَّ عزيمة
شوقاً إليك لعلنا أن نلتقي
وقيل : إنه كتب إلى ولده محي الدين وهو بحلب ، وذكر في الخريدة أنها
له [من البسيط] :

عندي كتابٌ أشواقٌ أجهزها
إلى جنابك إلا أنها كتب
ولي أحاديث من نفسي أسريها
إذا ذكرتكَ إلا أنها كذب
وقال عماد الدين السكاك الأصبهاني في « الخريدة » في ترجمة القاضي
كمال الدين المذكور : أنشدني لنفسه هذين البيتين في ثالث شهر ربيع الأول
سنة إحدى وسبعين ، وقد تذكرت قول أبي يعلى بن الهُبَّارية الشريف في
معنى الصبح وإبطائه ^(١) [من البسيط] :

كم ليلة ربت مطويا على حرق
أشكو إلى النجم حتى كاد يشكوني
والصبح قد مَطَلَ الشرق العيون به
كأنه حاجة في كسف مسكين

(١) في ١ « وإمطاله »

ثم قال : لو قال « تقضى لمسكين » لكان أحسن [فإنها تمطل ، ثم قال :
وكلاهما أحسن وأجاد] وقيل : إنه لما ضعف وكبر وقلت حر كتمه كان ينشد في
كل وقت [من المنسرح] :

يَا رَبِّ لَا تُحْنِنِي إِلَى زَمَنٍ أكون فيه - كَلَّا - على أحد
خُذْ يَدِي قَبْلَ أَنْ أَقُولَ لِمَنْ ألقاهُ عند القيام : خذ يدي

ولا أعلم هل هذان البيتان له أم لا ، ثم وجدتهما من جملة أبيات لأبي الحسن
محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر الواسطي ، وسيأتي ذكره ، وذكر البيتين
إن شاء الله تعالى .

وكانت ولادته سنة اثننتين وتسعين وأربعمائة ، بالموصل .
وتوفي يوم الخميس سادس المحرم سنة اثننتين وسبعين وخمسمائة بدمشق ،
ودفن من الغد بجبل قاسيون رحمه الله تعالى ، وكان عمره حين توفي ثمانين سنة
وأشهرها ، وراثه ولده محي الدين محمد ، وأوصى بولاية ابن أخيه أبي الفضائل
القاسم بن يحيى بن عبد الله الملقب ضياء الدين ، فأنفذ السلطان وصيته ، وفوض
القضاء بدمشق إلى ضياء الدين المذكور ، فأقام به مدة ، ثم عرف أن ميل
السلطان إلى الشيخ شرف الدين بن [أبي] ^(١) عصفرون المقدم ذكره ، فسأله ^(٢)
الإقالة فأقبل وتولى شرف الدين .

(١) كلمة « أبي » لا توجد في أ

(٢) في أ « فسأل الإقالة »

(٥٧١)

أبو حامد
محيي الدين محمد
ابن القاضي
كمال الدين
الشهرزوري

أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري المذكور قبله
الملقب بمحيي الدين

وقد تقدم من ذكر رياسة أبيه وما كان عليه من علو المرتبة مالا حاجة إلى
إعادته (١).

وكان القاضي محيي الدين قد دخل بغداد للاشتغال بفتقه على الشيخ أبي منصور
ابن الرزاز ، وتميز ، ثم أوصد إلى الشام ، وولى قضاء دمشق نيابة عن والده ، ثم انتقل
إلى حلب وحكم بها نيابة عن أبيه أيضا في شهر رمضان سنة خمس وخمسين
وخمسمائة ، وبه عزل ابن أبي جرادة المعروف بابن العديم [وقيل : كان ذلك في شعبان
سنة ست وخمسين ، والله أعلم] (٢) وبعد وفاة والده [تمكن عند الملك الصالح إسماعيل
ابن نور الدين صاحب حلب غاية التمكن ، وفوض إليه تدبير مملكة حلب في
شعبان سنة ثلاث وسبعين ، واستمر على ذلك ، ثم وشى به أعداؤه وحساداه إلى
الصالح وجرت أسباب اقتضت أنه لزم بيته ، ورأى المصاحبة في مفارقة حلب
والرجوع إلى بلده ، فـ] (٣) انتقل إلى الموصل ، وتولى قضاءها ، ودرس بمدرسة والده
وبالمدرسة النظامية بالموصل ، وتمكن عند صاحب الموصل عز الدين مسعود بن قطب
الدين مودود بن زنكي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى ، واستولى على جميع
الأمور ، وتوجه من جهته رسولا إلى بغداد مرارا ، وذكر بهاء الدين يوسف
المعروف بابن شداد قاضي حلب في كتاب « ملجأ الحكام عند التباس الأحكام »
أنه كان في خدمة القاضي محيي الدين عند توجهه إلى بغداد في إحدى الرسائل
وناهيك بمن يكون في خدمته مثل هذا الرجل ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .
وكان محيي الدين المذكور جوادا سريا ، قيل : إنه أنعم في بعض رسائله إلى

(٢) زيادة في ب وحدها

(١) في ا « إلى الإعادة »

بغداد بعشرة آلاف دينار أميرية على النخهاء والأدباء والشعراء والمحاويج، ويقال: إنه في مدة حكمه بالموصل لم يعتقل غريماً على دينارين فما دونهما، بل كان يوفيهما عنه [ويخلى سبيله] ويحكي عنه مكارم كثيرة ورياسة ضخمة، وكان من النجباء عريقاً في النجابة تام الرياسة، كريم الأخلاق، رقيق الحاشية، له في الأدب مشاركة حسنة وله أشعار جيدة، فمن ذلك ما أنشدني له بعض الأصحاب في وصف جرادة، وهو تشبيه غريب [من الطويل]:

لها فخذنا بكر وساقا نعامة وقادمتا نسرٍ وجؤجؤ ضيغم
حبتهما أفاعى الرمل بطننا وأنعمت عليها جياذ الخليل بالرأس والفم
ورأيت له في بعض المجاميع هذين البيتين، وهما في [وصف] نزول الثلج من الغيم [من الوافر]:

ولما شاب رأس الدهر غيظاً لما قاساه من فقد الكرام
أقام يُمِيطُ هذا الشيب عنه وينثر ما أُمِيطَ على الأنام
وكانت ولادته سنة عشر وخمسمائة تقريباً، وقال العماد الكاتب في «الخريدة»: مولده سنة تسع عشرة، والله أعلم، وزاد في كتاب السيل في شعبان.

وتوفي سحر يوم الأربعاء^(١) رابع عشر جمادى الأولى سنة ست وثمانين وخمسمائة وقيل: ثالث عشره، هكذا ذكره العماد في السيل، والأول ذكره ابن الديبثي، وذلك بالموصل، ودفن بداره بمحلة القلعة، ثم نقل إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى! هكذا رأيت في بعض التواريخ، وذكر ابن الديبثي في تاريخه أنه نقل إلى تربة عملت له ظاهر البلد، والله أعلم، ثم تحققت ذلك فوجدته كما قال ابن الديبثي، وتربته خارج باب الميدان بالقرب من تربة قضيب البان صاحب الكرامات، رحمه الله تعالى!

(١) في «سحرة يوم الأربعاء»

وكان لجمال الدين ابن آخر يقال له «عمادالدين أحمد» توجه رسولاً إلى بغداد عن نور الدين في سنة تسع وستين وخمسمائة ، ومدحه ابن التعاويذي بقصيدة يقول فيها [من الطويل] :

وقالوا : رسول أعجزتنا صفاته فقلت : صدقم هذه صفة الرسل

(٥٧٢)

أبو عبد الله
فخر الدين محمد
ابن عمر (ابن
الرازي
الخطيب)
الشافعي

أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ، التيمي ، البكري ،
الطبرستاني ، الرازي المولد ، الملقب بفخر الدين ، المعروف
بابن الخطيب ، الفقيه الشافعي

فريد عصره ، ونسيج وحدّه ، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم
الأوائل ، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه
كل غريب وغريبة ، وهو كبير جداً لكنه لم يكمله ، وشرح سورة الفاتحة في مجلد
ومنها في علم الكلام «المطالب العالية» و«نهاية العقول» وكتاب «الأربعين»
و«المحصل» وكتاب «البيان والبرهان ، في الرد على أهل الزيغ والطغيان» وكتاب
«المباحث العمادية في المطالب المعادية» و«كتاب تهذيب الدلائل وعيون المسائل»
وكتاب «إرشاد النظر إلى لطائف الأسرار» وكتاب «أجوبة المسائل النجارية»
وكتاب «تحصيل الحق» وكتاب «الزبدة» و«المعالم» ، وغير ذلك وفي أصول الفقه
«المحصول» و«المعالم» وفي الحكمة «الملخص» و«شرح الاشارات» لابن سينا و«شرح
عيون الحكمة» وغير ذلك ، وفي الطلسمات «السر المكنون»^(١) و«شرح أسماء الله
الحسنى» ويقال : إن له شرح المفصل في النحول لمخشي ، وشرح الوجيز في الفقه للغزالي ،
وشرح سقط الزند للمعري ، وله مختصر في الإعجاز ، ومؤاخذات جيدة على النحاة ، وله

(١) في «السر المكنون»

طريقة في الخلاف ، وله في الطب شرح السكليات للقانون ، وصنف في علم الفراسة ، وله مصنف في مناقب الشافعي ، وكل كتبه ممتعة ، وانتشرت تصانيفه في البلاد ورزق فيها مساعدة عظيمة فان الناس اشتغلوا بها ورفضوا كتب المتقدمين ، وهو أول من اخترع هذا الترتيب في كتبه ، وأتى فيها بما لم يسبق إليه ، وكان له في الوعظ اليد البيضاء ، ويعظ باللسانين العربي والعجمي ، وكان يلحظه الوجد في حال الوعظ ويكثر البكاء ، وكان يحضر مجلسه بمدينة هراة أرباب المذاهب والمقاتلات ويسألونه وهو يجيب كل سائل بأحسن إجابة ، ورجع بسببه خلق كثير من الطائفة الكرامية وغيرهم إلى مذهب أهل السنة ، وكان يلقب بهراة شيخ الاسلام ، وكان مبدأ اشتغاله على والده إلى أن مات ، ثم قصد الكمال السمناني واشتغل عليه مدة ، ثم عاد إلى الري واشتغل على المجد الجيلي ، وهو أحد أصحاب محمد بن يحيى ، ولما طلب المجد الجيلي إلى مراغة ليدرس بها صحبه فخر الدين المذكور إليها ، وقرأ عليه مدة طويلة علم الكلام والحكمة ، ويقال : إنه كان يحفظ «الشامل» لإمام الحرمين في علم الكلام ، ثم قصد خوارزم وقد تميز في العلوم فخرى بينه وبين أهلها كلام فيما يرجع إلى المذهب والاعتقاد ، فأخرج من البلد ، فقصد ماوراء النهر ، فخرى له أيضاً هناك ماجرى له في خوارزم ، فعاد إلى الري ، وكان بهاطيب حاذق له ثروة ونعمة ، وكان للطبيب ابنتان ، ولفخر الدين ابنان ، ففرض الطبيب وأيقن بالموت فزوج ابنتيه لولدي فخر الدين ، ومات الطبيب فاستولى فخر الدين على جميع أمواله ، فمن ثم كانت له النعمة ، ولازم الأسفار ، وعامل شهاب الدين الغوري صاحب غزنة في جملة من المال ، ثم مضى إليه لاستيفاء حقه منه فبالغ في إكرامه والإنعام [عليه] وحصل له من جهته مال طائل ، وعاد إلى خراسان ، واتصل بالسلطان محمد بن تكش المعروف بخوارزم شاه ، وحظى عنده ، ونال أسنى المراتب ، ولم يبلغ أحد منزلته عنده ، ومناقبه أكثر من أن تعد ، وفضائله لا تحصى ولا تحدد

وكان له مع هذه العلوم شيء من النظم ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

نهاية إقدام العقول عقبال وأكتر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علمت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال
وكان العلماء يقصدونه من البلاد، وتشدد إليه الرحال من الأقطار، وحكى شرف
الدين بن عنين الآتي ذكره إن شاء الله تعالى أنه حضر درسه يوماً وهو يلقى الدروس
في مدرسته بخوارزم ودرسه حافل بالأفاضل واليوم شاتٍ وقد سقط ثلج كثير
وخوارزم بردها شديد إلى غاية ما يكون، فسقطت بالقرب منه حمامة وقد طردها بعض
الجوارح، فلما وقعت رجع عنها الجارح خوفاً من الناس الحاضرين، فلم تقدر الحمامة
على الطيران من خوفها وشدة البرد، فلما قام فخر الدين من الدرس وقف عليها ورق لها
وأخذها بيده، فأنشد ابن عنين في الحال [من الكامل]:

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا في كل مسغبة وثلج خاشف
العاصمين إذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج الزاعف
من نبت الورقاء أب محلكم حرم وأنت ملجأ للخائف
وفدت عليك وقد تدانى حتفها فحبوتها ببقائها المستأنف
لو أنها تُحبى ببال لا ثنت من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها والموت يلمع من جناحي خائف
قرم لواه القوت حتى ظله بازائه يجري بقلب واجف
(١) [ولابن عنين المذكور فيه قصيدة من جملتها [من الكامل]:

ماتت به بدع تمادى عمرها دهرًا وكاد ظلامها لا ينجلي
فعلا به الإسلام أرفع هضبة

ورسا سواه في الخضيض الأسفل

(١) من هنا إلى نهاية الآيات ساقط من

غلط امرؤ بأبي على قاسه هيهات قصّر عن مداه أبو على
لو أن رسطا ليس يسمع لفظة من لفظه لعرفته هزة أفكل
ولخار بطليموس لولاقاه من برهانه في كل شكل مشكل
ولو أنهم جمعوا لديه تيقنوا أن الفضيلة لم تكن للأول [

وقال أبو عبد الله الحسين الواسطي : سمعت نحر الدين بهراة ينشد على المنبر
عقيب كلام عاتب فيه أهل البلد [من البسيط] :

المرء ما دام حيًّا يُستَهان به ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وذكر فخر الدين في كتابه الذي سماه «تحصيل الحق» أنه اشتغل في علم الأصول
على والده ضياء الدين عمر ووالده على أبي القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري وهو
على إمام الحرمين أبي المعالي وهو على الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني وهو على
الشيخ أبي الحسين الباهلي وهو على شيخ السنة أبي الحسن على بن إسماعيل
الأشعري وهو على أبي على العجّائي أولا ثم رجع عن مذهبه ونصر مذهب أهل
السنة والجماعة ، وأما اشتغاله في المذهب فانه اشتغل على والده ووالده على أبي
محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي وهو على القاضي حسين المروزي وهو على
القفال المروزي وهو على أبي زيد المروزي وهو على أبي إسحاق المروزي وهو على
أبي العباس بن سُرَيْج وهو على أبي القاسم الأنماطي وهو على أبي إبراهيم المزني
وهو على الإمام الشافعي ، رضى الله عنه !

وكانت ولادة فخر الدين في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة أربع
وأربعين ، وقيل : ثلاث وأربعين وخمسمائة ، بالرى .

وتوفى يوم الاثنين ، وكان عيد الفطر ، سنة ست وستمائة ، بمدينة هَرَآة ،
ودفن آخر النهار في الجبل المصاقب لقرية مُرْدَاخَانَ ، رحمه الله تعالى ! ورأيت له
وصية أملاها في مرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة .

وَمَزْدَاخَانَ — بضم الميم ، وسكون الزاء ، وفتح الدال المهملة ، وبعد الألف خاء معجمة مفتوحة ، وبعد الألف الثانية نون — وهى قرية بالقرب من هَرَاة ، وقد تقدم الكلام على هَرَاة .

(٥٧٣)

أبو حامد محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد ،
الملقب عماد الدين ، الفقيه الشافعى
كان إمام وقته فى المذهب والأصول والخلاف ، وكان له صيت عظيم فى زمانه ،
وقصده الفقهاء من البلاد الشاسعة للاشتغال ، وتخرج عليه خلق كثير صاروا
كلهم أئمة مدرسين يشار إليهم ، وكان مبدأ اشتغاله على أبيه ، وسيأتى ذكره إن
شاء الله تعالى ، وذلك بالموصل ، ثم توجه إلى بغداد ، وتفقّه بالمدرسة النظامية
على السيد محمد السَّلْمَاسى ، وقد تقدم ذكره ، وكان معيداً بها ، والمدرس يومئذ
الشرف يوسف بن بندار الدمشقى ، وسمع بها الحديث من أبى عبد الرحمن محمد
ابن محمد الكشميهنى لما قدمها ، ومن أبى حامد محمد بن أبى الربيع الغرناطى ،
وعاد إلى الموصل ، ودرس بها فى عدة مدارس ، وصنف كتباً فى المذهب : منها
كتاب «المحيط ، فى الجمع بين المذهب والوسيط» وشرح الوجيز للغزالى ، وصنف
جدلاً وعقيدة وتعليقه فى الخلاف ، ولكنه لم يتمها ، وكانت إليه الخطابة فى الجامع
المجاهدى مع التدريس فى المدرسة النورية والعزية والزينية والنفسية والعلائية ،
وتقدم فى دولة نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل تقدماً كثيراً ، وتوجه عنه
رسولاً إلى بغداد غير مرة ، وإلى الملك العادل ، وناظر فى ديوان الخلافة ، واستدل
فى مسألة شراء الكافر للعبد المسلم ، وذلك فى سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وتولى

أبو حامد
عماد الدين
محمد بن يونس
الشافعى

(٢٥ — ج ٣)

القضاء بالموصل يوم الخميس رابع شهر رمضان سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، ثم انفصل عنه بأبي الفضائل القاسم بن يحيى بن عبدالله بن القاسم الشهرزورى الملقب ضياء الدين المذكور فى ترجمة عمه كمال الدين فى صفر سنة ثلاث وتسعين ، وولى ضياء الدين المذكور يوم الأربعاء سابع عشر صفر المذكور ، وانتهت إليه رئاسة أصحاب الشافعى بالموصل ، وكان شديد الورع والنقشف : لا يلبس الثوب الجديد حتى يغسله ، ولا يمس القلم للكتابة إلا ويغسل يده ، وكان دمث الأخلاق ، لطيف الخلوة ، ملاطفاً بحكايات وأشعار ، وكان كثير المباطنة لنور الدين صاحب الموصل ، يرجع إليه فى الفتاوى ، ويشاوره فى الأمور ، وله صنف العقيدة المذكورة ولم يزل معه حتى انتقل عن مذهب أبى حنيفة إلى مذهب الشافعى ، ولم يوجد فى بيت أتابك مع كثيرهم شافعى سواه ، ولما توفى نور الدين فى سنة سبع وستمائة - كما تقدم - توجه إلى بغداد فى الرسالة بسبب تقرير ولده الملك القاهر مسعود ، وسيأتى ذكره فى ترجمة جده مسعود إن شاء الله تعالى ، فعاد وقد قضى الشغل ومعه الخلعة والتقليد ، وتوفرت حرمة عند القاهر أكثر مما كانت عند أبيه ، وكان مكمل الأدوات ، غير أنه لم يرزق سعادة فى تصانيفه ، فانها ليست على قدر فضائله .

وكانت ولادته بقلعة إربل ، سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، فى بيت صغير منها ، ولما وصل إلى إربل فى بعض رسائله دخل ذلك البيت وتمثل بالبيت المشهور ، وهو [من الطويل] :

بلاد بها نيطت على تمايى وأول أرض مس جلدى تراها

وتوفى يوم الخميس ، تاسع عشر جمادى الآخرة ، سنة ثمان وستمائة بالموصل ، رحمه الله تعالى !

وكان الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل - رحمه الله تعالى - يقول : رأيت

الشيخ عماد الدين في المنام بعد موته ، فقلت له : أما مت ؟ فقال : بلى ،
ولسكنى محترم .

وقد ذكره ابن الديثي في كتاب «الذيل» وذكره أبو البركات ابن المستوفي
في تاريخ إربل ، وسيأتي ذكر أخيه الشيخ كمال الدين موسى إن شاء الله تعالى ،
وهم أهل بيت خرج منهم جماعة من الأفاضل .

وحفيده تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم ابن الشيخ رضى الدين محمد
ابن الشيخ عماد الدين أبي حامد المذكور اختصر كتاب «الوجيز» للغزالي
اختصاراً حسناً سماه «التعجيز» ، في اختصار الوجيز» واختصر كتاب «الحصول»
في أصول الفقه ، واختصر طريقة ركن الدين الطاوسى^(١) في الخلاف ، ومولده بالموصل
في سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، ولما استولى التتر على الموصل كان بها ، ثم انتقل
إلى بغداد فدخلها في شهر رمضان سنة سبعين وستمائة ، وتوفى بها في سنة إحدى
وسبعين وستمائة ، وكانت وفاته في جمادى الأولى تقديراً [من السنة المذكورة]
رحمه الله تعالى !

(٥٧٤)

أبو حامد معين
الدين محمد بن
إبراهيم السهلي
الجاورى
الشافعى

أبو حامد محمد بن إبراهيم بن أبي الفضل ، السهلي ، البجارجرى ،

الفقيه الشافعى ، الملقب معين الدين

كان إماماً فاضلاً متفناً مبرزاً ، سكن نيسابور ودرس بها ، وصنف في الفقه
كتاب «السكفاية» وهو في غاية الإيجاز مع اشتماله على أكثر المسائل التي تقع
في الفتاوى ، وهو في مجلد واحد ، وله كتاب «إيضاح الوجيز» أحسن فيه ،
وهو في مجلدين ، وله طريقة مشهورة في الخلاف والقواعد المشهورة منسوبة إليه ،

(١) في «زكي الدين الطاوسى»

واشتغل عليه الناس وانفعوا به وبكتبه من بعده ، خصوصاً القواعد ، فان الناس أكبوا على الاشتغال بها .

وتوفى بكرة نهار الجمعة حادى عشر^(١) رجب سنة ثلاث عشرة وستمائة ، بنيسابور ، رحمه الله تعالى !

والجارجى - بفتح الجيمين بينهما ألف ، وسكون الراء ، وبعدها ميم - هذه النسبة إلى جارجم ، وهى بلدة بين نيسابور وجرجان ، خرج منها جماعة من العلماء ، ورأيت [بمدينة دمشق] خطه على كتاب شرح فيه الأحاديث المسطورة فى المذهب والألفاظ المشككة ، وقد سمعته عليه جماعة من الفقهاء بنيسابور فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة اثنتى عشرة وستمائة .

(٥٧٥)

أبو حامد محمد بن محمد بن محمد - وقيل : أحمد - العميدى ، الفقيه

الحنفى المذهب ، السمرقندى ، الملقب ركن الدين

كان إماماً فى فن الخلاف ، خصوصاً البحث^(٢) ، وهو أول من أفرد بالتصنيف ومن تقدمه كان يمزجه بخلاف المتقدمين ، وكان اشتغاله فيه على الشيخ رضى الدين النيسابورى ، وهو أحد الأركان الأربعة ، فانه كان من جملة المشتغلين على رضى الدين أربعة أشخاص تميزوا وتبحروا فى هذا الفن ، وكل واحد منهم ينعت بالركن ، وهم : ركن الدين الطاوسى ، وقد سبق ذكره ، والعميدى المذكور ، وركن الدين إمام زادا ، وقد شد عنى من هو الرابع ، وصنف العميدى فى هذا الفن طريقة ، وهى مشهورة بأيدي الفقهاء ، وصنف « الإرشاد » واعتنى بشرحه

أبو حامد
ركن الدين
محمد بن محمد
العميدى
السمرقندى
الحنفى

(١) فى ١ « حادى عشرين رجب » ولا يصح فى العربية المشهورة

(٢) فى ١ « خصوصاً الجست »

جماعة من أرباب هذا الشأن : منهم القاضى شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر بن عيسى الفقيه الشافعى الخوي قاضى دمشق [كان] - رحمه الله تعالى ! - والقاضى أوحى الدين الدونى قاضى منبج ، ونجم الدين المرندى ، وبدر الدين المراغى ، وغيرهم ، وصنف كتاب « النفائس » أيضاً ، واختصره شمس الدين الخوي المذكور ، وسماه « عرائس النفائس » وصنف أشياء مستملحة على هذا الأسلوب ، واشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به : من جملةهم نظام الدين أحمد ابن الشيخ جمال الدين أبى المجاهد محمود بن أحمد ابن عبد السيد بن عثمان بن نصر بن عبد الملك البخارى الناجرى الحنفى المعروف بالحصىرى صاحب الطريقة المشهورة ، وغيره ، وكان كريم الأخلاق ، كثير التواضع ، طيب المعاشرة .

وتوفى ليلة الأربعاء تاسع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة ، ببخارا ، رحمه الله تعالى ! .

وتوفى شمس الدين الخوي المذكور يوم السبت سابع شعبان سنة سبع وثلاثين وستمائة ، بمدينة دمشق ، ودفن بسفح جبل قاسيون ، ومولده فى شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

وتوفى أوحى الدين بحلب عقيب أخذ التتر لقلعة حلب ، وكان أخذ القلعة بعد أخذ البلد بتسعة وعشرين يوماً ، وأخذ البلد فى عاشر صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة ، ومولد أوحى الدين سنة ست وثمانين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !

والعميدى - بفتح العين المهملة ، وكسر الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها دال مهملة - ولا أعرف هذه النسبة إلى ماذا ، ولا ذكرها السمعانى .

ونظام الدين الحصىرى قتلته التتر بمدينة نيسابور عند أول خروجهم إلى البلاد ، وذلك فى سنة ست عشرة وستمائة ، رحمه الله تعالى ! وكان ولده من أعيان العلماء ، واجتمعت به عدة دفوع بدمشق ، وكان يدرس بالمدرسة

النورية [ولم يكن في عصره من يقاربه في مذهب الإمام أبي حنيفة] (١) ومولده ببخارا سنة ست وأربعين وخمسمائة في رجب ، وتوفي ليلة الأحد الثامن من صفر سنة ست وثلاثين وستمائة بدمشق ، ودفن من القد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وكان يقول : كان أبي يعرف بالناجري ، وإنما ببخارا محلة يعمل فيها الحصر ، وكنا نحن بها ، رحمهم الله تعالى أجمعين !

(٥٧٦)

أبو بكر محمد بن داود بن علي بن خلف الأصبهاني
المعروف بالظاهري

أبو بكر محمد بن
داود الظاهري

كان فقيها أديبا شاعرا ظريفا ، وكان يناظر أبا العباس بن سُرَيْج ، وقد سبق خبره معه في ترجمته ، ولما توفي أبوه في التاريخ المذكور في ترجمته جلس ولده أبو بكر المذكور في حلقة ، وكان على مذهب والده ، فاستصغروه ، فدرسوا إليه رجلا ، وقالوا له : سله عن حد السكر ، فأناه الرجل فسأله عن السكر : ماهو؟ ومتى يكون الإنسان سكران ؟ فقال : إذا عزبت عنه الهموم ، وباح بسرهم المكتوم ، فاستحسن ذلك منه ، وعلم موضعه من العلم ، وصنف في عنقوان شبابه كتابه الذي سماه « الزهرة » وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق ، واجتمع يوما هو وأبو العباس بن سُرَيْج في مجلس الوزير ابن الجراح فتنظرا في الإيلاء ، فقال ابن سريج : أنت بقولك « مَنْ كَثُرَتْ لِحَظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسْرَاتُهُ » أَبْصَرُ مِنْكَ بِالْكَلَامِ فِي الْإِيْلَاءِ ، فقال له أبو بكر : لئن قلت ذلك فاني أقول [من الطويل] :

أتره في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرمي

وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنه
يُصَبُّ على الصخر الأصم تهديماً
وينطق طرفي عن مترجم خاطري
فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم

فما إن أرى حبا صحيحا مسلما
فقال ابن سريج : وبم تفتخر على ولوشئت أيضاً لقلت [من الكامل] :
ومساهر بالغنج في لحظاته قد بت أمنعه لزيد سناته
ضنا بحسن حديثه وعتابه وأكرر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عوده ولى بخاتم ربه وبراته (١)
فقال أبو بكر : يحفظ الوزير عليه ذلك حتى يقيم شاهدي عدل أنه ولى
بخاتم ربه ، فقال أبو العباس بن سريج : يلزمني في ذلك ما لزمك في قولك :
أنزه في أرض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرما
فضحك الوزير وقال : لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهما وعلماً .
ورأيت في بعض الجواميع هذه الأبيات منسوبة إليه [من الطويل] :
لكل امرئ ضيف يسر بقربه
ومالي سوى الأحزان والههم من ضيف

له مقالة ترمى القلوب بأسهم
أشد من الضرب المدارك بالسيف
يقول خليلي : كيف صبرك بعدنا ؟

فقلت : وهل صبر فاسأل عن كيف

وحكى أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد المذكور قال :

(١) « براته » أراد « براءته » فخفف الهمزة قلبها ألفاً لافتتاحها ، ثم حذف
الألف لما اجتمع ألفان ، والمعنى أنه رجع بطهارته وغفته وبرأته من الدنس

فجاءه رجل فوقف عليه ورفع له رقعة ، فأخذها وتأملها طويلا وظن تلامذته أنها مسألة ، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردّها إلى صاحبها ، فنظرنا فإذا الرجل على بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور ، وإذا في الرقعة [من الخفيف] :

يا ابن داود يافقيه العراق أفتنما في قوادل الأحداق
هل عليهن في الجروح قصاص أم مباح لهادم العشاق
وإذا الجواب [من الخفيف] :

كيف يفتيكم قتيلٌ صريعٌ بسهام الفراق والاشتياق
وقتيل التلاق أحسن حالا عند داود من قتيل الفراق

وكان علما في الفقه ، وله تصانيف عديدة : منها كتاب « الوصول » إلى معرفة الأصول « وكتاب « الإنذار » وكتاب « الإعدار » وكتاب « الانتصار » على محمد بن جرير وعبد الله بن شرشير وعيسى بن إبراهيم الضريبر ، وغير ذلك . وتوفي يوم الاثنين تاسع شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين وعمره اثنتان وأربعون سنة ، وقيل : كانت وفاته سنة ست وتسعين ، والأول أصح ، وفي يوم وفاته توفي يوسف بن يعقوب القاضي ^(١) ، رحمهما الله تعالى !

ويحكى أنه لما بلغت وفاته ابن سريج كان يكتب شيئا فألقى الكراسية من يده وقال : مات من كنت أحت نفسي وأجهد لها على الاشتغال لمناظرته ومقاومته

(٥٧٧)

أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد^(١) بن خلف بن سليمان بن أيوب
القرشي ، الفهرزي ، الأندلسي ، الطرطوشي ، الفقيه
المالكي ، الزاهد ، المعروف بابن أبي رندقة
أبو بكر محمد
ابن الوليد
الطرطوشي
المعروف بابن
أبي رندقة

صحب أبا الوليد الباجي المقدم ذكره في سرقسطة ، وأخذ عنه مسائل الخلاف
وسمع منه ، وأجاز له ، وقرأ الفرائض والحساب بوطنه ، وقرأ الأدب على أبي محمد
ابن حزم المقدم ذكره بمدينة إشبيلية ، ورحل إلى المشرق سنة ست وسبعين
وأربعائة ، وحج ، ودخل بغداد والبصرة ، وتفقّه على أبي بكر محمد بن أحمد
الشاشي المعروف بالمستظهر الفقيه الشافعي ، وقد تقدم ذكره ، وعلى أبي أحمد
الجرجاني ، وسكن الشام مدة ، ودرس بها ، وكان إماما عالما ملا زاهدا ورعا دينيا
متواضعا متقشفا متقللا من الدنيا راضيا منها باليسير ، وكان يقول : إذا عرض
لك أمران أمر دنيا وأمر أخرى فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا
والأخرى ، وكان كثيرا ما ينشد [من الرمل] :

إِن لله عبادا فُطِنَا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
فكروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحي وَطَنَا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سَفُنَا

ولما دخل على الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش المقدم ذكره في حرف
الشرين بسط منظرًا كان معه وجلس عليه ، وكان إلى جانب الأفضل رجل نصراني
فوعظ الأفضل حتى بكى ، وأنشد [من السريع]

يا ذا الذي طاعته قربة وحقه مفترض واجب
إن الذي شرفت من أجله يزعمُ هذا أنه كاذب

(١) وجدت على طرة كتابه « سراج الملوك » أنه « محمد بن محمد بن الوليد »

وأشار إلى النصراني ، فأقامه الأفضل من موضعه .

وكان الأفضل قد أنزل الشيخ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرهه ، فلما طال مقامه به ضجر ، وقال لخادمه : إلى متى نصبر ؟ اجمع لي المباح ، فجمع له ، فأكله ثلاثة أيام ، فلما كان عند صلاة المغرب قال لخادمه : رميته الساعة ، فلما كان من الغد ركب الأفضل فقتل ، وولى بعده المأمون بن البطائحي ، فأكرم الشيخ إكراما كثيرا ، وصنف له كتاب « سراج الهدى » وهو حسن في بابه ، وله من التصانيف « سراج الملوك » [وكتاب « بر الوالدين » وكتاب « الفتن »]^(١) وغير ذلك ، وله طريقة في الخلاف ، ورأيت أشعارا منسوبة إليه : فمن ذلك وقد ذكرها الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذرى في الترجمة التي جمعها للطرطوشى [من المتقارب] :

إذا كنت في حاجة مرسلا وأنت بانجازها مغرم
فأرسل بأكمه خلافة به صمم أغطش أبكم
ودع عنك كل رسول سوى رسول يقال له الدرهم

وقد سبق في ترجمة أبي الحسين أحمد بن فارس اللغوى بيتان يشتملان على أكثر ألفاظ هذه الأبيات [وهما من المتقارب] :

إذا كنت في حاجة مرسلا وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكما ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم^(١)

وقال الطرطوشى المذكور : كنت ليلة نائما في بيت المقدس ، فبينما أنا في جنح الليل إذ سمعت صوتا حزينا ينشد [من الطويل] :

أخوف ونوم ؟ إن ذا لعجيب شككتك من قلب فأنت كذوب
أما وجلال الله لو كنت صادقا لما كان للاغماض منك نصيب
قال : فأيقظ النوام ، وأبكي العيون .

وكانت ولادة الطرطوشى المذكور سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، تقريرا .

وتوفى ثلث الليل الأخير من ليلة السبت لأربع بقين من جمادى الأولى سنة عشرين وخمسمائة ، وذكر ابن تشكّوآل في كتاب « الصلة » أنه توفى في شعبان من السنة المذكورة ، بنغر الاسكندرية ، وصلى عليه ولده محمد ، ودفن في مقبرة وعلة قريبا من البرج الجديد قبلى الباب الأخضر ، رحمه الله تعالى ! .

(١) قلت : هكذا وجدت تاريخ وفاة هذا الشيخ بمواضع كثيرة ، ثم ظفرت بدمشق فى أوائل سنة ثمانين وستمائة بمشيخة جمعت لشيخنا القاضى بهاء الدين ابن شداد المذكور فى حرف الباء ذكر فيها شيوخه الذين سمع عليهم ، ثم ذكر بعدهم الشيوخ الذين أجازوه ، فذكر فى جملةهم الشيخ أبابكر الطرطوشى المذكور ولا خلاف أن ابن شداد مولده فى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فكيف يميزه الطرطوشى ووفاته فى سنة عشرين وخمسمائة ؟ فقد توفى قبل مولد ابن شداد بتسع عشرة سنة ، وكان يمكن أن يقال : ربما وقع الغلط من الذى جمع المشيخة ، لكن هذه النسخة التى رأيتها قرئت عليه ، وكتب خطه عليها بالسمع ، فلم يبق الغلط منسوباً إلى جامع المشيخة ، بل يحتاج هذا إلى التحقيق من جهة أخرى ، وقد نهت عليه ليكشف عن ذلك من يقف عليه ، ولا ينسبني إلى الغلط فى ذلك (١) والطرطوشى — بضم الطاءين المهملتين ، بينهما راء ساكنة ، وبعدهما واو ساكنة ، ثم شين معجمة — هذه النسبة إلى طرطوشة ، وهى مدينة فى آخر بلاد المسلمين بالأندلس على ساحل البحر ، وهى فى شرق الأندلس .

ورندقة — بفتح الراء ، وسكون النون ، وفتح الدال المهملة والقاف — وهى لفظة فرنجية ، سألت بعض الفرنج عنها فقال : معناها رد تعال ، وقد تقدم الكلام على « وعلة » فى ترجمة الحافظ أبى طاهر أحمد بن محمد السكفى .

(٥٧٨)

أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول

العبدى ، المعروف بالعلّاف ، المتكلم

أبو الهذيل محمد
ابن الهذيل
العلّاف ، المتكلم

كان شيخ البصريين فى الاعتزال ، ومن أ كبر علمائهم ، وهو صاحب المقالات فى مذهبهم ، ومجالس ومناظرات ، وهو مولى عبد القيس ، وكان حسن الجدل ، قوى الحجة ، كثير الاستعمال للأدلة والإلزامات .

حكى أنه لقي صالح بن عبد القدوس - وقد مات له ولد ، وهو شديد الجزع عليه - فقال له أبو الهذيل : لا أعرف لجزعك عليه وجهاً ، إذ كان الإنسان عندك كالزرع ، قال صالح : يا أبا الهذيل ، إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك ، فقال له : كتاب الشكوك ما هو يا صالح ؟ قال : هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن ، ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم أنه قد كان ، فقال له أبو الهذيل : فشك أنت فى موت ابنك ، وأعمل على أنه لم يمت ، وإن كان قد مات ، وشك أيضاً فى قراءته كتاب الشكوك وإن كان لم يقرأه .

ولأبى الهذيل كتاب يعرف بميلاس ، وكان ميلاس رجلاً مجوسياً فأسلم وكان سبب إسلامه أنه جمع بين أبى الهذيل المذكور وجماعة من الثنوية ، فقطعهم أبو الهذيل ، فأسلم ميلاس عند ذلك .

وكان قد اجتمع عند يحيى بن خالد البرمكى جماعة من أرباب الكلام ، فسألهم عن حقيقة العشق ، فتكلم كل واحد بشىء ، وكان أبو الهذيل المذكور فى جملةهم ، فقال : أيها الوزير ، العشق يختم على النواظر ، ويطلع على الأفئدة ، مرتعه فى الأجسام ، ومشرعه فى الأكباد ، وصاحبه متصرف

الظنون ، متفتن الأوهام ، لا يصفو له مرجو ، ولا يسلم له مدعو ، تسرع إليه
النواب ، وهو جرعة من نقيع الموت ، ونقعة من حياض الشكل ، غير أنه
من أريحية تكون في الطبع ، وطلاوة توجد في الشائل ، وصاحبه جواد لا يصغى
إلى داعية المنع ، ولا يصيخ لنازع العذل ، وكان المتكلمون ثلاثة عشر شخصاً ،
وأبو الهذيل ثالث من تكلم منهم ، ولولا خوف الإطالة ، لذكرت
كلام الجميع .

ورأيت في بعض الجماهير أن أعرابية وصفتُ العشق ، فقالت في وصفه :
خفي عن أن يرى ، وجل عن أن يخفى ، فهو كامن ككمون النار في الحجر : إن
قدحته أورى ، وإن تركته توارى ، وإن لم يكن شعبة من الجنون ، فهو
عصارة السحر .

وكانت ولادة أبي الهذيل سنة إحدى - وقيل : أربع ، وقيل : خمس -
وثلاثين ومائة .

وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائتين ، بسر من رأى . وقال الخطيب البغدادي
توفى سنة ست وعشرين ، وقال المسعودي في كتاب « مروج الذهب » : إنه توفى
سنة سبع وعشرين ومائتين ، رحمه الله تعالى ! وكان قد كف بصره ، وخرف
في آخر عمره ، إلا أنه كان لا يذهب عليه شيء من الأصول ، لكنه ضعف عن
مناهضة المناظرين وحجاج المخالفين ، وضعف خاطره .

(٥٧٩)

أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان ،
مولى عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ! المعروف بالجُبائى
أحد أئمة المعتزلة

أبو علي محمد بن
عبد الوهاب
الجُبائى المعتزلى
المتكلم

كان إماماً فى علم الكلام ، وأخذ هذا العلم عن أبى يوسف يعقوب بن عبد الله
الشحام البصرى ، رئيس المعتزلة بالبصرة فى عصره ، وله فى مذهب الاعتزال
مقالات مشهورة ، وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعرى شيخ السنة علم الكلام ،
وله معه مناظرة روتها العلماء ، فيقال : إن أبا الحسن المذكور سأل أستاذه أبا علي
الجُبائى عن ثلاثة إخوة : أحدهم كان مؤمناً بـ راتقيا ، والثانى : كان كافراً فاسقاً
شقيماً ، والثالث : كان صغيراً ، فماتوا ، فكيف حالهم ؟ فقال الجُبائى : أما الزاهد
ففى الدرجات ، وأما الكافر ففى الدرجات ، وأما الصغير فمن أهل السلامة ،
فقال الأشعرى : إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل
يؤذن له ؟ فقال الجُبائى : لا ، لأنه يقال له : إن أخاك إنما وصل إلى هذه
الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة ، وليس لك تلك الطاعات ، فقال الأشعرى :
فإن قال ذلك الصغير : التقصير ليس منى ، فانك ما أبقيتني ولا أقدرتني على
الطاعة ، فقال الجُبائى : يقول البارئ جل وعلا : كنت أعلم أنك لو بقيت
لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم ، فراعيت مصلحتك ، فقال الأشعرى :
فلو قال الأخ الكافر : يا إله العالمين ، كما علمت حاله فقد علمت حالى ، فلم
راعيت مصلحته دونى ؟ [فقال الجُبائى للأشعرى : إنك مجنون ، فقال : لا ،
بل وقف حمار الشيخ فى العقبة]^(١) وانقطع الجُبائى ، وهذه المناظرة دالة على أن
الله تعالى خص من شاء برحمته ، وخص آخر بعذابه ، وأن أفعاله غير معللة
بشيء من الأغراض .

ثم وجدت في تفسير القرآن العظيم تصنيف الشيخ فخر الدين الرازي في سورة الأنعام : أن الأشعري لما فارق مجلس الأستاذ الجبائي وترك مذهبه وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما ، فاتفق يوما أن الجبائي عقد مجلس التذكير^(١) ، وحضر عنده عالم من الناس ، فذهب الأشعري إلى ذلك المجلس ، وجلس في بعض النواحي محتفيا عن الجبائي ، وقال لبعض من حضره من النساء : أنا أعلمكم مسألة فاذكريها لهذا الشيخ ، ثم علمها سؤالا بعد سؤال ، فلما انقطع الجبائي في الأخير رأى الأشعري ، فعلم أن المسألة منه ، لا من العجوز .

ورأيت في كتاب « المسالك والممالك » لابن حوقل في فصل خوزستان أن جبّي مدينة ورستاق عريض مشتبك العمائر بالنخل ، وقصب السكر ، وغيرها . قال : ومنها أبو علي الجبائي الشيخ الجليل ، إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين في عصره .

وكانت ولادة الجبائي في سنة خمس وثلاثين ومائتين .

وتوفى في شعبان سنة ثلاث وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! .

وقد سبق ذكر ولده أبي هاشم عبد السلام ، والكلام على الجبائي في ترجمته

في حرف العين .



(١) في « فاتفق يوما عند الجبائي مجلس التذكير »

(٥٨٠)

القاضي أبو بكر
محمد بن الطيب
الباقلائي
البصري
المتكلم

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ،
المعروف بالباقلاني ، البصري ، المتكلم المشهور

كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري ، ومؤيداً اعتقاده ، وناصرًا
طريقته ، وسكن بغداد ، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام
وغيره ، وكان في علمه أوحَدَ زمانه ، وانتهت إليه الرياسة في مذهبه ، وكان
موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب ، وسمع الحديث ، وكان كثير التطويل
في المناظرة مشهوراً بذلك عند الجماعة ، وجرى يوماً بينه وبين أبي سعيد
الهاروني مناظرة ، فأكثر القاضي أبو بكر المذكور فيها الكلام ووسع العبارة وزاد
في الإسهاب ، ثم التفت إلى الحاضرين ، وقال : أشهدوا على أنه إن أعاد ما قلت
لا غير لم أطالبه بالجواب ، فقال الهاروني : أشهدوا على أنه إن أعاد كلام نفسه
سلمت له ما قال .

وتوفي القاضي أبو بكر المذكور آخر يوم السبت ، ودفن يوم الأحد لسبع
بقيين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ! .

ورثاه بعض شعراء عصره بقوله [من البسيط] :

انظر إلى جبل تمشي الرجال به وانظر إلى القبر ما يحوى من الصلَفِ (١)
وانظر إلى صارم الإسلام مغتدماً وانظر إلى دُرّة الإسلام في الصدف
وصلى عليه ابنه الحسن ، ودفنه في داره بدرج المجوس ، ثم نقل بعد ذلك
فدفن في مقبرة باب حرب .

والباقلاني — بفتح الباء الموحدة ، وبعد الألف قاف مكسورة ، ثم لام

(١) في ١ « انظر إلى جبل تمشي رجال به » ولا يستقيم

ألف ، و بعدها نون — هذه النسبة إلى الباقلي وبيعه ، وفيه لغتان : مَنْ شدد اللام قصر الألف ، ومن خففها مد الألف ، فقال : باقلاء ، وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها ، وهي نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء : صنعاني ، وإلى بهراء : بهراني ، وقد أنكر الحريري في كتاب « درة الغواص » هذه النسبة ، وقال : من قصر الباقلي قال في النسبة : باقلي ، ومن مد قال في النسب إليه : باقلاوي و باقلائي ولا يقاس على صنعاء و بهراء ، لأن ذلك شاذ لا يُعَاجِإ إليه ، والسمعاني ما أنكر النسبة الأولى ، والله أعلم بالصواب .

(٥٨١)

أبو الحسين محمد بن علي الطيب ، البصري ، المتكلم على مذهب المعتزلة
هو أحد أئمتهم الأعلام ، المشار إليه في هذا الفن
البصري

كان جسد الكلام ، مليح العبارة ، غزير المادة ، إمام وقته ، وله
التصانيف الفائقة في أصول الفقه : منها « المعتمد » وهو كتاب كبير ، ومنه أخذ
فخر الدين الرازي كتاب « المحصول » وله « تصفح الأدلة » في مجلدين ،
و « غرر الأدلة » في مجلد كبير ، و « شرح الأصول الخمسة » و كتاب في الإمامة ،
وغير ذلك في أصول الدين ، وانتفع الناس بكتبه ، وسكن بغداد .
وتوفي بها يوم الثلاثاء خامس شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وأربعمائة ،
رحمه الله تعالى !

ودفن في مقبرة الشونيزي ، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري .
ولفظه « المتكلم » تطلق على مَنْ يعرف علم الكلام ، وهو أصول الدين ،
وإنما قيل له « علم الكلام » لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله

عز وجل : أخلق هو أم غير مخلوق ؟ فتكلم الناس فيه ، فسمى هذا النوع من العلم كلاماً ، اختص به وإن كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام ، هكذا قاله السمعاني .

(٥٨٢)

الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، المتكلم ، الأصولي ، الأديب النحوي ، الواعظ ، الأصبهاني

أبو بكر محمد
ابن الحسن
ابن فورك
المتكلم

أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه إلى الري فسعت به المبتدعة ، فراسله أهل نيسابور والتمسوا منه التوجه إليهم ، ففعل وورد نيسابور ، فبنى له بها مدرسة وداراً (١) ، وأحيا الله تعالى به أنواع من العلوم ، ولما استوطنها وظهرت بركاته على جماعة [من] المتفهمة [بها] وبلغت مصنفاته في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن قريبا من مائة مصنف ، دعي إلى مدينة غزنة ، وجرت له بها مناظرات كثيرة ، ومن كلامه : شغل العيال نتيجة متابعة الشهوة بالحلال ، فما ظنك بقضية شهوة الحرام ؟ وكان شديد الرد على أصحاب أبي عبد الله بن كرام ، ثم عاد إلى نيسابور فسم في الطريق فمات هناك ونقل إلى نيسابور ، ودفن بالحيرة ، ومشهده بها ظاهر يزار ويستسقى به ، وتجاوب الدعوة عنده ، وكانت وفاته سنة ست وأربعمائة ، رحمه الله تعالى ! وقال أبو القاسم القشيري في الرسالة : سمعت أبا علي الدقاق يقول : دخلت على أبي بكر بن فورك عائداً فلما رأيته دمعت عيناه ، فقلت له : إن الله سبحانه يعافيك ويشفيك ، فقال لي : تراني أخاف من الموت ، وإنما أخاف مما وراء الموت .

وفورك : بضم الفاء ، وسكون الواو ، وفتح الراء ، وبعدها كاف ، وهو اسم علم . والحيرة : بكسر الحاء المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح الراء ، وبعدها هاء ساكنة . وهي محلة كبيرة بنيسابور ينسب إليها جماعة من أهل العلم ، وهي تلبس بالحيرة التي بظاهر الكوفة .

وغزنة : بفتح الغين المعجمة ، وسكون الزاي ، وفتح النون ، وبعدها هاء ساكنة . وهي مدينة عظيمة في أوائل الهند من جهة خراسان .

(١) في نسخة عندنا « ودأب » في مكان « ودارا »

(٥٨٣)

أبو الفتح
محمد بن
عبد الكريم
الشهرستاني
المتكلم

أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني
المتكلم على مذهب الأشعري

كان إماماً مبرزاً فقيهاً متكلماً، تفقه على أحمد الخوافي المقدم ذكره، وعلى
أبي نصر القشيري، وغيرهما، وبرع في الفقه، وقرأ الكلام على أبي القاسم
الأنصاري، وتفرّد فيه، وصنف كتاب «نهاية الإقدام في علم الكلام» وكتاب
«الملل والنحل» و«المناهج والبيان» وكتاب «المضارعة»^(١) و«تلخيص الأقسام
لمذاهب الأنام» وكان كثير المحفوظ، حسن المحاورة، يعظ الناس، ودخل بغداد
سنة عشر وخمسمائة، وأقام بها ثلاث سنين، وظهر له قبول كثير عند العوام،
وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور ومن غيره، وكتب عنه الحافظ
أبوسعد عبد الكريم السمعاني، وذكره في كتاب «الذيل».

وكانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان، هكذا وجدته بخطي
في مسوداتي، وما أدري من أين نقلته، وقال ابن السمعاني في كتاب «الذيل» :
سألت عن مولده، فقال : في سنة تسع وسبعين وأربعمائة
وتوفي بها أيضاً في أواخر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وقيل : سنة
تسع وأربعين، والأول أصح، رحمه الله تعالى !

وذكر في أول كتاب نهاية الإقدام المذكور [من الطويل] :
لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كفّاً حائر على ذقني أوقاراً سن نادماً
ولم يذكر لمن هذان البيتان، وقال غيره : هما لأبي بكر محمد بن باجة المعروف
بأبن الصائغ الأندلسي الآتي ذكره إن شاء الله تعالى

وشهرستان - بفتح الشين المعجمة، وسكون الهاء، وفتح الراء، وسكون السين

(١) زيادة في ب وحدها

المهملة ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعء الألف نون - وهواسم لثلاث مدن : الأولى
شهرستان خراسان بين نيسابور وخوارزم في آخر حدود خراسان وأول الرمل المتصل
بناحية خوارزم وهى المشهورة ، ومنها أبو الفتح محمد المذكور ، وأخرجت خلقا كثيرا من
العلماء ، وبنها عبد الله بن طاهر المقدم ذكره أمير خراسان في خلافة المأمون ، الثانية :
شهرستان قصبه ناحية سابور من أرض فارس ، كما ذكره ابن البناء البشارى ، الثالثة : مدينة
جى بأصبهان يقال لها شهرستان ، بينها وبين اليهودية مدينة أصبهان اليوم نحو ميل
بها أسواق وهى على نهري زندرود ، وبها قبر الإمام الراشد بن المسترشد ، وشهرستان لفظه
عجمية وهى مركبة ، فمعنى شهر مدينة ، ومعنى الاستان الناحية ، فكأنه قال : مدينة
الناحية ، ذكر ذلك كله أبو عبد الله ياقوت الحموى فى كتابه الذى سماه « المشترك وضعه
والمتخلف صقعا » وفى بعضه زيادة على ما ذكره ياقوت ، وكان الشهرستانى المذكور
يروى بالإسناد المتصل إلى النظام البلخى العالم المشهور ، واسمه إبراهيم بن سيار ، أنه
كان يقول : لو كان للفراق صورة لارتاع لها القلوب ولهد الجبال ، ولجر الغضى أقل
توهجا من حمله ، ولوعذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب
وكان يروى للدريدى أيضا باتصال الإسناد إليه قوله [من المنسرح] :

ودعته حين لا تودعه روحى وليكنها تسير معه

ثم افترقنا فى القلوب لنا ضيق مكان وفى الدموع سعه

وكان يروى للدريدى أيضا مسندا إليه [من مجزوء الكامل] :

يا راحلين بمهجة فى الحب متلفة شقيه

الحب فيه بلية وبلىقى فوق البلية

كل ذلك رواه الحافظ أبوسعبد بن السمعانى فى كتاب الذيل ثم قال فى آخر
الترجمة : وصل إلى نعيه وأنا ببخارا ، رحمه الله تعالى !

(٥٨٤)

أبو بكر - وقيل : أبو عبد الله - محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار - وقيل :
ابن إسحاق
الذي ، المحدث

كان جده يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبيد مناف القرشي ،
سباه خالد بن الوليد من عين التمر ، وكان محمد المذكور ثبوتاً في الحديث عند أكثر
العلماء ، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته ، قال ابن شهاب الزهري : من
أراد المغازي فعليه بابن إسحاق ، وذكره البخاري في تاريخه ، وروى عن الشافعي
رضي الله عنه أنه قال : من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق ،
وقال سفيان بن عيينة : ما أدركت أحداً يتهم ابن إسحاق في حديثه ، وقال شعبة
ابن الحجاج : محمد بن إسحاق أمير المؤمنين ، يعني في الحديث ، ويحكي عن الزهري
أنه خرج إلى قرية له فاتبعه طلاب الحديث فقال لهم : أين أنتم من الغلام ^(١) الأحول
أوقد خلفت فيكم الغلام الأحول ، يعني ابن إسحاق ، وذكر الساجي أن أصحاب
الزهري كانوا يلجؤون إلى محمد بن إسحاق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ، ثقة
منهم بحفظه ، وحكى عن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان
أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه ، وإنما لم يخرج البخاري عنه وقد
وثقه وكذلك مسلم بن الحجاج لم يخرج عنه إلا حديثاً واحداً في الرجم من أجل
طعن مالك بن أنس فيه ، وإنما طعن مالك فيه لأنه بلغه عنه أنه قال : هاتوا
حديث مالك فأنا طبيب بعلة ، فقال مالك : وما ابن إسحاق ؟ إنما هو دجال من
الدجاجلة ، نحن أخرجناه من المدينة يشير - والله أعلم - أن الدجال
لا يدخل المدينة .

وكان محمد بن إسحاق قد أتى أبا جعفر المنصور وهو بالخيرة فكتب له المغازي
فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، وكان يروى عن فاطمة بنت المنذر بن

(١) في « عن الغلام الأحول »

الزبير ، وهى امرأة هشام بن عروة بن الزبير ، فبلغ ذلك هشاما فأنكره ، وقال :
أهو كان يدخل على امرأتى^(١)؟ وحكى الخطيب أبو بكر أحمد بن على بن ثابت فى
تاريخ بغداد أن محمد بن إسحاق رأى أنس بن مالك رضى الله عنه وعليه عمامة
سوداء والصبيان خلفه يشتدون ويقولون : هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال .

وتوفى محمد بن إسحاق ببغداد سنة إحدى وخمسين ، وقيل : سنة خمسين ، وقيل :
سنة اثنتين وخمسين ، وقال خليفة بن خياط : سنة ثلاث وخمسين ، وقيل : أربع
وأربعين والله أعلم ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى ! ودفن فى مقبرة [باب] الخيزران
بالجانب الشرقى ، وهى منسوبة إلى الخيزران أم هرون الرشيد وأخيه الهادى ، وإنما
نسبت إليها لأنها مدفونة بها ، وهذه المقبرة أقدم المقابر التى بالجانب الشرقى
ومن كتبه أخذ عبد الملك بن هشام سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد
تقدم ذكره ، وكذلك كل من تكلم فى هذا الباب فعليه اعتماد ، وإليه إسناد
المطلبى : نسبة إلى المطلب بن عبد مناف المذكور أولا
وقد تقدم الكلام على عين التمر فى ترجمة أبى العتاهية

(١) لقد كان أصحاب رسول الله وأتباعهم يروون عن زوجات النبي صلى الله عليه
وسلم فما منع ذلك أحد ، وهل يلزم من الرواية عن زوج هشام أن يراها الراوى
أو يكون معها فى مكان واحد ؟ ولم لا يكون قد روى عنها من وراء ستار ؟ ولم
لا يكون قد دخل عليها مع أخيها أو محرم آخر لها وهى محتجة ! كل ذلك جائز
ومن الجائز أيضا ألا يكون هشام بن عروة قد قال هذا الكلام .

(٥٨٥)

أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي ، الضرير
البوغى ، الترمذى ، الحافظ المشهور
أبو عيسى محمد
ابن عيسى
الترمذى
الحافظ
أحد الأئمة الذين يقتدى بهم فى علم الحديث ، صنف كتاب « الجامع والعلل »
تصنيف رجل متقن ، وبه كان يضرب المثل ، وهو تلميذ أبى عبد الله محمد بن
إسماعيل البخارى ، وشاركه فى بعض شيوخه مثل قتيبة بن سعيد وعلى بن حجر
وابن بشار وغيرهم .

وتوفى لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ليلة الاثنين سنة تسع وسبعين
ومائتين ، بترمذ ، وقال السمعاني : توفى بقرية بوغ فى سنة خمس وسبعين ومائتين ،
وذكره فى كتاب « الأنساب » فى نسبة البوغى ، رحمه الله تعالى !
وبوغ : بضم الباء الموحدة ، وسكون الواو ، وبعدها غين معجمة - وهى قرية
من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها .

وقد تقدم الكلام على الترمذى ، والاختلاف فى كسر التاء وضماها وفتحها فى
ترجمة أبى جعفر محمد بن أحمد الفقيه الشافعى

(٥٨٦)

أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ، الربعى بالولاء ، القزوينى ، الحافظ
المشهور ، مصنف كتاب « السنن » فى الحديث
أبو عبد الله
محمد بن يزيد
ابن ماجه
القزوينى
الحافظ
كان إماماً فى الحديث ، عارفاً بعلمه وجميع ما يتعلق به ، ارتحل إلى العراق
والبصرة والكوفة و بغداد ومكة والشام ومصر والرى لكتب الحديث ، وله « تفسير

القرآن الكريم ، و تاريخ مليح ، و كتابه في الحديث أحد الصحاح الستة
وكانت ولادته سنة تسع ومائتين

وتوفى يوم الاثنين ، ودفن يوم الثلاثاء ، لثمان بقين من شهر رمضان سنة
ثلاث وسبعين ومائتين ، رحمه الله تعالى ! وصلى عليه أخوه أبو بكر ، وتولى دفنه أخواه
أبو بكر وعبد الله وابنه عبد الله .

وماجة - بفتح الميم والجيم ، وبينهما ألف ، وفي الآخر هاء ساكنة
والرَبْعَى - بفتح الراء والباء الموحدة ، وبعدها عين مهملة - هذه النسبة إلى
ربيعة ، وهى اسم لعدة قبائل لا أدرى إلى أيها ينسب المذكور
والقَزَوِينى - بفتح القاف ، وسكون الزاء ، وكسر الواو ، وسكون الياء
المشتاة من تحتها ، وبعدها نون - هذه النسبة إلى قزوين ، وهى من أشهر مدن
عراق العجم ، خرج منها جماعة من العلماء

(٥٨٧)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم ، الضبي
الطهماني ، المعروف الحاكم النيسابورى ، الحافظ ، المعروف بابن البيع
إمام أهل الحديث فى عصره والمؤلف فيه الكتب التى لم يسبق إلى مثلها ،
كان عالما عارفا واسع العلم ، تفقه على أبي سهل محمد بن سليمان الصعلوكى الفقيه الشافعى
وقد تقدم ذكره ، ثم انتقل إلى العراق وقرأ على أبي على بن أبى هريرة الفقيه ، وقد
تقدم ذكره أيضاً ، ثم طلب الحديث ، وغلب عليه فاشتهر به ، وسمعه من جماعة
لا يحصون كثرة فان معجم شيوخه يقرب من أثنى رجل حتى روى عن عاش بعده
لسعة روايته وكثرة شيوخه ، وصنف فى علومه ما يبلغ ألفا وخمسمائة جزء ، منها

أبو عبد الله
محمد بن عبد الله
المعروف
بالحاكم
النيسابورى
المحدث

«الصحيحان»^(١) و«العلل» و«الأمالي» و«فوائد الشيوخ» و«أمالى العشيات» و«تراجم الشيوخ» .

وأما متفرد باخراجه «معرفة الحديث» و«تاريخ علماء نيسابور» و«المدخل إلى علم الصحيح» و«المستدرك على الصحيحين» و«متفرد به كل من الإمامين» و«فضائل الإمام الشافعي» وله إلى الحجاز والعراق رحلتان ، وكانت الرحلة الثانية سنة ستين وثلثمائة ، وناظر الحفاظ ، وذاكر الشيوخ ، وكتب عنهم أيضاً وباحث الدارقطني فرضيه ، وتقلد القضاء بنيسابور في سنة تسع وخمسين وثلثمائة في أيام الدولة السامانية ووزارة أبي النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، وقلد بعد ذلك قضاء جرجان فامتنع ، وكانوا ينفذونه في الرسائل إلى ملوك بني بويه .

وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلثمائة بنيسابور وتوفي به يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة ، وقال الجيلي^(٢) في كتاب الإرشاد : توفي سنة ثلاث وأربعمائة .

وسمع الحديث في سنة ثلاثين ، وأملى بما وراء النهر سنة خمس وخمسين ، وبالعراق سنة سبع وستين ، ولأزمه الدارقطني ، وسمع منه أبو بكر القفال الشاشي ، وأنظارها .

وَحَدُوثُهُ - بفتح الحاء المهملة ، وسكون الميم ، وضم الدال المهملة ، وسكون الواو ، وفتح الياء المثناة من تحتها ، وبعدها هاء ساكنة .
وَالْبَيْعُ : بفتح الباء الموحدة ، وكسر الياء المثناة من تحتها وتشديد هاء وبعدها عين مهملة .

وإنما عرف بالحاكم لتقلده القضاء .

(٤٨٨)

أبو عبد الله
محمد بن فتوح
الحميدى
الأندلسى
الحافظ

أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد بن يضل ،
الأزدى ، الحميدى ، الأندلسى ، الميورقى ، الحافظ المشهور

أصله من قرطبة من رضى الرصافة ، وهو من أهالى جزيرة ميؤرقة ، روى
عن أبي محمد على بن حزم الظاهرى المقدم ذكره ، واختص به ، وأكثر من الأخذ
عنه ، وشهر بصحبته ، وعن أبي عمر يوسف بن عبد البر صاحب كتاب
« الاستيعاب » وسياقى ذكره إن شاء الله تعالى ، وعن غيرهما من الأئمة ، ورحل
إلى المشرق سنة ثمان وأربعين وأربعمائة فحج ، وسمع بمكة حرسها الله تعالى !
وبافريقية ، وبالأندلس ، ومصر ، والشام ، والعراق ، واستوطن بغداد ، وكان
موصوفاً بالنباهة والمعرفة والإتقان والدين والورع ، وكانت له نعمة حسنة فى قراءة
الحديث ، وذكره الأمير أبو نصر على بن ماكولا صاحب كتاب « الإكمال »
المقدم ذكره ، فقال : أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدى ، وهو من أهل العلم
والفضل والتيقظ ، وقال : لم أر مثله فى عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم ، ولأبى
عبد الله المذكور كتاب « الجمع بين الصحيحين البخارى ومسلم » وهو مشهور ،
وأخذه الناس عنه ، وله أيضاً تاريخ علماء الأندلس سماه « جذوة المقتبس » فى
مجلد واحد ، وذكر فى خطبته أنه كتبه من حفظه ، وقد طلب ذلك منه ببغداد
وكان يقول : ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم التهمم بها : كتاب
« العلل » وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الدارقطنى ، وكتاب « المؤلف والمختلف »
وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير أبى نصر بن ماكولا ، وكتاب « وفيات
الشيوخ » وليس فيه كتاب ، وقد كنت أردت أن أجمع فى ذلك كتاباً فقال لى
الأمير : رتبته على حروف المعجم بعد أن رتبته^(١) على السنين ، قال أبو بكر بن طرخان :
فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات .

(١) فى ١ « بعد أن رتبته »

وقال ابن طرخان المذكور: أنشدنا أبو عبد الله الحميدي المذكور لنفسه [من
الوافر]:

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً
سوى الهديان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا
لأخذ العلم أو إصلاح حال
وكان قد أدرك بدمشق الخطيب أبا بكر الحافظ، وروى عنه وعن غيره،
وروى الخطيب أيضاً عنه.

وكانت ولادته قبل العشرين وأربعمائة.
وتوفي ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ببغداد.
وقال السمعاني في كتاب «الأنساب» في ترجمة الميورقي: إنه توفي في صفر
سنة إحدى وتسعين وأربعمائة - رحمه الله تعالى! - هكذا وجدته في المختصر الذي
اختصره أبو الحسن علي بن الأثير الجزري المقدم ذكره، وكشفت عنه عدة نسخ
فوجدته على هذه الصورة، لأنني توهمت الغلط في نسختي، ولم أقدر على مراجعة
الأصل الذي لابن السمعاني الذي هذا المختصر منه، لأنه لا يوجد في هذه
البلاد، وبقي في نفسي شيء من التفاوت بين التاريخين، فانه كبير^(١)، ثم إنني
كشفت كتاب «الذيل» للسمعاني فوجدت فيه أن الحميدي المذكور توفي ليلة
الثلاثاء السابع عشر من ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ودفن من الغد
في مقبرة باب أبرز، بالقرب من قبة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وصلى عليه
أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي الفقيه في جامع القصر، ثم نقل بعد
ذلك في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى مقبرة باب حرب، ودفن عند
قبر بشر بن الحارث المعروف بالحافي، رحمه الله تعالى!

(١) الفرق بين التاريخين ثلاث سنين، وقد ذكر في ترجمة ابن إسحاق قبل
ذلك بقليل اختلافاً يجعل بين بعض الأقوال وبعضها الآخر قريب من عشر سنين.

فلما وقفت في الذيل على هذه الصورة علمت أن الغلط وقع من ابن الأثير في المختصر: إما لأن النسخة التي اختصرها كانت غلطاً من الناسخ، فتبع ابن الأثير ذلك الغلط ولم يكشفه من موضع آخر، أو لأنه عبّر عن سطر إلى سطر كما جرت عادة النسخ في بعض الأوقات، والله أعلم أي ذلك كان.

والحميدى — بضم الحاء المهملة، وفتح الميم، وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة — هذه النسبة إلى جده حميد المذكور، وأخبرني بعض أرباب التاريخ أنه رأى في بعض التواريخ أن نسبته إلى حميد بن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه، وهو ليس بصحيح، لأن أبا عبد الله المذكور أزدى النسب، وعبد الرحمن قرشى زهري، فكيف يجتمعان؟

ويصل — بفتح الياء المثناة من تحتها، وكسر الصاد المهملة، وبعدها لام.

وقد تقدم الكلام على الأزدي.

وميو رقة — بفتح الميم، وضم الياء المثناة من تحتها، وسكون الواو، وفتح الراء والقاف، وبعدها هاء ساكنة — وهى جزيرة فى البحر الغربى قريبة من بر الأندلس.

(٥٨٩)

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد ، التميمي ، المازري
الفقيه المالكي ، المحدث

أبو عبد الله
محمد بن علي
التميمي
المازري
المالكي

أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه ، وشرح صحيح مسلم شرحاً جيداً سماه « كتاب المعلم » بفوائد كتاب مسلم ، وعليه بنى القاضي عياض كتاب « الإكمال » وقد تقدم ذكره ، وهو تكملة لهذا الكتاب ، وله في الأدب كتب متعددة ، وله كتاب « إيضاح المحصول » ، في برهان الأصول ، وكان فاضلاً متفناً .

وتوفي في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وقيل : توفي يوم الاثنين ثاني الشهر المذكور ، بلهدية ، وعمره ثلاث وثمانون سنة ، رحمه الله تعالى ! .

والمازري - بفتح الميم ، وبعدها ألف ، ثم زاء مفتوحة ، وقد تكسر أيضاً ثم راء - هذه النسبة إلى مازر^(١) ، وهي بليدة بجزيرة صقلية

(١) « مازر » لم يذكر ياقوت في التعريف بها غير قوله « مازر - بفتح الزاي ، وآخره راء - مدينة بصقلية ، نسب بعض شراح الصحيح إليها » وأغلب الظن أنه يريد ببعض شراح الصحيح أبا عبد الله صاحب هذه الترجمة ، فقد نص ابن خلكان على أن له كتاب « المعلم » ، بفوائد كتاب مسلم

فلما وقفت في الذيل على هذه الصورة علمت أن الغلط وقع من ابن الأثير في المختصر : إما لأن النسخة التي اختصرها كانت غلطاً من الناسخ ، فتبع ابن الأثير ذلك الغلط ولم يكشفه من موضع آخر ، أو لأنه عبّر من سطر إلى سطر كما جرت عادة النساخ في بعض الأوقات ، والله أعلم أي ذلك كان .

والحميدى — بضم الحاء المهملة ، وفتح الميم ، وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة — هذه النسبة إلى جده حميد المذكور ، وأخبرني بعض أرباب التاريخ أنه رأى في بعض التواريخ أن نسبته إلى حميد بن عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه ، وهو ليس بصحيح ، لأن أبا عبد الله المذكور أزدى النسب ، وعبد الرحمن قرشي زهري ، فكيف يجتمعان ؟ !
ويصل — بفتح الياء المثناة من تحتها ، وكسر الصاد المهملة ، وبعدها لام .

وقد تقدم الكلام على الأزدي .
ومَيُورَقَة — بفتح الميم ، وضم الياء المثناة من تحتها ، وسكون الواو ، وفتح الراء والقاف ، وبعدها هاء ساكنة — وهى جزيرة فى البحر الغربى قريبة من بر الأندلس .

(٥٨٩)

أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد ، التميمي ، المازري
الفقيه المالكي ، المحدث

أحد الأعلام المشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه ، وشرح صحيح
مسلم شرحاً جيداً سماه « كتاب المعلم ، بفوائد كتاب مسلم » وعليه بنى القاضي
عياض كتاب « الإكمال » وقد تقدم ذكره ، وهو تكملة لهذا الكتاب ، وله
في الأدب كتب متعددة ، وله كتاب « إيضاح المحصول ، في برهان الأصول »
وكان فاضلاً متقناً .

وتوفي في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة ،
وقيل : توفي يوم الاثنين ثاني الشهر المذكور ، بالمهدية ، وعمره ثلاث وثمانون
سنة ، رحمه الله تعالى ! .

والمازري - بفتح الميم ، وبعدها ألف ، ثم زاء مفتوحة ، وقد تكسر أيضاً
ثم راء - هذه النسبة إلى مازر^(١) ، وهي بليدة يجزيرة صقلية

(١) « مازر » لم يذكر ياقوت في التعريف بها غير قوله « مازر - بفتح
الزاي ، وآخره راء - مدينة بصقلية ، نسب بعض شراح الصحيح إليها » وأغلب
الظن أنه يريد ببعض شراح الصحيح أبا عبد الله صاحب هذه الترجمة ، فقد نص
ابن خلكان على أن له كتاب « المعلم ، بفوائد كتاب مسلم »

(٥٩٠)

أبو موسى محمد بن أبي بكر عمر بن أبي عيسى أحمد بن عمر بن محمد
ابن أبي عيسى ، الأصبهاني ، المديني ، الحافظ المشهور

أبو موسى
محمد بن عمر
الأصبهاني
المديني
الحافظ

كان إمام عصره في الحفظ والمعرفة ، وله في الحديث وعلومه تواليف مفيدة
وصنف كتاب « المغيث » في مجلد ، كل به كتاب « الغريدين » للهرودي ، واستدرك
عليه ، وهو كتاب نافع ، وله كتاب « الزيادات » في جزء لطيف ، جعله ذيلًا
على كتاب شيخه أبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي الذي سماه كتاب « الأنساب »
وذكر من أهمله ، وما أقصر فيه ، ورحل عن أصفهان في طلب الحديث ، ثم رجع
إليها وأقام بها .

وكانت ولادته في ذي القعدة سنة إحدى وخمسمائة .

وتوفي ليلة الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ، وكانت
وفاته ومولده بأصفهان ، رحمه الله تعالى !

والمديني - بفتح الميم ، وكسر الدال المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها نون - هذه النسبة إلى مدينة أصفهان ، وقد ذكر الحافظ أبو سعد السمعاني
في كتاب « الأنساب » هذه النسبة إلى عدة مدن : أولاهن مدينة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، والثانية مرو ، والثالثة نيسابور ، والرابعة أصفهان ، والخامسة
مدينة المبارك بقروين ، والسادسة بخارا ، والسابعة سمرقند ، والثامنة نَسَفُ ،
وذَكَرَ أن النسبة إلى هذه المدن كلها المديني ، وقال : أ كثر ما ينسب إلى مدينة
رسول الله صلى الله عليه وسلم « المديني » .

(٥٩١)

أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد ، المقدسي ، الحافظ ،

المعروف بابن القيسراني

أبو الفضل
محمد بن طاهر
المعروف بابن
القيسراني
المقدسي
الحافظ

كان أحد الرحالين في طلب [العلم و] الحديث ، سمع بالحجاز والشام ومصر
والفجور والجزيرة والعراق والجلال وفارس وخوزستان وخراسان واستوطن همدان
وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث ، وله في ذلك مصنفات ومجموعات
تدل على غزارة علمه ، وجودة معرفته ، وصنف تصانيف كثيرة : منها « أطراف
الكتب الستة » وهي : صحيح البخاري ، ومسلم ، وأبي داود ، والترمذي ،
والنسائي ، وابن ماجه ، و « أطراف الغرائب » تصنيف الدارقطني ، وكتاب
« الأنساب » في جزء لطيف ، وهو الذي ذيله الحافظ أبو موسى الأصبهاني
المذكور قبله ، وغير ذلك من الكتب ، وكانت له معرفة بعلم التصوف وأنواعه
متفناً فيه ^(١) ، وله فيه تصنيف أيضاً ، وله شعر حسن ، وكتب عنه غير واحد من
الحفاظ : منهم أبو موسى المذكور .

وكانت ولادته في السادس من شوال سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، ببیت
المقدس ، وأول سماعه سنة ستين وأربعمائة ، ودخل بغداد سنة سبع وستين
وأربعمائة ، ثم رجع إلى بيت المقدس فأحرم من ثم إلى مكة .

وتوفي عند قدومه من الحج آخر حجائه ، يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شهر
ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة ، ببغداد ، ودفن في المقبرة العتيقة بالجانب
الغربي ، وقيل : توفي يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور ، رحمه الله تعالى ! .
وكان ولده أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر من المشهورين بعلوم الإسناد
وكثرة السماع ، ولم يكن له معرفة بالعلم ، لكن كان والده قد أسمعه في صباه من

(١) في « متقناً فيه »

جماعة منهم أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوبى بالرى وأبو الفتح عبدوس ابن عبد الله بهمدان وأبو عبد الله محمد بن عثمان الكاخي وأبو الحسن مكي ابن منصور السلار ، وقدم به بغداد فسمع بها من أبي القاسم على بن أحمد بن ريان وغيره ، وسكن بعد وفاة أبيه بهمدان ، وكان يقدم بغداد للحج ، فحدث بها أكثر سماعاته ، وسمع منه الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة وغيره ، وكان مولده بالرى فى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ، وتوفى يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة بهمدان ، رحمه الله تعالى !

والقيس رانى - بفتح القاف والسين المهملة ، بينهما ياء مثناة من تحتها ، ثم راء مفتوحة ، وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى قيسرية ، وهى بليدة بالشام على ساحل البحر ، وهى الآن بيد الفرنج ، خذلهم الله تعالى ! .
[قلت : ثم استنقذها من أيديهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالحى فى شهور سنة ثلاث وستين وستمائة وخرّبها ، وهى الآن خراب]^(١) .

(٥٩٢)

أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مَنَدَه ، العبدى ، الحافظ المشهور ،
صاحب كتاب تاريخ أصبهان

أبو عبد الله
محمد بن يحيى
ابن منده
العبدى ،
الحافظ

كان أحد الحفاظ الثقات ، وهم أهل بيت كبير خرج منه جماعة من العلماء ولم يكونوا عبيدين ، وإنما أم الحفاظ أبى عبد الله المذكور واسمه هبة بنت محمد كانت من بنى عبد ياليل ، فنسب إلى أخواله ، ذكر ذلك الحافظ أبو موسى الأصبهاني فى كتاب « زيادات الأنساب » وقد تقدم ذكره ، واستوفى رفع نسبها هناك ، فأضربت عن ذكره لطوله ، وكذلك ذكره الحازمي فى كتاب

(١) ما بين المعقوفين ساقط من ا

« العجالة » لكنه لم يرفع في نسبها
وتوفي الحافظ أبو عبد الله المذكور في سنة إحدى وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى !
ومُنْدَه : بفتح الميم والذال المهملة ، بينهما نون ساكنة ، وفي الآخر هاء
ساكنة أيضاً .
وسياتي ذكر حفيده يحيى بن عبد الوهاب إن شاء الله تعالى .

(٥٩٣)

أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مَطَر بن صالح بن بشر الفَرَبْرِي ،
راوية صحيح البخاري عنه
رحل إليه الناس ، وسمعوا منه هذا الكتاب .
وكانت ولادته في سنة إحدى وثلاثين ومائتين
وتوفي في ثالث شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، رحمه الله تعالى !
ونسبته إلى فَرَبْرَ - بفتح الفاء والراء ، وسكون الباء الموحدة ، وفي آخرها راء
ثانية - وهي بلدة على طرف جَيْحُون مما يلي بخارا^(١) ، وهو آخر من رَوَى الجامع
الصحيح عن البخاري

(١) قال ياقوت : « فَرَبْرَ - بكسر أوله ، وقد فتحه بعضهم ، وثانية مفتوح ،
ثم باء موحدة ساكنة ، وراء - بليدة بين جيحون وبخارا ، بينها وبين جيحون
نحو الفرسنج ، وكان يعرف برباط طاهر بن علي ، وقد خرج منها جماعة من العلماء
والرواة ، منهم محمد بن يونس الفَرَبْرِي راوية صحيح محمد بن إسماعيل البخاري ،
يقال : سمع الجامع من البخاري سبعون ألف لم يبق أحد منهم سوي الفَرَبْرِي ،
وروى أيضا عن علي بن خشرم المروزي ، وروى عنه أبو زيد القاشاني وأبو محمد
ابن عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي ، وغيرهما » اهـ . وذكر وفاته ومولده كما
ذكره ابن خلكان

(٥٩٤)

أبو عبد الله
محمد بن الفضل
الصاعدي
الفراوي
المحدث

أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العباس ،
الصاعدي ، الفراوى ، النيسابورى ، الملقب
كـال الدين ، الفقيه المحدث

كان يختلف إلى مجلس إمام الحرمین أبی المعالی الجَوَینى الفقيه الشافعى صاحب « نهاية المطلب » وعلق عنه الأصول ، ونشأ بین الصوفية ، وكان فقيهاً محدثاً مفتياً مناظراً واعظاً ، وكان يحمل الطعام إلى المسافرين الواردين عليه ويخدمهم بنفسه مع كبر سنه ، وخرج حاجاً إلى مكة ، وعقد له مجلس الوعظ ببغداد وسائر البلاد التى توجه إليها ، وأظهر العلم بالحرمين ، وعاد إلى نيسابور ، وقعد للتدريس بالمدرسة الناصحية ، وقام بإمامة مسجد المطرز ، وسمع صحيح مسلم من عبد الغافر الفارسى المقدم ذكره ، وصحيح البخارى من سعيد بن أبى سعيد ، وسمع من الشيخ أبى إسحاق الشيرازى والحافظ أبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى وأبى القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيرى وإمام الحرمین ، وتفرد بروايه عدة كتب للحافظ البيهقى مثل « دلائل النبوة » و « الأسماء والصفات » و « البعث والنشور » و « الدعوات » الكبيرة والصغيرة ، وكان يقال فى حقه : الفُراوى ، ألفُ راوى .

وكانت ولادته سنة إحدى - وقيل : اثنتين - وأربعين وأربعمائة بنيسابور وسمع الحديث سنة سبع وأربعين .

وتوفى ضحوة يوم الخميس الحادى - وقيل : الثانى - والعشرين من شوال سنة ثلاثين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى ! .

والفراوي - بضم الفاء ، وفتح الراء ، وبعدها ألف ، ثم واو - هذه النسبة

إلى فُراوة، وهي بليدة مما يلي خوارزم يقال لها رباط فراوة، بناها عبد الله بن طاهر في خلافة المأمون، وهو يومئذ أمير خراسان، وقد تقدم ذكره.

(٥٩٥)

أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله، الآجري، الفقيه الشافعي، المحدث
صاحب كتاب الأربعين حديثاً، وهي مشهورة به
وكان صالحاً عابداً، وروى عن أبي مسلم السكجى وأبي شعيب الحراني وأحمد
ابن يحيى الحلواني والمفضل بن محمد الجندی، وخلق كثير من أقرانهم، ذكره محمد
ابن إسحاق النديم في كتابه الذي سماه «الفهرست» وصنف في الفقه والحديث
كثيراً، وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه، وقال: كان ثقة
صدوقاً ديناً، وله تصانيف كثيرة، وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلثمائة، ثم
انتقل إلى مكة فسكنها، حتى توفي بها. وروى عنه جماعة من الحفاظ منهم أبو نعيم
الأصبهاني صاحب كتاب «حلية الأولياء» وغيره، وأخبرني بعض العلماء أنه
لما دخل [إلى] مكة حرسها الله تعالى أعجبته، فقال: اللهم ارزقني الإقامة بها سنة،
فسمع هاتفاً يقول له: بل ثلاثين سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثين سنة، ثم مات بها
في المحرم سنة ستين وثلثمائة، قال الخطيب: قرأت ذلك على بلاطة قبره بمكة.
(١) والآجري - بفتح الهمزة الممدودة، وضم الجيم، وتشديد الراء - هذه
النسبة إلى الآجر، ولا أعلم لأى معنى نسب إليه (١).
ورأيت حاشية على كتاب «الصلة» صورتها: الإمام أبو بكر الآجري
نسب إلى قرية من قرى بغداد يقال لها آجر (٢)، واستوطن مكة حرسها الله تعالى،
وتوفي بها أول يوم من المحرم سنة ستين وثلثمائة، رحمه الله تعالى!

(١) هذا الكلام في متأخر عما حكاه عن حاشية كتاب الصلة

(٢) ذكر ياقوت أبا بكر الآجري هذا، وذكر أنه ينسب إلى «درب الآجر»

محلة كانت ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي

(٥٩٦)

أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر ، البغدادى ،
الحافظ ، الأديب ، المعروف بالسَّلامى

أبو الفضل
محمد بن ناصر
السَّلامى
البغدادى
الحافظ

كان حافظ بغداد فى وقته ، وكان له حظ وافر من الأدب ، وأخذ الأدب عن
الخطيب أبى زكرياء التبريزى ، وخطه فى غاية الصحة والإيقان ، وكان كثير
البحث عن الفوائد وإثباتها ، روى عنه الأئمة فأكثر ، وأخذ عنه علماء عصره
منهم الحافظ أبو الفرج بن الجوزى ، وأكثروا روايته عنه ، وذكره الحافظ أبو سعد
ابن السمعانى فى كتبه .

وكانت ولادته ليلة السبت خامس عشر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة .
وتوفى ليلة الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة ، ببغداد ،
وأخرج من الغد ، وصلى عليه بالقرب من جامع السلطان ثلاث مرات ، وعبر به
إلى جامع المنصور فصلى عليه ، ثم حمل إلى الحربية وصلى عليه ، ودفن بباب
حرب تحت السدرة بجانب أبى منصور بن الأنبارى الواعظ ، رحمه الله
تعالى !

والسَّلامى — بفتح السين المهملة ، واللام ألف المخففة ، وبعدها ميم —
هذه النسبة إلى مدينة السلام بغداد ، قال ابن السمعانى : كذا كان يكتب لنفسه
السَّلامى ، يعنى الحافظ المذكور .

(٥٩٧)

أبو بكر زين
الدين محمد بن
موسى الحازمي
الهمداني
المحدث

أبو بكر محمد بن أبي عثمان موسى بن عثمان بن موسى

ابن عثمان بن حازم ، الحازمي ، الهمداني

الملقب زين الدين

أحد الحفاظ المتقنين ، وعباد الله الصالحين ، حفظ القرآن الكريم ، وحضر بهمدان أبا الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي ، وسمع بها من أبي منصور شهر دار بن شيرويه الديلمي وأبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبي العلاء الحسن بن أحمد الحافظ ، وجماعة كثيرة ، وتفقه ببغداد على الشيخ جمال الدين واثق بن فضلان وغيره ، وسمع الحديث ببغداد من أبي الحسين عبد الحق وأبي نصر عبد الرحيم ابني عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وأبي الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاتيل وغيرهم ، ثم عني بنفسه ، فارتحل في طلبه إلى عدة بلاد من العراق ثم إلى الشام والموصل وبلاد فارس وأصبهان وهمدان وكثير من بلاد أذربيجان ، وكتب عن أكثر شيوخ هذه البلاد .

وغللب عليه الحديث ، وبرع فيه ، واشتهر به ، وصنف فيه وفي غيره كتباً مفيدة : منها « الناسخ والمنسوخ » في الحديث ، وكتاب « الفیصل » في مشتبیه النسبة ، وكتاب « العجالة » في الذنب ، وكتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » في الأماكن والبلدان المشتبیه في الخط ، وكتاب « سلسلة الذهب » فيما رواه الإمام أحمد بن حنبل عن الإمام الشافعي ، و« شروط الأئمة » وغير ذلك من الكتب النافعة .

واستوطن بغداد، وسكن بالجانب الشرقي.

ولم يزل مواظب الاشتغال ملازم الخير إلى أن اخترمته المنية وغصن شبابه
نضير ، وذلك في ليلة الاثنين الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة أربع
وثمانين وخمسة ، بمدينة بغداد .

ودفن في المقبرة الشونيزية إلى جانب سمعون بن حمزة مقابل قبر الجنيد ، رضي الله عنه ! بعد أن صلى عليه خلق كثير برحبة جامع القصر .

وحمل إلى الجانب الغربي ، فصلى عليه مرة أخرى ، وفرق كتبه على أصحاب الحديث .

وكانت ولادته في سنة ثمان - أو تسع - وأربعين وخمسة مائة ، بطريق همدان وحل إليها ، ونشأ بها ، رحمه الله تعالى ! .

والحازمي - بفتح الحاء المهملة ، وبعد الألف زاء مكسورة ، وبعدها ميّمْ -
هذه النسبة إلى جده حازم المذكور .

(٥٩٨)

أبو بكر محمد
ابن عبد الله بن
العربي المعافري
الأندلسي
الحافظ

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ،
المعروف بابن العربي ، المعافري ، الأندلسي ،
الإشبيلي ، الحافظ المشهور

ذكره ابن بشكوال في كتاب « الصلة » فقال : هو الحافظ المستبحر ، ختام
علماء الأندلس ، وآخر أئمتها وحفاظها ، لقيته بمدينة إشبيلية ضحوة يوم الاثنين
لليلتين خلتما من جمادى الآخرة سنة ست عشرة وخمسة فأخبرني أنه رحل إلى
المشرق مع أبيه يوم الأحد مستهل شهر ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعمائة
وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي^(١) ، وتفقّه عنده ، ودخل
بغداد ، وسمع بها من جماعة من أعيان مشايخها ، ثم دخل الحجاز فحج في موسم
سنة تسع وثمانين ، ثم عاد إلى بغداد ، وصحب بها أبا بكر الشاشي وأبا حامد
الغزالي وغيرهما من العلماء والأدباء ، ثم صدر عنهم ، ولقي بمصر والإسكندرية
جماعة من المحدثين ، فكتب عنهم ، واستفاد منهم ، وأفادهم ، ثم عاد إلى الأندلس
سنة ثلاث وتسعين ، وقدم إلى إشبيلية بعلم كثير لم يدخل أحد^(٢) قبله بمثله ممن
كانت له رحلة إلى المشرق ، وكان من أهل التفنن في العلوم ، والاستبحار فيها ،
والجمع لها ، مقدما في المعارف كلها ، متكلم في أنواعها ، نافدا في جميعها ، حريصا
على أدائها ونشرها ، ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ، ويجمع إلى ذلك كله
آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة ، ولين الكنف ، وكثرة الاحتمال ، وكرم
النفس ، وحسن العهد ، وثبات الود ، واستتضي ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته
وشدته ونفوذ أحكامه ، وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة ، ثم صرف عن
القضاء ، وأقبل على نشر العلم وبثه ، وسأله عن مولده فقال : ولدت ليلة الخميس
لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة ، وتوفي بالعدوة ، ودفن بمدينة

(١) في « الطرطوسي » بالسین المهملة ، وهو تحريف

(٢) في « لم يدخله أحد قبله مما كانت - إلخ »

فاس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، رحمه الله تعالى !
انتهى كلام ابن بشكوال .

قلت أنا : وهذا الحافظ له مصنفات : منها كتاب « عارضة الأحوزي ،
في شرح الترمذي » وغيره من الكتب ، وكانت ولادته باشبيلية ، وقيل :
إن ولادته كانت سنة تسع وستين ، وقيل : إن وفاته كانت في جمادى الأولى
على مرحلة من فاس عند رجوعه من مراکش ، ونقل إلى فاس ، ودفن
بمقبرة الجياني .

وتوفي والده بمصر منصرفا عن المشرق في السفرة التي كان ولده المذكور في
صحبته ، وذلك في المحرم سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة ، ومولده سنة خمس
وثلاثين وأربعمائة ، وكان من أهل الآداب الواسعة والبراعة والكتابة ،
رحمه الله تعالى ! .

وقد تقدم الكلام على المعافى والإشبيلي .

وأما معنى « عارضة الأحوزي » ، في شرح الترمذي « فالعارضة : القدرة
على الكلام ، يقال : « فلان شديد العارضة » إذا كان ذا قدرة على الكلام ،
والأحوزي : الخفيف في الشيء لحذقه ، وقال الأصمعي : الأحوزي المشر في
الأمور القاهر لها الذي لا يشد عليه منها شيء ، وهو بفتح الهمة وسكون الحاء
المهملة وفتح الواو وكسر الذال المعجمة وفي آخره ياء ^(١) مشددة .

(١) في « وفي آخرها ياء مشددة »

(٥٩٩)

أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد بن زياد [بن هارون بن جعفر بن سند] (١)
المقرى ، المعروف بالنقاش ، الموصلى الأصل ، البغدادى
المولد والمنشأ

أبو بكر محمد
ابن الحسن
النقاش
الموصلى
البغدادى

كان عالماً بالقرآن والتفسير ، وصنف فى التفسير كتاباً ، سماه « شفاء
الصدور » وصنف غيره ، فمن ذلك « الإشارة فى غريب القرآن » ، و « الموضح
فى القرآن ومعانيه » وضد العقل (٢) ، و « المناسك » ، و « فهم المناسك » ،
و « أخبار القصاص » ، و « ذم الحسد » ، و « دلائل النبوة » ، و « الأبواب
فى القرآن » ، و « إرم ذات العماد » ، و « المعجم الأوسط » ، و « المعجم الأصغر » ،
و « المعجم الكبير » فى أسماء القراء وقراآتهم ، وكتاب « السبعة بعلمها » الكبير ،
وكتاب « السبعة الأوسط » ، وكتاب « السبعة الأصغر » ، وسافر الكثير شرقاً وغرباً ،
وسمع بالسكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجلال وخراسان ،
وما وراء النهر . وفى حديثه من أكبر بأسانيد مشهورة . وذُكر النقاش عند طلحة
ابن محمد بن جعفر ، فقال : كان يكذب فى الحديث ، والغالب عليه القصص ،
وروى عن جماعة من جلة العلماء ، ورووا عنه ، وقال البرقانى : كل حديث النقاش
مناكير ، وليس فى تفسيره حديث صحيح .

وكانت ولادته سنة ست - وقيل : خمس - وستين ومائتين .
وتوفى يوم الثلاثاء ، ودفن يوم الأربعاء ، لثلاث خلون من شوال سنة
إحدى وخمسين وثلثمائة ، رحمه الله تعالى ! ويقال : توفى سنة خمسين ، وقيل :
اثنيتين وخمسين وثلثمائة ، والله أعلم .

والنقاش — بفتح النون والقاف المشددة ، وبعد الألف شين معجمة —

(٢) هكذا فى الأصول عامة

(١) سقط هذا الكلام من ١

هذه النسبة إلى من ينقش السقوف والحيطان وغيرها ، وكان أبو بكر المذكور في مبدأ أمره يتعاطى هذه الصنعة ، فعرف بها .

(٦٠٠)

أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ

المقرى ، البغدادى

أبو الحسن محمد
ابن أحمد بن
شنبوذ المقرى
البغدادى

كان من مشاهير القراء وأعيانهم ، وكان دينياً ، وفيه سلامة [صدر ، وفيه] ^(١) حق ، وقيل : إنه كان كثير اللحن ، قليل العلم ، وتفرد بقراآت من الشواذ كان يقرأ بها في المحراب ، فأنكرت عليه ، وبلغ ذلك الوزير أبا علي محمد بن مقله الكاتب المشهور ، وقيل له : إنه يغير حروفاً من القرآن ، ويقرأ بخلاف ما أنزل ، فاستحضره في أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، واعتقله في داره أياماً ، فلما كان يوم الأحد ، لسبع خلون من الشهر المذكور ، استحضر الوزير المذكور القاضي أبا الحسين عمر بن محمد وأبا بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرى ، وجماعة من أهل القرآن ، وأحضر ابن شنبوذ المذكور ، ونوظر بحضرة الوزير ، فأغلظ في الخطاب للوزير والقاضى وأبى بكر ابن مجاهد ، ونسبهم إلى قلة المعرفة ، وعيرهم بأنهم ما سافروا في طلب العلم ، كما سافر ، واستصحبى القاضى أبا الحسين المذكور ، فأمر الوزير أبو علي بضربه ، فأقيم وضرب سبع درر ، فدعا وهو يضرب على الوزير ابن مقله بأن يقطع الله يده وأن يشئت شمله ، فكان الأمر كذلك ، كما سيأتى في خبر ابن مقله ، إن شاء الله تعالى ، ثم أوقفوه على الحروف التي قيل إنه يقرأ بها ، فأنكر ما كان شنيعاً ، وقال فيما سواه : إنه قرأ به قوم ، فاستتابوه فتاب ، وقال : إنه قد رجع عما يقرؤه ، وإنه

لا يقرأ إلا بمصحف عثمان بن عفان ، رضى الله عنه ! وبالقراءة المتعارفة التي يقرأ بها الناس ، فكتب عليه الوزير محضراً بما قاله ، وأمره أن يكتب خطه في آخره ، فكتب ما يدل على توبته .

ونسخة المحضر : « سئل محمد بن أحمد المعروف بابن شنبوذ عما حكى عنه أنه يقرؤه ، وهو (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله) فاعترف به ، وعن (وتجمعون شكركم أنكم تكذبون) فاعترف به ، وعن (تبت يدا أبي لهب وقد تب) فاعترف به ، وعن (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) فاعترف به ، وعن (كالصوف المنفوش) فاعترف به ، وعن (فالיום ننجيك بندائك) فاعترف به ، وعن (فلما خر تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين) فاعترف به ، وعن (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى) فاعترف به ، وعن (فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً) فاعترف به ، وعن (ولتكن منكم فئة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم أولئك هم المفلحون) فاعترف به ، وعن (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) فاعترف به ، وكتب الشهود الحاضرون شهاداتهم في المحضر حسبما سمعوه من لفظه .

وكتب ابن شنبوذ بخطه ما صورته « يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ : ما في هذه الرقعة صحيح ، وهو قولي واعتقادي ، وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر على نفسي بذلك ، وكتب بخطه ، فحقى خالفت ذلك أو بان مني غيره ، فأعير المؤمنين في حل من دمي وسعة ، وذلك يوم الأحد لسمع خلون من شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة في مجلس الوزير أبي على محمد بن علي بن مقلة أدام الله توفيقه .

وكلّم أبوأيوب السمسار الوزير أبا علي في أمره ، وسأله في إطلاقه ، وعرفه أنه إن صار إلى منزله قتلته العامة ، وسأله أن ينفذه في الليل سرّاً إلى المدائن ليقم بها أياماً ، ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفياً ، ولا يظهر بها أياماً ، فأجاب الوزير إلى ذلك ، وأنفذه إلى المدائن

وتوفى يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ببغداد وقيل : إنه توفى في محبسه بدار السلطان ، رحمه الله تعالى !

وتوفى أبو بكر بن مجاهد المذكور يوم الأربعاء عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة أربع وعشرين وثلثمائة ، ودفن في تربة له بسوق العطر ، وكان مولده سنة خمس وأربعين ومائتين ، رحمه الله تعالى !

وشنبوذ : بفتح الشين المعجمة والنون ، وضم الباء الموحدة ، وسكون الواو ، وبعدها ذال معجمة .

(٦٠١)

أبو العباس محمد بن صباح ، مولى بني عجل ، المعروف بابن السكّ
القاص ، الكوفي ، الزاهد المشهور

أبو العباس
محمد بن صباح
(ابن السكّ)
القاص

كان زاهداً عابداً ، حسن الكلام ، صاحب مواظ ، جمع كلامه وحفظ ، ولقي جماعة من الصدر الأول ، وأخذ عنهم : مثل هشام بن عروة والأعمش وغيرهما ، وروى عنه أحمد بن حنبل وأنظاره ، وهو كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بهامدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها . ومن كلامه : خَفَّ اللهُ كَأَنَّكَ لَمْ تَطْعَمْهُ ، وَارْجُ اللهُ كَأَنَّكَ لَمْ تَعْصِهِ ، وكان هارون الرشيد قد حلف أنه من أهل الجنة ، فاستفتى العلماء فلم يفتوه أحد بأنه من أهلها

ف قيل له عن ابن السماك المذكور ، فاستحضره ، وسأله ، فقال له : هل قدراً أمير المؤمنين على معصية فتركها خوفاً من الله تعالى ؟ فقال : نعم ، كان لبعض أزامي جارية فهوريتها وأنا إذ ذاك شاب ، ثم إنني ظفرت بها مرة ، وعزمت على ارتكاب الفاحشة معها ، ثم إنني فكرت في النار وهولها وأن الزنا من الكبائر ، فأشفقت من ذلك ، وكففت عن الجارية مخافة من الله تعالى ، فقال له ابن السماك : أبشر يا أمير المؤمنين فانك من أهل الجنة ، فقال هرون : ومن أين لك هذا ؟ فقال : من قوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى) فسر هرون بذلك ، ودخل على بعض الرؤساء يشفع إليه في رجل فقال له : إنني أتيتك في حاجة ، وإن الطالب والمطلوب منه عزيزان إن قضيت الحاجة ذليلان إن لم تقضها ، فاختر لنفسك عز البذل على ذل المنع ، واختلني عز النجح على ذل الرد ، ف قضى حاجته ، ومن كلامه : من جرعته الدنيا حلاوتها بيميله إليها جرعته الآخرة مرارتها بتجافيتها عنه ، وتكلم يوماً وجاريته تسمع كلامه ، فقال لها : كيف سمعت كلامي ؟ فقالت : هو حسن ، لولا أنك تردده ، فقال : أردده كي يفهمه من لم يفهمه ، فقالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه يمله من فهمه ، وأخباره ومواعظه كثيرة . وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة ، بالكوفة ، رحمه الله تعالى !

والسماك — بفتح السين المهملة ، والميم المشددة ، وبعد الألف كاف — هذه النسبة إلى بيع السمك وصيدته .

(٦٠٢)

أبو طالب محمد بن علي بن عطية ، الحارثي ، الواعظ ، المسكي ،
صاحب كتاب « قوت القلوب »

أبو طالب محمد
ابن علي الحارثي
المسكي الواعظ

كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة ، ويتكلم في الجامع ، وله مصنفات في التوحيد ، ولم يكن من أهل مكة ، وإنما كان من أهل الجبل ، وسكن مكة ففسب إليها ، وكان يستعمل الرياضة كثيراً ، حتى قيل : إنه هجر الطعام زماناً ، واقتصر على أكل الحشائش المباحة ، فاخضر جلده من كثرة تناولها ، ولقي جماعة من المشايخ في الحديث وعلم الطريقة وأخذ عنهم ، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن ابن سالم فانتفى إلى مقالته ، وقدم بغداد فوعظ الناس فخلط في كلامه فتركوه وهجروه ، وقال محمد بن طاهر المقدسي في كتاب « الأنساب » : إن أبا طالب المسكي المذكور لما دخل بغداد واجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ خلط في كلامه ، وحفظ عنه أنه قال : ليس على المخلوقين أضرار من الخالق ، فبدَّعه الناس وهجروه ، وامتنع من الكلام بعد ذلك ، وله كتب في التوحيد .

وتوفي لست خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ببغداد ، ودفن بمقبرة المالكية ، وقبره بالجانب الشرقي ، وهو مشهور هناك بزار ، رحمه الله تعالى !

والحارثي — بفتح الحاء المهملة ، وبعد الألف راء مكسورة ، ثم ثاء مثلثة — هذه النسبة إلى عدة قبائل منها الحارث ومنها الحارثة ، ولا أدري إلى أيها ينسب أبو طالب المذكور من هذه القبائل .

والمسكي : نسبة إلى مكة ، حرسها الله تعالى !

(٦٠٣)

أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن إسماعيل ، الواعظ
البغدادى ، المعروف بابن سمعون

أبو الحسين
محمد بن أحمد
(ابن سمعون)
البغدادى
الواعظ

كان وحيد دهره فى الكلام على الخواطر ، وحسن الوعظ ، وحلاوة الإشارة
ولطف العبارة ، وأدرك جماعة من جلة المشايخ ، وروى عنهم : منهم الشيخ أبو بكر
الشبلى وأنظاره ، ومن كلامه ما رواه صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد المقدم
ذكره قال : سمعت ابن سمعون يوما - وهو على الكرسي فى مجلس وعظه - يقول :
سبحان من أنطق باللحم ، وبصر بالشحم ، وأسمع بالعظم ، إشارة إلى اللسان
والعين والأذن ، وهذه من لطائف الإشارات ، ومن كلامه أيضا : رأيت المعاصي
ندالة ، فتركتها مروءة فاستحالت ديانة ، وله كل معنى لطيف ، وكان لأهل العراق
فيه اعتقاد كثير ، ولهم به غرام شديد ، وإياه عنى الحريرى صاحب المقامات فى
المقامة الحادية والعشرين وهى الرازية بقوله فى أوائلها « رأيت بها ذات بكرة ،
زمررة أثر زمررة ، وهم منتشرون انتشار الجراد ، ومُسْتَنُون استنن الجياد ، ومتواصفون
واعظا يقصدونه ، ويَحِلُّون ابن سمعون دونه » ولم يأت بعده فى الوعظ مثله
وتوفى فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وثلثمائة ، وقيل : بل توفى يوم الجمعة
منتصف ذى القعدة من السنة المذكورة ببغداد ، ودفن فى داره بشارع العنابيين (١) ،
ثم نقل يوم الخميس حادى عشر رجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ، ودفن بباب
حرب ، وقيل : إن أ كفانه لم تكن بليت بعد ، رحمه الله تعالى !

وسمعون - بفتح السين المهملة وسكون الميم ، وضم العين المهملة ، وسكون الواو
وبعدها نون - قيل : إن جده إسماعيل غير اسمه فقليل : سمعون

وعنبس - بفتح العين المهملة ، وسكون النون ، وفتح الباء الموحدة ، وبعدها سين

(١) فى ١ « بشارع العنابيين »

مهملة — وهو في الأصل اسم الأسد وبه سمي الرجل وهو فَنَعَلَ من العبوس ،
والنون زائدة .

(٦٠٤)

أبو عبد الله محمد
ابن أحمد
القرشي الهاشمي
الزاهد

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم ، القرشي ، الهاشمي ، العبد الزاهد الصالح
من أهل الجزيرة الخضراء
كانت له كرامات ظاهرة ، ورأيت أهل مصر يحكون عنه أشياء خارقة ،
ورأيت جماعة ممن صحبه ، وكل منهم قد نما عليه من بركته ، وذكروا عنه أنه
وعد جماعته الذين صحبوه مواعيد من الولايات والمناصب العلمية ، وأنها صحت
كلها ، وكان من السادات الأكابر ، والطرار الأول ، وهو مغربي ، وصحب بالمغرب
أعلام الزهاد ، وانتفع بهم ، فلما وصل إلى مصر انتفع به من صحبه أو شاهده ، ثم
سافر إلى الشام قاصداً زيارة البيت المقدس فأقام به إلى أن مات في السادس من
ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسة ، وصلى عليه بالمسجد الأقصى ، وهو ابن
خمس وخمسين سنة ، رحمه الله تعالى ! وقبره ظاهر يقصد للزيارة والتبرك به .
والجزيرة الخضراء في بر الأندلس : مدينة قبالة سبتة من بر العدو .

ومن جملة وصاياه لأصحابه : سيروا إلى الله تعالى عرجاً ومكاسير فان انتظار
الصحة بطلاة

(١) قال ياقوت : « الجزيرة الخضراء : مدينة مشهورة بالأندلس ، وقبالتها
من بر بلاد البربر سبتة ، وأعمالها متصلة بأعمال شنونة ، وهي شرق شنونة وقبلى
قرطبة ، ومدينتها من أشرف المدن وأطيبها أرضاً ، وسورها يضرب به ماء البحر ،
ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر ، لكنها متصلة ببر الأندلس لاحتلال من
الماء دونها » اهـ

(٦٠٥)

أبو عبد الله محمد بن زياد ، المعروف بابن الأعرابي ، الكوفي

أبو عبد الله محمد

ابن زياد (ابن

الأعرابي)

الكوفي

اللغوي

صاحب اللغة ، وهو من موالى بنى هاشم ، فانه من موالى العباس بن محمد
ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ! وكان أبوه زياد^(١)
عبدًا سنديا ، وقيل : إنه من موالى بنى شيبان ، وقيل غير ذلك ، والأول أصح ،
وكان أحول ، راوية لأشعار القبائل ، ناسبًا ، وكان أحد العالمين باللغة المشهورين
بمعرفتها ، يقال : لم يكن فى الكوفيين أشبه برواية البصريين منه ، وهو ربيبُ
المفضل بن محمد الضبي صاحب المفضليات ، كانت أمه تحته ، وأخذ الأدب عن
أبي معاوية الضرير والمفضل الضبي والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله
ابن مسعود الذى ولاه المهدي القضاء والكسائي ، وأخذ عنه إبراهيم الحربى
وأبو العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم ، وناقش العلماء ، واستدرك عليهم ،
وخطأ كثيرا من نقلة اللغة ، وكان رأسا فى الكلام الغريب ، وكان يزعم أن
أبا عبيدة والأصمعى لا يحسنان شيئا ، وكان يقول : جائز فى كلام العرب أن
يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطئ من يجعل هذه فى موضع هذه ، وينشد
[من الطويل] :

إلى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لى غائض
بالضاد ، ويقول : هكذا سمعته من فصحاء العرب ، وكان يحضر مجلسه
خلق كثير من المستفيدين ، ولى عليهم ، قال أبو العباس ثعلب : شاهدت
مجلس ابن الأعرابي ، وكان يحضره زهاء مائة إنسان ، وكان يسأل ويقرأ عليه
فيجيب من غير كتاب ، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتابا قط ، ولقد
أملى على الناس ما يحمل على أجمال ، ولم ير أحد فى علم الشعر أغزر منه ، ورأى
فى مجلسه يوما رجلين يتحدان ، فقال لأحدهما : من أين أنت ؟ فقال : من

(١) فى ١ « وكان أبو زياد »

إسديجاب ، وقال للآخر : من أين أنت ؟ فقال : من الأندلس ، فعجب من ذلك وأنشد [من الطويل] :

رفيقان شقى ألفَ الدهرُ بيننا وقد يلتقى الشَّتَى فيأتلفان

ثم أملى على من حضر مجلسه بقية الآيات ، وهى :

نزلنا على قيسية يمنية لها نسبٌ فى الصالحين هجان

فقلت وأرخت جانب الستر بيننا :

لأية أرض أم من الرجال

فقلت لها : أما رفيقى فقومه تميم ، وأما أسرتى فيهمى

رفيقان شقى ألفَ الدهرُ بيننا

وقد يلتقى الشَّتَى فيأتلفان

ومن أماليه ما رواه أبو العباس ثعلب قال : أنشدنا ابن الأعرابى محمد بن زياد المذكور [من الطويل] :

سقى الله حياً دون بطنان دارهم وبورك فى مُردٍ هناك وشيب

وإنى وإياهم على بُعد دارهم كخمر بماء فى الزجاج مشوب

ومن تصانيفه كتاب « النوادر » وهو كبير ، وكتاب « الأنواء » وكتاب « صفة النخل » وكتاب « صفة الزرع » وكتاب « النبات » وكتاب « الخيل » وكتاب « تاريخ القبائل » وكتاب « معانى الشعر » وكتاب « تفسير الأمثال » وكتاب « الألفاظ » وكتاب « نسب الخيل » وكتاب « نوادر الزيريين » وكتاب « نوادر بنى فقعس » وكتاب « الذباب » وغير ذلك ، وأخباره ونوادره وأماليه كثيرة .

وقال ثعلب : سمعت ابن الأعرابى يقول : ولدت فى الليلة التى مات فيها الإمام أبو حنيفة ، وذلك فى رجب سنة خمسين ومائة على الصحيح .

وتوفى لأربع عشرة ليلة خلت من شعبان ، وقال الطبرى فى تاريخه : توفى

يوم الأربعاء ثالث عشر الشهر المذكور سنة إحدى وثلاثين ومائتين بسر من رأى ،
وقيل : سنة ثلاثين ومائتين ، والأول أصح ، وصلى عليه القاضي أحمد بن أبي دواد
الإيادي المتقدم ذكره .

والأعرابي - بفتح الهمزة ، وسكون العين المهملة ، وفتح الراء ، وبعد الألف
باء موحدة - هذه النسبة إلى الأعراب ، قال أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني
المعروف بالعريزي في كتابه الذي فسر فيه غريب القرآن الكريم : يقال « رجل
أعجم وأعجمي أيضاً » إذا كان في لسانه عجمة ، وإن كان من العرب ، و« رجل
عجمي » منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً ، و« رجل أعرابي » إذا كان
بدوياً وإن لم يكن من العرب ، و« رجل عربي » منسوب إلى العرب وإن لم
يكن بدوياً .

وإسديجاب - بكسر الهمزة ، وسكون السين المهملة ، وكسر الباء الموحدة ،
وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح الجيم ، وبعد الألف باء موحدة - وهي
مدينة من أقصى بلاد الشرق ، وأظنها من إقليم الصين أو قريبة منه .
وَبُطْنَان - بضم الباء الموحدة ، وسكون الطاء المهملة ، وبين النونين ألف -
وهو جمع بطن ، وهو الغمامض من الأرض .

* *

(١) هذه الكلمة لا توجد في (٢) (٣) من هذا إلى نهاية السطر الرابع من ص ٤٣٨ سابقة من

(٦٠٦)

أبو النصر محمد بن السائب بن بشر ، وقيل : مبشر ، بن عمرو ، الكلابي ، وقال
محمد بن سعد : هو محمد بن السائب الكلابي بن بشر بن عمرو بن الحارث بن
عبد الحارث بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن
عامر بن عبدون بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد بن عبد

أبو النصر محمد
ابن السائب
الكلابي النسابة
الكوفي

اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب ، ثم كشفت كتاب

النسب لهشام بن الكلابي فساق نسبهم على هذه الصورة

إلا أنه أسقط منه «عبد الحارث» فقط ، والباقي

صحيح ، الكوفي ، صاحب التفسير وعلم النسب

كان إماما في هذين العلمين ، حكى ابنه هشام ^(١) عنه قال : دخلت على ضرار
ابن عطار بن حاجب بن زرارة التيمي بالكوفة ، وإذا عنده رجل كأنه جرد
يتمرغ في الحر ، وهو الفرزدق الشاعر ، فغمزني ضرار ، وقال : سلّه ممن أنت ،
فسألته ، فقال : إن كنت نسابا فانسبني ، فأنى من بني تميم ، فابتدأت أنسب
تيميا حتى بلغت إلى غالب ، وهو والد الفرزدق ، فقلت : وولد غالب هماما - وهو
اسم الفرزدق ، كما سيأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى - فاستوى الفرزدق جالسا ،
وقال : والله ما سماني به أبواي ولا ساعة من النهار ، فقلت : والله إنى لأعرف
اليوم الذي سمأك فيه أبوك الفرزدق ، فقال : وأى يوم ؟ فقلت : بعثك في حاجة
فخرجت تمشي وعليك مستقة ، فقال : والله كأنك فرزدق ، دهقان قرية قد سماها
بالجبل ، فقال : صدقت والله ، ثم قال : أتروى شيئا من شعري ؟ فقلت : لا ،
ولسكن أروى جرير مائة قصيدة ، فقال : تروى لابن المراغة ولا تروى لى ؟ والله
لأهجون كلبا سنة أو تروى لى كما رويت جرير ، فجعلت أخلف إليه أقرأ عليه
النقائض خوفا منه ، وما لى في شيء منها حاجة .

(١) في «حكى ولده هشام»

قلت : المستقة - بضم الميم ، وسكون السين المهملة ، وضم التاء المثناة من فوقها - الفروة الطويلة السكم ، والجمع مساتق [لفظة فارسية] ^(١) وفيها لغة أخرى بفتح التاء ، وروى عن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يصلى وعليه مستقة ، وروى عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها فكأنى أنظر إلى يديه قد بدتا ، ثم بعث بها إلى جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : ابعث بها إلى أخيك النجاشي ، وقال النضر بن شميل : المستقة : الجبة الواسعة .

وكان [ابن] ^(٢) الكلبي المذكور من أصحاب عبد الله بن سبأ الذي كان يقول : إن علي بن أبي طالب رضى الله عنه لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ، وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق ، وكانا يقولان : حدثنا أبو النصر حتى لا يعرف ، وشهد الكلبي المذكور دير الجماجم مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي ، وشهد جده بشر وبنوه السائب وعبيد وعبد الرحمن وقعة الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، وقتل السائب مع مصعب بن الزبير ، وفيه يقول ابن ورقاء النخعي [من الطويل] :

فمن مبلغ عن عبيدأ بأنى علوت أخاه بالحسام المهند
فان كنت تبغى العلم عنه فانه مقيم لدى الديرين غير مؤسد
وعمدأ علوت الرأس منه بصارم فأنكاته سفيان بعد محمد
سفيان ومحمد ابنا السائب .

^(٣) [وذكر هشام بن الكلبي المذكور في كتاب جمهرة النسب أن جدهم عبد العزى كان جميلاً شريفاً ، وقد وفد على بعض بني جفنة بأفراس فقبلها وأعجبه حديثه ، وكان يسامرهم ، فقتلت بنو كنانة ابناله ، فقال لعبد العزى : انتفى بهم فقال : إنهم قوم أحرار ليس لى عليهم فضل ، وكتب إلى قومه ينذرهم ، فقال

(١) هذه الكلمة لا توجد في (٢) كلمة « ابن » ساقطة من ب

(٣) من هذا إلى نهاية السطر الرابع من ص ٤٣٨ ساقطة من ا

في شعر له طويل [من السكامل] :
 جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء سينمّار وما كان ذا ذنب
 وسما هو الذي بنى الخورنق على باب الحيرة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة فألقاه
 من أعلاه فقتله ، وقصته طويلة مشهورة فلا حاجة إلى ذكرها^(١) .
 وتوفي محمد [بن]^(٢) السكبي المذكور سنة ست وأربعين ومائة ، بالكوفة ،
 رحمه الله تعالى ! .

وسياتي ذكر ولده أبي المنذر هشام النسابة في حرف الهاء ، إن شاء الله تعالى .

والسكبي - بفتح الكاف ، وسكون اللام ، وبعدها باء موحدة -
 هذه النسبة إلى كلب بن وبرة ، وهي قبيلة كبيرة من قضاعة ، ينسب إليها
 خلق كثير .

[والمُسْتَمْتَةُ : لفظة فارسية معربة]^(٣)

(١) إلى هنا ينتهي الساقط من المتن

(٢) كلمة « ابن » لا توجد في ب هنا أيضا

(٣) هذه العبارة لا توجد هنا في ب وانظر ص ٤٣٧

(٦٠٧)

أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد ، النحوى ، اللغوى ، البصرى ،
 مولى سالم بن زياد ، المعروف بقطرب
 أخذ الأدب عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين ، وكان حريصاً
 على الاشتغال والتعلم ، وكان يكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة ،
 فقال له يوماً : ما أنت إلا قطرب ليل ، فبقى عليه هذا اللقب ، وقطرب : اسم
 دويبة لا تزال تدب ولا تفتقر ، وهو ^(١) بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء
 وبعدها باء موحدة .
 وكان من أئمة عصره .

وله من التصانيف كتاب « معانى القرآن » وكتاب « الاشتقاق » وكتاب
 « القوافى » وكتاب « النوادر » وكتاب « الأزمنة » وكتاب « الفرق » وكتاب
 « الأصوات » وكتاب « الصفات » وكتاب « العلل » فى النحو ، وكتاب
 « الأضداد » وكتاب « خلق الفرس » وكتاب « خلق الإنسان » وكتاب
 « غريب الحديث » وكتاب « الهمة » و « فعل وأفعل » و « الرد على الملحدين فى
 تشابه القرآن » وغير ذلك ، وهو أول من وضع المثلث فى اللغة ، وكتابه وإن كان
 صغيراً لكن له فضيلة سبق ، وبه اقتدى أبو محمد عبد الله بن السيد المظلموسى
 المقدم ذكره وكتابه كبير ، ورأيت مثلاً آخر لشخص آخر تبريزى ، وليس هو
 الخطيب أبا زكريا التبريزى الآتى ذكره إن شاء الله تعالى ، بل غيره ، ولا
 أستحضر الآن اسمه ، وهو كبير أيضاً وما أقصر فيه ، وما نهج لهم الطريق إلا
 قطرب المذكور ، وكان قطرب معلم أولاد أبى دلف العجلي المقدم ذكره ، وروى
 له ابن المنجم فى كتاب البارع بيتين وهما [من البسيط] :

إن كنت لست معى فالذكر منك معى

يراك قلبى إذا ما غبت عن بصرى

(١) فى « وقطرب بضم القاف - إلخ »

(٦٠٨)

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليمان بن سعد
ابن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن
عوف بن أسلم ، وهو ثمالة ، بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب
ابن عبد الله بن مالك بن النضر بن الأسد بن الغوث ، وقال
ابن السكبي : عوف بن أسلم هو ثمالة ، والأسد هو (١)
الأزد ، الثمالي ، الأزدي ، البصري ، المعروف

بالمبرد ، النحوي

نزل بغداد ، وكان إماماً في النحو واللغة ، وله التواليف النافعة في الأدب : منها
كتاب « السكامل » ومنها « الروضة » و « المقتضب » وغير ذلك ، أخذ الأدب
عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني ، وقد تقدم ذكرهما ، وأخذ عنه
نفظويه ، وقد تقدم ذكره ، وغيره من الأئمة ، وكان المبرد المذکور وأبو العباس أحمد
ابن يحيى الملقب بشعلب صاحب كتاب الفصيح عالمين متعارضين قد ختم بهما
تاريخ الأدباء ، وفيهما يقول بعض أهل عصرهما من جملة أبيات ، وهو أبو بكر
ابن أبي الأزهر [من المتقارب] :

أيا طالب العلم لا تجهلكن وعند بالمبرد أو ثعلب
تجد عند هذين علم الوري فلا تلك كالجلال الأجرب
علوم الخلائق مقرونة بهذين في الشرق والمغرب

وكان المبرد يحب الاجتماع في المناظرة بشعلب والاستكثار منه ، وكان ثعلب
يكره ذلك ويمتنع منه ، وحكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الفقيه الموصلي
وكان صديقهما ، قال : قلت لأبي عبد الله الدينوري ختن ثعلب : لم يأبى ثعلب

(١) وقع في ا ، ب « والأسد هو الأزدي » ولا داعي لئاء النسبة ، والغرض
أنه يقال بالزاي وبالسین ، والحرفان يتقارضان .

ثعلب الاجتماع بالمبرد؟ فقال: لأن المبرد حسن العبارة، حلوا الإشارة، فصيح اللسان،
ظاهر البيان، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فاذا اجتمعوا في محفل حكم للمبرد
على الظاهر إلى أن يعرف الباطن!

وكان المبرد كثير الأملى، حسن النوار، فما أملاه أن المنصور أبا جعفر
ولى رجلا على العميان والأيتام والقواعد من النساء اللواتى لأزواج هن، فدخل
على هذا المتولى بعض المتخلفين ومعه ولده، فقال: إن رأيت أصلحك الله
أن تثبت اسمي مع القواعد، فقال له المتولى: القواعد نساء فكيف أثبتك فيهن؟
فقال: ففى العميان؟ فقال: أما هذا فنعم، فان الله تعالى يقول (لا تعمى الأبصار
ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) فقال: وثبتت ولدى فى الأيتام، فقال:
هذا أفعله أيضا، فانه من يكن أباه فهو يتيم، فانصرف عنه وقد أثبتته فى
العميان وولده فى الأيتام.

وطلب بعض الأكاير معلما من المبرد لولده، فبعث شخصا وكتب معه:
قد بعثت به وأنا أتمثل فيه [من الوافر]:

إذا زرتُ الملوكَ فان حسبي شفيعا عندهم أن يخبروني
ومعنى هذا البيت مأخوذ من كلام أحمد بن يوسف كاتب المأمون وقد
أهدى إليه ثوب وشئ فى يوم نيروز: قد أهديت إلى أمير المؤمنين ثوب وشئ
يصف نفسه، والسلام.

وكنيت رأيت المبرد المذكور فى المنام وجرى لى معه قصة عجيبة أحببت
ذكرها، وذلك أنى كنت بالإسكندرية فى [بعض] شهور سنة ست وثلاثين وستمائة
وأقمت بها خمسة أشهر، وكان عندى كتاب «الكامل» للمبرد، وكتاب
«العقد» لابن عبد ربه، وأنا أطلع فيهما، فرأيت فى العقد فى فصل ترجمه
بقوله «ما غلط فيه على الشعراء» وذكر أبياتا نسبوا أصحابها فيها إلى الغلط
وهى صحيحة، وإنما وقع الغلط ممن استدرك عليهم اعدم اطلاعهم على حقيقة

الامر فيها ، ومن جملة من ذكر المبرد فقال : ومثله قول محمد بن يزيد النحوى فى كتاب الروضة وردَّ على الحسن بن هانئ — يعنى أبا نواس — فى قوله [من التّقارب] :

وما لبكر بن وائل عصم إلا بحمقائها وكاذبها
 فزعم أنه أراد بحمقائها هَبْنَقَةُ القيسى ، ولا يقال فى الرجل حمقاء ، وإنما أراد
 دُغَّةَ العجلىة ، وعجل فى بكر ، وبها يضرب المثل فى الحق ، هذا كله كلام صاحب
 العقد ، وغرضه أن المبرد نسب أبا نواس إلى الغلط بكونه قال « بحمقائها »
 واعتقد أنه أراد هَبْنَقَةَ ، وهبنقة رجل ، والرجل لا يقال له حمقاء ، بل يقال له
 أحمق ، وأبو نواس إنما أراد دُغَّةَ وهى امرأة ، فالغلط حينئذ من المبرد ، لا من
 أبى نواس ، فلما كان بعد ليال قلائل من وقوفى على هذه الفائدة رأيت فى المنام
 كأنى بمدينة حلب فى مدرسة القاضى بهاء الدين المعروف بابن شداد ، وفيها كان
 اشتغالى بالعلم ، وكأننا قد صلينا الظهر فى الموضع الذى جرت العادة بالصلاة فيه
 جماعةً ، فلما فرغنا من الصلاة قمت لأخرج ، فرأيت فى أُخْرِيَّاتِ الموضع شخصاً
 واقفاً يصلى ، فقال لى بعض الحاضرين : هذا أبو العباس المبرد ، فجمت إليه
 وقعدت إلى جانبه أنتظر فراغه ، فلما فرغ سلمت عليه ، وقالت له : أنا فى هذا الزمان
 أطالع فى كتابك « السكامل » فقال لى : رأيت كتابى « الروضة » ؟ فقلت :
 لا ، وما كنت رأيت قبل ذلك ، فقال : قم حتى أريك إياه ، فقممت معه وصعدنى
 إلى بيته ، فدخلنا فيه ، ورأيت فيه كتباً كثيرة ، فقدم قدامها يفتش عليه ،
 وقعدت أنا ناحية عنه ، فأخرج منه مجلداً ودفعه إلى ، ففتحته وتركته فى حجرى
 ثم قلت له : قد أخذوا عليك فيه ، فقال : أى شئ أخذوا [على] ؟ فقلت : إنك
 نسبت أبا نواس إلى الغلط فى البيت الفلانى ، وأنشدته [إياه] فقال : نعم ، غلط فى
 هذا ، فقلت له : إنه لم يغلط ، بل هو على الصواب ، ونسبوك أنت إلى الغلط
 فى تغليطه ، فقال : وكيف هذا ؟ فعرفته ما قاله صاحب العقد ، فعض على رأس

سبأته ، وبقى ساهيا ينظر إلى وهو في صورة خجلان ، ولم ينطق ،
ثم استيقظت من منامى وهو على تلك الحال ، ولم أذكر هذا المنام إلا
لغرابته .

وكانت ولادة المبرد يوم الاثنين عيد الأضحى سنة عشر ومائتين ، وقيل :
سنة سبع ومائتين .

وتوفي يوم الاثنين ليلتين بقيتا من ذى الحجة ، وقيل : ذى القعدة ، سنة
ست وثمانين ، وقيل : خمس وثمانين ومائتين ، ببغداد ، ودفن في مقابر باب
الكوفة في دار اشتريت له ، وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ،
رحمه الله تعالى !

ولما مات نظم فيه وفي ثعلب أبو بكر الحسن بن علي المعروف بابن العلاف
المقدم ذكره أبياتاً سائرة ، وكان ابن الجواليقي كثيراً ما ينشدها ، وهي [من
الكامل] :

ذهب المبرد وانقضت أيامه	وليدَهَبَنَّ إثر المبرد ثعلبُ
بيت من الآداب أصبح نصفه	خر باً وباقى بيتها فسيخرِب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا	للدهر أنفسكم على ما يسلب
وتزودوا من ثعلب فبكأس ما	شرب المبرد عن قريب يشرب
وأرى لكم أن تسكتبوا أنفاسه	إن كانتِ الأنفاسُ مما يكتب

وقريب من هذه الأبيات ما أنشده أبو عبد الله الحسين بن علي اللغوى
البصرى النمرى لما مات أبو عبد الله محمد بن المعلّى الأزدي ، وكان بينهما تنافس
وهي [من الوافر] :

مضى الأزدي والنمرى يمضى	وبعض السكل مقرون ببعض
أخى والمجتنى ثمرات ودى	وإن لم يجزنى قرضى وفرضى

وكانت بيننا أبداً هَنَاتٌ توفر عرضه منها وعرضى
وما هانت رجال الأزدي وإن لم تدن أرضهم بأرضى
والثمالى : بضم الثاء المشددة ، وفتح الميم ، وبعد الألف لام - هذه النسبة
إلى ثماله ، واسمه عوف بن أسلم ، وهو بطن من الأزدي ، قال المبرد فى كتاب
الاشتقاق : إنما سميت ثماله لأنهم شهدوا حرباً فنى فيها أكثرهم ، فقال الناس :
ما بقى منهم إلا ثماله ، والثماله : البقية اليسيرة ، وفى المبرديقول بعض شعراء عصره
وهجا قبيلته بسببه ، وذكر أبو على القالى فى كتاب الأمالى أنها لعبد الصمد
ابن المعذل [من الوافر] :

سألنا عن ثماله كل حى فقال القائلون : ومن ثماله؟^(١)
فقلت : محمد بن يزيد منهم فقالوا : زدتنا بهم جهاله
فقال لى المبرد : خلّ عنى فقومى معشر فيهم نذاله
ويقال : إن هذه الأبيات للمبرد ، وكان يشتهى أن يشتهر بهذه القبيلة ،
فصنع هذه الأبيات ، فشاعت ، وحصل له مقصوده من الاشتهار ، وكان كثيراً ما
ينشد فى مجالسه [من البسيط] :

يا من تلبس أثواباً يتيه بها تيه الملوك على بعض المساكين
ما غير الجلل أخلاق الحير ، ولا نقش البراذع أخلاق البراذين
والمبرد : بضم الميم ، وفتح الباء الموحدة والراء المشددة ، وبعدها دال مهملة -
وهو لقب عرف به ، واختلف العلماء فى سبب تلقيبه بذلك ، فالذى ذكره الحافظ
أبو الفرج بن الجوزى فى كتاب « الألقاب » أنه قال : سئل المبرد : لم لقبت بهذا
اللقب ؟ فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبنى للمنادمة والمذاكرة ،
فكرهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبى حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالى
يطلبنى ، فقال لى أبو حاتم : ادخل فى هذا ، يعنى غلاف مزمله فارغا ، فدخلت فيه

(١) فى ١ « وما ثماله » وما أئبتناه عن ب هو المحفوظ

وغطى رأسه ، ثم خرج إلى الرسول وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرت أنه دخل إليك ، فقال : ادخل الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ، ولم يفتن لئلاف المزملة ، ثم خرج فجعل أبوحاتم يصفق وينادي على المزملة : المبرد المبرد ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به ، وقيل : إن الذي لقبه بهذا اللقب شيخه أبو عثمان المازني ، وقيل غير ذلك .

وهبتة ... بفتح الهاء والباء الموحدة ، والنون المشددة والقاف ، وبعدها هاء ساكنة - وهو لقب أبي الودعات يزيد بن ثروان القيسي ، وقيل : كنيته أبو نافع ، وبه يضرب المثل في الحق ، فيقال « أحق من هبتة القيسي » لأنه كان قد شرد له بعير ، فقال : من جاء به فله بعيران ، فقيل له : أتجعل في بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون حلاوة الوجدان ، فنسب إلى الحق لهذا السبب ، وسارت به الأشعار ، فمن ذلك قول أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، في شذبة بن الوليد العبسي عم دقاقة ، من جملة أبيات [من المتقارب] .

عش بجدي ولا يضرك نوك
رُبّ ذي إربة مقلّ من الما ل وذى عنجهية مجدود
عش بجدي وكن هبتة القيسي أو مثل شذبة بن الوليد
وسبب نظم اليزيدي هذه الأبيات أنه تناظر هو والكسائي في مجلس المهدي ، وكان شذبة بن الوليد حاضراً ، فتعصب للكسائي وتحامل على اليزيدي ، فجهجاه في عدة مقاطيع هذا المقطوع من جملتها .

ودُغّة - بضم الدال المهملة ، وفتح الغين المعجمة ، وبعدها هاء ساكنة - واسمها مارية بنت مغنّج ، بفتح الميم وسكون الغين المعجمة ، وفتح النون وبعدها جيم ، وقيل : معنّج بكسر الميم وسكون العين المهملة ، وباقيه مثل الأول ، وهو

لقب — واسمه ربيعة بن سعد بن عجل بن لجيم ، وهي التي يضرب بها المثل في
الحق ، فيقال « أحق من دُغَة » وذكر ابن السكلي في كتاب جمهرة النسب
غير هذا ، فقال في نسب بني العنبر : فولدَ جندبُ بن العنبر عديا وكعباً وعويجاً
أهمهم مارية بنت ربيعة بن سعد بن عجل ، ويقال : بل هي دُغَة بنت مغنيج بن
إياد ، فجعل مارية غير دُغَة ، والله أعلم ، وإنما نسبت إلى الحق لأنها ولدت
فصاح المولود ، فقالت لامرأة : أيفتح الجعر فاه ؟ فقالت المرأة : نعم ويسب
أباه ، فسارت مثلاً ، والأصل في الجعر أنه روثُ كل ذى مخلب من السباع ،
وقد يستعمل في غيرها بطريق التجوز ، ودُغَة لجهلها لما ولدت ظنت أنه قد خرج
منها المعتاد ، فلما استهل المولود عجبت من ذلك وسألت عنه ، فهذا كان سبب
نسبتها إلى الحق .

وكانت متزوجة في بني العنبر بن عمرو بن تميم ، فبنو العنبر يدعون لذلك
بني الجعرَاء .

وهذا كله وإن كان خارجاً عن المقصود ، وليكنها فوائد غريبة فأحببت
ذكرها .

(٦٠٩)

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتبة بن حنم بن حسن بن حماني بن جرو
ابن واسع بن وهب بن سلمة بن حاضر بن أسد بن عدى بن عمرو بن مالك
ابن فهم بن غاثم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب
ابن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد
ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ
ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ، الأزدى ، اللغوى
البصرى

إمام عصره فى اللغة والأدب والشعر النفاثى ، قال المسعودى فى كتاب
« مروج الذهب » فى حقه : وكان ابن دريد ببغداد ممن برع فى زماننا هذا فى
الشعر ، وانتهى فى اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء فى اللغة
لم توجد فى كتب المتقدمين ، وكان يذهب بالشعر كل مذهب ، فطوراً يُجزل %
وطوراً يرق ، وشعره أكثر من أن نحصىه أو نأتى على أكثره أو يأتى عليه
كتابتنا هذا ، فمن جيد شعره قصيدته المشهورة بالمقصورة التى يمدح بها الشاه ابن
ميكال وولديه ، وهما عبد الله بن محمد بن ميكال وولده أبو العباس إسماعيل بن
عبد الله ، ويقال : إنه أحاط فيها بأكثر المقصور ، وأولها ^(١) [من الرجز] :
إمّا ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض فى مسوده مثل اشتعال النار فى جزل الغضى
ثم قال المسعودى : وقد عارضه فى هذه القصيدة المعروفة جماعة من الشعراء
منهم أبو القاسم على بن محمد بن أبي الفهم الأنطاكى التنوخى ، وعدد جمعا ممن عارضها .

(١) ويقال : بل أولها قوله :

ياظبية أشبه شىء بالمها ترعى الخزاى بين أشجار النقا

ويقال : إن هذا البيت قد وضع من بعد ليتضح قوله « إمّا ترى » الذى جعله مطالعا

قلت أنا: وقد اعتنى بهذه المقصورة خلق من المتقدمين والمتأخرين ، وشرحوها وتكلموا على ألفاظها ، ومن أجود شروحيها^(١) وأبسطها شرح الفقيه أبي عبد الله محمد ابن أحمد بن هشام بن إبراهيم اللخمي السبكي ، وكان متأخراً ، وتوفى في حدود سنة سبعين وخمسمائة ، وشرحها الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر المعروف بالقرزاز صاحب كتاب «الجامع» في اللغة ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ، وشرحها غيرها أيضاً ولابن دريد من التصانيف المشهورة كتاب «الجمهرة» وهو من الكتب المعتمدة في اللغة ، وله كتاب «الاشتقاق» وكتاب «السرج واللجام» وكتاب «الخليل» الكبير، وكتاب «الخليل»، الصغير، وكتاب «الأنواء» وكتاب «المقتبس» وكتاب «الملاحن» وكتاب «زوار العرب»^(٢) وكتاب «اللغات» وكتاب «السلح» وكتاب «غريب القرآن» لم يكمله ، وكتاب «المجتبى» وهو مع صغر حجمه كثير الفائدة ، وكذلك «الوشاح» صغير مفيد .

وله نظم رائع جدا ، وكان من تقدم من العلماء يقول : ابن دريد أعلم الشعراء وأشعر العلماء ، ومن مليح شعره قوله [من الكامل] :

غرا ، لوجلت الخدود شعاعها	للشمس عند طلوعها لم تشرق
غُصْنٌ عَلَى دِعْصِي تَأَوَّدَ فَوْقَهُ	قَرَّ تَأَلَّقَ تَحْتَ لَيْلٍ مَطْبِقِ
لَوْ قِيلَ لِلْحُسْنِ احْتَكَمَ لَمْ يَعُدْهَا	أَوْ قِيلَ خَاطِبٌ غَيْرَهَا لَمْ يَنْطِقْ
وَكَا نُنَا مِنْ فِرْعَاسٍ فِي مَغْرَبٍ	وَكَا نُنَا فِي وَجْهِهَا فِي مَشْرِقِ
تَبْدُو فِيهِ تَهْفُ لِلْعَيُونِ ضِيَائُهَا	الْوَيْلُ حُلٌّ بِمَقْلَةٍ لَمْ تَطْبِقْ

ولولا خوف الإطالة لذكرت كثيراً من شعره .

وكانت ولادته بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، ونشأ بها ، وتعلم فيها ، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني والرياشي وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعي وأبي عثمان سعيد بن هرون الأشنانداني صاحب كتاب

(١) في ١ « ومن جملة شروحيها . . إلخ »

(٢) هكذا في كافة الأصول وفي بغية الوعاة .

« المعاني » وغيرهم ، ثم انتقل عن البصرة مع عمه الحسين عند ظهور الزنج وقتلهم
الرياشي كما سبق في ترجمته ، وسكن عمان ، وأقام بها اثنتي عشرة سنة ، ثم عاد إلى
البصرة وسكنها زماناً ، ثم خرج إلى نواحي فارس ، وصحب ابني ميكال ، وكانا
يوميئذ على عمالة فارس ، وعمل لهما كتاب « الجهرة » وقلداه ديوان فارس ، وكانت
تصدر كتب فارس عن رأيه ، ولا ينفذ أمر إلا بعد توقيعه ، فأفاد معهما أموالاً
عظيمة ، وكان مُفِيداً مُبِيداً لا يمسك درهما سخاء وكرماً ، ومدحهما بقصيدته
المقصودة فوصلاه بعشرة آلاف درهم ، ثم انتقل من فارس إلى بغداد ، ودخلها
سنة ثمان وثلثمائة بعد عزل ابني ميكال وانتقالهما إلى خراسان ، ولما وصل إلى بغداد
أنزله علي بن محمد بن الخواري في جواره ، وأفضل عليه ، وعرف الامام المقتدر
خبره ومكانه من العلم ، فأمر أن يُجَرَى عليه خمسون ديناراً في كل شهر ، ولم تزل
جارية عليه إلى حين وفاته

وكان واسع الرواية لم يُرَ أحفظ منه ، وكان يقرأ عليه دواوين العرب فيسابق
إلى إتمامها من حفظه ، وسئل عنه الدارقطني : أثقة هو أم لا ؟ فقال : تكلموا فيه ،
وقيل : إنه كان يتسامح في الرواية فيسند إلى كل واحد ما يخطر له ، وقال
أبو منصور الأزهري اللغوي : دخلت عليه فرأيتُه سكران ، فلم أعد إليه ، وقال
ابن شاهين : كنا ندخل عليه ونستحي مما نرى من العيدين المعلقة والشراب
المصفي ، وذكر أن سائلاً سأله شيئاً فلم يكن عنده غير دَنٍّ من نبيذ فوهبه له ،
فأنكر عليه أحد غلمانه ، وقال : تتصدق بالنبيذ ؟ فقال : لم يكن عندي شيء سواه
ثم أهدى له بعد ذلك عشرة دنان من النبيذ ، فقال لغلامه : أخرجنا دنا فجاءنا
عشرة ، وينسب إليه من هذه الأمور شيء كثير ، وعرضَ له في رأس التسعين
من عمره فالج سقى له الترياق فبرئ منه وصح ورجع إلى أفضل أحواله ، ولم ينكر
من نفسه شيئاً ورجع إلى إسماع تلامذته وإملائه عليهم ، ثم عاوده الفالج بعد حول
لغذاء ضار تناوله ، فكان يحرك يديه حركة ضعيفة ، وبطل من محزمه إلى قدميه

فكان إذا دخل عليه الداخل ضج وتألّم لدخوله وإن لم يصل إليه ، قال تلميذه
أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي المعروف بالبغدادي المقدم ذكره : فكنت أقول
في نفسي : إن الله عز وجل عاقبه بقوله في قصيدته المقصورة المقدم ذكرها حين
ذكر الدهر [فقال] :

مارست من لوهوتِ الأفلاك من جوانب الجوع عليه ماشكا
وكان يصيح لذلك صياح من يمشى عليه أو يسلم بالمسال ، والداخل بعيد منه ،
وكان مع هذه الحال ثابتَ الذهن ، كامل العقل ، يرد فيما يسأل عنه رداً صحيحاً
قال أبو علي : وعاش بعد ذلك عامين ، وكنت أسأله عن شكوكي في اللغة وهو
يهذه الحال فيرد بأسرع من النفس بالصواب ، وقال لي مرة وقد سألته عن بيت
شعر : لئن طفئت شحمتي عيني لم تجد من يشفيك من العلم ، قال أبو علي : ثم قال
لي : يا بني ، وكذلك قال لي أبو حاتم وقد سألته عن شيء ، ثم قال لي أبو حاتم : وكذلك
قال لي الأصمعي وقد سألته ، قال أبو علي : وآخر شيء سألته عنه جلوبني أن
قال لي : يا بني حال الجرّيض دون القريض ، فكان هذا الكلام آخر ما سمعته
منه ، وكان قبل ذلك كثيراً ما يتمثل [من الطويل] :

فواحزني أن لا حياةً لذينة ولا عملٌ يرضى به الله صالح

وقال المرزباني : قال لي ابن دريد : سقطت من منزلي بفارس ، فانكسرت
ترقوتي ، فسهرت ليلتي ، فلما كان آخر الليل غمضت عيني فرأيت رجلاً طويلاً
أصفر الوجه كوسجاً دخل علي وأخذ بعضدتي الباب وقال : أنشدني أحسن
ما قلت في الخمر ، فقلت : ما ترك أبو نواس لأحد شيئاً ، فقال : أنا أشعر منه ،
فقلت : ومن أنت ؟ فقال : أنا أبو ناجية من أهل الشام ، وأنشدني :

وخمراء قبل المزج صفراء بعده أنت بين ثوبين نرجس وشقائق

حكّت وجنة المعشوق صرّفاً فسلطوا عليها مزاجاً فاكنت لون عاشق

فقلت له: أسأت، فقال: ولم؟ قلت: لأنك قلت «وحراء» فقدمت الحجرة
ثم قلت «بين ثوبى نرجس وشقائق» فقدمت الصفرة، فهلا قدمتها على الأخرى
فقال: ما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض؟

وجاء في رواية أخرى أن الشيخ أباعلى الفارسي [النحوي] قال: أنشدني
ابن دريد هذين البيتين لنفسه، وقال: جاءني إبليس في المنام وقال: أغرت
على أبي نواس؟ فقلت: نعم، فقال: أجبت إلا أنك أسأت في شيء، ثم ذكر
بقية الكلام إلى آخره، والله أعلم.

وتوفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين
وثلاثمائة ببغداد، رحمه الله تعالى!.

ودفن بالمقبرة المعروفة بالعباسية من الجانب الشرق في ظهر سوق السلاح
بالقرب من الشارع الأعظم

وتوفي في ذلك اليوم أبو هاشم عبد السلام بن أبي علي النجيباني المتكلم
المعتزلي المقدم ذكره، فقال الناس: اليوم مات علم اللغة والكلام
ويقال: إنه عاش ثلاثاً وتسعين سنة لا غير، ورثاه جحظة البرمكي المقدم
ذكره بقوله [من البسيط]:

فقدت بابن دريد كل فائدة لما غدا ثالث الأحجار والتراب
وكنيت أبكي لفقد الجود منفرداً فصرت أبكي لفقد الجود والأدب
التراب - بفتح الراء - جمع تربة.

ودريد - بضم الدال المهملة، وفتح الراء، وسكون الياء المثناة من تحتها،
وبعد هاء الدال مهملة - وهو تصغير أدرد، والأدرد: الذي ليس فيه سن، وهو تصغير
ترخيم، وإنما سمي هذا التصغير ترخيماً لحذف حرف الهمزة من أوله كما تقول في
تصغير أسود: سويد، وتصغير أزهر: زهير.

وعتاهية : بفتح العين المهملة ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعد الألف هاء مكسورة ، وياء مفتوحة مثناة من تحتها ، وبعدها هاء ساكنة .

وحنتم : بفتح الحاء المهملة ، وسكون النون ، وفتح التاء المثناة من فوقها ، وبعدها ميم ، والأصل في الحنتم الجرة المدهونة الخضراء ، وبها سمي الرجل .

وحماي : بفتح الحاء المهملة ، والميم الخفيفة ، وبعد الألف ميم مكسورة ، ثم ياء ، قال الأمير أبو نصر بن ماكولا : هو أول من أسلم من آبائه .

وبقية النسب معروفة (١)

وحماي من جملة السبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقصة مشهورة (٢)

وقد تقدم الكلام على الأزدي

وقوله « حال الجريض دون القريض » هذا مثل مشهور ، وأول من نطق به عبيد بن الأبرص أحد شعراء الجاهلية لما لقي النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة في يوم يؤسه وعزم على قتله ، وكان ذلك عادته ، فأحس به عبيد فاستنفسه شيئاً من شعره ، فقال له : « حال الجريض دون القريض » فسارت مثلاً ، والجريض بفتح الجيم وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحتها ، وبعدها ضاد معجمة - هو الغصة ، والقريض : الشعر ، فكأنه قال : حالت الغصة دون إنشاد الشعر ، وهذه القصة مشهورة ، فاقتصرت منها على ذكر خلاصتها

وعبيد - بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها دال مهملة - وهو شاعر مشهور ، وكان في الولادة من أقران عبد المطلب ابن هاشم جد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦١٠)

أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، المعروف بالمطرز ،
الباوردي ، الزاهد ، غلام ثعلب المقدم ذكره

أبو عمر محمد
ابن عبد الواحد
الباوردي
الزاهد ، غلام
ثعلب

أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين ، صحب أبا العباس ثعلباً زماناً فعرف به ،
ونسب إليه ، وأكثر من الأخذ عنه ، واستدرك على كتابه الفصيح جزءاً لطيفاً
سماه « فائت الفصيح » وشرحه أيضاً في جزء آخر ، وله كتاب « اليواقيت »
وكتاب « شرح الفصيح » لثعلب ، وكتاب « الجرجاني » وكتاب « الموضح »
وكتاب « الساعات » وكتاب « يوم وليلة » وكتاب « المستحسن » وكتاب
« العشرات » وكتاب « الشورى » وكتاب « البيوع » وكتاب « تفسير أسماء الشعراء »
وكتاب « القبائل » وكتاب « المكنون والمكتوم » وكتاب « التفاحة » وكتاب
« المداخل » وكتاب « علل المداخل » وكتاب « النوادر » وكتاب « فائت العين »
وكتاب « فائت الجهرة » وكتاب « ما أنكرته الأعراب على أبي عبيد فيمارواه وصفه »
وكان ينقل غريب اللغة وحوشها ، وأكثر ما نقل أبو محمد بن السيد البطليوسي
في كتاب المثلث عنه ، وحكى عنه غرائب ، وروى عنه أبو الحسن محمد بن زرقويه
وأبو علي بن شاذان وغيرهما .

وكانت ولادته سنة إحدى وستين ومائتين .

وتوفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين
وقيل : أربع وأربعين وثلاثمائة ، ودفن يوم الإثنين ببغداد في الصفة التي تقابل
معروفا البكرخي — رضى الله عنه ! — وبينهما عرض الطريق .

وكان اشتغاله بالعلوم واكتسابها قد منعه من اكتساب الرزق والتحيل له ،
فلم يزل مضيقاً عليه ، وكان لسعة روايته وغزارة حفظه يكذبه أدباء زمانه في أكثر

نقل اللغة ، ويقولون : لو طار طائر لقال أبو عمر حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، ويذكر في معنى ذلك شيئاً ، فأما روايته الحديث فإن المحدثين يصدقونه ويوثقونه وكان أكثر ما يمليه من التصانيف يلقيه بلسانه من غير صحيفة يراجعها ، حتى قبل : إنه أملى من حفظه ثلاثين ألف ورقة من اللغة ، فلهذا الإكثار نسب إلى الكذب ، وكان يسأل عن شيء تكون الجماعة قد تواطأت على وضعه ، فيجيب عنه ، ثم يترك سنة ، ويسأل عنه فيجيب بذلك الجواب بعينه ، ومما جرى له في ذلك أن جماعة قصدوه للأخذ عنه ، فتذاكروا في طريقهم عند قنطرة هناك إكثاره ، وأنه منسوب إلى الكذب بسبب ذلك ، فقال أحدهم : أنا أصحفُ له اسم هذه القنطرة وأسأله عنها ، فانظروا ماذا يجيب ، فلما دخلوا عليه قال له : أيها الشيخ ما الهرطقة عند العرب ^(١) ؟ فقال : كذا وكذا ، فتضاحكت الجماعة سرا ، وتركوه شهراً ، ثم قرروا مع شخص سأل عن القنطرة بعينها فقال : أليس سئلت عن هذه المسألة منذ مدة كذا وكذا وأجبت عنها بكذا وكذا ؟ فعجبت الجماعة من فطنته وذكائه واستحضاره للمسألة والوقت وإن لم يتحققوا صحة ما ذكره .

وكان معز الدولة بن بويه قد قلد شرطة بغداد لغلام له اسمه خواجه ، فبلغ أبا عمر الخبر ، وكان يملئ كتاب « اليواقيت » فلما جلس للاملاء قال : اكتبوا ياقوتة خواجا الخواج في أصل لغة العرب : الجوع ، ثم فرع على هذا باباً ، وأملاه ، فاستعظم الناس ذلك من كذبه ، وتنبهوه في كتب اللغة .

قال أبو علي الخاتمي الكاتب اللغوي : أخرجنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي « الخواج الجوع » .

وكان أبو عمر المذكور يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف فأملى يوماً على الغلام نحواً من مائة مسألة في اللغة وذكر غيرها وختمها ببيتين من الشعر ، وحضر أبو بكر بن دريد وأبو بكر بن الأنباري وأبو بكر بن مقسم عند القاضي ^(١) في « ما القنطرة عند العرب » وليس ذلك بمتسق مع ما أراده السائل من تصحيف القنطرة .

أبى عمر ، فعرض عليهم تلك المسائل ، فما عرفوا منها شيئاً ، وأنكروا الشعر ، فقال لهم القاضى : ما تقولون فيها ؟ فقال ابن الأنبارى : أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ، ولست أقول شيئاً ، وقال ابن مقسم مثل ذلك ، واحتج باشتغاله بالقرآن ، وقال ابن دريد : هذه المسائل من موضوعات أبى عمر ، ولأصل لشيء منها فى اللغة ، وانصرفوا ، وبلغ أبى عمر ذلك ، فاجتمع بالقاضى وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم ، ففتح القاضى خزانته ، وأخرج له تلك الدواوين ، فلم يزل أبو عمر يعمد إلى كل مسألة ويخرج لها شاهداً من تلك الدواوين ، ويعرضه على القاضى ، حتى استوفى جميعها ، ثم قال له : وهذان البيتان أنشدتهما ثعلب بحضرة القاضى ، وكتبهما القاضى بخطه على ظهر الكتاب الفلانى ، فأحضر القاضى الكتاب فوجد البيتين على ظهره بخطه كما ذكر أبو عمر بلفظه به .

وقال رئيس الرؤساء : وقد رأيت أشياء كثيرة مما استنكر على أبى عمر ونسب فيها إلى الكذب ، فوجدتها مدونة فى كتب أهل اللغة ، وخاصة فى « غريب المصنف » لأبى عبيد ، وقال عبد الواحد بن على بن برهان الأسدى [أبو القاسم] ^(١) : لم يتكلم فى علم اللغة أحد من الأولين والآخرين أحسن من [كلام] أبى عمر الزاهد ، وله كتاب « غريب الحديث » صنفه على مسند أحمد بن حنبل ، وكان يستحسنه جداً ، وقال أبو على محمد بن الحسن الحاتمى : اعتلت فتأخرت عن مجلس أبى عمر الزاهد ، قال : فسأل عنى لما تراخت الأيام ، فقيل له : إنه كان عليلًا ، فجاءنى من الغد يعوذنى ، فاتفق أنى كنت قد خرجت من دارى إلى الحمام ، فكتب بخطه على بابى باسفيداج [من المتقارب] :

وأعجب شىء سمعنا به عليل يعاد فلا يوجد

قال : والبيت له .

والمطرز — بضم الميم ، وفتح الطاء المهملة ، وكسر الراء المشددة ، وبعدها

(١) لا توجد هذه الكنية فى ب

زاء — هذه اللفظة تقال لمن يطرز الثياب ، وكانت صناعة أبي عمر المذكور التطريز فنسب إليها ، وعرف بهذه الصناعة جماعة من العلماء ، وكان مغالياً في حب معاوية ، وعنده جزء من فضائله ، وكان إذا ورد عليه من يروم الأخذ عنه ألزمه بقراءة ذلك الجزء ، وكانت فضائله جمّة ، وعلومه غزيرة ، وفي هذا القدر كفاية .

وكشفت في كتاب « الأنساب » للسمعاني في ترجمة المطرزي عن أبي عمر المذكور فلم يذكره ، لكنّه ذكر أبا القاسم عبد الواحد بن محمد بن يحيى بن أيوب المطرزي البغدادي الشاعر ، ويحتمل أن يكون والد أبي عمر المذكور ، لأن اسمه موافق اسم والده ، ويحتمل أن يكون غيره ، لكنني لا أعرفه ، وقال : هو مشهور الشعر سائرّه ، فمن قوله [من الطويل] :

ولما وقفنا بالصّراة عشيةً حيارى لتوديع وردٍ سلام
وقفنا على رغم الحسود وكلنا يفيض عن الأشواق كل ختام
وسوغني عند الوداع عناقه فلما رأى وجدى به وغرامى
تلثم مرتاباً بفضل ردائه فقلت : هلال بعد بدر تمام
وقبلته فوق اللثام ، فقال لي : هي الخمر ، إلا أنها بفدام^(١)

لكن السمعي وإن كان ماذكره في هذه الترجمة فقد ذكره في ترجمة غلام ثعلب ، وقال : هو غلام ثعلب ، كما ذكرت أولاً .

قلت : ثم بعد هذا بسنين عديدة رأيت بدمشق المحروسة ديوان شعر أبي القاسم عبد الواحد المعروف بالمطرز المذكور ، وهو بغدادي ، وأكثر شعره جيد ، وكانت ولادته سنة أربع وخمسين وثلثمائة . وتوفى ليلة الأحد مستهل جهادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، فظهر بهذا أنه ليس والد أبي عمر المذكور ، وإنما هو مطرزي آخر .

(١) القدماء — بكسر الفاء بزنة الكتاب وفتحها بزنة السحاب — المصفاة

والباوردي - بالباء الموحدة ، و بعد الألف والواو راء ، ثم دال - وهي بليدة
بخراسان ، يقال لها : باورد ، وأبيورد ، ومنها أبو المظفر الأبيوردي الشاعر الآتي
ذكره إن شاء الله تعالى

(٦١١)

أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر طلحة بن نوح بن أزهر ،
الأزهري ، الهروي ، اللغوي ، الإمام المشهور في اللغة

أبو منصور
محمد بن أحمد
الأزهري
اللغوي

كان فقيهاً شافعي المذهب ، غلبت عليه اللغة فاشتهر بها ، وكان متفقاً على فضله
وثقته ودرايته وورعه ، روى عن أبي الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري اللغوي عن
أبي العباس ثعلب وغيره ، ودخل بغداد ، وأدرك بها أبا بكر بن دريد ولم يرو
عنه شيئاً ، وأخذ عن أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة الملقب نفطويه المقدم ذكره ،
وعن أبي بكر محمد بن السري المعروف بابن السراج النحوي ، وسيأتي ذكره إن
شاء الله تعالى ، وقيل : إنه لم يأخذ عنه شيئاً ، وكان قد رحل وطاف في أرض
العرب في طلب اللغة ، وحكى بعض الأفاضل أنه رأى بخطه قال : امتحنت بالأسر
سنة عارضة القرامطة الحاج بالهبير ، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عربا
نشؤا في البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون إلى أعداد المياه في
محاضرهم زمان القيظ ، ويرعون النعم ، ويعيشون بالبانها ، ويتكلمون بطبايعهم
البدوية ، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت في أسرهم دهرأ
طويلا ، وكنا نشئ باللهناء وترتبع بالصممان ونقيظ بالسّتارين ، واستفدت من
محاورتهم ومخاطبة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة ونوادير كثيرة أوقعت أكثرها في
كتابي - يعني « التهذيب » - وستراها في مواضعها ، وذكر في تضاعيف كلامه

أنه أقام بالصَّمان شتوتَيْن .
وكان أبو منصور المذكور جامعاً لشتات اللغة ، مطلعاً على أسرارها ودقائقها ،
وصنف في اللغة كتاب « التهذيب » وهو من الكتب المختارة يكون أكثر من
عشرة مجلدات ، وله تصنيف في غريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء في مجلد
واحد ، وهو عمدة الفقهاء في تفسير ما يشكك عليهم من اللغة المتعلقة بالفقه ،
وكتاب « التفسير » ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر بن الأنباري ، ولم
ينقل أنه أخذ عنهما شيئاً .

وكانت ولادته سنة اثنتين وثمانين ومائتين .
وتوفي في سنة سبعين وثلثمائة في أواخرها ، وقيل : سنة إحدى وسبعين ،
بمدينة هَرَاة ، رحمه الله تعالى !
والأزهري - بفتح الهمزة ، وسكون الزاء ، وفتح الهاء ، وبعدها راء - هذه
النسبة إلى جده أزهري المذكور .
وقد تقدم الكلام على الهروي .

والقرامطة : نسبتهم إلى رجل من سواد الكوفة يقال له « قَرْمُطٌ » - بكسر
القاف وسكون الراء وكسر الميم وبعدها طاء مهملة - ولهم مذهب مذموم ، وكانوا
قد ظهوروا في سنة إحدى وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد بالله ، وطالت أيامهم ،
وعظمت شوكتهم ، وأخافوا السبيل ، واستولوا على بلاد كثيرة ، وأخبارهم
مستقصاة في التواريخ .

وكانت وقعة الهَبِير التي أشار إليها في سنة إحدى عشرة وثلثمائة ، وكان مقدم
القرامطة يوم ذاك أباطاهر الجَنْبَاني القرمطي ، ولما ظهر على الحُجَّاج قتل بعضهم
واسترقَّ آخرون ، واستولى على جميع أموالهم ، وذلك في خلافة المقتدر بن المعتضد
وقيل : كان أول ظهورهم في سنة ثمان وسبعين ومائتين ، وأولهم أبو سعيد الجَنْبَاني
كان بناحية البحرين وهجر ، وقتل في سنة إحدى وثلثمائة ، قتله خادم له ، وقتل

أبو طاهر المذكور في سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة .
والجَبَّابِي - بفتح الجيم ، والنون المشددة ، وبعد الألف باء موحدة - هذه
النسبة إلى جَنَابَة ، وهي بلدة بالبحرين بالقرب من سيراف على البحر .
والهَبِير - بفتح الهاء ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ،
وبعدها راء ساكنة - وهو الموضع المطمئن من الأرض .
والدهْنَاء - بفتح الدال المهملة ، وسكون الهاء ، وبعدها نون مفتوحة ، ثم ألف
تمد وتقصر - وهي أرض واسعة في بادية العرب في ديار بني تميم ، وقيل : هي سبعة
أجبل من الرمل ، وقيل : هي في بادية البصرة في ديار بني سعد .
والصَّمَّان - بفتح الصاد المهملة والميم المشددة ، وبعد الألف نون - وهو جبل
أحمر ينقاد ثلاث ليال ، وليس له ارتفاع ، يجاور الدهناء ^(١) ، وقيل : إنه قرب
رمال عالج ، وبينه وبين البصرة تسعة أيام .
والستَّاران : ثنية ستار - بكسر السين المهملة ، وفتح التاء المثناة من فوقها ،
وبعد الألف راء - وهما واديان في ديار بني سعد ، يقال لهما : سودة ، ويقال
لأحدهما : الستار الأغبر ، وللآخر : الستار الحائري ، وفيهما عيون فوارة تسقى نخيلهما
منها ، وهذا كله وإن كان خارجا عن المقصود ، لكنها ألفاظ غريبة فأحببت
تفسيرها لئلا تشكل على من يطالع هذا المجموع .

(٦١٢)

أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد ، اليزيدي ، النحوي ، وسيأتي ذكر جده أبي محمد يحيى بن المبارك ، العدوي ، اليزيدي ، إن شاء الله تعالى !
أبو عبد الله محمد
ابن العباس
اليزيدي
النحوي

كان محمد المذكور إماما في النحو والأدب ونقل النوادر وكلام العرب .

ومما رواه أن أعرابيا هوى أعرابية فأهدى إليها ثلاثين شاة وزقا من خمر مع عبده [أسود] فأخذ العبد شاة في الطريق فذبحها وأكل منها وشرب بعض الزق ، فلما جاءها بالباقي عرفت أنه خانها في الهدية ، فلما عزم على الانصراف سألتها : هل لك من حاجة ؟ فأرادت إعلام سيده بما فعله العبد في الطريق فقالت له : اقرأ عليه السلام وقل له : إن الشهر كان عندنا محاقا ، وإن سحيا راعي غنمنا جاء مرثوما ، فلم يعلم العبد ما أرادت بهذه الكناية ، فلما عاد إلى مولاه أخبره برسالتها ففطن لما أرادته ، فدعى له بالهراوة وقال : لتصدقني وإلا ضربتك بهذه ضربا مبرحا ، فأخبره الخبر ، فعفا عنه ، وهذه من لطائف الكنايات وأحلى الإشارات والمرثوم - بفتح الميم ، وسكون الراء ، وضم الناء المشددة - المكسور الأنف المملطح بالدم ، والرثم : البياض في جحفة الفرس العليا ، وهو في الزق مستعمل على سبيل الاستعارة

وله تصانيف [مفيدة] فمن ذلك كتاب « الخيل » وكتاب « مناقب بني العباس » وكتاب « أخبار اليزيديين » وله مختصر في النحو ، وكان قد استدعى في آخر عمره إلى تعليم أولاد المقتدر بالله فلزمهم مدة ، ولقى بعض أصحابه بعد اتصاله بالخليفة فسأله أن يقر به ، فقال : أنا في شغل عن ذلك

وتوفي أبو عبد الله المذكور ليلة الأحد أول الليل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة عشرة وثلثمائة ، وعمره اثنتان وثمانون سنة وثلاثة أشهر رحمه الله تعالى !

واليزيدي : نسبة إلى يزيد بن منصور ، وسيأتي الكلام على ذلك في ترجمة
جده أبي محمد يحيى بن المبارك ، إن شاء الله تعالى .

(٦١٣)

أبو بكر محمد بن السريّ بن سهل ، النحوى ، المعروف بابن السراج
كان أحد الأئمة المشاهير ، المجمع على فضله ونبله وجلالة قدره فى النحو والأدب ،
أخذ الأدب عن أبي العباس المبرد المتقدم ذكره وغيره ، وأخذ عنه جماعة من
الأعيان : منهم أبو سعيد السيرافى ، وعلى بن عيسى الرمانى ، وغيرهما ، ونقل عنه
الجوهري فى كتاب « الصحاح » فى مواضع عديدة .

أبو بكر محمد
ابن السرى
(ابن السراج)
النحوى

وله التصانيف المشهورة فى النحو : منها كتاب « الأصول » وهو من أجود
الكتب المصنفة فى هذا الشأن ، وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه ،
وكتاب « جمل الأصول » وكتاب « الموجز » صغير ، وكتاب « الاشتقاق » وكتاب
« شرح كتاب سيدويه » وكتاب « احتجاج القراء » وكتاب « الشعر والشعراء »
وكتاب « الرياح والهواء والنار » وكتاب « الجمل » وكتاب « المواصلات » .

وكان يلثغ فى الرءاء فيجعلها غيناء ، فأملى يوماً كلاماً فيه لفظة بالرءاء ، فكتبوها
عنه بالغين ، فقال : لا ، بالغاء ، يريد بالرءاء ، وجعل يكررها على هذه الصورة
ورأيت فى بعض المجاميع أبياتاً منسوبة إليه ، ولا أتتحقق صحتها ، وهى
سائرة بين الناس فى جارية كان يهواها ، وهى [من الكامل] :

مِيزْتُ بَيْنَ جِهَاها وَفَعَالها فاذا الملاحه بالخيانة لا تفي
حَلَقَتْ لَنَا أَنْ لَا تَخُونُ عَهودَنَا فكأنما حلقت لنا أن لا تفي
والله لا كلمتها ولو أنها كالبدراء كالشمس أو كالمكتفى

وبعد الفراغ من هذه الترجمة وجدت هذه الأبيات له ، ولها قصة عجيبة ،
وهي أن أبابكر المذكور كان يهوى جارية ، فحفتها ، فاتفق وصول الإمام المكتفي
في تلك الأيام من الرقة ، فاجتمع الناس لرؤيته ، فلما رآه أبوبكر استحسنته ،
وأشده لأصحابه الأبيات المذكورة ، ثم إن أباعبد الله محمد بن إسماعيل بن زنجي
الكاظم أنشدها لأبي العباس بن الفرات ، وقال : هي لابن المعتز ، وأنشدها
أبو العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير ، فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشده إياها ، وقال
للمكتفي : هي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فأمر له بألف دينار ، فوصلت إليه
فقال ابن زنجي : ما أعجب هذه القصة ! يعمل أبوبكر بن السراج أبياتاً تكون
سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

وتوفي أبو بكر المذكور يوم الأحد لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ست
عشرة وثلثمائة ، رحمه الله تعالى !
والسراج - بفتح السين المهملة والراء المشددة ، وبعد الألف جيم - هذه
النسبة إلى عمل السروج .

(٦١٤)

أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان
ابن سماعة بن فروة بن قطن بن دعامة ، الأنباري ، النحوي
صاحب التصانيف في النحو والأدب
كان علامة وقته في الأدب ، وأكثر الناس حفظاً لها^(١) ، وكان صدوقاً ثقة ديناً
خيراً من أهل السنة ، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل
و«الوقف والابتداء» و«الرد على من خالف مصحف العامة» وكتاب «الزاهر»
(١) كذا ، ولعل الأصل «كان علامة وقته في الأدب واللغة ، وأكثر الناس حفظاً لها»

أبو بكر محمد
ابن القاسم
الأنباري
النحوي

ذكره الخطيب في تاريخ بغداد ، وأثنى عليه ، وقال : بلغنى أنه كتب عنه وأبوه
حى ، وكان يملئ فى ناحية من المسجد وأبوه فى ناحية أخرى ، وكان أبوه عالماً بالأدب
موثقاً فى الرواية صدوقاً أميناً سكن بغداد وروى عنه جماعة من العلماء ، وروى
عنه ولده المذكور ، وله تصانيف [كثيرة] فمن ذلك كتاب « خلق الإنسان » وكتاب
« خلق الفرس » وكتاب « الأمثال » وكتاب « المقصور والممدود » وكتاب
« المؤنث والمذكر » وكتاب « غريب الحديث » .

وقال أبو على التالى : كان أبو بكر بن الأنبارى يحفظ فيما ذكر ثلثمائة ألف بيت
شاهد فى القرآن الكريم ، وقيل له : قدأكثر الناس من محفوظاتك ، فكم تحفظ ؟
فقال : أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً ! وقيل : إنه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن
بأسانيدها ، وحكى أبو الحسن الدارقطنى أنه حضر فى مجلس إملائه يوم الجمعة فصحف
اسماً أورده فى إسناد حديث إما كان حياً فقال حبان أو حبان فقال حيان ، قال
الدارقطنى : فأعظمت أن يُحمل عن مثله فى فضله وجلالته وهَمُّهُ ، وهَبْتُ أن أوقفه
على ذلك ، فلما انقضى الإملاء تقدمت إلى المستمل ، فذكرت له وهمه ، وعرفته
صواب القول فيه ، وانصرفت ثم حضرت الجمعة الثانية بمجلسه ، فقال أبو بكر : عرف
جماعة الحاضرین أنا صحفنا الاسم الفلانى لما أملينا حديث كذا فى الجمعة الماضية ،
ونبهنا ذلك الشاب على الصواب ، وهو كذا ، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل
فوجدناه كما قال ، ومن جملة تصانيفه « غريب الحديث » قيل : إنه خمسة وأربعون ألف
ورقة ، وكتاب « شرح الكافى » وهو نحو ألف ورقة ، وكتاب « الهاآت » نحو ألف
ورقة ، وكتاب « الأضداد » وكتاب « الجاهليات » وهو سبعمائة ورقة ، و« المذكر
والمؤنث » ما عمل أحداً تم منه ، ورسالة « المشكل » رد فيها على ابن قتيبة وأبى حاتم .
وكانت ولادته يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى
وسبعين ومائتين

وتوفى ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين ، وقيل : سنة سبع وعشرين وثلثمائة

وتوفى أبوه القاسم سنة أربع وثلثمائة ، ببغداد ، وقيل : في صفر سنة خمس وثلثمائة ، رحمه الله تعالى !

وقد تقدم الكلام على الأنباري [في ترجمة عبد الرحمن الأنباري النحوي] ^(١)

وأملى أبو بكر المذكور في بعض أماليه لبعض العرب [من الطويل] :

فهيلا منعمتم إذ منعمتم كلامها خيالا يوافيني على النأي هاديا
سقى الله أطلالا بأكشبة الحى وإن كنَّ قد أبدین للناس ما بيا ^(٢)
منازل لو مررت بهن جنازتي لقال الصّدّي ياصاحبي انزلا بيا ^(٣)
وأملى أيضاً في مجلس آخر [من الطويل] :

وبالعربة البيضاء إن زرت أهلها مهمات ما عليهن سائسُ
خرجن لحب الريب من غير رية عفائف باغى اللهو منهن آيسُ

(٢) في ١ « أبدین للناس ما بيا » محرفا

(١) لا توجد هذه العبارة في ١

(٣) في ١ « ياصاحبي انزلنا »

(٦١٥)

أبو العيناء
أبو عبد الله
محمد بن القاسم
الهاشمي
الضرير

أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان ، الهاشمي
بالولاء ، الضرير ، مولى أبي جعفر المنصور ، المعروف بأبي العيناء
صاحب النوادر والشعر والأدب

أصله من اليمامة ، ومولده بالأهواز ، ومنشؤه بالبصرة ، وبها طلب الحديث
وكسب الأدب ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري والعتبي
 وغيرهم ، وكان من أحفظ الناس ، وأفصحهم لساناً ، وكان من ظرفاء العالم ،
 وفيه من الأسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله أخبار
حسان ، وأشعار ملاح ، مع أبي علي الضرير .

وحضر يوماً مجلس بعض الوزراء ، فتفاوضوا حديث البرامكة وكرمهم وما
كانوا عليه من الجود ، فقال الوزير لأبي العيناء - وكان قد بالغ في وصفهم وما
كانوا عليه من البذل والإفضال - : قد أكرت من ذكرهم ووصفك إياهم ،
 وإنما هذا تصنيف الوراقين ، وكذب المؤلفين . فقال له أبو العيناء : فلم لا يكذب
الوراقون عليك أيها الوزير؟ فسكت الوزير ، وعجب الحاضرون من إقدامه عليه .
 وشكا إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزير سوء الحال ، فقال له : أليس
قد كتبنا إلى إبراهيم بن المدبر في أمرك؟ قال : نعم ، قد كتبت إلى رجل قد
قصر من همته طول الفقر ، وذل الأسر ، ومُعانة الدهر ، فأخفق سعيي وخابت
طلبتي ، فقال عبيد الله : أنت اخترته ، فقال : وما على أيها الوزير في ذلك
وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان فيهم رشيد ، واختار النبي صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح كاتباً فرجع إلى المشركين مرتدلاً ،
 واختار علي بن أبي طالب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري حاكماً [له] فحكم عليه؟!

وإنما قال « ذل الأسر » لأن إبراهيم المذكور كان قد أسره على بن محمد صاحب الزنج بالبصرة وسجنه فنقب السجن وهرب

ودخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير يوماً فقال له: ما الذي أخرك عنا يا أبا العيناء؟ فقال: سُرِق حمارى، فقال: وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك، قال: فهلا أتيتنا على غيره، قال: قعدت عن الشراء فلة يسارى وكرهت ذل المسكارى، ومنة العوارى.

وخاصم علويًا فقال له العلوى: تخصمنى وأنت تقول كل يوم « اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد »، فقال: لكنى أقول « الطيبين الطاهرين » ولست منهم.

ووقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال: من هذا؟ قال: رجل من بنى آدم، فقال أبو العيناء: مرحباً بك أطل الله بقاءك، ما كنت أظن هذا النسل إلا قد انقطع.

وسار يوماً إلى باب صاعد بن مخلد، فاستأذن عليه، فقيل: هو مشغول بالصلاة، فقال: لكل جديد لذة، وكان صاعد قبل الوزارة نصرانياً. ومر بباب عبد الله بن منصور وهو مريض وقد صح^(١)، فقال لغلامه: كيف خبره؟ فقال: كما تحب، فقال: مالى لا أسمع الصراخ عليه؟!

ودعا سائلاً ليعشيه فلم يدع شيئاً إلا أكله، فقال: يا هذا دعوتك رحمة فتركتنى رحمة.

ولقيه بعض أصحابه فى السَّحَر، فجعل يتعجب^(٢) من بكوره، فقال أبو العيناء: أراك تشركنى فى الفعل، وتفردنى فى التعجب.

وذكر له أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه، فقال: إن أعفانى من رؤية الأهله وقراءة نقش الفصوص فأنا أصلح للمنادمة.

وقيل له: إلى متى تمدح الناس وتهجوهم؟ فقال: ما دام المحسن يحسن

(٢) فى ١ « فجعل يعجب »

(١) فى ١ « وقد صلح »

والمسيء يسىء ، بل أعوذ بالله أن أكون كالعقرب التى تلسب النبى والذى .
 وكان بينه وبين ابن مكرم مداعبات ، فسمع ابن مكرم رجلا يقول :
 من ذهب بصره قلت حيلته ، فقال [له] : ما أغفلك عن أبى العيناء ! ذهب بصره
 فعظمت حيلته .

وسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول فى بعض دعائه : يارب سائلك ، فقال :
 يا ابن الفاعلة ، ومن ليس سائله ^(١) .

وقال له ابن مكرم يوماً يعرض به : كم عدد المسكدين بالبصرة ؟ فقال له :
 مثل عدد البغاثين ببغداد .

ودخل على ابن ثوابة عقيب كلام جرى بينه وبين أبى الصقر أربى ابن ثوابة عليه
 فيه ، فقال له : بلغنى ما جرى بينك وبين أبى الصقر ، وما منعه من استقصاء
 الجواب إلا أنه لم يجد عزاً فيضعه ، ولا مجداً فينقصه ، وبعد فانه عافَ لحملك أن
 يأكله ، وسهل دمك أن يسفكه ، فقال ابن ثوابة : وما أنت والدخول بينى
 وبين هؤلاء يامكدى ؟ فقال : لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه
 سلطانه أن يعود على إخوانه فيأخذ من أموالهم ، ولكن أشد من هذا من يستنزل
 الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه فى جوفه ، فيقطع أنسابهم ويعظم أوزارهم ،
 فقال ابن ثوابة : وما تساب اثنان إلا غلب الأملهما ، فقال أبو العيناء : وبها غلبت
 أبا الصقر بالأمس ، فأسكته .

ودخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى سنة ست وأربعين ومائتين
 فقال له : ما تقول فى دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت
 بنيت الدنيا فى دارك ، فاستحسن كلامه ، ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟
 قال : أعجز عن قليله ، وأفتضح عند كثيره ، فقال [له] : دع هذا عنك ونادمننا ،
 فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل [من] فى مجلسك يخدمك ، وأنا محتاج أن أخدم

ولست آمن من أن تنظر إلى بعين راض ، وقلبك على غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ، فأختار العافية على التعرض للبلاء ، فقال : بلغنى عنك بذاء فى لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم ، فقال : « نعم العبد إنه أواب » وقال عز وجل : « هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم » وقال الشاعر [من الطويل] :

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لى الله المسامع والفما
قال : فمن أين أنت ، قال : من البصرة ، قال : فما تقول فيها ؟ قال : ماؤها أجاج ،

وحرها عذاب ، وتطيب فى الوقت الذى تطيب فيه جهنم .
ولما سلم نجاح بن سلمة إلى موسى بن عبد الله الأصهبانى ليستأدى ماعليه من الأموال عاقبه ، فتلغ فى مطالبته ، وذلك فى يوم الاثنين لثمان بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائتين ، وفى تلك الليلة بلغ المعتز بالله بن المتوكل الخبر ^(١) ، فاجتمع بعض الرؤساء بأبى العيناء ، فقال له : ما عندك من خبر نجاح بن سلمة ؟ فقال أبو العيناء : (فوكره موسى فمضى عليه) فبلغت كلمته موسى فلقبه فى الطريق فتهدده ، فقال له أبو العيناء : (أترى أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس) .

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشئ فلم ينجزه : ثقى بك تمنعنى من استبطائك ، وعلمى بشغلك يدعونى إلى إذكارك ، ولست آمن - مع استحكام ثقى بطولك والمعرفة بعلمهمتك - اخترام الأجل ، فان الآجال آفات الآمال ، فسح الله فى أجلك ! وبلغك منتهى أملك ! والسلام .

وأحواله ونوادره كثيرة .

وروى عنه أنه قال : كنت يوماً جالساً عند أبى الجهم إذ أتاه رجل فقال له : وعدتني وعداً فان رأيت أن تنجزه ، فقال : ما أذكره ، فقال : إن لم تذكره فلائن من تعده مثلى كثير ، وأنا لا أنساه ، لأن من أسأله مثلك قليل ، فقال : أحسنت لله أبوك ، فمضى حاجته

(١) فى ١ « بلغ المعتز بالله بن المتوكل الحلم »

وكانت ولادته سنة إحدى وتسعين ومائة ، بالأهواز كما تقدم ، ونشأ بالبصرة
وكف بصره وقد بلغ أربعين سنة ، وسكن بغداد مدة وعاد إلى البصرة

وتوفي بها في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ، وقيل : اثنتين وثمانين
ومائتين ، وقال ابنه جعفر : توفي أبي لعشر ليال خلون من جمادى الأولى ،
ومولده سنة تسعين ومائة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى !

ولقب بأبي العيناء لأنه قال لأبي زيد الأنصاري : كيف تصغر عينا ؟ فقال :
عيننا يا أبا العيناء ، فبقي عليه

وعَيْنَاء : بفتح العين المهملة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفتح النون ،
وبعدها ألف ممدودة .

وخلاذ : بفتح الخاء المعجمة ، وتشديد اللام ألف

وقد تقدم الكلام على اليمامة والأهواز ، فأغنى عن الإعادة .

(٦١٦)

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ، الواقدى ، المدنى ، مولى بنى هاشم
وقيل : مولى بنى سهم بن أسلم

أبو عبد الله محمد
ابن عمر
الواقدى ، المدنى

كان إماماً عالمًا له التصانيف فى المغازى وغيرها ، وله كتاب « الردة » ذكر
فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ومحاربة الصحابة رضى الله
عنهم لظليحة بن خويلد الأزدى والأسود العنسى ومُسَيْلِمة الكذاب ،
وما أقصر فيه ، سمع من ابن أبى ذئب ومعمربن راشد ومالك بن أنس
والثورى وغيرهم ، وروى عنه كاتبه محمد بن سعد المذكور عقبه إن شاء الله تعالى

وجماعة من الأعيان ، وتولى القضاء بشرقى بغداد ، وولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي ، وضعفه في الحديث ، وتكلموا فيه ، وكان المأمون يكرم جانبه ، ويبالغ في رعايته ، وكتب إليه مرة يشكو ضائقة لحقته ، وركبه بسببها دين ، وعين مقداره في قصته ، فوقع المأمون فيها بخطه : فيك خلتان سخاء وحياء ، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت ، والحياء حملك أن ذكرت لنا بعض دينك ، وقد أمرنا لك بضعف ما سألت ، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك ، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك ، فان خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطه ، وأنت حدثني حين كنت على قضاء الرشيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لازبير : يا زبير إن مفاتيح الرزق بازاء العرش ، ينزل الله سبحانه للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم ، فمن كثر كثرله ، ومن قل قل عليه ، قال الواقدي : وكنت نسيت الحديث ، فكانت مذاكرته إياي أعجب إلى من صلته .

وروى عنه بشر الحافي المتقدم ذكره - رضى الله عنه ! - حكاية واحدة ، وهي أنه سمعه يقول : ما يكتب للحمى ، يؤخذ [ثلاث] ورقات زيتون تكتب يوم السبت وأنت على طهارة على واحدة ^(١) منها « جهنم غرني » وعلى الأخرى « جهنم عطشي » وعلى الأخرى « جهنم مقرورة » [ثم] تجعل في خرقه وتشد على عضد المحموم الأيسر ، قال الواقدي : جربته فوجدته [صحيحاً] نافعاً ، هكذا نقل هذه الحكاية أبو الفرج بن الجوزي في كتابه الذي وضعه في أخبار بشر الحافي .

وروى المسعودي في كتاب « مروج الذهب » أن الواقدي المذكور قال : كان لي صديقان أحدهما هاشمي ، وكنا كنفس واحدة ، فالتني ضائقة شديدة ، وحضر العيد ، فقالت امرأتي : أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة ، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قباي رحمة لهم ، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة ، فلو

(١) في « واحدة منهم » وهو خطأ في العربية

احتلت في شيء فصرفته في كسوتهم ، قال : فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة على بما حضر ، فوجه إلى كيسا مختوما ذكر أن فيه ألف درهم ، فما استقر قرارى حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي الهاشمي ، فوجهت إليه الكيس بختمه ، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلتي مستحيا من امرأتى ، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان منى ، ولم تعنفني عليه ، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيقته ، فقال لى : أصدقنى عما فعلته فيما وجهت به إليك ، فعرفته الخبر على وجهه ، فقال لى : إنك وجهت إلى وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك ، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة ، فوجه كيسى بخاتمى ، قال الواقدى : فتواسينا الألف درهم^(١) فيما بيننا ، ثم إننا أخرجنا للمرأة مائة درهم قبل ذلك ، ونفى الخبر إلى المأمون ، فدعانى وسألنى^(٢) ، فشرحت له الخبر ، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار ، لكل واحد منا ألفا دينار ، وللمرأة ألف دينار .

وقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد هذه الحكاية وبينها وبين ما ذكرناه ههنا اختلاف يسير .

وكانت ولادة الواقدى في أول سنة ثلاثين ومائة .

وتوفي عشية يوم الاثنين حادى عشر ذى الحجة سنة سبع ومائتين ، وهو يومئذ قاض ببغداد في الجانب الغربى ، كذا قاله ابن قتيبة ، وقال السمعانى : كان قاضيا بالجانب الشرقى كما تقدم ، والله أعلم ، وصلى عليه محمد بن سماعة التميمي ودفن في مقابر الخيزران ، وقيل : مات سنة تسع ، وقيل : سنة ست ومائتين ، والأول أصح ، وقال الخطيب في تاريخ بغداد في أول ترجمة الواقدى : إنه توفي

(١) هكذا في الأصول كافة ، وهو لا يجوز عربية ، ونحاة البصرة يوجبون أن يقال « ألف درهم » ونحاة الكوفة يميزون هذا الوجه الذى ذكرناه عن أهل البصرة ، ويميزون وجهها آخر ، وهو أن يقال « الألف درهم »

(٢) في « فدعاني فشرحت له الخبر »

في ذى القعدة ، وقال في آخر الترجمة : إنه مات في ذى الحجة ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى ! ورأيت بخطي في مسوداتي أن الواقدي مات وعمره ثمان وسبعون سنة والواقدي - بفتح الواو ، وبعد الألف قاف مكسورة ، ثم دال مهملة - هذه النسبة إلى واقد ، وهو جده المذكور .

وقد تقدم الكلام على المدني .

وعسكر المهدي هي الحلة المعروفة اليوم بالرصافة بالجانب الشرقي من بغداد ، عمرها أبو جعفر المنصور لولده المهدي ، فنسبت إليه ، وهذا يؤيد أن الواقدي كان قاضي الجانب الشرقي لا الغربي .

(٦١٧)

أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع ، الزهري ، كاتب الواقدي
ابن سعد
الزهري ، كاتب
الواقدي
كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء ، صحب الواقدي المذكور قبله زماناً وكتب له ، فعرف به ، وسمع سفيان بن عيينة وأنظاره ، وروى عنه أبو بكر بن أبي الدنيا وأبو محمد الحارث بن أبي أسامة التيمي ، وصنف كتاباً كبيراً في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته ، فأجاد فيه وأحسن ، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة ، وله طبقات أخرى صفري ، وكان صدوقاً ثقة ، ويقال : اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس : أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور ، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكتب ، كتب الحديث والفقه وغيرهما ، وقال الحافظ أبو بكر الخطيب صاحب تاريخ بغداد في حقه : محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة ، وحديثه يدل على صدقه ، فانه يتحرى في كثير من رواياته ، وهو من موالى الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب .

وتوفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة ، سنة ثلاثين ومائتين ، ببغداد .

ودفن في مقبرة باب الشام ، وهو ابن اثنتين وستين سنة ، رحمه الله تعالى !

(٦١٨)

أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد ، الأنصارى بالولاء ، الوراق ،

الرازى ، الدولابى

أبو بشر محمد
ابن أحمد
الأنصارى

الرازى
الدولابى

كان عالماً بالحديث والأخبار والتواريخ ، سمع الأحاديث بالشام والعراق ، وروى عن محمد بن بشار وأحمد بن عبد الجبار العطاردى وخلق كثير ، وروى عنه الطبرانى وأبو حاتم بن حيان البسقى ، وله تصانيف مفيدة فى التاريخ ومواليد العلماء ووفياتهم ، واعتمد عليه أرباب هذا الفن فى النقل ، وأخبروا عنه فى كتبهم ومصنفاتهم المشهورة ، وبالجملة فقد كان من الأعلام فى هذا الشأن ومن يرجع إليه ، وكان حسن التصنيف .

وتوفى سنة عشرين وثلثمائة بالعرج ، رحمه الله تعالى !

ووروى عنه أنه كان ينشد لعروة بن حزام العذرى [من الطويل] :

إذا رام قلبى هجرها حال دونه شفيعان من قلبى لها جدلان

إذا قال : لا ، قال : بلى ، ثم أصبحوا جميعاً على الرأى الذى يريان

والدولابى — بضم الدال المهملة وفتحها ، قال السمعانى : والفتح أصح ،

وسكون الواو ، وبعد اللام ألف باء موحدة — هذه النسبة إلى الدولاب ، وهى قرية

من أعمال الرى ، وبالأهواز قرية يقال لها الدولاب ، وبها كانت الوقعة المشهورة

للأزارقة ، وبشرقى بغداد موضع آخر يقال له الدولاب ، ودولاب الجار أيضاً

موضع آخر ، والدولاب الذى يدار ويستعمل بضم الدال وفتحها .

والعرج — بفتح العين المهملة ، وسكون الراء ، وبعدها جيم — وهى عقبة

بين مكة والمدينة على جادة الحاج .

والعرج أيضاً : قرية جامعة من نواحي الطائف إليها ينسب الأرجى الشاعر ،

وهو عبد الله بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان .

ولا أعلم هل توفي الدولابي في العرج الأولى أم الثانية ، وباليمن بلد آخر
يقال له سوق العرج .

(٦١٩)

أبو عبد الله
محمد بن عمران
المرزباني
الخراساني
البغدادى

أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله ، الكاتب
المرزباني ، الخراساني الأصل ، البغدادى المولد ، صاحب
التصانيف المشهورة والمجاميع الغريبة

كان راوية للأدب ، صاحب أخبار ، وتوآليفه كثيرة ، وكان ثقة في الحديث
وماثلاً إلى التشيع في المذهب ، حدث عن عبد الله بن محمد البغوى وأبي بكر بن
أبي داود السجستاني في آخرين ، وهو أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن
أبي سفيان الأموى ، واعتنى به ، وهو صغير الحجم يدخل في مقدار ثلاث
كراريس ، وقد جمعه من بعده جماعة وزادوا فيه أشياء كثيرة ليست له ، وشعر
يزيد - مع قلته - في نهاية الحسن ، ومن أطايب شعره الأبيات العينية التي منها
[من الطويل] :

إذا رُمْتُ من ليلي على البعدِ نظرةً	تُظَفِّي جَوَى بين الحشَا والأضالِعِ
تقولُ نساءُ الحى : تَطْمَعُ أن تَرَى	محاسِنَ ليلي ؟ مُتْ بدءاً المطامِعِ
وكيفَ تَرَى ليلي بعينٍ ترى بها	سواها ؟ وما طَهَّرَتْهَا بالمسَامِعِ
وتلتذُّ منها بالحديث وقد جرى	حديث سواها في خُرُوقِ المسامِعِ

أجلك ياليلي عن العين ، إنما أراك بقلب خاشع لك خاضع
وكنت حفظت جميع ديوان يزيد لشدة غرامى به ، وذلك فى سنة ثلاث
وثلاثين وسمائة بمدينة دمشق ، وعرفت صحيحه من المنسوب إليه الذى ليس له ،
وتتبعته حتى ظفرت بصاحب كل أبيات ، ولولا خوف الإطالة لمينت ذلك .
وكانت ولادة المرزبانى المذكور فى جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين
وقيل : سنة ست وتسعين .

وتوفى يوم الجمعة ثانى شوال سنة أربع وثمانين ، وقيل : سنة ثمان وسبعين
وثلاثمائة ، والأول أصح ، رحمه الله تعالى ! وصلى عليه الفقيه أبو بكر الخوارزمي
ودفن فى داره بشارع عمرو الرومى ، ببغداد ، فى الجانب الشرقى .

وروى عن أبى القاسم البغدادى وأبى بكر بن دريد وأبى بكر بن الأنبارى ،
وروى عنه أبو عبد الله الصيمرى وأبو القاسم التنوخى وأبو محمد الجوهري
وغيره .

والمرزبانى - بفتح الميم ، وسكون الراء ، وضم الزاء ، وفتح الباء الموحدة ،
وبعد الألف نون - هذه النسبة إلى بعض أجداده ، وكان اسمه المرزبان ، وهذا
الاسم لا يطلق عند العجم إلا على الرجل المقدم العظيم القدر ، وتفسيره بالعربية
حافظ الحد ، قاله ابن الجواليقى فى كتابه المعرب .

(٦٢٠)

أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تسكين
الكتاب ، المعروف بالصولي ، الشطرنجي

أبو بكر محمد بن
يحيى الصولي
الشطرنجي
الكتاب

كان أحد الأدباء الفضلاء المشاهير ، روى عن أبي داود السجستاني وأبي
العباس ثعلب وأبي العباس المبرد وغيرهم ، وروى عنه أبو العباس الدارقطني ،
وأبو عبد الله المرزباني المذكور قبله وغيرهما ، ونادم الراضي ، وكان أولاً يعلمه
ثم نادم المقتدر ، ونادم قبله المكتفي ، وله التصانيف المشهورة منها كتاب :
« الوزراء » وكتاب « الورقة » وكتاب « أدب السكاتب » وكتاب « الأنواع »
وكتاب « أخبار أبي تمام » وكتاب « أخبار القرامطة » وكتاب « الفرر » وكتاب
« أخبار أبي عمرو بن العلاء » وكتاب « العبادة » وكتاب « أخبار ابن هرمة »
وكتاب « أخبار السيد الحميري » وكتاب « أخبار إسحاق بن إبراهيم » ،
وجمع أخبار جماعة من الشعراء ، ورتبه على حروف المعجم ، وكلهم من الشعراء
المحدثين ، وغير ذلك ، وكان ينادم الخلفاء ، وكان أغلب فنونه أخبار الناس ،
وله رواية واسعة ومحفوظات كثيرة ، وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، مقبول
القول ، وكان أوحده وقته في لعب الشطرنج ، لم يكن في عصره مثله في معرفته ،
والناس إلى الآن يضرّبون به المثل في ذلك فيقولون لمن يباليغون في حسن لعبه
« فلان يلعب الشطرنج مثل الصولي » ورأيت خلقاً كثيراً يعتقدون أن الصولي
المذكور هو الذي وضع الشطرنج ، وهو غلط ، فإن الذي وضعه صيصه بن داهر
الهندي ، واسم الملك الذي وضعه له شهرام ، بكسر الشين المعجمة ، وكان أردشير
ابن بابك أول ملوك الفرس الأخيرة قد وضع النرد ، ولذلك قيل له النردشير لأنهم
نسبوه إلى واضعه المذكور ، وجعله مثالا للعالم وأهلها ، فرتب الرقعة اثني عشر
بيتاً بعدد شهور السنة ، وجعل القطع ثلاثين قطعة بعدد أيام كل شهر ، وجعل
الفصوص مثل القدر وتقلبه بأهل الدنيا ، وبالجملة فالكلام في هذا يطول ويخرج
عما نحن بصدد ، فافتخرت الفرس بوضع النرد .

وكان ملك الهند يومئذ بلمهيئت ، فوضع له صيصه المذكور الشطرنج ، فقضت
 حكاء ذلك العصر بترجيحه على النرد لأمور يطول شرحها ، ويقال : إن صيصه
 لما وضع الشطرنج وعرضه على الملك شرام المذكور أعجبه وفرح به كثيراً ، وأمر
 أن يكون في بيوت الديانة ، ورآه أفضل ما علم لأنه آلة للحرب ، وعز الدين والدنيا ،
 وأساس لكل عدل ، وأظهر الشكر والسرور على ما أنعم عليه في ملكه منه ،
 وقال لصيصه : اقترح على ما تشتهي ، فقال له : اقترحت أن تضع حبة قمح في
 البيت الأول ، ولا تزال تضعها حتى تنتهي إلى آخرها ، فهما بلغ تعطيفي ،
 فاستصغر الملك ذلك ، وأنكر عليه ، لكونه قابله بالنزر اليسير ، وكان قد
 أضمر له شيئاً كثيراً ، فقال : ما أريد إلا هذا ، فإداه فيه [مراراً] وهو مصر عليه
 فأجابه إلى مطلوبه ، وتقدم له به ، فلما قيل لأرباب الديوان حسبوه فقالوا : ما عندنا
 قمح في بهذا ولا بما يقاربه ، فلما قيل للملك استنكر هذه المقالة ، وأحضر أرباب
 الديوان وسألهم ، فقالوا له : لو جمع كل قمح في الدنيا ما بلغ هذا القدر ، فطالبهم
 بإقامة البرهان على ذلك ، فقعدهوا وحسبوه ، فظهر له صدق ذلك ، فقال الملك
 لصيصه : أنت في اقتراحك ما اقترحت أعجب حالا من وضعك الشطرنج ، وطريق
 هذا التضعيف أن يضع الحاسب في البيت الأول حبة ، وفي الثاني حبتين ، وفي
 الثالث أربع حبات ، وفي الرابع ثمان حبات ، وهكذا إلى آخره ، كلما انتقل إلى
 بيت ضاعف ما قبله وأثبتته فيه ، ولقد كان في نفسى من هذه المبالغة شيء حتى
 اجتمع في بعض حساب الإسكندرية ، وذكر لي طريقاً تبين لي صحة ما ذكره ،
 وأحضر لي ورقة بصورة ذلك ، وهو أنه ضاعف الأعداد إلى البيت السادس عشر
 فأثبت فيه اثنين وثلاثين ألفاً وسبعائة وثمانيا وستين حبة ، وقال : تجعل هذه
 الجملة مقدار قدح ، وقد اعتبرتها فكانت كذلك ، والعهد عليه في هذا النقل ،
 ثم ضاعف القدح في البيت السابع عشر ، وهكذا حتى بلغ وبيقة في البيت العشرين
 ثم انتقل إلى الويقات ، ومنها إلى الأرادب ، ولم يزل يضاعفها حتى انتهى في

بيت الأربعين إلى مائة ألف إردب وأربعة وسبعين ألف إردب وسبع مائة واثنين وستين إردبا وثلاثين ، فقال : تجعل هذه الجملة في شونة فان الشونة لا يكون فيها أكثر من هذا ، ثم ضاعف الشون إلى بيت الخمسين فكانت ألفا وأربعا وعشرين شونة ، فقال : تجعل هذه في مدينة ، فان المدينة لا يكون فيها أكثر من هذه الشون ، وأى مدينة يكون فيها هذه الجملة من الشون ؟ ثم ضاعف المدن حتى انتهى إلى البيت ^(١) الرابع والستين - وهو آخر أبيات رقعة الشطرنج - إلى ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربع وثمانين مدينة ، وقال : تعلم أنه ليس في الدنيا مدن أكثر من هذا العدد ^(٢) ، فان دور كرة الأرض معلوم بطريق الهندسة ، وهو ثمانية آلاف فرسخ ، بحيث لو وضعنا طرف جبل على أى موضع كان من الأرض وأدركنا الجبل على كرة الأرض حتى انتهينا بالطرف الآخر إلى ذلك الموضع من الأرض والتقى الطرفان فاذا مسحنا ذلك الجبل كان طوله أربعة وعشرين ألف ميل ، وهى ثمانية آلاف فرسخ ، وهو قطعى لا شك فيه ، ولولا خوف التحويل والخروج عن المقصود لبينت ذلك ، وسأذكره إن شاء الله تعالى في ترجمة بنى موسى وتعلم ما في الأرض من المعمور ، وهو مقدار ربع الكرة بطريق التقريب وقد انتشر الكلام ، وخرجنا عن المقصود ، لكنه ما خلا عن فائدة ، فان هذه الطريقة غريبة ، فأحببت إثباتها ليقف عليها من يستنكر ما قالوه في تضعيف رقعة الشطرنج ، ويعلم أن ذلك حق ، وأن هذه الطريقة سهلة الاطلاع على حقيقة ما ذكره .

ولنرجع إلى حديث الصولى : حكى المسعودى فى كتاب « مروج الذهب » أن الإمام الرضى بالله أتى فى بعض منزهاته بستانا مؤنقا ، وزهرا رائقا ، فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه : هل رأيتم منظرا أحسن من هذا ؟ فكل أثنى ، وذهب فيه إلى مدحه ووصف محاسنه ، وأنها لا ينفى بها شىء من زهرات الدنيا ، فقال الرضى : لعب الصولى بالشطرنج أحسن من هذا ، ومن كل ما تصفون .

(١) فى ١ « فى بيت الرابع والستين » (٢) فى ١ « من هذه العدد » وليس بشيء

ثم قال المسعودي : وقد ذكر أن الصولى فى بدء دخوله على المكتفى ، وقد كان ذكر له تخرجه فى اللعب بالشطرنج ، وكان الماوردى اللاعب متقدما عنده ، متمكنا من قلبه ، معجبا به للعبة ، فلما لعبا جميعا بحضرة المكتفى حمل المكتفى حسن رأيه فى الماوردى وتقدم الحرمة فى الألفة على نصرته وتشجيعه وتنبيهه حتى أدهش ذلك الصولى فى أول وهلة ، فلما اتصل اللعب بينهما وجمع له الصولى متانته وقصد قصده غلبه غلبا لا يكاد يرد عليه شيئا ، وتبين حسن لعب الصولى للمكتفى ، فعدل عن هواه ونصرة الماوردى ، وقال له : عاد ماء وردك بولاً .

وأخبار الصولى ونوادره كثيرة ، وما جرياته أكثر من أن تحصى ومع فضائله والاتفاق على تفننه فى العلوم وخلاعه وظرافته ما خلا من منتقص هجا هجوا لطيفا ، وهو أبوسعيد العميل ، فانه رأى له بيتا مملوءا كتبها قد صنفها وجلودها مختلفة الألوان ، وكان يقول : هذا كله سماعى ، وإذا احتاج إلى معاودة شىء منها قال : يا غلام هات الكتاب الفلانى ، فقال أبوسعيد المذكور هذه الأبيات [من مجزوء الرمل] :

إنما الصولى شيخ أعلم الناس خزانة
إن سألناه بعلم طلباً منه إبانة
قال يا غلمان هاتوا رزمة العلم فلانه

وتوفى الصولى المذكور سنة خمس - وقيل : ست - وثلاثين وثلثمائة ، بالبصرة مستترا ، لأنه روى خبرا فى حق على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فطلبته الخاصة والعامة لتقتله ، فلم تقدر عليه ، وكان قد خرج من بغداد لإضاقة لحقته .

وقد سبق الكلام على الصولى فى ترجمة إبراهيم بن العباس الصولى ، وهو عم والد أبى بكر المذكور ، فليطلب هناك .

وصيصة - بصادين مهملتين الأولى منهما مكسورة والثانية مشددة مفتوحة ، وفى الآخر هاء ساكنة .

وداهر : بـدال مهملة ، و بعد الألف هاء مكسورة ، ثم راء .

وأرد شيرُ - بفتح الهمزة ، وسكون الراء ، وفتح الدال المهملة ، وكسر الشين المعجمة ، وسكون الياء المثناة من تحتها ، وفي آخرها راء - هكذا قاله الحافظ الدارقطني ، وقال غير الدارقطني : هذا لفظ عجمي ، وتفسيره بالعربي دقيق وحليبي ، فأرد : دقيق ، وشير : حليبي ، وقيل : دقيق وحلاوة ، وقيل : إنه بالزاء لا بالراء ، والله أعلم ، وهو الذي آباد ملوك الطوائف ، ومهد الملك لنفسه ، واستولى على الممالك ، وهو جد ملوك الفرس الذين آخروهم يزدجرد ، وكان انقراض ملكهم في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة ، وأخبارهم مشهورة ، وهؤلاء غير ملوك الفرس الأوائل الذين آخروهم دارا بن دارا الذي قتله الإسكندر ، ورتب في البلاد ملوك الطوائف ، ومما بهم بذلك لأن كل ملك يحكم على طائفة مخصوصة ، بعد أن كانت الممالك لرجل واحد ، وكان أردشير من ملوك الطوائف ، ثم استقل بالجميع كالعادة الأولى ، وكانت مدة مملكة [ملوك] الطوائف أربعمئة سنة ، ومدة مملكة ملوك الفرس الأواخر أربعمئة سنة

ويزدجردُ - بفتح الياء المثناة من تحتها ، وسكون الزاء ، وفتح الدال المهملة ، وكسر الجيم ، وسكون الراء ، وفي الآخر دال مهملة .

وأما بلميمتُ ملك الهند فلا أتحقق ضبطه ، غير أني وجدته مضبوطا بخط الناسخ ، وقد فتح الباء الموحدة ، وسكن اللام ، وفتح الهاء ، وسكن الياء المثناة من تحتها ، وبعدها تاء مثناة من فوقها ، والله أعلم بصحة ذلك من سقمه .

(٦٢١)

أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر ، الكاتب ، اللغوي ،

البغدادى ، المعروف بالحاتمى

أبو علي محمد بن
الحسن الحاتمى

البغدادى

اللغوى

الكاتب

أحد الأعلام المشاهير المطلعين المكثرين ، أخذ الأدب عن أبي عمر الزاهد غلام ثعلب ، وقد تقدم ذكره ، وروى عنه أخبارا وأملاها فى مجالس الأدب ، وروى عن غيره أيضا ، وأخذ عنه جماعة من النبلاء : منهم القاضى أبو القاسم التنوخى المقدم ذكره وغيره ، وله الرسالة الحاتمية التى شرح فيها ماجرى بينه وبين أبي الطيب المتنبي من إظهار سرقاته وإبانة عيوب شعره ، ولقد دلت على غزاة مادته وتوفر اطلاعه ، وحكى فى أول الرسالة السبب الحامل له على ذلك فقال : لما ورد أحمد بن الحسين المتنبي مدينة السلام منصرفا عن مصر ومتعرضا للوزير أبي محمد المهلبى ، بالتخيم عليه ، والمقام لديه ، التفت رداء الكبر ، وأزال ذيول التيه ، ونأى بجانبه استكبارا ، وثنى عطفه جبرية وازورارا ، فكان لا يلاقى أحدا إلا أعرض عنه تيه ، وزخرف القول عليه تمويه ، تخيل عجبا إليه ، أن الأدب مقصور عليه ، وأن الشعر بحر لم يرد نيم مائه غيره ، وروض لم يجن نواره سواه ، فهو يحنى جناحه ، ويقطف قطوفه دون من تعاطاه ، وكل مجرّ فى الخلاء يسرّ ، ولا سكل نبأ مستقر ، فعبّر جاريا على هذه الوتيرة مدة مديدة أجرته رسن البغى فيها ، فظل يمرح فى تيهه حتى إذا تخيل أنه السابق الذى لا يجارى فى مضمار ، ولا يساوى عذاره بعذار ، وأنه رب الكلام ، ومقتض^(١) عذارى الألفاظ ، ومالك رق الفصاحة نثرا ونظما ، وقرّيع دهرم الذى لا يقارع فضلا وعلمًا ، وثقلت وطأته على كثير مماوسم نفسه بميسم الأدب ، وأنبط من مائه أعذب مشرب ، فطأطأ بعض رأسه ، وخفض بعض جناحه ، وطامن على التسليم له طرفه ، وساء معز الدولة أحمد بن بويه المقدم ذكره ، وقد صورت حاله ، أن يرد حضرته وهى دار الخلافة

(١) فى « ومقتض عذارى الألفاظ » محرّفا

ومستقر العز وبيضة الملك رجلٌ صَدَرَ عن حضرة سيف الدولة بن حمدان ، وقد تقدم ذكره أيضاً ، وكان عدواً مبيناً لمعز الدولة ، فلا يلقي أحداً بمملكته يساويه في صناعته ، وهو ذو النفس الأبية ، والعزيمة الكسروية ، والهمة التي لو همت بالدهر لما تصرفت بالأحرار صروقه ، ولا دارت عليهم دوائره ، وتخيل الوزير المهلبى رجماً بالغيب أن أحداً لا يستطيع مساجلته ، ولا يرى نفسه كفوآله ، ولا يضطلع بأعبائه ، فضلاً عن التعلق بشيء من معانيه ، وللرؤساء مذاهب في تعظيم من يعظمونه ، وتفخيم من يفخمونه ، وتكرمة من يراعونه ويكرمونه ، وربما حالت بهم الحال ، وأوشكوا عن هذه الخليفة الانتقال ، وتلك صورة الوزير المهلبى في عوده عن رأيه هذا فيه ، ولم يكن هناك مزية يتميز بها أبو الطيب عن الهجين الجذع من أبناء الأدب فضلاً عن العتيق القارح إلا الشعر ، وأمرى إن أفنائه كانت فيه رطبة ، ومجانبيه عذبة ، فنَهَدَتْ له متبعا عواره ، ومقلما أظفاره ، ومذيعا أسرارهِ ، وناشرا مطاويه ، ومنقدا من نظمه ما تسمَح فيه ، ومتحينا أن تجمعنا دار يشار إلى ربها فأجرى أنا وهو في مضمار يعرف به السابق من المسبوق ، واللاحق من المقصر عن الحقوق ، وكنت إذ ذاك ذا سحب مِدْرار ، وزند في كل فضيلة وار ، وطبع يناسب صفو العقار ، إذا وشيت بالحباب ، ووشيت بها سائر الأكواب ، هذا وغدير الصبا صاف ، ورداؤه ضاف ، وديباجة العيش غضة ، وأرواحه معتلة ، وغمامه منهلة ، وللشبيبة شيرة ، وللأقبال من الدهر غرة ، والخليل تجرى يوم الرهان ^(١) بأقبال أربابها ، لا بعروقتها ونصابها ، ولكل امرئ حظ من موأاة زمانه ، يقضى في ظله أرب ويدرك مطلب ، ويتوسع مرآد ومذهب ، حتى إذا عدت عن اجتماعنا عوادٍ من الأيام قصدت مستقره وتحى بغلة سفواء تنظر عن عيني بازٍ ، وتتشوف بمثل قادمتي نسري ، وهي مركب رائع ، وكأني كوكب وقاد من تحته غمامة يقتادها زمام الجنوب ، وبين يدي عدة من الغلمان الرُّوْقَة ممالكك وأحراريتها فتون تهافت فريد الدر عن أسلاكه .

ولم أورد هذا متبجحاً ولا متكثرًا بذكره ، بل ذكرته لأن أبا الطيب شاهد جميعه في الحال ، ولم ترعه روعته ، ولا استعطفه زبرجه ، ولا زادته تلك الجملة الجميلة التي ملأت أتهمه طرفه وقلبه إلا عجباً بنفسه ، وإعراضاً عنى بوجهه ، وقد كان أقام هناك سوقاً عند أغنيائه لم ترُضهم العلماء ، ولا عركتهم رجال النظراء ، ولا أنصوا أفكاراً في مدارس الأدب ، ولا فرقوا بين حلو الكلام ومره وسهله ووعره ، وإنما غاية أحدهم مطالعة شعر أبي تمام وتعاطى الكلام على نبذ من معانيه ، أو على ما تعلق الرواة مما يجوز فيه ، فألفيت هناك فتية تأخذ عنه شيئاً من شعره ، فحين أودن بحضورى ، واستؤذن عليه لدخولى ، نهض من مجلسه مسرعاً ، ووارى شخصه عنى مستخفياً ، وأعجلته نازلاً عن البغلة وهو يرانى لانتهائى بها إلى حيث أخذها طرفه ، ودخلت فأعظمت الجماعة قدرى ، وأجلستنى في مجلسه ، وإذا تحته أخلاق عبادة قد ألحَّت عليها الحوادثُ فهى رسوم دائرة وأسلاك متناثرة ، فلم يكن إلا ريثما جلست ، فأتانا فنهضت ، فوفيته حق السلام غير مشاحٍ له فى القيام ، لأنه إنما اعتمد بنهوضه عن الموضع ألا ينهض إلى ، والغرض كان فى لقائه غير ذلك ، وحين لقيته تمثلت بقول الشاعر [من الوافر] :

وفى الممشى إليك على عارٍ ولكن الهوى منع القرار^(١)

فتمثل بقول الآخر [من البسيط] :

يشقى رجالٌ ويشقى آخرونَ بهم ويسعدُ الله أقواماً بأقسام
وليس رزقُ الفقى من فضل حيلته لكن جُودٌ وأرزاقٌ بأقسام
كالصيد يجرمه الراعى المجيد وقد يرمى فيحرزه من ليس بالراعى

وإذا به لابس سبعة أقبية كل قباء منها لون ، وكنا فى وغرة القيظ^(٢) وجمرة الصيف ، وفى يوم تكاد ودائع الهامات تسيل فيه ، فجلست مستوفزاً ، وجلست متحفزاً ، وأعرض عنى لاهياً ، وأعرضت عنه ساهياً ، أوذب نفسى فى قصده ، وأستخفُ رأبها فى تكلف ملاقاته ، ففبر هنية ثانياً عطفه ، لا يعيرنى طرفه ، وأقبل

(٢) فى ١ « وغرة القيظ »

(١) فى ١ « منع القرار »

على تلك الزعنفه التي بين يديه ، وكل يومى إليه ، ويوحى بلحظه ويشير إلى مكانى
بيديه ، ويوقظه من سِنِّته وجهه ، ويأبى إلا ازورارا ونفارا ، وعتوا واستكباراً ، ثم
رأى أن يثنى جانبه إلى ، ويقبل بعض الإقبال على ، فأقسمت بالوفاء والكرم ، فانهما
من محاسن القسم ، أنه لم يزد على أن قال : أيش خبرك ، فقلت : بخير أنا لولا
ماجنيتيه على نفسى من قصدك ، ووسمت به قدرى من ميسم الذل بزياتك ،
وجشمت رأى من السعى إلى مثلك ، ممن لم تهذب به نجربة ، ولا أدبته بصيرة ، ثم
تحدت عليه تحدر السيل إلى قرارة الوادى ، وقلت له : أين لى مم تيهك وخيلاؤك
وعجبك وكبريؤك ؟ وما الذى يوجب ما أنت عليه من الذهاب بنفسك والرمى
بهمتك إلى حيث يقصر عنه باعك ، ولا يطول إليه ذراعك ؟ هل ههنا نسب
انتسبت إلى المجد به ؟ أو شرف علقت بأذياله ؟ أو سلطان تسلطت بعزه ، أو علم
تقع الإشارة إليك به ؟ إنك لو قدرت نفسك بقدرها أو وزنتها بميزانها ولم يذهب
بك النيه مذهباً لعدوت أن تكون شاعراً مكتسباً ، فامتقع لونه ، وغص بريقه ،
وجعل يلين فى الاعتذار ، ويرغب فى الصفح والاعتقار ، ويكرر الإيمان أنه لم
يتثبتنى (١) ، ولا اعتمد التقصيرى ، فقلت : يا هذا إن قصدك شريف فى نسبه
تجاهلت نسبه ، أو عظيم فى أدبه صغرت أدبه ، أو متقدم عند سلطانه خفضت
منزلته ، فهل المجد تراث لك دون غيرك ؟ كلا والله ، لكنك مدت الكبر ستر
على نقصك ، وضربته رواقاً حائلاً دون مباحثتك ، فعاود الاعتذار ، فقلت :
لا عذر لك مع الاصرار ، وأخذت الجماعة فى الرغبة إلى فى مياسرته ، وقبول عذره ،
واستعمال الأناة التي تستعملها الحرمة عند الحفيظة ، وأنا على شاكاة واحدة فى
تقريعه وتوبيخه ودم خليقته ، وهو يؤكد القسم أنه لم يعرفنى معرفة ينتهز معها
الفرصة فى قضاء حقى ، فأقول : ألم أستاذن عليك باسمى ونسبى ؟ أما كان فى هذه
الجماعة من كان يعرفنى لو كنت جهلتنى ؟ وهب أن ذلك كذلك ، ألم تر شارتنى ؟
أما شحمت عطر نَشْرِى ؟ ألم أتميز فى نفسك عن غيرى ؟ وهو فى أثناء ما أخاطبه
وقد ملأت سمعه تأنيباً وتفنيداً يقول : خفّض عليك ، اكفف من غرَبك ، اردد

من سورتك، استأن فان الأناة من شيم ملك، فأصبح حينئذ جانبي له، ولانت
 عريكتي في يده، واستحييت من تجاوز الغاية التي انتهت إليها في معاتبته،
 وذلك بعد أن رُضته رياضة الصعب من الإبل، وأقبل عليَّ معظماً، وتوسع في
 تقريظي مفعماً، وأقسم أنه ينازع منذ ورد العراق ملاقاتي ويعد نفسه بالاجتماع
 معي ويسوفها التعلق بأسباب مودتي، فحين استوفى القول في هذا المعنى استأذن عليه
 فتي من فتيان الطالبين الكوفيين، فأذن له، فاذا حدثتُ مرهف الأعطاف تميل
 به نشوة الصبا، فتكلم فأعرب عن نفسه، فاذا لفظ رخيماً، ولسان حلو، وأخلاق
 فكهة، وجواب حاضر، وشر باسماً، في أناة السكول، ووقار الشيوخ^(١)، فأعجبني
 مشاهدته من شأله، وملكني بما تبينته من فضله، فجاراه أبياتاً، ومن ههنا كان
 افتتاح الكلام بينهما في إظهار سرقاته ومعائب شعره

وقد طال الكلام لكنه لم يمتد بعضه بعضاً فأمكن قطعه، وهذه الرسالة تشتمل
 على فوائد جمّة، فان كان كاذراً أنه أبان له جميعها في ذلك المجلس فإهذا إلا اطلاع
 عظيم، وقد سماها «الموضحة» وهي كبيرة تدخل في اثنتي عشرة كراسة شهدت
 لصاحبها بالفضل الباهر، مع سرعة الاستحضار، وإقامة الشاهد

وله كتاب «حلية المحاضرة» يدخل في مجلدين، وفيه أدب كثير أيضاً
 وتوفي الخاتمي المذكور يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة
 ثمان وثمانين وثلثمائة، رحمه الله تعالى !

وذكر الخاتمي أنه اعتل فتأخر عن مجلس شيخه أبي عمر الزاهد المذكور
 في أول هذه الترجمة، فسأل عنه، ف قيل له: إنه مريض، فجاءه يعوده، فوجده
 قد خرج إلى الحمام، فكتب على بابهِ باسفيداج [من المتقارب]

وَأَعْجَبُ شَيْءٍ سَمِعْنَا بِهِ عَلِيلٌ يُعَادُ فَلَا يُوجَدُ
 [وقد تقدم ذكر ذلك آنفاً]^(٢)

والخاتمي - بفتح الحاء المهملة، وبعد الألف تاء مثناة من فوقها مكسورة،
 وبعدها ميم - هذه النسبة إلى بعض أجداده اسمه حاتم.

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٣	٤١٦	٤٣٦	الشريف المرتضى ، علي بن الطاهر ذى المناقب أبى أحمد الحسين بن موسى ، أبو القاسم ، العلوى
٧	٤١٧	٤٩٢	علي بن الحسن بن الحسين بن محمد ، أبو الحسن ، المعروف بالخلعى ، الموصلى ، المصرى
٨	٤١٨	*٣٩٠	علي بن محمد ، الشاشقى ، أبو الحسن ، الكاتب ، صاحب كتاب « الديارات »
٩	٤١٩	٤٠٣	علي بن محمد بن خلف ، أبو الحسن ، المعافى ، القروى ، المعروف بابن القابسى
١١	٤٢٠	٥١٥	علي بن جعفر بن علي بن محمد ، أبو القاسم ، السعدى ، الصقلى ، المصرى ، المعروف بابن القطاع ، النحوى
١٣	٤٢١	٤٥٦	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أبو محمد ، الفقيه ، المحدث ، الظاهري
١٧	٤٢٢	*٤٥٨	علي بن إسماعيل ، أبو الحسن ، المعروف بابن سيده ، المرسى ، الحافظ ، اللغوى
١٩	٤٢٣	٤٨٨	علي بن عبد الغنى ، أبو الحسن ، الفهرى ، المقرئ ، الحصرى ، القيروانى ، الشاعر
٢٢	٤٢٤	*٦١٠	علي بن محمد بن علي ، أبو الحسن ، المعروف بابن خروف ، الحضرمى ، الأندلسى ، الإشبلى ، النحوى
٢٣	٤٢٥	٤٢٠	علي بن عيسى بن الفرّج بن صالح ، أبو الحسن ، الربعى ، البغدادى ، الشيرازى ، النحوى
٢٤	٤٢٦	٥١٦	علي بن أبى زيد محمد بن علي ، أبو الحسن ، الإستراباذى ، المعروف بالفصيحى ، النحوى
٢٥	٤٢٧	٥٧٦	علي بن أبى الحسين عبدالرحيم ، أبو الحسن ، مذهب الدين ، السلمى ، الرقى ، البغدادى ، المعروف بابن القصار ، اللغوى

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٢٦	٤٢٨	٦٠١	علي بن الحسن بن عنتربن ثابت ، أبو الحسن ، مذهب الدين ، المعروف بشميم ، الحلى ، الأديب ، الشاعر
٢٧	٤٢٩	٦٤٣	علي بن محمد بن عبد الصمد ، أبو الحسن ، علم الدين ، الهمداني ، المصرى . السخاوى ، المقرئ ، النحوى
٢٨	٤٣٠	*٤٢٣	علي بن هلال ، أبو الحسن ، المعروف بابن البواب وبابن الستى ، الكاتب
٣١	٤٣١	٤٨٦	علي بن أحمد بن يوسف بن جعفر بن عرفة ، أبو الحسن ، شيخ الإسلام ، الهكاري
٣١	٤٣٢	٦١١	علي بن أبي بكر علي ، أبو الحسن ، الهروى ، الموصلى ، السائح
٣٣	٤٣٣	٦٣٠	علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم ، أبو الحسن ، عز الدين ، المعروف بابن الأثير ، الشيبياني ، الجزري ، المؤرخ
٣٥	٤٣٤	٢١٣	علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن ، أبو الحسن ، المعروف بالعكوك ، الشاعر
٣٩	٤٣٥	٢٤٩	علي بن الجهم بن بدر ، أبو الحسن ، القرشي ، السامى ، الشاعر المشهور
٤٢	٤٣٦	*٢٨٣	علي بن العباس بن جريج ، أبو الحسن ، المعروف بابن الرومى ، الشاعر المشهور
٤٦	٤٣٧	*٣٠٢	علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسم ، أبو الحسن المعروف بالبسمامى ، الشاعر المشهور
٤٨	٤٣٨	٣٤٢	علي بن محمد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم ، أبو القاسم ، التنوخى ، الأنطاكى ، القاضى ، الشاعر المشهور

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٥١	٤٣٩	*٣٦٦	علي بن عبد الله بن وصيف ، أبو الحسن ، المعروف بالناشيء الأصغر ، الحلاء ، الشاعر المشهور
٥٣	٤٤٠	٣٥٢	علي بن إسحاق بن خلف ، أبو القاسم ، المعروف بالزاهي ، البغدادي ، الشاعر المشهور
٥٥	٤٤١	٢٧٥	علي بن يحيى بن أبي منصور ، أبو الحسن ، المنجم ، نديم المتوكل على الله ومن بعده من الخلفاء
٥٧	٤٤٢	٣٥٢	علي بن أبي عبد الله هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور ، أبو الحسن ، المنجم ، الشاعر
٥٨	٤٤٣	*٤٠٠	علي بن محمد ، أبو الفتح ، البستي ، الكاتب ، الشاعر المشهور
٦٠	٤٤٤	٤١٦	علي بن محمد ، أبو الحسن ، التهامي ، الشاعر المشهور
٦٣	٤٤٥	٤١٦	علي بن أحمد بن نوبخت ، أبو الحسن ، الشاعر
٦٤	٤٤٦	٤١٢	علي بن عبد الواحد ، أبو الحسن ، المعروف بصريع الدلاء ، قاتل الغواشي ، ذي الرقاعتين ، الشاعر
٦٥	٤٤٧	٤٦٥	علي بن الحسن بن علي بن الفضل ، أبو منصور ، المعروف بصردر ، الشاعر المشهور
٦٦	٤٤٨	٤٦٧	علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب ، أبو الحسن الباخرزي ، الشاعر ، صاحب كتاب « دمية القصر »
٦٨	٤٤٩	*٥٣٥	علي بن أفلح ، أبو القاسم ، جمال المالك ، العبسي ، الشاعر
٧٠	٤٥٠	*٥٤٣	علي بن أبي الوفاء سعد ، أبو الحسن ، مهذب الدين ، المعروف بابن مسهر ، الشاعر
٧٣	٤٥١	٦٠٤	علي بن رستم بن هردوز ، أبو الحسن ، بهاء الدين ، المعروف بابن الساعاتي ، الشاعر المشهور
٧٥	٤٥٢	٦٠٨	علي بن أبي المظفر يوسف ، أبو الفضائل ، الآمدي ، الواسطي ، القاضي
٧٧	٤٥٣	*٣٣٨	علي بن بويه بن فناخسرو ، أبو الحسن ، عماد الدولة ، الديلمي ، صاحب بلاد فارس

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٧٩	٤٥٤	٣٥٦	علي بن عبدالله بن حمدان ، أبو الحسن ، سيف الدولة ، صاحب حلب ، وممدوح المتنبي
٨٤	٤٥٥	٤٢٧	علي ابن الحاكم بن العزيز بن المعز ، أبو هاشم ، الظاهر لإعزاز دين الله ، العبيدي ، صاحب مصر
٨٦	٤٥٦	٤٧٥	علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، أبو الحسن ، سيد الملك ، صاحب قلعة شيزر
٨٨	٤٥٧	٤٧٣	علي بن محمد بن علي ، أبو الحسن ، الصليحي ، القائم باليمن
٩٢	٤٥٨	٥٤٨	علي بن إسحاق ، أبو الحسن ، المعروف بابن السلال ، المنعوت بالملك العادل ، سيف الدين
٩٥	٤٥٩	٦٢٢	علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أبو الحسن ، الملقب بالملك الأفضل ، نور الدين
٩٧	٤٦٠	٣١٢	علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات ، أبو الحسن ، وزير المقتدر بالله بن المعتض بالله
١٠٥	٤٦١	٣٩٩	علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى أبو الحسن ، الصدقي ، المصري ، المنجم
١٠٧	٤٦٢	٥٦٩	عمارة بن علي بن ريدان بن أحمد ، أبو محمد ، نجم الدين ، الحسكي ، يعني ، الفقيه ، الشاعر المشهور .
١١١	٤٦٣	٩٣	عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة ، أبو الخطاب ، القرشي ، الخزومي ، الشاعر المشهور
١١٤	٤٦٤ (١)	٢٦٢*	عمر بن شبة زيد بن عبيدة بن زيد ، أبو زيد ، القمي ، البصري ، الأخباري

(١) وقع هذا الرقم من خطأ الطبع ٤٦٣ واستمر الخطأ إلى رقم ٤٧٤ ثم استقام
الامر على الجادة ، وقد كتبناها هنا على الصحة .

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
١١٥	٤٦٥	٣٣٤	عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد ، أبو القاسم ، الخرقي ، الفقيه الحنبلي
١١٥	٤٦٦	* ١٥٦	عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة ، أبو ذر ، الهمداني ، الكوفي ، الفقيه ، القاضي
١١٦	٤٦٧	٤٤٢	عمر بن ثابت ، أبو القاسم ، الثمانيني ، النحوي
١١٧	٤٦٨	٥٦٠	عمر بن محمد بن أحمد بن عكرمة ، أبو القاسم ، المعروف بابن البزري ، الجزري ، الفقيه الشافعي
١١٩	٤٦٩	٦٣٢	عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه ، أبو حفص ، شهاب الدين ، السهروردي ، الشافعي
١٢١	٤٧٠	٦٣٣	عمر بن الحسن بن علي بن محمد الجليل ، أبو الخطاب ، ذوالنسيين ، الكلبي ، الأندلسي ، البلنسي ، الحافظ
١٢٣	٤٧١	٦٤٥	عمر بن محمد بن عبد الله ، أبو علي ، الشلوبي ، الأندلسي ، الإشبيلي ، النحوي
١٢٤	٤٧٢	٦٠٧	عمر بن محمد بن معمر ، أبو حفص ، موفق الدين ، المعروف بابن طبرزد ، البغدادي ، المحدث
١٢٦	٤٧٣	٦٣٢	عمر بن علي بن المرشد بن علي ، أبو حفص ، وأبو القاسم ، المعروف بالشرف ابن الفارض ، المصري ، الحموي
١٢٨	٤٧٤	٥٨٧	عمر بن نور الدولة شاهنشاه بن أيوب ، أبو سعيد الملك المظفر ، تقي الدين ، الأيوبي ، صاحب حماة
١٢٩	٤٧٥	* ١٢٧	عمر بن عبد الله بن علي بن أحمد بن محمد بن السبيعي أبو إسحاق ، الهمداني ، الكوفي
١٣٠	٤٧٦	* ١٤٤	عمرو بن عبيد بن باب ، أبو عثمان ، المتكلم ، الزاهد
١٣٣	٤٧٧	* ١٨٠	عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو بشر ، سيوبه ، شيخ نحلة البصرة
١٣٦	٤٧٨	* ١٥٤	أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان ، التميمي ، المازني ، البصري ، أحد القراء السبعة

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
١٤٠	٤٧٩	٢٥٥	عمرو بن بحر بن محبوب ، أبو عثمان ، المعروف بالجاحظ ، الكنانى ، الليثى ، البصرى
١٤٥	٤٨٠	*٢١٧	عمرو بن مسعدة بن سعيد بن صول ، أبو الفضل ، الكاتب ، وزير المأمون
١٤٨	٤٨١	٢٧٨	عمرو بن محمد بن سليمان بن راشد ، المعروف بابن بانة ، أحد المغنين المشهورين
١٤٩	٤٨٢	٤٩٧	العلاء بن الحسين بن وهب بن الموصلايا ، أبوسعبد ، أمين الدولة ، البغدادى ، الكاتب
١٥٠	٤٨٣	٥٥٦	العلاء بن علي بن محمد بن علي ، أبو الفرج ، المعروف بابن السوادى ، الواسطى ، الكاتب ، الشاعر
١٥٢	٤٨٤	٥٤٤	عياض بن موسى بن عياض ، أبو الفضل ، اليحصى ، السبتى ، القاضى
١٥٤	٤٨٥	١٤٩	عيسى بن عمر الثقفى ، أبو عمرو ، البصرى ، النحوى
١٥٧	٤٨٦	*٦١٠	عيسى بن عبد العزيز بن يلبخت بن عيسى بن يومارىلى ، الجزولى ، النحوى
١٥٩	٤٨٧	٥٥٥	عيسى بن الظافر بن الحافظ بن محمد بن المستنصر ، أبو القاسم ، الملقب بالفائز ، العبيدى
١٦٢	٤٨٨	٦٢٤	عيسى بن الملك العادل سيف الدين ، وهو الملك المعظم شرف الدين ، الأيوبى ، صاحب دمشق
١٦٥	٤٨٩	٥٨٥	عيسى بن محمد بن عيسى ، ضياء الدين ، أبو محمد الحسنى ، الهكارى ، الفقيه ، أحد أمراء الدولة الصلاحية
١٦٦	٤٩٠	٥٨٤	عيسى بن مودود بن علي ، غر الدين ، أبو المنصور ، صاحب تكريت ، الشاعر ، الأديب
١٦٩	٤٩١	٦٣٢	عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل ، أبو يحيى ، الإربلى ، الحاجرى ، الشاعر
١٧٣	٤٩٢	٩٢	عيسى بن عبد الله ، أبو عبد المنعم ، طويس ، المغنى مولى بنى مخزوم ، مضرب المثل فى الشؤم

صاحب الترجمة

ص ر ق م
الترجمة سنة
الوفاة

حرف الغين المعجمة

غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، سيف الدين ، صاحب الموصل	٥٤٤	٤٩٣	١٧٦
غازي بن مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر سيف الدين ، صاحب الموصل	٥٧٦	٤٩٤	١٧٧
غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أبوالفتح ، الملك الظاهر ، غياث الدين ، صاحب حلب	٦١٣	٤٩٥	١٧٨
غيلان بن عقبة بن بهيش بن مسعود بن حارثة ، ذوالرمة ، صاحب مية بنة مقاتل ، الشاعر .	١١٧	٤٩٦	١٨٤

حرف الفاء

فاتك الكبير ، أبو شجاع ، الأمير ، المعروف بالمجنون	٣٥٠	٤٩٧	١٩٢
الفتح بن محمد بن عميد الله بن خاقان ، القيسي ، الإشبيلي ، الأديب	٥٣٥	٤٩٨	١٩٤
فتيان بن علي بن فتیان بن ثمال ، الأسدي ، الحنفي ، الدمشقي ، الشاغوري ، الشاعر	٦١٥	٤٩٩	١٩٥
الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك ، البرمكي ، الوزير	١٩٣	٥٠٠	١٩٧
الفضل بن الربيع بن يونس ، أبو العباس ، الوزير	٢٠٨	٥٠١	٢٠٥
الفضل بن سهل السرخسي ، أخو الحسن بن سهل ، أبو العباس ، الوزير	٢٠٢	٥٠٢	٢٠٩
الفضل بن مروان بن ماسرخس ، أبو العباس ، وزير المعتصم	٢٥٠	٥٠٣	٢١٣
الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، أبو علي ، الطالقاني ، الفندي ، الزاهد	١٨٧	٥٠٤	٢١٥
فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه ، أبو شجاع ، عضد الدولة ، الديلمي	٣٧٢	٥٠٥	٢١٨

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
حرف القاف			
٢٢٤	٥٠٦	*١٠١	القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد ، أحد فقهاء المدينة السبعة
٢٢٥	٥٠٧	*٢٢٢	القاسم بن سلام ، أبو عبيد ، المحدث ، الأديب
٢٢٧	٥٠٨	*٥١٦	القاسم بن علي بن محمد بن عثمان ، أبو محمد ، الحريري البصري ، الحراحي ، صاحب المقامات
٢٣٣	٥٠٩	٤٨٩	القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم ، أبو أحمد ، الشهرزوري ، حاكم مدينة إربل ومدينة سنجار .
٢٣٤	٥١٠	٥٩٠	القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد ، أبو محمد ، الرعي ، الشاطبي ، الضرير ، المقرئ
٢٣٦	٥١١	*٢٢٦	القاسم بن عيسى بن إدريس أبودلف ، العجلي ، القائد
٢٤٣	٥١٢	٤٠٣	قابوس بن وشمكير بن زيار بن وردان شاه ، شمس المعالي ، أمير جرجان وبلاد الجبل وطبرستان
٢٤٦	٥١٣	٥٩٥	قايماز بن عبد الله ، أبو منصور ، مجاهد الدين ، الزبني ، الخادم
٢٤٨	٥١٤	*١١٧	قتادة بن دعامة بن عزي بن عمرو بن ربيعة ، أبو الخطاب ، السدوسي ، البصري ، الأكمه
٢٤٩	٥١٥	*٩٦	قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة بن خالد ، الباهلي ، الأمير
٢٥٤	٥١٦	٥٩٧	قراقوش بن عبد الله ، أبو سعيد ، بهاء الدين ، الأسدی ، خادم السلطان صلاح الدين الأيوبي ونائبه
٢٥٥	٥١٧	*٧٨	قطري بن الفجاءة (جعونة) بن مازن بن يزيد بن زيدمناة ، أبو نعامه ، المازني ، الخارج على بني مروان
حرف الكاف			
٢٦٠	٥١٨	*٣٥٦	كافور بن عبد الله ، أبو المسك ، الإخشيدى ، القائم بتدبير مملكة بني الإخشيد بمصر
٢٦٥	٥١٩	١٠٥	كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمعة الأسود بن عامر بن عويمر ، أبو صخر ، الخزاعي ، أحد عشاق العرب

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٢٧٠	٥٢٠	٦٣٠	كوكبوري بن علي بن بكتكين بن محمد ، أبو سعيد الملك المعظم ، مظفر الدين ، صاحب إربل حرف اللام
٢٨٠	٥٢١	١٧٥	الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، أبو الحارث ، إمام أهل مصر في الفقه والحديث حرف الميم
٢٨٤	٥٢٢	* ١٧٩	مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر ، أبو عبد الله ، الأصبغي ، إمام دار الهجرة
٢٨٧	٥٢٣	١٣١	مالك بن دينار ، أبو يحيى ، البصري ، مولى بني سامة بن لؤي القرشي ، العالم ، الورع ، المحدث
٢٨٩	٥٢٤	٦٠٦	المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، أبو السعادات ، مجد الدين ابن الأثير الجزري ، الشيباني ، المحدث
٢٩١	٥٢٥	٥٨٩	المبارك بن كامل بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ، أبو الميمون ، سيف الدولة مجاهد الدين ، الكنانى ، الأمير
٢٩٤	٥٢٦	٦٣٧	المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب ، أبو البركات ، شرف الدين ، ابن المستوفى ، الإربلى
٢٩٩	٥٢٧	٦١٢	المبارك بن المبارك بن سعيد ، أبو بكر ، الوجيه ، ابن الدهان ، النجوى ، الضرير ، الواسطى
٣٠٠	٥٢٨	٥٥٠	مجلي بن جميع بن نجا ، أبو المعالي ، القرشى ، الخزوى ، الأرسوفى ، المصرى ، الفقيه الشافعى
٣٠١	٥٢٩	٣٨٤	المحسن بن علي بن محمد بن داود بن إبراهيم بن تميم أبو علي ، التنوخى ، قاضى جزيرة ابن عمر
٣٠٥	٥٣٠	٢٠٤	محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، أبو عبد الله ، القرشى ، المطلي ، الشافعى الإمام
٣١٠	٥٣١	* ٨١	محمد بن علي بن أبي طالب ، أبو القاسم ، المعروف بابن الحنفية
٣١٤	٥٣٢	* ١١٣	محمد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو جعفر ، الملقب بالباقر ، أحد الأئمة الاثني عشر

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٣١٥	٥٣٣	*٢٢٠	محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ، أبو جعفر ، المعروف بالجواد . أحد الأئمة الاثني عشر
٣١٦	٥٣٤	*٢٧٥	محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد ، أبو القاسم ، ثاني عشر الأئمة الاثني عشر عند الإمامية .
٣١٧	٥٣٥	*١٢٤	محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، أبو بكر ، القرشي ، الزهري ، الفقيه ، المحدث
٣١٩	٥٣٦	١٤٨	محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار ، أحد أصحاب الرأى ، الفقيه ، القاضي ، المفق
٣٢١	٥٣٧	١١٠	محمد بن سيرين ، أبو بكر ، البصري ، الفقيه ، المحدث
٣٢٣	٥٣٨	*١٥٩	محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ، أبو الحارث ، القرشي ، العامري ، المدني ، الإمام
٣٢٤	٥٣٩	١٨٩	محمد بن الحسن بن فرقد ، الشيباني ، الفقيه الحنفي
٣٢٦	٥٤٠	*١٢٦	محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي ، والد الخلفاء العباسيين
٣٢٩	٥٤١	٢٥٦	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف أبو عبد الله ، الجعفي بالولاء ، البخاري ، إمام أهل الحديث
٣٣٢	٥٤٢	٣١٠	محمد بن جرير بن يزيد بن خالد ، أبو جعفر ، الطبري ، المفسر ، المؤرخ ، الفقيه
٣٣٣	٥٤٣	٢٦٨	محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث ابن رافع ، أبو عبد الله ، المصري ، الفقيه الشافعي
٣٣٤	٥٤٤	٢٩٥	محمد بن أحمد بن نصر ، أبو جعفر ، الترمذي ، الفقيه الشافعي
٣٣٦	٥٤٥	٣٤٥	محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر ، أبو بكر ، المعروف بابن الحداد ، المصري ، الفقيه الشافعي
٣٣٧	٥٤٦	٣٣٠	محمد بن عبد الله ، أبو بكر ، المعروف بالصيرفي ، البغدادى ، الفقيه الشافعي

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٣٣٨	٥٤٧	*٣٣٦	محمد بن علي بن إسماعيل ، أبو بكر ، القفال ، الشاشي ، الفقيه الشافعي
٣٤٠	٥٤٨	*٣٨٤	محمد بن علي بن سهل بن مصلح ، أبو الحسن ، الماسرجسي الفقيه الشافعي
٣٤١	٥٤٩	٣٨٦	محمد بن الحسن بن إبراهيم ، أبو عبد الله ، المعروف بالختن ، الإستراباذي ، الفقيه الشافعي
٣٤٢	٥٥٠	٣٦٩	محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون بن موسى أبوسهل ، المعروف بالصعلوكي ، النيسابوري ، الشافعي
٣٤٣	٥٥١	٣٠٨	محمد بن الفضل بن سلمة بن عاصم ، أبو الطيب ، الضبي ، البغدادي ، الفقيه الشافعي
٣٤٤	٥٥٢	*٣١٠	محمد بن إبراهيم بن المنذر ، أبو بكر ، النيسابوري ، الفقيه
٣٤٥	٥٥٣	٣٧١	محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد ، أبو زيد ، المروزي ، الفاشاني ، الفقيه الشافعي
٣٤٦	٥٥٤	٣٨٥	محمد بن عبد الله بن محمد بن نصر بن ورقاء ، أبو بكر ، الأودني ، الفقيه الشافعي
٣٤٨	٥٥٥	٣٦٢	محمد بن أحمد بن علي بن شاهويه ، أبو بكر ، الفارسي ، الفقيه الشافعي
٣٤٩	٥٥٦	٤٥٤	محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكيم ، أبو عبد الله ، القضاعي ، المصري ، الفقيه الشافعي ، المؤرخ
٣٥٠	٥٥٧	*٤٢٢ (١)	محمد بن عبد الله بن مسعود بن أحمد ، أبو عبد الله ، المسعودي ، الفقيه الشافعي
٣٥١	٥٥٨	٤٥٨	محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عباد ، أبو عاصم ، العبادي ، الهروي ، الفقيه الشافعي
٣٥١	٥٥٩	٣٨١ (٢)	محمد بن أحمد ، أبو عبد الله ، الحضري ، المروزي ، الفقيه الشافعي

(١) قال عنه « وتوفي سنة نيف وعشرين وأربعمائة » .

(٢) قال عنه « وتوفي في عشر الثمانين والثلاثمائة » .

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٣٥٣	٥٦٠	٥٠٥	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، أبو حامد ، حجة الإسلام ، زين الدين ، الغزالي ، الطوسي ، الشافعي
٣٥٦	٥٦١	٥٠٧	محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر ، أبو بكر ، فخر الإسلام ، الشافعي ، الفارقي ، المعروف بالمستظهرى ، الشافعي
٣٥٨	٥٦٢	٥٢٨	محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ، أبو نصر ، الأرميني ، الفقيه الشافعي
٣٥٩	٥٦٣	٥٤٨	محمد بن يحيى بن أبي منصور ، أبو سعد ، محيي الدين ، النيسابوري ، الفقيه الشافعي
٣٦١	٥٦٤	٥٦٧	محمد بن محمد بن محمد بن سعد ، أبو منصور ، البروي ، الفقيه الشافعي
٣٦٢	٥٦٥	٥٥٢	محمد بن المبارك بن محمد بن عبد الله ، أبو الحسن المعروف بابن الحل ، البغدادى ، الشافعي
٣٦٤	٥٦٦	٥٩٨	محمد بن علي بن محمد بن يحيى ، أبو المعالي ، محيي الدين ، المعروف ، بابن زكى الدين ، الدمشقي ، الشافعي
٣٧٢	٥٦٧	٥٧٤	محمد بن هبة الله بن عبد الله الساماسي ، الفقيه الشافعي ، الملقب بالسديد
٣٧٣	٥٦٨	٥٧١	محمد بن أسعد بن محمد بن الحسين بن القاسم ، المعروف بحفدة ، العطارى ، الطوسي ، الشافعي
٣٧٤	٥٦٩	٥٨٧	محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن ابن عبد الله ، نجم الدين ، أبو البركات ، الحبوشاني ، الشافعي
٣٧٥	٥٧٠	٥٧٢	محمد بن عبد الله بن القاسم ، أبو الفضل ، كال الدين ، الشهرزورى ، الفقيه الشافعي

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٣٧٩	٥٧١	٥٨٦	محمد بن كمال الدين الشهر زورى ، أبو حامد ، محيي الدين ، قاضى دمشق وحاكم حلب
٣٨١	٥٧٢	٦٠٦	محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ، أبو عبد الله ، فخر الدين ، المعروف بابن الخطيب ، التيمي ، البكرى ، الطبرستانى ، الشافعى
٣٨٥	٥٧٣	٦٠٨	محمد بن يونس بن محمد بن منعة بن مالك بن محمد ، أبو حامد ، عماد الدين ، الفقيه الشافعى
٣٨٧	٥٧٤	٦١٣	محمد بن إبراهيم ، أبو حامد ، معين الدين ، السهلي ، الجاجرى ، الفقيه الشافعى
٣٨٨	٥٧٥	٦١٥	محمد بن محمد بن محمد ، أبو حامد ، ركن الدين العميدى ، السمرقندى ، الفقيه الحنفى
٣٩٠	٥٧٦	٢٩٧	محمد بن داود بن علي بن خلف ، أبو بكر ، الأصبهاني ، الفقيه الظاهرى
٣٩٣	٥٧٧	٥٢٠	محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان ، أبو بكر ، المعروف بابن أبى رندقة ، الطرطوشى ، المالكي
٣٩٦	٥٧٨	٢٣٥	محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول ، أبو الهذيل المعروف بالعلاف ، العبدى ، المتكلم
٣٩٨	٥٧٩	٣٠٣	محمد بن عبد الوهاب بن سالم بن خالد بن حمران بن أبان ، أبو علي ، الجبائى ، أحد أئمة المعتزلة
٤٠٠	٥٨٠	٤٠٣	محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم . أبو بكر ، البصرى ، الباقلانى ، المتكلم
٤٠١	٥٨١	٤٣٦	محمد بن علي الطيب ، أبو الحسين ، البصرى ، المتكلم ، المعتزلى
٤٠٢	٥٨٢	٤٠٦	محمد بن الحسن بن فورك ، الأستاذ أبو بكر ، المتكلم ، الأصولى ، الأديب ، النحوى ، الواعظ ، الأصبهاني

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٤٠٣	٥٨٣	٥٤٨	محمد بن عبد الكريم بن أحمد ، أبو الفتح ، الشهرستاني ، المتكلم على مذهب الأشعري
٤٠٥	٥٨٤	* ١٥١	محمد بن إسحاق بن يسار بن جبار ، أبو بكر ، المطلبى بالولاء ، المدني ، صاحب المغازى والسير
٤٠٧	٥٨٥	* ٢٧٩	محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، أبو عيسى ، البوغى ، الترمذى ، الحافظ
٤٠٧	٥٨٦	٢٧٣	محمد بن يزيد بن ماجة ، أبو عبد الله ، الربعى بالولاء ، القزوينى ، الحافظ
٤٠٨	٥٨٧	* ٤٠٥	محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم ، أبو عبد الله ، الضبي ، الطهماني ، المعروف بالحاكم
٤١٠	٥٨٨	* ٤٨٨	محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد بن يسل ، أبو عبد الله ، الأزدي ، الحميدي ، الأندلسي ، الميورقي ، الحافظ
٤١٣	٥٨٩	٥٣٦	محمد بن علي بن عمر بن محمد ، أبو عبد الله ، المازري ، الفقيه المالكي ، المحدث
٤١٤	٥٩٠	٥٨١	محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد ، أبو موسى الأصفهاني ، المديني ، الحافظ
٤١٥	٥٩١	٥٠٧	محمد بن طاهر بن علي بن أحمد ، أبو الفضل ، المقدسي المعروف بابن القيسراني ، الحافظ
٤١٦	٥٩٢	٣٠١	محمد بن يحيى بن منده ، أبو عبد الله ، العبدى ، الحافظ ، صاحب تاريخ أصبهان
٤١٧	٥٩٣	٣٢٠	محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر ، أبو عبد الله ، الفريرى ، راوى صحيح البخارى
٤١٨	٥٩٤	٥٣٠	محمد بن الفضل بن أحمد ، أبو عبد الله ، كمال الدين الصاعدى ، الفراوى ، النيسابورى ، المحدث

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٤١٩	٥٩٥	٣٦٠	محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر ، الآجري الفقيه الشافعي ، المحدث
٤٢٠	٥٩٦	٥٥٠	محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر ، أبو الفضل ، المعروف بالسلامي ، البغدادي ، الحافظ الأديب
٤٢١	٥٩٧	٥٨٤	محمد بن موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم ، أبو بكر ، زين الدين ، الحازمي ، الهمداني .
٤٢٣	٥٩٨	٥٤٣	محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد ، أبو بكر ، المعروف بابن العربي ، المعافري ، الأندلسي ، الإشبيلي ، الحافظ .
٤٢٥	٥٩٩	* ٣٥١	محمد بن الحسن بن محمد بن زياد ، أبو بكر ، المعروف بالتقاش ، الموصلی ، البغدادي ، المقرئ .
٤٢٦	٦٠٠	٣٢٨	محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ ، أبو الحسن ، البغدادي ، المقرئ
٤٢٨	٦٠١	١٨٣	محمد بن صباح ، أبو العباس ، المعروف بابن السماك القاص ، الكوفي ، الواعظ .
٤٣٠	٦٠٢	٣٨٦	محمد بن علي بن عطية ، أبو طالب ، الحارثي ، المكي ، الواعظ ، صاحب كتاب « قوت القلوب »
٤٣١	٦٠٣	٣٨٧	محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس ، أبو الحسين المعروف بابن سمعون ، البغدادي ، الواعظ
٤٣٢	٦٠٤	٥٩٩	محمد بن أحمد بن إبراهيم أبو عبد الله القرشي الهاشمي الزاهد
٤٣٣	٦٠٥	* ٢٣١	محمد بن زياد ، أبو عبد الله ، المعروف بابن الأعرابي الكوفي ، اللغوي
٤٣٦	٦٠٦	١٤٦	محمد بن السائب بن بشر ، أبو النصر ، الكلبي . الكوفي ، صاحب التفسير وعلم النسب
٤٣٩	٦٠٧	٢٠٦	محمد بن المستنير بن أحمد ، أبو علي ، المعروف بقطرب ، البصري ، اللغوي ، النحوي .
٤٤١	٦٠٨	* ٢٨٦	محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، أبو العباس ، المبرد ، الثمالي ، الأزدي ، البصري ، النحوي .

ص	رقم الترجمة	سنة الوفاة	صاحب الترجمة
٤٤٨	٦٠٩	٣٢١	محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية بن حنم ، أبو بكر ، الأزدي ، البصري ، اللغوي
٤٥٤	٦١٠	*٣٤٤	محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم ، أبو عمر ، الزاهد ، المعروف بالمطرز ، الباوردي ، غلام ثعلب
٤٥٨	٦١١	*٣٧٠	محمد بن أحمد بن الأزهر ، أبو منصور ، الأزهرى ، الهروى ، اللغوى ، صاحب كتاب « التهذيب »
٤٦١	٦١٢	٣١٠	محمد بن العباس بن محمد ، أبو عبد الله ، اليزيدى ، العدوى ، النحوى
٤٦٢	٦١٣	٣١٦	محمد بن السرى بن سهل ، أبو بكر ، المعروف بابن السراج ، النحوى ، صاحب كتاب « الأصول »
٣٦٣	٦١٤	*٣٢٨	محمد بن القاسم بن محمد بن بشار ، أبو بكر ، الأنبارى ، النحوى
٤٦٦	٦١٥	*٢٨٣	محمد بن القاسم بن خلد بن ياسر بن سليمان ، أبو عبد الله ، المعروف بأبي العيناء ، الهاشمى ، الشاعر
٤٧٠	٦١٦	*٢٠٧	محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله ، مولى بنى هاشم ، الواقدى ، المدنى
٤٧٣	٦١٧	٢٣٠	محمد بن سعد بن منيع ، أبو عبد الله ، الزهرى ، كاتب الواقدى .
٤٧٤	٦١٨	٣٢٠	محمد بن أحمد بن حماد بن سعد ، أبو بشر ، الأنصارى الوراق ، الرازى ، الدولابى
٤٧٥	٦١٩	*٣٨٤	محمد بن عمران بن موسى بن سعيد بن عبيد الله ، أبو عبد الله ، المرزبانى ، الخراسانى
٤٧٧	٦٢٠	*٣٣٥	محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس ، أبو بكر ، الضولى ، الشطرنجى
٤٨٢	٦٢١	٣٨٨	محمد بن الحسن بن المظفر ، أبو على ، المعروف بالحاتمى ، الكاتب ، اللغوى ، البغدادى

تمت فهرس الجزء الثالث من « وفيات الأعيان » لابن خلكان
والحمد لله أولا وآخراً ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه

مركز الوثائق والبحوث



30018000014905

المكتبة



